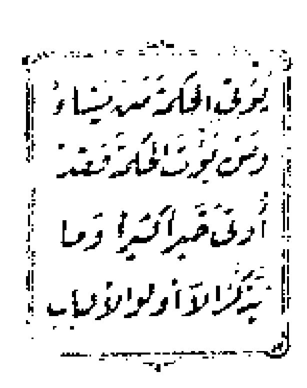




فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ برج السرطان سنة ١٣١٣ هـ ش ١ يوليو سنة ١٩٣٥

﴿ فاتحة المجلد الخامس والثلاثين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ * وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الضَّالُّونَ ؟

نرجو ان ندخل بهذه السنة في عهد جديد لدعوة القرآن نفتتح بها المجلد ٣٥ من المنار والمجلد ١٣ من تفسير القرآن الحكيم، والطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي، بعد أن بينا للمسلمين في السنين الخالية جميع الاسباب والعلل التي فقدوا بها هداية دينهم ومجد ملكهم وحضارته بالاعراض عن تدبر القرآن وجميع ما يجب عليهم من علم وعمل لاستعادة ذلك بالقرآن، وإقامة الحجج والآيات على ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) في تبليغه وتنفيذه، وسنة خلفائه الراشدين في فتوحه وتأسيس دولته وإقامة

أحكامه بين الشعوب المتباينة الاجناس واللغات ، والملل المختلفة الاصول والمذاهب والحضارات ، وانما نذكر القراء بخلاصة من ذلك

أمة موسى وأمة محمد والتوراة والقرآن

فى مدة أربعين سنة انقرض جيل من بنى اسرائيل فى التيه ونشأ جيل آخر: انقرض الجيل الذى تعبده فرعون واستذله فقال زعماؤه لموسى لما دعاهم إلى دخول الارض المقدسة التى كتبها لهم ووعدهم بالغلبة على أهلها إذا دخلوها — (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ونشأ جيل جديد أخذ التوراة بقوة ودخلوا البلاد ففتحها الله لهم كما وعدهم

وفى عشرين سنة أسس محمد رسول الله وخاتم النبيين (ص) بدعوته دينا كاملا وامة متحدة ودولة قوية عادلة فقدر بى الجيل الاول من قومه بالقرآن من أول يوم فأخرجهم بدعوته من الظلمات إلى النور فى عشر سنين ، وفتح بهم جزيرة العرب فى عشر سنين ، وفتح خلفاؤه من بعده ملك كسرى وقيصر فى عشرين سنة ، ولم ينقض القرن الاول من هجرته إلا وقد تم لامته نشر ملكهم ودينهم من آخر حدود أوربة فى الغرب إلى جدار الصين فى الشرق ، وأدى لهم فغفور الصين الجزية

بماذا فعل المسلمون هذه المعجزات فى الفتح الدينى الاجتماعى السياسى ؟ مافعلوها إلا بأخذهم القرآن بقوة كما أخذ بنو اسرائيل التوراة بقوة، وكان تأثير كل من الكتابين بقدره : التوراة هداية لشعب صغير وعد بوطن صغير إلى أجل معلوم ففتحوه وتمكنوا فيه إلى أجل معلوم، ثم عاقبهم الله بظلمهم وإفسادهم فى الارض فسلط عليهم من شاء من عباده الى أجل آخر ثم سلب ملكهم بغيهم، والقرآن هداية عامة لجميع الشعوب والقبائل وعد أهله بخلافة الارض كلها (٦: ١٦٥ وهو الذي جعلكم خلائف في الارض * ٢٤: ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ووفى لهم بما وعدهم في أكثر الارض التى عرفوها ما أقاموا القرآن باقامة الحق والعدل في الناس والشكر لله ، ثم سلب منهم أكثر ما أعطاهم بكفر هذه النعمة ، والفسوق عن هذه الهداية .

ومن العجب أن يفعل اليهود اليوم ما لا يفعل العرب لاستعادة مجدهم

ولكن أمة محمد ليسوا شعباً صغيراً كقوم موسى (عليهما الصلاة والسلام) بل أمة دعوته جميع البشر وأمة الاجابة لهم المهتدون بالقرآن وسنته في إقامته، وما وعدهم به هو الارض كلها لا أرض فلسطين، ودينهم عام باق الى يوم القيامة لا خاص موقت محدود

فتح العرب العالم بالقرآن

إن المسلمين كفروا هذه النعمة قبل أن يتم لهم فتح أكثر الغرب كما فتحوا أكثر الشرق، بأن استبدلوا بهداية القرآن بدعا سرت اليهم نظرياتها الباطلة من الأديان والفلسفة والآداب التي كان عليها الشعوب التي فتحوا بلادها بقوة القرآن لا بقوة السيف والسنان، فقوة العرب الحربية كانت دون قوة الروم، ودون قوة الفرس، اللتين كانتا اقوى دول الارض، وكان يدين لهما كثير من العرب المجاورين لبلادهما، وكانت أضعف من البربر في شمال افريقية ومن القوط (والاسبانيول) في غرب أوربة ومن الغال في جنوب فرنسة من الغرب، ومن الهنود في الشرق، وناهيك ببعد المسافات بين جزيرة العرب وبين هذه الاقطار، وما يزعمه بعض الافرنج ومقلديهم من ان سبب فوز العرب بذلك الفتح السريع الواسع هو ما كان طرأ على تلك الدول والامم من الفساد والضعف فهو تعصب ظاهر فمهما تكن عليه تلك الامم من ضعف وفساد فالعرب كانوا افسد وأضعف من كل واحدة منها قبل الاسلام وبه سادتها كلها : وما هو الا نور القرآن

عصر الصحابة ومنتهى علمهم

ان الصحابة الكرام (رض) هم الذين اسسوا هذا الملك الاسلامي العظيم العادل الرحيم، فيما يسمى العالم القديم، وكان أكثرهم أميين، لم يكن عندهم كتاب يهتدون به في فتوحهم وحكمهم إلا هذا القرآن وحده . وما كانوا يعتمدون في فهمه إلا على ملكة لغته وما بينه لهم النبي (ص) من هداية القول والفعل وهو سنته وهديه، وتلاهم التابعون الذين حفظوا عنهم القرآن والسنن والآثار فكانوا في الدرجة الثانية لدرجتهم ايمانا وعلماً بالاسلام وعملا وتخلقا به وجهاداً في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وفتحاً للامصار وحكما بين الناس بالحق والعدل، وقل فيهم الاميون وكثر المتعلمون، ولكن لم يكن في أيديهم كتاب غير القرآن يهتدون به في تزكية أنفسهم وإصلاحها، ويهدون به غيرهم من الشعوب التي كانت تدخل في دين الله أفواجا . ويجدون الاسلام خيراً مما كانوا عليه هدى وصلاحا وعلماً وعدلا وأدبا وفضلا

عصر التابعين في هديهم وحكمهم وفتحهم

وبدأ التابعون بكتابة السنن والآثار حفظاً لها من الضياع بيد أنهم لم يتخذوا منها كتاباً مدوناً مع القرآن يدينون الله بالعمل به فى عباداتهم الشخصية وفى قضاء حكومتهم وسياستها. بل ظلوا يهتدون بالقرآن وبما كان عليه الصحابة من سنن النبي (ص) وهديه وبسيرة خلفائه الراشدين فى الفتح والسياسة والقضاء ، ومن ذلك الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من القرآن او سنة عملية لا تختلف فيها الافهام والآراء : اجتهاد الافراد لأنفسهم فى الأحكام الشخصية الخاصة ، واجتهاد أولي الامر من الأئمة والقضاة وقواد الجيوش فى الاحكام العامة . مع مراعاة الشورى فيها ، فكانوا على منهاج الصحابة فى ذلك كله ، وناهيك بكتب عمر وعلي الى عمالها ككتاب عمر الى شريح فى القضاء وكتاب علي الى الاشتر النخعي فى السياسة العامة

عصر العلم وما يجب من النظام الواقي من الشقاق فيه

ثم جاء عصر التدوين والتصنيف للحديث والسير والآثار والفقه ، وتلا ذلك تدوين اللغة وفنونها ووقائع التاريخ ، وترجمة علوم الاوائل بأنواعها كالرياضيات والتاريخ الطبيعي والطب والفلك والفلسفة بأقسامها والتصوف بنوعيه الخلقي والفلسفي ، ودرسوا هذه العلوم واجتهدوا فيها وتقدموا ونقحوا وأتموا ما كان ناقصا وزادوا على من كان قبلهم ، عملا بإرشاد القرآن الى النظر فى آيات السموات والأرض وما بينهما وما خلق الله من شيء وسنن الله فى الأمم

كان من سنة العمران وطبيعة الاجتماع فى ذلك أن تصير علوم الدين والدنيا كلها فنوناً صناعية ، وأن يختص بكل جنس منها طوائف من الناس للتوسع والنبوغ فيها، وأن يكون لكل منها تأثير فى أنفس النابغين فيه قد يعارض غيرهم باختلاف الفهم والقصد من العلم وموضوعه وفائدته

وكان يجب فى هذه الحال أن يكون للتعليم نظام جامع يوجه كل علم الى الغاية منه دينية كانت أو عقلية أو عملية كما أرشد اليه القرآن الحكيم، وأن يظل القرآن والاسوة بالرسول (ص) فى تبليغه وتربية الامة كما كان فى عهده وعهد خلفائه الاربعة هدياً إلهيا عملياً لانزاع فيه وينزه عن أن يكون صناعة بشرية ، وفناً جدلياً يضرب بعضه

بعض لتأييد المذاهب والشيع الدينية والسياسية ، وأن تكون حرية الدين على أكملها فيما هو من كسب البشر ونتائج أفكارهم وأفهامهم ، فالاسلام أباح لأهله الحرية فى هذه دون ما هو فوقه وفوق كل شيء بشري وهو كلام الله اليقيني القطعي الرواية والدلالة من الدين الذي شرعه الله لهم ، وأما ما كان ظني الرواية او الدلالة منه فقد اباح لهم الاجتهاد فيه بشرط أن لا يكون اختلاف الفهم والرأي سبباً لتفرق الامة والشقاق بين أهلها . ولو فعلوا ذلك لاتقوا الشقاق والتفرق بما حدث من البدع فى الدين ، ولكنهم لم يعملوا فضلوا وابتدعوا ، فتفرقوا واختلفوا . وفسقوا وضعفوا

كان هذا التأليف بين العلوم والفنون والدين أول واجب على الامام الاعظم خليفة المسلمين ولكن خلفاء العباسيين أطلقوا العنان اولا فلم يقوموا بالواجب ثم نصروا بعض المتفرقين فى الدين على بعض بما أضعف سلطان الدين فى الهداية . وفوائد العلوم والفنون فى الحضارة . وأنى للمعتصم العامي وكذا المأمون العالم المتفنن أن يفهم حكمة امير المؤمنين عمر بن الخطاب فى عقاب صبيغ المجادل المشكك فى القرآن ونفيه من المدينة الى البصرة وأمر الناس بهجره حتى تاب ، تلك جناية فرضى العلم فى العرب وجنايتها على هداية القرآن بالابتداع والتفرق والاختلاف

حضارة العرب وتأثير الاسلام فيها

وقد كانت للمسلمين من جملة ذلك كله حضارة عربية زهية زاهرة ، جمعوا فيها بين زينة الدنيا ونعمتها والاستعداد لسعادة الآخرة . ألطف مثال لها ما حكي عن امرأة كانت ترفل فى حليها وحللها مخضبة الكفين مطرفة البنان وهي تسبح الله تعالى وتذكره ، فرآها رجل ناسك فقال لها ما هذا مع هذا ؟ فقالت

وللّه مني جانب لا أضيعه ولِلَّهو مني والخلاعة جانب

وكانت قيانهم ووصائفهم تحفظ القرآن وتروي الحديث بالاسانيد وتنظم الشعر وتلحنه ، وما كان من إسراف بعضهم وفسوقهم تجد تجاهه غلو آخرين فى دينهم ، وانقطاعهم إلى العبادة وجهاد النفس بحرمانها من الطيبات المباحة

كان أهل بغداد فى عهد حضارة العباسيين يتنزهون فى زوارق دجلة أصيل كل يوم كما يتنزهون فى هذه الأيام . فاتفق أن اقترب قاربان منها فى أحدهما مغن يعزف على عوده وفى الآخر قارئ يرتل سورة التكوير ، فأنصت المغني واستمع للقرآن بتدبره ، حتى إذا بلغ القارئ قوله تعالى (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) ضرب بعوده جانب

الزورق فكسره ورماه في دجلة خاشعاً متصدعا من خشية الله ، فكان ترتيل القرآن أفعل في نفسه من توقيع الألحان ، ومثل هذا لا يقع الآن والقوم هم القوم ولكنهم ضعفوا في لغتهم ، فلم يبق للقرآن سلطان على قلوبهم ، رغلوا في الدين والحضارة مما حرم السماع بعضهم واتخذه آخرون عبادة

لو جرى المسلمون في حضارتهم وعلومها وفنونها على صراط القرآن بكفالة الخلافة لاستفادوا من فلسفة اليونان وتصوف الهند وفنون الروم والفرس وصناعاتهم وتنظيم حكومتهم ما يزيدهم إيمانا بالله وبصيرة في دينه وقوة في دولتهم، واعتدالا في نعمة حضارتهم ولما وجدت بدع النظريات الفلسفية والصوفية وفتن السياسة الشعوبية سبيلا إلى التفريق بينهم في دينهم وحكمهم، ولكنهم نكبوا عنه فانقلبوا بعد ألفتهم وتوادهم أعداء يتنازعون في متشابه القرآن الذي ألف بين قلوب سلفهم بعد تعاديهم وتقاتلهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، وهم يقرؤون قوله عز وجل (٣: ٧ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) الآية وقوله (٢ : ٢١٣ وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم) الآية، وقوله (٤ : ٥٨ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

سنن الاجتماع في قلب الاسلام لنظم الأمم السريع

كل ما جرى للأمة الاسلامية كان مقتضى سنن الاجتماع في دين قلب نظم الأمم والملل كلها في أديانها ودنياها في جيل واحد، ودخل فيه أفواج لا تحصى من كل جنس وكل ملة وكل حضارة وكل بداوة قضى شرعه أن يكونوا إخوانا متساوين في جميع الحقوق لا يتفاضلون إلا باستعدادهم الشخصي ، فمنهم من فهمه بلغته وثقافة من جاء به ، وهم العرب لأنه لم يكن عندهم ما يزاحمه من التقاليد الدينية والعادات المدنية ، بل كانوا كما قيل

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ومنهم من لم يفهم منه إلا بعض تقاليده الظاهرة ، ولم يره الا في مرآة ما كان عليه قومه من دين وحضارة ، ومنهم من كان مخلصا فيه ومن كان يكذب له عصبية لقومه وملته ودولته التي قضى عليها ، ومن كان يبتغي به الحياة الدنيا وسلطانها وزينتها ، ومن كان يريد به وجه الله والدار الآخرة

حكمة الله في ترتيب الخلفاء الاربعة

وكان من حكمة الله ورحمته أن خلف رسول الله (ص) فيه خير أصحابه علما وحكمة واخلاصاً ليكونوا قدوة لمن بعدهم وحجة لله عليهم ، وألهم أهل الحل والعقد أن يقدموا أقصرهم فأقصرهم عمراً من حيث لا يدرون لتستفيد الأمة من كل واحد منهم ، وهذه حكمة ألهمني الله تعالى إياها منذ عشرات السنين لم أروها ولم اسمعها من أحد ، وهاك وجه كل واحد منهم (رضى الله عنهم أجمعين)

قدموا أبا بكر أولا فكان في عهده تمحيص الأمة العربية وتصفيتها من النفاق والضعف وكان هو أولى الناس بتنفيذ هذه التصفية في حروب الردة ودعوى المتنبئين النبوة وبقايا العصبية الجاهلية ، وهو مشهود له بأنه كان أعلم الناس بأنساب العرب وأخلاقهم وأحوالهم ، فتم ذلك بسياسته على أكمل وجه

وخلفه عمر فكان في عهده فتح الأمصار والقضاء على ملك كسرى برمته ، وملك قيصر الروم في الشرق كله ، والاستيلاء على الأمم والملل الكثيرة وخضوعها للاسلام في دينه وحكمه أو في حكمه فقط ، وقد ظهر لجميع الأمم في عهده ومن بعده أنه خير من قام بهذا الفتح ونظمه علما وعقلا وعدلا وقوة وإخلاصا

فبحكمة أبي بكر صارت الأمة العربية أمة واحدة موحدة متفقة ، وبحكمة عمر صارت أمة فاتحة حاكمة عادلة مصلحة للبشر . ولما كان من سنن الاجتماع أن يظهر في هذه الدولة العربية ما هو كامن في بعض أهلها من الاستعداد للفتن والمطامع ، وما ينفخ في ضرمه خصومها الذين قضت على ملكهم ، ومن المصلحة أن يظهر حكم الاسلام في إخماده بالحق والعدل ، ألهم الله أهل الشورى أن يقدموا عثمان على علي ، وجل عصبة الأول من بني أمية الطامعين في الملك ، وجل عصبة الثاني من بني هاشم الذين يغلب على أكثرهم الزهد في الدنيا . وقد كان بينهما في الجاهلية ما كان من (التنازع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم) الذي ألف المقريزي فيه مصنفا خاصا بهذا الاسم

كان عثمان على عدله وفضله شديد الحياء لين العريكة ، فغلبه قومه على وصية عمر السابق الحكم له بأن لا يحمل أبناء أبي معيط على رقاب الناس ، فركبوا الرقاب من غير أن يحملهم هو عليها ، فنجمت رءوس الفتنة في عهده وكان كارهاً لها ، إلا أنه لم يستطع كبح جماحها ، فكان شهيد أول ثورة على ولي الامر في الدولة العربية ، وكان هذا أشأمة في الحكم الاسلامي

ثم جاء علي ونار الفتنة مشتعلة وكان أولى إمام في الأمة أن يقاومها علماً وعدلا وإيثاراً للحق على الخلق ، وللهدى على الهوى ، ولو لم يكن لخافي تأخر زمنه وقد أطال الله عمره إلا هذه الحكمة والرحمة لكفى ، فهو قد سن من سنن الحق والعدل في قتال البغاة والخارجين على حكم الاسلام ما لم يكن يرجى من غيره مثله ، وخيرها اتقاء تكفير أهل القبلة بخطأ الاجتهاد كما كان هذا التكفير شر ما فعلوه ، فالايمان والكفر إنما يكونان بالقطع لا بالاجتهاد

وقد بينا من قبل أن التنازع في الامامة بين شيعة علي وجمهور الأمة قد كان تنازعا بين ما يسمى في هذا العصر السلطة الارستقراطية أي حكم الأشراف ، والسلطة الديمقراطية أي حكم الامة الشوري الانتخابي ، ولذلك كان أشد أنصار الشيعة من بعده الاعاجم الوارثين للعبودية للملوك ، وأن عليا لو ولي الأمر من أول الامر بسبب قربه من النبي (ص) أو بحجة وصيته له ولذريته من فاطمة بنت الرسول (ص) لكانت فتنة عبادته وعبادة آله ودعوى عصمتهم قضت على توحيد الاسلام من اول وهلة إن ثبت

استحالت خلافة النبوة بعد علي والحسن (ع . م) ملكا عضوضاً كما ورد وهو من سنن الاجتماع ، وكان بنو أمية وقد صفا لهم الملك من أقدر قريش على استمرار الفتح ، وتوسيع دائرة الدولة وعظمتها ، ولكن تحويل زعيمهم الأول (معاوية) الحكم الاسلامي الشوري (الديمقراطي) إلى عصبية النسب (الارستقراطية) كان سنة سيئة دائمة قضت على دولتهم قبل أن يتم لها قرن كامل ، وهم الذين أحدثوا بسياستهم الجنسية فتنة الشعوبية فكانت عاقبة هذه العصبية أن آل الحكم إلى الأعاجم ، وصار قائماً على قوة العصبية دون أصل الشرع ، وزال سلطان الامامة الديني الذي تخضع الأمة له بوازع العقيدة . فصار الحكم الاسلامي عسكريا مذبذبا لا ارستقراطيا ولا ديمقراطيا

هذه جملة أسباب ترك الدول الاسلامية لهداية القرآن وهداية السنة وجماعة الامة ولو ظلت الأمة متبعة لها لأكرهت الدولة على هذا الاتباع في أي وقت تجتمع به كلمتها ، ولكن جمهور الأمة تحولوا عن هذا الاتباع بفساد التعليم وتقصير العلماء في بيانه والدعوة إليه والعمل به ومطالبة الحكومات بالتزام هدايته بل إلزامهم إياها بنظام تكفله الامة ، وتيسير السبيل لذلك بجعل لغته ملكة راسخة في الأمة بتعلمها بالعمل كما كان عليه أهل العصر الأول ، ولم يفعلوا شيئاً من هذا وهو الذي اضاع حكم القرآن من ناحية السلطان

وهو ما نوهنا به في تصدير الطبعة الثالثة التي نشرناها في هذا الشهر ، وصرحنا فيه بأنه حدث لنا به أمل جديد في حياة المسلمين الملية لا تعرف حقيقتها إلا بتجربة عملية جديدة ، وهو ما عزمنا عليه في هذه السنة

الدعوة الجديدة هي أساس الاصلاح كله

سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد في أعلى مقصديها أو قاعدة التعليم الاسلامي المدرسي منه الذي ضاق زمان هذا العاجز عن السعي له وتولي النهوض به فتركه لمن يعده التوفيق الالهي له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوحيده ووحدة أهله وجماعته ، ولا يصلح له غيرهم

لما ألفنا جماعة الدعوة والارشاد وأنشأنا مدرستها وجدنا عقلاء المسلمين وأذكياءهم في مصر واستانبول وأمصار الهند الاسلامية الكبرى وبغداد وسورية متفقين على أنها أعظم عمل إسلامي لا يرجى الاصلاح المنشود بدونه ؛ حتى إن كبار رجال الترك أكبروه وعلموا أنه يحيي الدولة العثمانية حياة جديدة إذا هي كفلته ونفذته على الوجه الذي اقترحته عليها وقررته الجمعية التي أسست له من أذكى رجال الدولة ، ولكن زعماء جمعية الاتحاد والترقي الملاحدة منهم كانوا قد أجمعوا أمرهم على أسقاط دولة آل عثمان وخلافتهم وإقامة دولة تركية لادينية على أنقاضها ، ولولا ذلك لما منعوا الحكومة من تنفيذه بعد أن صدر به أمر مجلس الوزراء وقرر أن تكون نفقات المدرسة السنوية في ميزانية وزارة الأوقاف

وكان الأمير عباس حلمي باشا خديو مصر علم بالأمر وأكبره فلما عدت من استانبول والأمر مقرر رسميا اقتعني بأنه هو يكفل مساعدتي على تنفيذه في مصر وبأن الدولة العثمانية إن ارادت تنفيذه في استانبول فان من السهل أن يكون في كل من العاصمتين مدرسة تابعة لمقاصد الجمعية ومناهجها ، ففعلت وصدق هو وعده ، وفتحت المدرسة أبوابها لجميع الشعوب الاسلامية ، وتعاون على نفقتها ديوان الاوقاف الخيرية العامة ومصلحة الاوقاف (الملكية) الخاصة ، حتى اذا ما اشتدت سيطرة الانكليز على مصر في عهد الحرب الكبرى كادوا للمدرسة كيدهم واوعزوا عميدهم إلى وزير الاوقاف (إبراهيم فتحي باشا) وكان من صنائعه فقطع الاعانة التي كانت قررت لمدرسة الدعوة والارشاد ، وتعذر عودة الخديو الى مصر فاضطررت بعد صبر جميل الى تعطيلها

وجملة القول أنني على هذه التجارب وما هو أوجع منها وأنكى من ضر مشاركي المنار، وعلى ما أقر به من عجزي عن النهوض بالأعباء الثانية الخاصة والعامة بالأولى، وعلى دخولي في سن الشيخوخة وضعفها، لم أزدد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعيي لأهم أصول الإصلاح الإسلامي وتجديد أمر الدين بما يجدده الله به على أيدي أناس حتى تعم هدايته وحضارته جميع الأمم، وما أيأس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقًا لبشارة رسول الله (ص) بأنه لا تزال أمة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة، رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما بألفاظ من عدة طرق، وهذه الطائفة كانت في القرون الأخيرة متفرقة، وإني منذ سنين أكاتب عددًا من خيار الرجال المتفرقين في الأقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصفاتهم وأعمالهم وأخاطبهم في الدعوة إلى العمل، وأرجو من كل من يرى من نفسه ارتياحًا إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب إلينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم إلى أن ننشر دعوتهم الرسمية.

وأهم ما يرجى من الخير لأمة محمد (ص) في هذا العصر الذي تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو في تعارف هذه الطائفة القوامة على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الأمة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذي يرجى أن تتفق به فهي لا ينقصها إلا الاتحاد، وقد طال تفكيري فيه، وعسى أن أنشرها قريبًا بما يسر الله منه.

وأحمد الله تعالى أن تجدد لي على رأس هذه السنة ما كان لي ولشيخنا الأستاذ الإمام (قدس الله روحه) من الرجاء في مركز الأزهر - وهو ما يعبر عنه في عرف عصرنا بالشخصية المعنوية - وقد تقضى دور يأسنا مما كان نحاول فيه، وخلفت أجاهد في سبيل إصلاحه على ما عرض من أسباب اليأس منه التي تفاقم أمرها أخيرًا وكتبت فيها بضع مقالات في المنار ثم (كتاب المنار والأزهر) وما هذا إلا لأنني لم أيأس، وهذا الرجاء الذي تجدد بتوسيد أمره إلى الشيخ محمد مصطفى المراغي عظم أثره إليه في تصدير الطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي بعد أن كتبت عنه في الجزء الماضي من المنار ما كتبت

كان الأزهر كنزًا خفيًا أو جوهرًا مجهولًا عند أهله وحكومته وعلمائه بمصر لم يفطن أحد قبل الأستاذ الإمام لإمكان إصلاح العالم الإسلامي كله به، والاستيلاء على زعامة جميع الشعوب الإسلامية في الدين والأدب واللغة بإصلاح التعليم العمومي فيه، ولكن تعاليم الإمام رحمه الله وأفكاره هي التي أحدثت هذا الرجاء في طائفة من شيوخه، والاستعداد في جمهور طلابه، ولم يبق إلا العمل الخصوصي له

فتاوى المنار

حرمان البنات من الارث

(س ١) اصحاب الامضاء في مصر القاهرة

حضرة صاحب السيادة مولانا الاستاذ الاكبر السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر نفعنا الله بعلمه وفضله

عرض بعض فقهاء المسلمين في مصر إلى مسألتين ـ الاولى احتيال الآباء على حرمان بناتهم من أموالهم بطريق النزول عنها الى أولادهم الذكور ببيع مايملكونه لهم . حتى إذا ماتوا لاتجد البنات ماترثه من أموال آبائهن

فقال بعض الفقهاء بجواز هذا ونشرت قوله في الوطنية ، وقال آخر بالتحريم ونشرت قوله كذلك في الوطنية فأصبح المسلمون في حيرة من أمرهم بين هذين القولين المتناقضين وقد لجأت الى فضيلة مفتي الديار المصرية ليكون حكما بينهما فأحالني على سيادتكم وأجل فتواه الى ما بعد اطلاعه على فتواكم

تعارض القرآن والاجماع

المسألة الثانية ـ اذا تعارض القرآن والاجماع في أمر فبأيهما نأخذ ؟ ؟ قال بعض العلماء نأخذ بالقرآن ـ وقال أحد كبار الفقهاء نأخذ بالاجماع ـ واستشهد الفقيه المشار اليه على صحة رأيه بقوله : إن القرآن فرض نصيبا من الصدقة للمؤلفة قلوبهم ـ وجاء الاجماع فقرر الغاء هذا النصيب لان الاسلام اصبح قويا ومنتشراً وليس بحاجة الى تأليف القلوب فماذا ترون سيادتكم في هاتين المسألتين فان العالم الاسلامي ومفتي الديار المصرية في انتظار فتوى سيادتكم في كلتيهما

ايوب صبري

صاحب جريدة الوطنية

(١) الاحتيال لحرمان البنات من الميراث

الاحتيال لحرمان البنات من الميراث ببيع المورث بعض عقاره أو كله للذكور من الوارثين بيعاً صحيحاً في الظاهر أو هبته لهم في غير مرض الموت أو بغير ذلك من الوسائل ـ هو كالاحتيال لمنع الزكاة أو أكل الربا المحرم قطعاً ـ حرام لا شك فيه وقد حررنا هذه المسألة في الكلام على الحيلة لأكل الربا ، وأشد الفقهاء جموداً على ظواهر الاحكام يصرحون بحرمة هذا اذا قصد به تعطيل حكمة الشارع، وإنما يكابر من يكابر في حكم ظاهر العمل بصرف النظر عن النية فيه . وقد أمر النبي ﷺ بالعدل والمساواة بين الاولاد في عطايا الدنيا فضلا عن الميراث المقرر في كتاب الله تعالى ففي حديث الصحيحين وغيرهما أن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال على المنبر : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة (يعني أمه) لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال اني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال « أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال لا ، قال « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال فرجع فرد عطيته . وفي رواية لمسلم زيادة « لا تشهدني على جور » وفي أخرى « فلا تشهدني فاني لا أشهد على جور » وفي أخرى « اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر » والنحل جمع نحلة بالكسر وهي العطية التي لا مقابل لها

والظاهر أن هذه التسوية واجبة وإن قال بعض الفقهاء إنها مندوبة . واختلف في صفتها فقيل لا فرق فيها بين الذكر والانثى ، وقيل هي كالميراث ، ويتجه التفصيل فيما كان من طعام أو زينة وما يعطى من الدراهم في الاعياد فالظاهر فيه المساواة لاستواء الحاجة ولان التفضيل يسوء البنات ، وما يقتنى ويدخر أو يستغل لكثرته فالظاهر فيه أنه يراعى فيه نصيب كل في الميراث لانه اقرب اليه . وعلى الاول يحمل حديث ابن عباس (رض) مرفوعا « سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء » رواه سعيد بن منصور والبيهقي من طريقه وإسناده حسن كما قال الحافظ بن حجر

(٢) التعارض بين القرآن والاجماع

ني لأستنكر هذا التعبير ، وأقول إن القرآن أعظم وأجل من أن يعارضه دليل، وكل ماخالفه فهو خطأ مردود . ومن سوء الأدب أن يقال إنه معارض له وأسوأ من ذلك أن يقال إنه يرجح عليه

وما ذكر في السؤال من سقوط سهم المؤلفة قلوبهم من مستحقي الزكاة لا يصح بل هو باق ولو صح لما كان حكمه معارضا للقرآن وراجحا عليه ، بل يقال فيه ان حكمه قد تعذر تنفيذه بفقد المستحق له كما يقال في غيره من غير حاجة الى ادعاء الاجماع كالغارمين وابن السبيل اذا فقدوا من بعض البلاد ، ومثل ذلك كفارة العتق في البلاد التي فقد منها الرقيق

قد بينت في تفسير آية الصدقات أن المؤلفة قلوبهم عند الفقهاء قسمان (١) كفار وهم ضربان (٢) مسلمون وهم أربعة ، وانه حدث في عصرنا اقسام أخرى اولى بالتأليف ، فاننا نجد دول الاستعمار الطامعة في استعباد جميع المسلمين وفي ردهم عن دينهم يخصصون من أموال دولهم سهما للمؤلفة قلوبهم من المسلمين فمنهم من يؤلفونه لاجل تكفيره واخراجه من حظيرة الاسلام، ومنهم من يؤلفونه لاجل الدخول في حمايتهم ومشاقة الدول الاسلامية أو الوحدة الاسلامية، ككثير من امراء جزيرة العرب وسلاطينها!! أفليس المسلمون أولى منهم بهذا ؟ (ص ٤٩٥ ج ١٠ تفسير المنار)

وقلت انه روي عن أبي حنيفة انه قد انقطع سهم قسم من الكفار باعزاز الله للاسلام كالذين اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم هوازن ثم منعهم عمر وقلت ان هذا اجتهاد من عمر (رض) أي فهو يختلف باختلاف الزمن وقد استمر في زمن عثمان وعلي (رض)

« وأما من ادعى انه منسوخ بالاجماع لما تقدم من عمل الخلفاء والسكوت عليه من سائر الصحابة فدعواه ممنوعة : لا الاجماع ثابت بما ذكره، ولا كونه حجة على نسخ الكتاب والسنة صحيحا وان اختلف فيه الاصوليون بما لا محل لذكره هنا »

وجملة القول ان سهم المؤلفة قلوبهم ضروري في هذا الزمان أشد مما كان في أول الاسلام لضعف المسلمين ودولهم وضراوة الاجانب بهدم دينهم وملكهم ، وانه لا إجماع على ما ذكر في السؤال وان الاجماع الاصولي يختلف في امكانه وفي وقوعه وفي العلم بوقوعه ان وقع وفي كونه حجة

كتاب الوحي المحمدي

تصدير الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والشكر ، إياه نعبد وإياه نستعين

أما بعد فقد أصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في موعد ذكرى مولد النبي (ص) من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ تيمنًا بظهور نوره المشرق الذي أضاء الكون كله . وإنما أضاءه بزوغ شمس هذا الوحي الإلهي ونزوله عليه ، فما أتى على صدوره بضعة أشهر إلا وكانت نسخه قد نفدت . فأعدت طبعه في تلك السنة منقحًا مزيدًا فيه قدر الثلث ونيف ، ولولا خوف الملل على القارئين لزدته ضعفًا أو أضعافًا . ولذلك وعدت بأن أجعل له ثانيًا . وأصدرت الطبعة الثانية في يوم عرفة الذي أنزل الله عليه في حجة الوداع (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا) تفاؤلا بتجديد هذا الكتاب لدعوته (ص) فما جاء يوم عرفة الثاني (سنة ١٣٥٣) إلا وكانت نسخ الطبعة الثانية قد نفدت ، وشرعت في الطبعة الثالثة ، وتعمدت تأخير إتمامها كالتي قبلها لنشرها في موعد الأولى من هذه السنة (١٣٥٤)

وفي غضون السنة الماضية تمت ترجمة الكتاب باللغة الأوردية ونشرت في الهند وهي مترجمة من الطبعة العربية الأولى . وتمت ترجمته باللغة الصينية فيها أيضًا مرتين وتولى طبع الأولى في قيودان مترجمها الأستاذ صاحب مجلة ضياء الهلال ، وحمل الثانية مترجمة الأستاذ بدر الدين الصيني من الهند إلى مصر وعرضها علي ، وكان يريد إرسالها إلى بلد آخر في الصين لطبعها فأشرت عليه بأن يزيد فيها كل ما زدته في الطبعة الثانية لأنها أجمع وأنفع ، ولعلها لا تطبع إلا وقد نفدت نسخ الترجمة الأولى ، ولعله يعيد تنقيحها بمعارضتها على هذه الطبعة الثالثة فإنها أصح وأكمل . ولم يبلغني أن أحدًا غير هؤلاء قد أتم ترجمته بلغة أخرى

زدت في هذه الطبعة قليلا من الفوائد ، وإيضاحًا لبعض المسائل ، وجعلت

أكثرها في الحواشي كما ترى في الحاشية الثانية من ص ١٥٧ والأولى من ص١٥٨ والحاشية (٢) من ص ١٨١ وما جعلته في الصلب أشرت إليه غالبا كشرعية عتق الرقيق من غير المؤمنين، وليس فيها شيء من المقاصد الأصلية المقصودة بذاتها

علمنا إذن أنه أتى على ظهور الكتاب ستتان كاملتان ، فأما انتشاره بالعربية فهو فوق المعتاد فى الكتب الدينية ، وقد قررت وزارة المعارف العمومية فى هذه السنة صرفه لطلبة دار العلوم العليا وهو يدرس فى بعض المدارس الاسلامية فى دمشق وبيروت

ويرجى نشره في السنة المدرسية الجديدة أيضا بين طلاب الأزهر والمعاهد الدينية بمصر وقد تولى رياستها شيخ الاسلام وخليفة الاستاذ الامام (الشيخ محمد مصطفى المراغي) الذي كان أول من قدر الكتاب قدره ، وقرأ نصفه فى جلسة واحدة وأتمه فى جلسة أخرى ، ثم كتب فى وصفه تلك الكلمة البليغة التى يراها قراؤه فى صدر التقاريظ ، وقد تنبأ أو بشر بأنه سيطبع فى كل عام

ترجمة الكتاب باللغات الافرنجية

ولكن قصر المسلمون فيما يجب عليهم من ترجمته بسائر لغاتهم وبلغات شعوب الحضارة التى دعوناها به إلى الاسلام ، وهي الانكليزية والفرنسية والالمانية ، وهو واجب كفائي صرح بتمنيه كثير من أهل العلم والغيرة ، وصرح بوجوبه بعض مقرظي الكتاب ، فنهم من تعسف وطالبنى بهذه الترجمة أو بالسعي لها ، ومنهم من أنصف وطالب به الأمة الاسلامية أو جمعياتها

أما الامة فلا تنهض بالأعمال العامة إلا بزعمائها أو جمعياتها ، وأما هذه الجمعيات عندنا فلا تزال في سن الطفولة ، ولا يرجى من أمثالها عمل عظيم كهذا ، فهي أفقر وأضعف همة من جمعيات المرتدين عن الاسلام جملته وتفصيله كالبهائية ، والملاحدة المدعين للنبوة والمسيحية فيه كالقاديانية ، دع جمعيات النصارى التعليمية والتنصيرية التى تملك مئات الملايين من الجنيهات ، وقد بثوا تعاليمهم فى جميع أقطار الارض ، وهم يطمعون فى تنصير المسلمين ، على حين تتململ شعوبهم من النصرانية سراعا بسلطان ونظام كالشعب الجرماني ، أو لواذا بدون سلطان دولي ولا نظام كسائر الشعوب ، وهي تمهد السبيل لنسخ الاسلام لها ، وحلوله محلها ،

ولقد كان أرجى الجمعيات الاسلامية لهذا العمل فى مصر «جمعية الدفاع عن الاسلام» التي هدمت باسم أقوى معول من معاول الاسلام قبل أن يتم بناؤها ، وإنما كان هذا الرجاء فيها منوطا برئيسها الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وما كان السعي لهدمها إلا سعيا لهدم اسمه ، وحرمان المسلمين من استعداده ، ولكن الله نصره ، وخذل من ناهضه ، وجعل معول الهدم الذي كان بأيديهم سيفا لنصر الاسلام بيده ، فاذا بعصى موسى تلقف ما يأفك سحرة فرعون (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

فان كان أهلا للرجاء بأن يسعى لترجمة كتاب الوحي المحمدي ببعض لغات العلم الغربية تمهيداً لتبليغ الدعوة الاسلامية للناطقين بها ـ وتلك القوة الرسمية تكيد له ـ فأجدر به أن يكون أقدر على تحقيق ذلك بالفعل ، وتلك القوة الرسمية وما وراءها من القوة الحقيقية طوع يده ، ولن تكون ترجمة هذا الكتاب فى موضع الثقة بها عند جميع الشعوب كما إذا كانت من قبل شيخ الاسلام وتحت إشرافه ، وكان نشره وبث الدعوة به بارشاده أو إجازته ، مع العلم بأن مؤلفه قلم من أقلامه ، وعلم من أعلامه ، وأحمد الله عز وجل أن جدد لي وللأمة بعودته إلى مشيخة الأزهر ذلك الأمل بالزعامة الاسلامية العاملة التي فقدناها بوفاة الاستاذ الامام منذ ثلاثين سنة

إن الأمة لم تفقد بوفاة ذلك الامام شيئا من علم الاسلام ، وإنما فقدت زعيم الاصلاح العارف بحاجة زمانه ، الذي نال الزعامة بسمو عقله ، واستقلال رأيه وفهمه ، وعلو همته وشجاعته ، وإنصافه باعطاء كل ذي حق حقه من العلم الصحيح والاخلاص فيه ، وما كان يعوزه للنهوض بالاصلاح العام إلا الاستقلال بالزعامة التي تمكنه من العمل ، ولهذا كنا نسعى ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب

إذن لقد كان من حكمة الله أن « كتاب الوحي المحمدي » لم يترجمه بلغات الافرنج من ليسوا أهلا لترجمته حتى لا أضطر إلى تخطئتهم ، فيكون ذلك محبطا لعملهم ، أو مضعفا للثقة بترجماتهم ، وادخرها العليم الحكيم لمن هو أحق بها وأهلها

بلوغ الدعوة لأحرار الافرنج والمستشرقون منهم

لن يكون بلوغ الدعوة صحيحاً مرجواً إلا بوصولها إلى الاحرار مستقلي الفكر من هذه الشعوب بلغاتهم ، وأكثر أفراد المستشرقين الذين تعلموا العربية ليسوا من هؤلاء الاحرار المستقلين المنصفين ، فانهم ما درسوا العربية ولا مارسوا كتب الاسلام ليعرفوا حقيقته ويعرفوا غيرهم بها ، بل ليبحثوا عن عورات يتلمسونها فيها لينفروا أقوامهم عنه بتصويرها لهم بالصور المشوهة التي ينكرونها ، كما نرى فيما اطلعنا عليه من كتبهم وفي معجمهم العلمي الذي وسموه بدائرة المعارف الاسلامية ، ومن خيبة الآمال بعلمهم ومصنفاتهم أن وجدت كتاب (مفتاح كنوز السنة) على غير ما كنت ظننت وخلاف ما قلت في التعريف به ، فانى لم أستفد منه أدنى فائدة

وأما المستقلون منهم وهم الأقلون فقد غلبتهم الأفكار المادية على عقولهم فقضايا ها عندهم مسلمات كأنها لا مجال للبحث فيها ، وقد قربنا مسافة الخلف بيننا وبينهم بما أقمناه في هذا الكتاب من البينات العلمية القطعية ، على أن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام محمد (ص) ولا من مدارك عقله الظاهر ولا ما يسمونه العقل الباطن ، فاذا فرضوا أن للانسان عقلا باطنا لا نعرف حقيقته يدرك به من علم الغيب والشهادة ما هو خفي وخارق للعادة في السنن المعروفة لكسب العلم من الحواس والفكر ، وعللوا به ما يسمونه قراءة الفكر ومراسلة الافكار ، وادراك المنوم بالاستهواء المغناطيسي وقد بينا لهم أنه لا يكفي لتعليل الوحي المحمدي - فأي بعد بين هذا العقل الخفي المفروض في باطن الانسان وبين وجود عقل خفي مثله في خارجه (وهو ما نسميه الملك كما نسمي الأول الروح) يكون الوحي الحقيقي باتصال أحدهما بالآخر كاتصال الكهربائية الايجابية بالسلبية وتولد النور من اتصالها ، فان ما زعموه من انقداح وحي القرآن من عقل محمد الباطن وحده محال كما قررناه وهذا أقرب التعليلين والفرق بينهما قريب جداً فما ثم إلا اختلاف الاسماء

وفوق هذا وذاك قيام البراهين الكثيرة على وجود الله الخالق لكل شيء الذي دون الايمان به لا يمكن القطع بشيء من مسائل الكون وسننه ، فانهم كلما أثبتوا شيئاً عادوا فنفوه ، وكلما أبرموا أمراً نقضوه

لقد قرب ظهور الحق لأحرار هذه الشعوب وسنراهم بعد ترجمة هذا الكتاب

يدخلون ان شاء الله في دين الله أفواجا ، وقد بطلت ثقتهم بكل ما عداه من الأديان

نعم كتاب « الوحي المحمدي » قد وصل إلى جميع هؤلاء المستشرقين الذين يعرفون العربية فاني أهديته إلى من عرفت عناوينهم وأرسله غيري إلى أناس منهم ، ومن عاداتهم أن يبحثوا عن كل كتاب جديد له شأن ، وقد شكر لي بعضهم هذه الهدية بكلمة لم يزد عليها (كصاحب مفتاح كنوز السنة الدكتور فنسنك) وانفرد العلامة الدكتور موريتس الالماني منهم بابداء رأيه فيه فأنشر هنا نص كتاب الشكر الذي تفضل به وهو :

برلين ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣

جناب الشيخ العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بعد التحية والاحترام فتفضلتم بارسال إلي نسخة كتابكم الجديد « الوحي المحمدي » فأرجو قبول جزيل الشكر على هذه الهدية النادرة القيمة وبالخصوص على ما أظهرتم بها من عدم نسيان شخصي ، ولا حاجة للتأكيد لكم أني اطلعت عليه بغاية الاهتمام ولا ريب عندي أنه يجد كمثله في عالم العلماء

وفي أثناء هذا الاطلاع قد عثرت على جملة مسائل ونقط تستحق ملاحظات لكن نظراً لحجم هذا الجواب الذي لا يتسع أن أدخل في جميعها أقتصر بواحدة منها أي في معنى كلمة نبي الاصلي « ص ٢١ » عند العبرانيين القدماء فكان (نبيأ) في أوائل عصرهم المتكلم بصوت عال ثم الناطق في أمور أمته القضائية والسياسية أي مثل ناصح ومستشار لارشادها . لكن شيئا فشيئا تبعا لتقدم الدين الاسرائيلي تغير موقعه وصفته فصار واعظا وناصحا في الامور الدينية لانه كان معتقدا أن هذه الوظيفة صارت له بناء على أمر من الله بذلك، وأنه المتكلم باسم الله، والدليل على ذلك أنه يستعمل في أول كلامه أي نبوته هذه الكلمات : هكذا قال ياهو (وهو اسم إله بني اسرائيل وغيرهما من الأمم الشرقية المنتشرة بين الحجاز وبين سوريا الشمالية) الخ

وفي الختام أكرر لكم الشكر الواجب مع تمنياتي الصميمة المخلص

دكتور موريتس

يقول هذا العلامة الكبير إن هذه الهدية النادرة القيمة ، وإنه اطلع على الكتاب بغاية الاهتمام ، وإنه لا يرتاب في أنه يجد في عالم العلماء ما ينبغي لكتاب مثله .

فهؤلاء العلماء قد بلغتهم دعوته ، وفهموا ما تحديتهم به من الآية الكبرى على نبوة محمد (ص) وما نزل عليه من وحى القرآن ، ولم يقدر أحد منهم أن ينقضها ، أو يأتي بتعليل لهذه المعجزة الدالة على إتيان محمد (ص) بهذا القرآن فى أسلوبه ومعانيه وما فيها من العلوم العالية التى لخصتها فى المقاصد العشرة والتأسيس أقوم دين وأقوى دولة وأمة فى عشر سنين قلبا أعظم دول الأرض وأديانه فى ثلث قرن

وما ذكره الدكتور من الملاحظة على بعض مدلول لفظ النبي عند اليهود فهو منقول من قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوسط ، وقد ذكرت المعنى الذي أشار إليه فى كلامى على النبوة من الطبعة الثانية (ص٢٥) وهو فى (٤١) من هذه الطبعة الثالثة

ولا أزال أتمنى لو يتفضل علي بغير هذه الملاحظة وأخص بالذكر ما عساه ينتقده من جوهر الموضوع ولبابه . وإذن أرويه عنه بنصه وأبلغه جوابي عنه

تمادى الأمم والدول وحاجتها إلى الاسلام

لا تزال دول أوربة وامريكة وشعوبها على ما وصفتها به فى مقدمة هذا الكتاب من الشقاء والشقاق ، والرياء والنفاق ، وقد عقدوا فى هاتين السنتين مؤتمرا بعد مؤتمر واتفاقا بعد اتفاق ، ولا يزالون كحمار الرحى يدور ولا يبرح مكانه ، ليس للحق ولا للصدق عندهم قيمة ، فقد ظلوا منذ عقدوا عهد (فرسايل) يجرون فيه مع ألمانية على قاعدة البرنس بسمارك ، المعاهدات حجة القوي على الضعيف ، حتى إذا اضطروها الى نقضها سرا كانقضوها جهرا . وتجديد قوة حربية جوية يرهبونها ، أذعنوا لمساواتها لهم فى الحقوق والكرامة الدولية كرها ، وكانوا يماورون فيها ويأبونها طوعا ، بل صاروا يخافونها أن تسطو عليهم ، ويجددون المحالفات الدفاعية التى أفضت الى الحرب العامة السابقة ، حتى ذلوا لمحالفة الدولة الشيوعية عدوتهم كلهم ، وأنى لهم الفرار من حكم كتاب الله فى الأمر بالوفاء بالعهود والنهى عن جعلها دخلا وخداعا لأجل أن تكون أمة هى أقوى من أمة فتكون المعاهدات أنكاثا لا مندوحة عن نقضها كما بينا لك فى محله (١)

(١) راجع ص١٤٨ طبعة أولى ، و ص ٢٥٢ طبعة ثانية ، و ص ٢٧٠ طبعة ثالثة

بغوا واستعلوا على ألمانية وهم يعلمون أنها تعلوهم علما وصناعة ونظاما، وفرائصهم ترتعد فرقا من استعدادها السري للحرب، وقد ذاقوا بطشتها القاهرة التى كادت تفتك بهم كلهم من قبل، ولكنهم اتكلوا على خداع معاهدتهم الخاطئة الكاذبة، وعلى تجديد محالفاتهم التي قصدوا بها أن يكونوا إلبا واحداً عليها، وأن تكون في عزلة لاتجد فيها وليا ولا نصيراً

صاح زعيمها المجدد (هتلر) صيحة بنقض تلك المعاهدة ، وتجديد السلاح الجوي والبحري والتعبئة ، فراعتهم كزئير الاسد يجفل الغنم ، وقالوا ان سلم اوربة وحربها رهن يديه ، وعمرانها وخرابها بين شفتيه ، وظلوا يصيخون السمع لما سيقوله فى خطابه السياسى العام ، حتى اذا ما ألقاه كان حجة بالغة له دامغة لخصومه، وصادعة لآخر حصن لدول الاتحاد الثلاث في وجهه (اتفاق ستريزا) ، فعادت انكلترة تفاوض ألمانية في قواتها الجوية والبحرية وكانت تستكبر عن هذا ، وكشرت عن أنيابها لايطالية فيما تحشره من جيوش وذخائر للعدوان على دولة الحبشة المعتصمة معهم بعهد عصبة الأمم ، الذي هو في نظرها كسائر العهود الأوربية حجة القوي على الضعيف، وقد رأوا كيف رفضته بل رفسته كل من اليابان وألمانية برجلها ، ولكن البلية كل البلية فى تعارض مطامع الأقوياء ، فزعيم إيطالية مغتر بقوتها جامح لفتح الحبشة أو نقصها من أطرافها ، وانكلترة أعز منها واقوى، وإن هذا لصدع في اتحاد هؤلاء الاحلاف لا يلتئم ، فهذا الزعيم المعتز بسلطانه الشخصي يرى خيبته بعد الشروع فى وسائل الزحف قضاء على نفوذه ، وأمته فى اضطراب لا ينقذها منه إلا فوزه فيه ، وألمانية لابد لها من استعادة جميع مستعمراتها ، وهي اقدر على إخضاع انكلترة فى الهواء والماء . وماذا تفعل فرنسة اذا تركتها انكلترة ؟

وجملة القول أن هذه الدول وشعوبها لاتزال ولن تزال على ما وصفناها به فى مقدمة الطبعة الاولى للكتاب من فساد لا علاج له الا هداية الاسلام ، دين الاخوة الاسلامية والمدنية والرحمة والسلام، فيجب المبادرة الى تبليغ دعوته ، وإقامة حجته، وهو ذا أحد عقلاء المسلمين أعمم هذه الدعوة عند ماينهض زعيم مسلم لكفالتها وتوحيد النظام لها ، ويرى قارئه الشواهد على هذا فيما نشرناه من التقاريظ في آخره، وفي مقدمتها قول شيخ الاسلام المراغي لمؤلفه ، إنكم وفقتم لفتح جديد فى الدعوة إلى الدين الاسلامي ، الخ ، وسائرها مؤيد لقوله ، يدل على استعداد في الامة لتنفيذه

استعداد المسلمين لدعاية الاسلام

ذكرت في آراء شيخنا الاستاذ الامام من تاريخه (ص٩٣٩ ج ١) أن أمم الحضارة في الغرب سيذوقون من فتن مدنيتهم ومفاسدها السياسية ما يضطرهم إلى طلب المخرج منها فلا يجدونه إلا في الاسلام - إسلام القرآن والسنة لا إسلام المتكلمين والفقهاء - وأنه صرح بهذا مرارا في دروسه في الأزهر وفي غيره

وأقول الآن : لكنه ما سمع لقوله هذا صدى ، ولا وجد على نار المسلمين هدى ، فكان يرجح أن هداية القرآن ستظهر في غيرهم من الشعوب الحية ، وأن هؤلاء المسلمين الجغرافيين سيطلبون إسلام القرآن والسنة منهم تقليداً لهم كما يقلدونهم في الزينة والاباحة والاسراف في الشهوات الذي أفسدهم جميعا

وسمعت مثل هذا الرأي من الاستاذ المراغي وغيره من الأفراد ، ولعلي أوسع علما واختبارا لمسلمي الأقطار من كل هؤلاء وأجدر منهم بسوء الظن فيهم . ولكن ظهر لي بتقبل عقلائهم لكتاب الوحي المحمدي ، بما تقبلوه به من إيمان وشهادة ورجاء وثناء ودعاء ، أن استعدادهم لهداية القرآن والدعاية له قد دخل في طور جديد ،

ألم تر كيف تجاوبت أصوات المقرظين له في مصر وسورية والعراق وغيرها من الأقطار بقول القائلين إنهم كانوا يفكرون ويتمنون ويتساءلون قبله عن كتاب يصلح للدعوة إلى الاسلام فلا يجدون . حتى إذا رأوه وجدوه الضالة التي ينشدون؟ أو لم تر كيف شاركهم فيها أئمة المسلمين وملوكهم المتقون

فعلم من هذا أن المسلمين لا يمكن أن تعود إليهم الحياة إلا بمثل ما بدأت به سلفهم من روح القرآن وهدي الرسول (ص) كما قال الامام مالك : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . وما ذلك إلا أن يكونوا على علم بالقرآن يوقنون به أنه مصلح لجميع البشر . وأن حملته يجب أن يكونوا أئمة البشر وهداتهم ، والمصلحين لما أفسدته المدنية المادية من عقائدهم وأخلاقهم ، فان لم يملكهم هذا اليقين فلا رجاء في دينهم ولا دنياهم ، ولكن نشر هذا اليقين فيهم يتوقف على نظام ، وزعامة يثق بها الخاص والعام ، وسيرون الدعوة له تبث في هذا العام ، وسنرى قدر استعدادهم لتأييدها بأموالهم وانفسهم فيسرنا إن شاء الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

محمد رشيد رضا
منشىء مجلة المنار

خطاب الشيخ الاكبر في الجامع الازهر

نوهنا في الجزء الماضي بحفاوة الازهر بعودة الشيخ المراغي إلى رياسة مشيخة الأزهر والمعاهد الدينية ومشاركة جميع طبقات الأمة لهم فيها ، وقد وعدهم بأن يرد لهم الزيارة في الجامع الأزهر نفسه ويلقي عليهم خطابا عاما ، ووفى بوعده فكان يوما مشهودا ألقيت فيه الخطب والقصائد في تهنئة الأزهر وأهله بإمامهم المصلح الاكبر ، ثم ألقى عليهم الاستاذ الخطاب الآتي الجامع لمقاصد الاصلاح والتجديد وكانت آلة مضخمة الصوت توصل كلامه إلى أقصى أولئك الالوف المجموعة كأذنابهم ، وهذا نص الخطاب ، والعناوين في اثنائه من وضع المنار :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لله الحمد على نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه

وبعد : فقد رأيت واجبا علي أن أزور الازهر قبل بدء الدراسة لأحيي علماء الازهر والمعاهد، وطلبة العلم في الازهر والمعاهد في دارهم كما حيوني في داري، والازهر دار خاصة لكل من ينتسب إلى العلم ، ودار عامة للمسلمين .

وقصدت أيضا إسداء النصيحة إلى اخواني العلماء وأبنائي الطلبة بنسيان ما قد يكون باقياً في نفوسهم من ضغائن وإحن سببتها الحوادث الاخيرة التي تعرفونها لنستقبل الحياة العلمية في صفاء ، ونقبل على العلم بقلوب مخلصة لله ورسوله ، نقية من دنس الغل والحقد ، عامرة بالايمان :

والازهر مكان يستحق الاجلال ، فقد كان ولا يزال مصباحا تستضيء به جميع الامم الاسلامية، ومنبعا صافيا لعلوم الدين، ومستودع فنون العربية وأسرارها وبعض العلوم العقلية .

وقد اضطلع بحمل عبء المعارف الاسلامية وغيرها ، وخاصة بعد سقوط بغداد وضياع ذخائرها العلمية ، وصار المثابة الاخيرة ، والكعبة التي يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار . وما من بلد في مصر ، بل وما من بلد في أي قطر من

الأقطار الاسلامية إلا وهو مدين للازهر بما يعرفه أهله من الدين الاسلامي ، وبما بقي عندهم من علوم العربية .

حمل الازهر هذا العبء وأدى الامانة كاملة،وله الفضل على المعاهد الدينية القائمة بجواره في مصر ، فهو أستاذها ، وهو شيخ هذه المعاهد جميعها

نعم : قد استقلت عنه بعض المعاهد أخيراً، ولكنه لايزال له نصيب عظيم من التثقيف في المعارف الاسلامية وفنون العربية في أكثر هذه المعاهد . فلكم أن تفخروا بتاريخ طويل كله مجد وعظمة لهذا المعهد الذي تنتسبون اليه : تاريخ ظهر فيه من الائمة والعلماء والمؤلفين من خريجي الازهر من لا يحصيهم العد ، وقد كانوا سباقين للخيرات وكلوا أمرهم الى الله جل شأنه ، فحفظهم ورعاهم ، وشرح صدورهم ، وأنار عقولهم ، فترسموا آثار الرسول الاكرم صلوات الله عليه وتخلقوا بأخلاقه ، واعتصموا بهديه،وانتفع الناس بعلمهم وتأديبهم،وحلت آثارهم في البلاد جميعها كما يحل ضوء الشمس ونور القمر .

أولئك آباؤنا وأجدادنا في سلسلة النسب العلمي،رضي الله عنهم ونفعنا بهم يجب أن نذكر هذا المجد ونفاخر به، ونحرص على الانتساب اليه كما يحرص الاشراف على أنسابهم ، وأن نحافظ على هذا المجد ونضيف اليه مجداً طارفا ، اقتداء بأولئك الآباء والاجداد .

قد يسأل بعض الناس ما فائدة الازهر؟ أو ما هي رسالة الازهر كما يقال اليوم؟ فأقول لهؤلاء: رسالة الازهر هي حمل رسالة الاسلام،ومتى عرفت رسالة الاسلام عرفت رسالة الازهر

موضوع الاسلام واتفاقه مع علوم العصر والحاجة إليها

الاسلام دين جاء لتهذيب البشر،ورفع مستوى الانسانية،والسمو بالنفوس الى أرفع درجات العز والكرامة . قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم،ووصل بين العبد وربه ، ولم يجعل لاحد فضلا على أحد إلا بالتقوى،وقدس العلم والعلماء، وقرر في غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات . وما قرره في ذلك هو

منتهى ما سمت اليه الحكمة ، ووصل اليه العقل ، وأتى بتعاليم كلها ترجع إلى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الاخلاق ، وشرع حل التمتع بالطيبات ، ولم يحرم إلا الخبائث ، ووضع حدوداً تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ورسم أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين . قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانساني .

هذه صورة مصغرة جداً للدين الاسلامي . ورسالة الازهر هي بيان الدين الاسلامي ، وشرح قواعده وأسراره ، ومتى أدى هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيباً عظيماً من السعادة والخير للجمعية الانسانية .

في القرآن الكريم حث شديد على العلم وعلى معرفة الله وعلى تدبر ما في الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق ، فالدين الاسلامي يحث على تعلم جميع المعارف الحقة . وليس في المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شيء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها .

نعم قد توجد معارف تناقض بعض ما وضعه العلماء في شرح القرآن والحديث والفقه وغيرها ولكننا لا نهتم لهذا ، فليسر العلم في طريقه ، ولنصحح معارف الماضين لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا من العلم البرهاني المستقر

ولست أقصد بحديثي هذا أن يكون الازهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا ، ولكني أعني أن هناك علوماً ومعارف لها صلة بالدين وثيقة تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . هذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الديني أو يتعلم منها القدر الضروري لما يوجه إليه

هذا وقد تغيرت في العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضرورياً لنشرها وترغيب الناس فيها ، ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة ، وازنوا بينها تدركوا ما في طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس إليها ، وما في طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر الناس عنها ، وقد توجد في الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفاً ، وأغلى قيمة ، وأمتن مادة ، ومع ذلك هي في كساد .

تغيير طريقة التعليم والتصنيف

وكما تغيرت طريقة عرض العلم تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة في العلم ، وتنفي الملل والسأم

حدثت هذه الطرق في إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت في تأليف الكتب أيضا ؛ وهذا المثل ينطبق علينا : ففي جميع الكتب التي تدرس في الازهر وفي جميع العلوم التي تدرس في الازهر أعلاق نفيسة لا تحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض في الدرس والتأليف ، وفي الفقه الاسلامي نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون ، وفي الفقه الاسلامي آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وتحقق العدالة في أكمل صورها، ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم

على الازهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا

تطهير الاسلام من البدع

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الازهر بها : تلك هي تطهير الدين الاسلامي من البدع وما أضيف إليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده . هناك آراء منثورة في كتب المذاهب وفي غير كتب المذاهب يحسن سترها، ضنا بكرامة الفقه والدين

ومن الواجب أن يعترف بان المذاهب الاسلامية جملة تغني عن الاجتهاد في المسائل التي عرضت من قبل متى تخير العلماء منها

وأذكر قصة طريفة تجدونها في كتاب «الولاة والقضاة» للكندي :

« كان في مصر قاض شافعي المذهب في عصر الامام الطحاوي ، وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه محقق للعدل من آراء الائمة ولا يتقيد بمذهب، وكان مرضي الاحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه في دينه وخلقه، سأل ذلك القاضي الامام الطحاوي عن رأيه في واقعة من الواقعات ، فقال الطحاوي : أتسألني عن

رأيي أو عن رأي أبي حنيفة ؟ فقال القاضي : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوي :
فلأنك تحسبني مقلداً ، فقال القاضي : مايقلد إلا عصي أو غبي ؟

فتخير الاحكام نوع من الاجتهاد، ولكنه الاجتهاد الذي لم يغلق الناس أبوابه

إصلاح التعليم في الازهر واجب اجتماعي لاصلاح الامم الاسلامية في مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه ما استطاع إلى ذلك سبيلا

بل أقول ان هذا الاصلاح ضروري للامم غير الاسلامية كلها بما يؤديه من الخدمة للحضارة الانسانية العصرية التي تنقذها مما هي عرضة من خطر الاباحة المادية والالحاد اللذين يبثهما في الامم دعاة البلشفية والتعطيل الجاحدين لوجود الخالق والبعث والجزاء على الخير والشر ، فهذا الخطر لاعلاج له إلا هداية الدين (١)

وأنا أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم إلى الاخلاص في النهوض بالازهر ، فان الاخلاص في ذلك إخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين ، وللدين الحق الذي وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر

احترام حرية الرأى

ونصيحة أقدمها للعلماء وطلاب العلم في الازهر راجيا تدبرها، وهي احترام حرية الرأي ، والتحرج من الاتهام بالزندقة والكفر

ولا أطالب بشيء يعد بدعة ، ولا أحدث في الدين حدثا بهذه النصيحة ، فهي موافقة للقواعد التي وضعها سلف الامة رضي الله عنهم وتروتها مبسوطة واضحة في كتب الاصول وفي جميع كتب الامام الغزالي

وحاصلها ـ على ما أذكر ـ أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضروري منها(٢) كالصلاة والزكاة ، وحرمة الزنا وشرب الخمر ، وقتل النفس والربا

(١) هذه الجملة مما زاده الشيخ الأكبر في خطابه ولم يكن مكتوبا فيه ولكننا سمعناه منه

(٢) المنار : المراد من الضروري المعلوم من الدين بالضرورة لا الضروري فى العمل أي الذي يضطر الناس إلى العمل به ، واشترطوا فى هذا المعلوم بالضرورة مكفراً أن يكون مجمعا عليه ، وهو يشمل العقائد والاحكام ولعل الشيخ الاكبر خص المسائل الفقهية بالذكر لأجل التفصيل الذي ذكره بعدها

أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم في إنكاره مطلقا ، على شرط أن يكون الانكار غير مصادم لنص أو إجماع

على هذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم ، وأجمع عليه الائمة ، ولم يعرف أن بعضهم أثم بعضا

وإجمال القول أنه مادام المسلم في دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه ، ولا يكذب ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطرق قاطعة ، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر

عرضت لهذه النصيحة لانها تسهل على أهل الازهر معاشرة الناس،والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة ، والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة

أسأل الله أن يهبنا رشداً ،وأن يملأ قلوبنا خشية وهيبة من جلاله، ويملأها عطفا وشفقة ورحمة لعباده

وإذا كانت مهمة الازهر حمل رسالة الاسلام للعالم، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات : لغات الامم الاسلامية وغير الامم الاسلامية ،والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم

فليحقق الازهر القدوة، وليرسل الى الناس رسلا يفقهونهم في دينهم بلسانهم، وسأعنى بهذه المسألة كما أعنى بتثقيف اخواننا الذين أمامهم القانون «أغرابا» فان لهم من الحقوق والحرية في هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد . وأرجو أن يفكروا طويلا فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع

وخليق بنا أن نذكر ما لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم من منن وأياد بيضاء على المعاهد الدينية ، وأن نسأل الله جلت قدرته أن يسبغ عليه نعمة العافية ويديم على هذه المعاهد خيره وبره ، وأن يحفظ حضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي عهده المحبوب . والسلام عليكم ورحمة الله .

الهمزية في مدح خير البرية

﴿ والدفاع عن الدين ، والرد على المبشرين ﴾

(نظمت بمناسبة احتفال الأمة الاسلامية بالمولد الشريف لعام ١٣٥٤)

بقلم (الاديب الشاعر) اليوزباشي محمد توفيق علي

النور المحمدي ـ الشريعة السمحة ـ تحريم الخمر ـ نجاسة الكلب والخنزير ـ حكمة الطلاق ـ حكمة تعدد الزوجات ـ تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام (ص) ـ المبشرون بعيسى (ص) ـ نقائض معقدة ـ مقارنة بين معجزات المسيح ومعجزات غيره من الانبياء والرسل ـ وجوب توحيد الخالق جل وعلا ـ التجاء الناظم اليه تعالى .

﴿ النور المحمدي ﴾

ذلك النور ساطعاً والضياء ... وصفه عنه يقصر البلغاء

نورُ مَن سبح الحصى في يديه ... وجرى منهما وفاض الماء

أكمل الخلق صورة يبدع اللـ ... ـه تعالى من نوره ما يشاء

مرسل جاوز السموات صعداً ... واليه تناهت العلياء

وارتقى حيث لا ملائكة اللـ ... ـه تعالى ارتقت ولا الانبياء

صاعداً في معارج القرب يحدو ... ه السنا ضافيا ويغشى البهاء

ذو مُحيا يصبو له البدر عشقا ... وله تنتحي ضياء ذكاء

رحمة كله وعلم وحلم ... ووقار ونجدة وسخاء

مثل من أنجبت (كريمة وهب) ... لم تلد عاقر ولا عذراء

﴿ الشريعة السمحة ﴾

ذو آتى بالنعيم ذكراً حكيما ... فاذا الارض جنة والسماء

وحيه للعقول روح وريحا ... ن وفيه من كل داء شفاء

آية منه تعجز الانس والجـ ن ولو أن كلهم فصحاء
لم يكذب موسى وعيسى ، وبغياً كذبته الشرور والاهواء
كيف تأتي على الشرائع آيا ت وضاء وسمحة غراء
وكتاب مفصل عربي ؛ ليس يرضى بذلك البخلاء
كلما يرتقي الزمان يرى الخيـ ر أفاضته ملة سمحاء
سكبت صفوة الشرائع في كأ س بها ترتوي العقول الظماء

(الخمر)

واشهد اليوم ضجة تنكر الخمـ ر وكأسا عنها سلا الندماء
بؤرة الشر والجرائر والآ ثام ؛ أفتى بذلك الحكماء
رب بيت أقامت الخمر فيه أجفلت عن رواقه السراء
فالعقول اشتكت الى الله منها والكلى والكبود والاحشاء
حرمتها دهراً حكومة أمريـ كا ونادى برجسها الفضلاء
ثم عادت تلغي أوامرها بعـ د اهتداء وضلت الآراء
وسيأتي يوم قريب تزول الـ خمر فيه وتصرع الفحشاء
ويرى الناس أن شرع أبي القا سم خير ونعمة وهناء

(الكلاب والخنازير)

أثبت الطب فضل شرعك والجـ هر والباحثون والعلماء
فلعاب الكلاب سم زعاف ولحام الخنزير داء عياء[1]

---

(١) انتشر إنشاء المستشفيات للمعالجة من داء الكلب وأثبت العلم وجود ديدان سامة في لحم الخنزير لا تقتلها درجة الغليان

(الطلاق)

وانتزاع الطلاق أصبح في الدنـ ... ـيا مباحا يقره الفقهاء

عاقته كرها محاكم أوربا ... ونادى بنفعه الاذكياء

كيف عيش الزوجين خانهما الحـ ... ـب ولج الاذى وحال الصفاء

أعدوان يقرنان بحبل ؟ ... حالة لا يطيقها السجناء

(تعدد الزوجات)

(جنس اللطيف) يزداد عداً ... ذلكم مايقوله الاحصاء(١)

تغدا اليوم الاجتماع مريضا ... واعتناق الزوجات فيه الدواء

ليس في غيرة النساء من المحـ ... ـظور ما تستثيره البأساء

كيف تقوى فضلى على عنت الدهـ ... ـر وما قد يجره الإغواء

فتراهن من ثلاث ومثنى ... ورباع شعارهن الاخاء

ثمن العدل بينهن ووفق ... والمساواة ألفة وهناء

وهو فرض على المعدد لا يقـ ... ـوى على حمل ثقله الضعفاء

إن في رفق شرع أحمد بالأنـ ... ـثى لفضلا يجله الشرفاء

وقديما حمى الضعاف ونجا ... هن مما يخفنه الاقوياء

(تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام ﷺ)

عظمت تلكمو الاناجيل والتو ... راة لولا تقول واجتراء

أي عهد — لكنهم ضيعوه ... إنما يحفظ العهود الوفاء

(١) ومن ذلك الاحصاء ما جاء بالصفحة السابعة بالعمود الخامس من جريدة الاهرام الغراء الصادرة في ٣-٥-١٩٣٥ تحت عنوان (النساء كثيرات) من أنه يوجد في ألمانيا وحدها مليونان ومائتا ألف امرأة زيادة عما فيها من الرجال

بدلوا الوحي والرسالة إطفا ء لنور ما إن له إطفاء

شهد الصادق المسيح عليهم في الاناجيل أنهم أشقياء

في ثياب الحملان منهم ذئاب خاطفات فما هم أنبياء

فاحذروهم وإن أتوا بالاعا جيب فليسوا مني وهم أدعياء

لست أرضى من قال يارب منهم لي ولكن يرضيني الحنفاء

ذلكم ما رواه إنجيل « متى » فليراجع نصوصه القراء(*)

المبشرون بعيسى (ص)

عجباً للمبشرين بعيسى أمة دينها الهدى والصفاء

بعد ما بشر المسيح بهادٍ مثلما بشرت به الانبياء

فهو (نور الحق) الذي أفت النا س إليه المسيح وهو (المزاء)

وليراجع من شاء انجيل (يوحنا) ففيه للباحثين الرضاء (١)

(*) جاء بالاصحاح السابع من إنجيل متى عدد ١٥ و٢١ و٢٢ و٢٣ قول المسيح «احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان لكنهم من داخل ذئاب خاطفة . ليس من يقول لي يارب يدخل ملكوت السماء بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط ، اذهبوا عني يافاعلي الاثم»

(١) ورد بالاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا بالآيتين ٢٦ و ٢٧ قول المسيح عليه السلام ــ ومتى جاء (المعزي) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب (روح الحق) الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء ــ وجاء بالاصحاح السادس عشر منه بالآية ٦ قوله عليه السلام ــ لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (المعزي) ــ وبالآيتين ١٣ و ١٤ وأما متى جاء ذاك (روح الحق) فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به

وهو ذاك النبي يُسأل في الإنـ جيل عنه يحيى فأين الخفاء (١)
فلقد بشرت ببعثته التو راة لولا جحودهم والمراء
فهو ذو من (جبال فاران) مبعو ث ومن تلكم الجبال[حراء](٢)
أينع الوحي وازدهى في ذراه وتغنى فأطرب الانشاء
وتجلى على البسيطة نور وكسا الكون رونق ورُواء
حِكمٌ حين أنزلت ختم الوحـ ي وتمت على الورى النعماء
وطوت معجزات كل رسول ولها الخلد وحدها والبقاء

نقائض معقدة

يا لها من نقائض تحرج الفهـ م عليها لَبسٌ وفيها التواء
واعتقاد معقد ذنب الضب لديه محجة واستواء
يُصلَب الربُّ في خطيئة عبد كيف يرضى بذلك العقلاء
لِمَ لَمْ يغفر الخطيئة غفرا نًا له فيه عزة وإباء
إن يكن ربكم لمن كان يدعو ربه وهو خاشع بكاء
إله في وجهه يبصق الأشـ رار هزؤا ويزدرى ويساء
لِمَ لَمْ يقطع اليهود أبوه كيف تنسى حنوها الآباء

(١ و ٢) يحيى بن زكريا عليهما السلام وهو المعروف في الانجيل باسم يوحنا المعمدان فانه لما جاء قومه كما هو مذكور بانجيل يوحنا بالاصحاح الأول بالآيات ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ وسألوه آنت النبي أجاب نفيا وهذا نص الآيات سالفة الذكر ١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح ٢١ فسألوه إذاً ماذا . إيليا أنت؟ فقال لست أنا ـ النبي أنت فأجاب لا ـ وإذاً فقد كانوا يترقبون بعثة النبي (ص) وذلك لما هو مذكور عندهم بالتوراة من أنه يبعث رسول من جبال فاران وهي جبال بمكة منها جبل حراء الذي مازال ينقطع فيه (ص) للعبادة إلى أن أوحي اليه

وبكم باع ذا الجلال يهوذا واشترى منه ربه الاعداء
(أثلاثون فضـة) ثمن الله ؟ تخطاه بيعهم والشراء
بل أحبوك مسرفين وغالوا في ولاء هُداك منه براء

مقارنة بين معجزات المسيح وغيره من الانبياء (ع.م)

أم لأن المسيح قد أنجبته ذات طهر صديقة عذراء
مثله آدم فهل كان ربا آدم ؟ أو إلهة حواء ؟
أم لأن المسيح أحيا فتاة إذ دعا الله فاستجيب الدعاء
حزقيال النبي أنشر جيشا عاث فيه البلى وجال الفناء[1]
أم مشى فوق لجة يتهادى فارعوى خاشعاً وقرّ الماء
فالعصا قد علمتم انفلاق البحـ ـر لموسى بها وحل القضاء[2]
وله البينات والجبل المنتوق والمن واليـد البيضاء
ولخير الورى المكمل صلى الله والمتقون والاصـفياء
معجزات ما ان يلم بها الحصـ ـر ولا يستطيعها استقصاء
نصرته الرياح والرعب في (الخنـ ـدق) حتى تشـتت الحلفاء[3]
وتراءى جبريل يسطع في (بد ر) تليـه كتيبة شـهباء
وله الجذع حن والقمر انشـ ـق وظهر البراق والاسراء
ومشت أيكة إليه دعاها تسحب الجذع غضة خضراء
ولكم سح إذ دعا ربه الغيث ولانت لوطئه صفواء (٤)

«١» من أنبياء بني اسرائيل وقصته مبسوطة في سفره من العهد القديم وليس بثابت عندنا «٢» المنتوق المرفوع «٣» الحلفاء قريش وغطفان ويهود
«٤» الصفواء الصخرة الملساء

ماله إن مشى على الارض ظل ساطع النور ماله أفياء (١)

وظلاله بل منه ظلات الشمس لزاما غمامة وطفاء (٢)

كم دعا الله والفداء قليل فهما واستفاض ذاك الفداء

﴿ وجوب توحيد الخالق جل وعلا ﴾

آن للارض أن تقدس ربا واحد الذات ماله أجزاء

آدم عنده ونوح وموسى والمسيح الذي تجل سواء

وغني عن العباد جميعا ما له زوجة ولا أبناء

وله الخلق أجمعون عبيد وله المجد كله والبهاء

ورءوس الطغاة موطىء نعليه (٣) وتلك الجلالة القعساء

ملأ الكائنات حسنا ولكن لا ترى الشمس مقلة عمياء

فهو نور سطا على كل نور خفيت في ظهوره الاشياء

تتلاشى الشموس فيه وتخبو وتغيب البروج والاضواء

***

أيها المشرك المعدد وحد ان قول المعددين هراء

لو مع الله في السموات والأرض شريك لقامت الشحناء

بل هو الله واحد ماله في الملك ثان ولا له أكفاء

***

أيها الجاحد المعطل صدق لا يكن من هداتك الاغبياء

وانظر الارض والسماء وفكر هل بلا صانع يقوم البناء ؟

---

(١) الأفياء الظلال (٢) الوطفاء المسترخية الجوانب لكثرة مائها

(٣) المنار : هذا كناية عن قهره تعالى لهم وهو تعبير يتوقف على النص ولم يرد ولكن ورد لفظ (القدم) في قهر جهنم

انما الارض ذرة في رحيب الـ ـملك فالملك شاسع والفضاء
فاعبد الله لست شيئاً ولا تكـ ـفر وتذهب بلبك الخيلاء
أنت رد على جحودك قاض فصلته العروق والأعضاء

التجاء الناظم إليه تعالى

ما الذي تبلغ النوائب مني يامليكي ولي اليك التجاء
أنت درعي وأنت سيفي ورمحي ونبالي وعسكري واللواء
لا أبالي وذو الجلال نصيري أن خصمي الملوك والوزراء
لست بالاقوياء أحفل لكن إن شكاني لعدلك الضعفاء
ذاك يارب بطشة إن تعاقب عندها الارض والسماء هباء
إن تكن غاضباً عليَّ تعاليـ ـت فلا ناصر ولا شفعاء
عملي سيء وظلمي لنفسي ولفجري تضج منه السماء
أستحق الصليَّ في النار لكن لي في عفوك الكريم رجاء
ليس مثلي لجنة الخلد أهلا كيف ترنو المذنب حوراء
ذلك الفضل في غنى عن طلوحي انما يستحقه الصلحاء
رب نعمى على جحود توالت ما لنعمى على جحود بقاء
كيف آسى على سرور تولى ويسار أودت به ضراء
إن من كنت كنزه وغناه يستوي الضيق عنده والرخاء
ليست الكيمياء منا بعيدا انما حمد ربنا الكيمياء
لست أخشى ضلالة وقلبي بسنا وجهك الكريم اهتداء
فاهدنا للفلاح والخير والتقـ ـوى فمنك الهدى ومنك الحياء
واحمنا في بلادنا من أوربا سيلها جارف ونحن الغُثاء

(انتهى)

كتاب الوحي المحمدي

لداعية الاصلاح العالم المستقل ، والمناظر المستدل ، الاستاذ الشيخ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان بأسيوط وهو مما جاءنا بعد الطبعة الثانية (قال)

نظر أبو العلاء المعري إلى نفسه فرآها وقد صفت ونجت من مزالق معظم النفوس وأدرك عقله نقيا من الخرافات والاوهام التي أضلت العقول، وألفى روحه غنية بالفلسفة الصحيحة التي ترى في المادة ستاراً كثيفا يسدل على الحقائق، ووجد شاعريته فياضة بأرق المعاني ، في أدق الالفاظ والمباني، فهتف من أعماق قلبه منشداً

وإني وإن كنت الاخير زمانه لآت بما لم تسطعه الاوائل

ونحن بدورنا ننظر إلى نفس السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فنراها وقد أشربت حب الدين الاسلامي الحنيف والدفاع عنه إشراباً، ونرى عقله وقد أدرك أسرار الاسلام إدراكا ، ونلفي روحه صافية نقية تقية قد أنجبت أسمى الآثار إنجابا ، ونسبح في مؤلفاته فنعلمه الطود الأشم والفارس المجلى ، والمحقق النادر المثال ، والكاتب المبحوث الذي لا يشق له غبار ، ثم نقع في سياحتنا على كتابه (الوحي المحمدي) فنقف طويلا ونهتف مثل ما هتف المعري منشدين مخاطبين السيد الرشيد المرشد :

وأنت وإن كنت الاخير زمانه أتيت بما لم تستطعه الاوائل

ولقد كنا نؤمن بأن الله تعالى أوحي الى عبده ورسوله ﷺ ما أوحى ، مستدلين بنصوص القرآن الكريم وببعض البراهين العقلية التي تخير (؟) الوحي الى النفوس الصافية الراقية ، ولكننا ما كنا قادرين أن نقنع بهذا ذوي العقول المصرية ، وأولي البحوث الدقيقة القوية، فاذا دار النقاش بيننا وبين فريق من هؤلاء لم يعجبهم كثيراً ما ندلي به ، وألقوا في سبيلنا عقابا ، وافتجروا (١) حفراً وأقاموا متاريس،

(١) افتجر الكلام اختلقه لم يتبع به احدا ولم يتابعه عليه أحد. فلعل الاصل: افتجروا شبها ، واحتفروا حفرا

وغرسوا أشواكا ، فتنتهي المناظرة ولا اقتناع ولا رضاء ، وينشر عنا العجز عن بيان وجه الحق في هذه المسألة مع أهميتها وخطورتها وعظمها العظيم إذا أحسن تبيانها وأتقن توجيهها وعرضها على طالبيها ، فكان كتاب (الوحي المحمدي) للسيد الشريف والمصلح الكبير ، أستاذنا محمد رشيد رضا صاحب المنار وافيا بالمطلب على أتم وجوهه ، كافيا في الاقناع لأكبر متشبث متعنت ، حجة صادقة لا تدفع على صحة الوحي الرباني لرسول الله ﷺ سيد العالمين ، وخاتم الانبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

يرى القارىء الوحي المحمدي مقدمة وجيزة بديعة تجمل الكتاب وتبرز مغزاه في صورة مستملحة جزلة طيبة ، يعلم منها ما يحجب الافرنج عن الاسلام : من الكنائس المادية ، والسياسية الخادعة ، وحال المسلمين الواهية ، وما يعوق الاجانب عن فهم القرآن : من جهل بلاغته ، وقصور ترجمات القرآن عن ادراك غايته ، وعدم وجود دولة اسلامية تدافع عن هدايته ، ويفهم منها القصد من الكتاب على أتم وجه من وجوه الصواب . ويجول القارىء بعد ذلك في جنة الكتاب الفناء فيعرف معنى النبوة والوحي والرسالة وحاجة الناس اليها ، ويدرك عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومقدار ما جنت عليها كتب السابقين بما يجري على الشرور والمفاسد ، ويتيقن وجوب ايمان الناس برسول الله ﷺ فاتباعه هو الدواء الناجع لأدواء الهيئة الاجتماعية ويتنقل القارىء من شجرة النبوة الوارفة الظلال إلى أن نبوة الرسول ﷺ هي الممتازة ، فنبوة الانبياء الاسرائيليين كانت – على قولهم – أشبه بصناعة تتلقى في مدارس خاصة ، ونبوة موسى الكليم عليه السلام قد ينكرها الملاحدة لانه تربى في بيت فرعون وهو بيت علم وتشريع ، فلا عجب اذا جاء بشريعة كالتوراة . ونبوة المسيح عليه السلام يعقب عليها الملاحدة أيضا فينقصون قدرها ويغضون من قيمتها ، ويقولون إنه لم يأت بشيء جديد . وأما نبوة الرسول ﷺ فلا يمكن الطعن عليها بمثل هذا لان سيدنا محمداً ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يتصل ببيئة علم أو شريعة ، فمجيئه بهذا الدين دليل صدقه وحقيقة رسالته . والحقيقة أن نبوة الرسول ﷺ مثبتة لغيرها من النبوات لا تصح إلا من طريقها ومشكاة نورها

ويمتلئ القارئ بعد هذا علما وتحقيقا حين يقرأ الفصول الماتعة عن الادلة العقلية والكونية على صدق الوحي المحمدي الالهي فيطمئن قلبه وتستريح نفسه، وينشرح صدره؛ ويشكر لله توفيق السيد رشيد حتى ألف هذا الكتاب الذي أنار طريق الوحي بآلاف المصابيح الكهربائية الساطعة القوية. ثم يرتوي القارئ من نهر فياض عذب صاف يجري منه التحقيق ذهبيا عسجديا، فيعرف مقاصد القرآن الكريم وهدايته للبشر وإظهار الحق في الايمان بالله تعالى وفي عقيدة البعث والجزاء ويلمس الاصلاح القرآني العظيم للنفس والروح والجسد والافراد والجماعات، والنهضة التي أزجاها في الدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب وحياة الاسرة. فاذا انتهى من الكتاب خرج منه بكنز ثمين من العلم الصحيح النقي، وانتقل الى جو من السعادة فسبح بما وصل إليه من هدوء في نفسه واطمئنان في قلبه، واقتناع في عقله ذلك نفسه أن يصيح: حياك الله أيها السيد الرشيد لقد سددت باصلاحك، ورشدت بمباحثك القيمة الدالة على اشراق نور الحق في قلبك، فهنيئا لك عملك، ومشكور لك سعيك

ولقد استوعبت كتاب الوحي المحمدي وهمت باغترافه وارتشافه عدة مرات فرأيته رحيقا من العلم مختوما ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وأنا أشهد صادقا أن السيد أدى بكتابه إلى العالم الاسلامي أجل الخدمات، وعبد للباحثين من الغربيين والعصريين منهج البحث الهادي، الرزين، القوي المبين، وأسقط حجج الذين كانوا يحتجون بأنهم غير واجدين من يقدم لهم المطالب سائغة ميسورة. وسيكون له إن شاء الله أثر جليل في توجيه المباحث الدينية وجهة طيبة في صالح الاسلام ومستقبله المجيد باذن الله. ولقد ظهر اخلاص السيد في كتابه فطبع مرتين في أشهر وأقبل عليه الشرق والغرب وترجم الى عدة لغات. أدام الله نفعه، ونشر شذاه وعرفه، وأطال عمر السيد ليتحف العالم الاسلامي بدرره الغالية وتحقيقاته السامية إنه أكرم مسئول وعلى كل شيء قدير مصطفى أحمد الرفاعي اللبان

(المؤلف) فات المقرظ الكلام في دعوة علماء شعوب الحضارة الى الاسلام وتحديهم بمعجزات القرآن

﴿ الوحي المحمدي ﴾

بقلم الاستاذ العلامة المتكلم الفقيه الكاتب النظار ابراهيم اطفيش الميزابي الجزائري

أجل كتاب في علوم القرآن ، وأفخم سفر في جلال القرآن ، ومعجزة من معجزات القرآن . كتاب (الوحي المحمدي) طالع أيها المعتز بالقرآن ، ويا طالب منهاج الهداية المحمدية هذا السفر الجليل تر أبدع مؤلف وأسنى ما جاء به القرآن من هداية البشر أجمعين ، إن (الوحي المحمدي) علم وفق الله اليه مؤلفه العلامة الجليل السيد رشيد رضا ، علم مستخرج من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لقد كتب في علوم القرآن كتب كثيرة ولكنها لم تبلغ أن تأتي بما جاء في الوحي المحمدي حتى أصبح هذا الكتاب آية في الابداع ، وغاية في كشف معاني الكتاب المنزل على قلب محمد ﷺ . فيه الحجة على البشر أجمعين ، إن القرآن يدعوهم إلى الانضواء تحت لوائه ، ضامنا لهم كمال السعادة ، والشمول بالنعم الرحمانية وجلال العزة ، إن هم أخذوا بما جاء به من عند الله الرحمن الرحيم . كشف هذا الكتاب مناهج السعادة للأمم ، وسبل الهداية الشاملة لطبقات البشر وأجناسه ، حتى أصبح علما برأسه ، يجب أن يعتنى بتدريسه بين الفنون العالية لتخريج رجال عاملين في الهداية إلى شريعة الله التي أكملها وأتم بها نعمته على خلقه

لقد أخرج المصنف هذا الكتاب للامم ، وهو أحسن ما أخرج للناس من جهود العلماء ، فلا ريب أن العلماء في جميع الامم ستتلقاه بالقبول وسيترجم إلى جميع اللغات ، لانه هو الكتاب الذي تنشده اليوم العقول السليمة في كل الشعوب وسيهتدي بهداه من أراد الله له السعادة من بين أولئك العقلاء الذين يسعون وراء الحق لانه الحق ، ويدركون أن القرآن كتاب من عند الله هدى وبشرى لأولي الالباب ، لا سعادة للبشر إلا به ، ولا سلام إلا باتباع هديه

ولعلي أكون قد أديت واجبا إذا لاحظت للمؤلف الجليل أن يعيد النظر في مسألة الرقيق فان الاسلام جعلها حكما مستمرا لما فيه من حكمة اجتماعية ، ولم يوجد وضعا لابطال الرقيق بالتدريج السريع ولكن الرقيق يبطل بطبيعته إذا دخل كافة الشعوب في هداية الربانية فوحدوه وعبدوه واتبعوا النور الذي أنزل على محمد ﷺ وعلى آله

(أول كتاب من حضرة صاحب السعادة هارون سليم باشا أبو سحلي)

(مدير المنوفية في ذلك العهد)

سيدي الاستاذ الاجل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلني كتاب الوحي المحمدي الطبعة الثانية يوم سفري في رحلة بحرية إلى مرسيليا وكانت فرصة لمطالعته كله وقد خرجت منه بأنه خير ما أخرج للناس في موضوعه وقد أعطيت التعليمات لمجلس المديرية لطلب ٦٦ نسخة ليكون في كل مدرسة أولية وابتدائية نسخة ولما كان واجبُ كل مسلم نشر هذا الكتاب بأوسع ما يمكن أرجو أن ترسلوا باسمي ٣٠٠ ثلثمائة نسخة على محطة شبين الكوم لتوزيعها ، وثمنها ٣٠ جنيه حسب البيان الوارد في كتابكم نرسلها عند إتمام التوزيع . وأختم كتابي هذا بتوجيه واجب الشكر لكم تلقاء هذا المجهود العظيم المضني، واني في انتظار الجزء الثاني ولكم وافر التحية من المخلص في ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٤ هارون سليم

(المؤلف) ان هارون باشا هذا من خير رجال حكومتنا عناية بالدين علما وعملا ، بل لانعرف له في رجال الادارة مثلا، وقد طلب منا بعد ما تقدم مائتي نسخة ثم ارسل ثمنها ، ولما كان المعهود من امثاله رجال الادارة أن يوزعوا على وجهاء مديرياتهم كثيرا من الكتب غير النافعة محاباة لاصحابها فيقبلها الوجهاء ارضاء المدير على كراهة موضوعها وغلاء أثمانها ،وكان يعلم أن مثلي ينكر ذلك عليهم - كتب إلي انه لم يتبع سنتهم وانما بين للوجهاء موضوع الكتاب في إقامة حجة الدين وبيان حقيقته وانه يعتقد أن قراءته واجبة عليهم وعلى أولادهم ولا سيما تلاميذ المدارس وخيرهم ، واني اذا شئت كتب الي اسماء من اشتروه لاسألهم ، فكتبت اليه لا إنكار على من يدعو الى الله فيما يتخذ من حض الناس على معرفة عقيدتهم واصول دينهم ، فانه يصدق على هؤلاء ما صح في حديث من « يقادون الى الجنة بالسلاسل » ثم اتفق ان رأيت نقيب الاشراف المنوفية بمصر فأخبرني بمسلك المدير في الترغيب في الكتاب وكيف تلقوه بالقبول شاكرين

(تقريظ جريدة حضارة السودان)

أهدتنا إدارة مجلة المنار الغراء كتاب (الوحي المحمدي) الذي ألفه العلامة المحقق مصباح الاسلام السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الغراء

وقد جاءت مباحث هذا الكتاب كسائر مباحث مؤلفه الثمينة سواء في تفسيره القرآن الكريم أو في مباحث مجلة « المنار » نوراً وهدى للناس في تبيان حقائق الدين الاسلامى فهو بلاريب فتح جديد في الدعوة الى هذا الدين الحنيف القويم؛ وقد تمكن مؤلفه وهو ذاك العبقرى الديني الذي سيط دين الاسلام بلحمه ودمه من أن يوفق بين الدين والعلم بطريقة يعجز غيره عن الاتيان بها، فالرجل عالم قوي الايمان وناهيك ما تنتجه قوة الايمان اذا توافر معها العلم، والكتاب نفدت نسخ طبعته الاولى قبل أن يحول الحول على طبعها لتهافت العوالم الاسلامية على النهل والعلل من مورده العذب، وقد صدر طبعته الثانية بمقدمة استغرقت عشرة مباحث هي وحدها تعد كتابا، ثم أتى بعدها بفاتحة لها قد اشتملت على اربع مسائل، ثم انتقل الي الفصل الاول وهو يشمل ست مسائل، فالفصل الثاني وفيه عشرة مسائل فالفصل الثالث وقد اشتمل على ١٧ مبحثا فالرابع وقد اشتمل على ستة مباحث فالفصل الخامس وقد اشتمل على ٧٥ مبحثا . وما من مبحث من هذه المباحث يمر عليه المطلع الا ويشعر أنه في أشد الحاجة الى تفهمه من الوجهتين الدينية والمدنية

وقد ذيلت طبعته الثانية بنحو ٢٣ تقريظا في مقدمتها تقريظا العاهلين العربيين ملكي الاسلام، الامام يحيى حميد الدين إمام اليمن وصاحب العظمة السلطان عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد، في كتابين موجهين من لدنهما الى المؤلف، وتقريظ صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي المصلح الاسلامي الكبير المعروف لدي سكان هذه البلاد، وتقريظ أمير البيان المشهور الامير شكيب أرسلان، وغيرهم من الائمة الاعلام ورجال العلم والدين

وإنا لنرى أن هذا السفر واجب على كل مسلم وجوبا عينيا أن يطلع عليه وان يتفهمه ليتذوق منه حلاوة الاسلام ويرى غرته بهجة القرآن ونوره ساطعا يهدي الى سواء السبيل عن حضارة السودان بتاريخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٤

(كتاب للفاضل الغيور الشيخ محمد عثمان في إلدورت - غنيا)

﴿ بسم الله ﴾

حجة الله على العالمين فضيلة الاستاذ الأفخم ، والمصلح الأعظم ، السيد محمد رشيد رضا المجدد لدين الله والناشر لوحيه ، أمد الله له في الحياة منصوراً ، ولا زال لاعلاء كلمة الله ظهيراً . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرفع لفضيلتكم بأنه وافاني كتابكم الوحي المحمدي فخررت ساجداً لله شكراً عندما ظهر لي انتصار نوره الساطع ، المنذر من لا يؤمن به بعذاب واقع، ما له من دافع ، وكم كان فرحي عظيما ، وسروري جسيما ، لا أستطيع أن أشرحهما ، فتلوته مراراً وكلما كررته ازداد شغفي حبا لتلاوة كتاب الله وتدبر معانيه ، وزادني همة ونشاطا في تبليغه إلى أبناء وطني المهاجرين ، وحضهم على نشر الدين في هذه المستعمرة وأحيائها التي تقلص منها ظل الاسلام السائد سابقا ، وتهدمت فيها لغة القرآن ، وتقوض منها مجد الاسلام العربي الزاهر ، في العصر الغابر ، بسبب تفريط مسلميه في نصرته وركونهم إلى التوسل بأصحاب القبور والتقرب اليهم بالقرابين والنذور ، والآن بفضل الله وإرشاد ناركم الأغر ، شرعت تتلاشى البدع والخرافات ، وتضمحل العقائد الفاسدة في أبناء الناطقين بالضاد

نعم يا صاحب الفضيلة لقد أرهقتمونا بنعمكم الروحية ، وتعاليمكم الدينية ، التي أخرستنا حيرة بأي لسان نقدم شكراً ، وجوارحنا وإحساساتنا كلها ألسنة شكر ، ياليت شعري كيف أشكر ، وياويح قلبي كيف أثني وأحمد بعد أن أثنت عليكم نجوم الهدى ، وكواكب الارشاد ، وشموس البلاغة ، وأعلام الاسلام ، وأرباب الاقلام ، وأمراء البيان ، ولا يسعني والضعفاء إلا الدعاء لكم بما يحبه الله ويرضاه ، وأن أهنئكم بأصدق التهاني على نجاحكم الباهر في هذه المساعي الجليلة للاسلام وأهله التي سيشتاقها كل سيد ، ويقصر عن إدراكها المتناول ، لاسيما إبرازكم لهذا الوحي المحمدي

القدسي أمام الاديان والملل نقيا من الخرافات والبدع التي ألصقها به علماء السوء المبتدعون، وكن عليه حجابا من اهتداء العقلاء ومفكري الامم الراقية بهديه المبين، ووسائل لطاعن الملحدين، ومثالب المكذبين، ولما مزقت هذه الحجب الجسماء ببيانك، ودمغت حججهم ببلاغته السماوية، انقذفوا على أعقابهم خاسئين، بتحدي آياته الكونية وعجائبه العصرية، ومعجزاته السرمدية. فأخرست أفواههم عن الجدال، وبهرت أعينهم عن الاحتقار، ودككت عقائدهم عن الضلال، حتى آمنت القلوب، ولكن الالسنة والافواه بآيات الله يجحدون الخ

﴿ كلمة الاستاذ العلامة النقادة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي ﴾

من علماء جامع الزيتونة الاعلام من كتاب طويل له في رمضان سنة ١٣٥٣

وكنت في أثناء هذه المدة أطالع منارکم المنير، وما يتخلف عني من أعداده أشتريه من إحدى المكتبات، وكان فيما قرأت من مباحث التفسير ما كتبتم عن الوحي المحمدي، فحمدت الله أن كان في علماء المسلمين في هذا العصر مثلكم، وكنت أقول: لو قرأ هذا منكرو الرسالة المحمدية بانصاف وفهموه حق فهمه لآمنوا بسيدنا محمد ﷺ كلهم أجمعون

وقد كنت قرأته في المنار متفرقا، ثم أعدت قراءته متصلا في الجزء الحادي عشر من التفسير، فجزاكم الله أفضل ما جزى به خادما لدينه، وبارك في عمركم تخرجون للناس أمثاله، فتكون كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى

وما أنكرت فيه إلا كلمات في آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام أذكر أنني رأيت مثلها في إحدى مقالاتكم في (شبهات النصارى وحجج الاسلام) اه

قد اختصرت في هذه الطبعة الثالثة أكثر التقاريظ التي نشرت فيما قبلها وحذفت بعضها لطولها وما فيها من التكرار ونقل بعض مسائل الكتاب للتنويه بها أو مشاركة أصحابها لنا فيها، وبهذا وجدنا مكانا لغيرها، ولم نتصرف بشيء من ذلك بزيادة ما، ولا باختصار يغير المعنى

﴿ حكمة نشر هذه التقاريظ ﴾

(ختمت بها تقاريظ الطبعة الثالثة)

الغرض من نشر هذه التقاريظ إعلام قراء الكتاب من غير المسلمين (ومن الجامدين على تقاليد المتقدمين منهم الذين إذا رأوا كتابا في الدين لمؤلف عصري أعرضوا عنه ولم يقرءوه لظنهم أن الاحياء لا يوثق بعلمهم) أن ما فيه من أصول الاسلام وحكمته متفق عليه ليس رأيا مني فيه ، وإن كان فيه مالا يوجد في غيره

ذلك بأن الاحرار المستقلي الفكر منهم يقيسون دين الاسلام على غيره من الاديان فيظنون أنه أكثر عقائده وأصوله مسلمات غير متفقة مع العقل والعلم الصحيح والمصالح العامة ويظنون أن مايسمعون من حكماء المسلمين موافقا لذلك هو رأي لهم ، كما قال بعضهم في رسالة التوحيد للاستاذ الامام إنها فلسفة الشيخ محمد عبده سماها اسلاما ، وقال لي مستر متشل انس الانكليزي الذي كان وكيلا للمالية بمصر مرارا عند ماكنت أشرح له بعض أصول الاسلام وحكمته : هذا فلسفة لا دين ، حتى قال لي مرة اذا كان علماء الازهر يوافقونك ويوافقون الشيخ محمد عبده على ماتقولون فأنا أعلن أني مسلم

وهذا كتاب فيه من حكم الاسلام في أهم أصوله وفروعه أكثر مما في رسالة التوحيد ومما كان يسمعه مني متشل انس وأمثاله ، وفيه من شواهد القرآن مالا يمكن أن يقال معها إنه من رأيي ، وقد اتفق على الشهادة له العلماء والادباء والكتاب في الاقطار ومن جميع الطبقات وفي مقدمتهم شيخ الازهر بما هو صريح في تفضيله على جميع الكتب في موضوعه (إثبات الوحي والنبوة وإعجاز القرآن وأصول الاسلام الدينية والمدنية) وسيرون من فائدته في دعوة غير المسلمين الى الاسلام وفي تثبيت المسلمين في دينهم ما هو فوق ذلك إن شاء الله تعالى ، ولله الفضل والمنة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وصلوات الله وسلامه على رسوله محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه الهادين المهديين ، وجميع المهتدين بهديه إلى يوم الدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

كتاب حياة محمد (ص)

﴿ الحكم بين المختلفين فيه ﴾

(٢)

(المنكرات التسعة التي خصها الاستاذ الشيخ محمد زهران بالذكر)

أبدأ بكلام وجيز على هذه المنكرات فأبين أنه ليس فيها شيء مما عبر عنه الاستاذ الشيخ محمد زهران بصوادم الحجج القاطعة ، التي لجأ إلي لاستئصال شأفتها ببواهر البراهين الساطعة ، ثم أعود إلى مسألة أحاديث المعجزات وهي أهم وأكبر فأقول

(١) قصة أبرهة والكعبة في الصفحة ٦٤

لم أر في هذه الصفحة شيئاً يصح أن يقال انه من الالحاد ، ولا من صوادم البراهين القاطعة ، ولا مما هو من مخالفة أصول الاسلام ولا فروعه . وخلاصة ما فيها ان أبرهة أجمع أمره على هدم البيت الحرام وان عبد المطلب ومن معه دعوا واستنصروا آلهتهم وانصرفوا وخلت مكة منهم ، وكان وباء الجدري قد تفشى في جيش أبرهة وفتك بهم فتكا ذريعا لم يعهد من قبل قط وأصابت العدوى أبرهة ملكهم فأمر قومه بالعودة إلى اليمن وبلغ هو صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض حتى لحق بمن مات من جيشه . قال : « وبذلك أرخ أهل مكة بعام الفيل هذا وقدسه القرآن بذكره » وذكر السورة بنصها ولم يقل في تفسيرها شيئاً ، فمهما يقل فيه فهو لا يرد عليه

(٢) أسطورة شق الصدر : هكذا عنوانه ص ٧٢

أخطأ الدكتور محمد حسين هيكل أن نقل خبر هذه المسألة عن مؤلف أصل كتابه بالفرنسية وسيرة ابن هشام واعتمد على نقدهما له ، والاستشكال وقوع ذلك في بني سعد إذ كان ﷺ في السنة الثالثة وكان الخبر لحليمة الخبر أخوه ابنها الذي ... ﷺ ، وهو في سنه

وقد أخرج هذا الحديث عنها ابن إسحاق وغيره من طريق عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب وهو لم يسمع من حليمة وإنما قال الذي أخرجوه عنه انه قال حدثت عن حليمة ولم يذكر من حدثه . وقد أخرجه ابن إسحاق من طريق نوح بن أبي مريم وهو ممن ثبت عنهم الكذب ووضع الحديث . وعبدالله بن جعفر ولد في الحبشة في عهد الهجرة اليها

وأخرج البيهقي وابن عساكر حديثا آخر عن حليمة فيه هذه المسألة مطولة مخالفة للرواية الاولى في سياقها وفي موضع وقوعها وهي التي يذكرونها في بعض قصص المولد . وهو من طريق محمد بن زكريا الغلابي وقد قال الدارقطني مخرجه عنه: انه كان يضع الحديث وصرح غيره بكذبه أيضا . فمن اطلع على هذه الروايات في تعارضها فله العذر في الطعن عليها مع استشكال متنها وكونه غير معقول

ولكن مسلماً أخرج عن أنس ما يقوي معنى رواية عبدالله بن جعفر من طريق شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عنه وشيبان كان يهم أي يخطيء وحماد هذا من أثبت من روى عن ثابت ولكن ثابتا تركه البخاري وقد تغير بعد كبر سنه وساء حفظه، ويقال إن مسلما تحرى من رواية حماد عن ثابت ما سمعه منه قبل تغيره . على أن أنسا نفسه كان بعد كبر سنه ينسى بعض ما حدث به وهو لم يرفع حديثه هذا الى النبي ﷺ

وأخرج أيضا عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه — وهو نائم بالمسجد الحرام — وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه وأخر وزاد ونقص ورواية شريك أخرجها البخاري في كتاب التوحيد برمتها وفيها ان قصة الاسراء والمعراج في جملتها ومنها شق الصدر كانت رؤيا منامية . وقد غلطوا شريكا فيها من جهات خالف فيها من هو أوثق منه

وأقوى الروايات في شق الصدر حديث الاسراء والمعراج الطويل الذي أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة — وليس لمالك غيره — وفيه أن النبي ﷺ حدث عن ليلة أسري به قال «بينما أنا في الحطيم — وربما قال في الحجر — مضطجعا إذ أتاني آت فقد — قال وسمعته يقول فشق — ما بين هذه وهذه أي وأشار الى ثغرة نحره وآخر بطنه — فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد » الخ وفي رواية شريك بن أبي نمر انه جاءه ثلاثة نفر وهو نائم وهم الذين تعاونوا على عملية شق الصدر وأشرنا اليها آنفا

فأنى للدكتور هيكل أن يحيط بهذه الروايات وأسانيدها واختلاف متونها الدال على روايتها بالمعنى في موضوع من الخوارق — ويحكم فيها بين ماحكاه عن المستشرقين وغيرهم حكما معقولا؟ ولقد كنت سئلت عنها فلخصت الروايات بأوسع مما هنا واستظهرت من مجموعها أنه تمثيل لتطهير قلب النبي ﷺ وحفظ نفسه من كل ما لا يليق به من وسوسة الشيطان والشهوات والاهواء كما تمثل له كثير من المعاني والحقائق في تلك الليلة وفي رؤاه الصادقة بصور مناسبة لمعانيها، ولعالم المثال في الكشف الروحاني شأن عظيم عند أهله . ومن المعلوم بالضرورة أن الايمان والحكمة اللذين حشيا في قلبه (ص) ليسا من المواد الجسمانية التي توضع في الطست ثم تحشى في القلب . ومن شاء التفصيل في المسألة فليراجع الفتوى ١٢ من المجلد ١٩ ص ٥٢٩ — ٥٣٧ ودونها ف ٨ ج ٤ م ٣٣

وجملة القول أن الدكتور محمد حسين هيكل لم يطلع على حديث يعتقد صحته ويعبر عنه بأنه أسطورة، فان كان مقصراً في هذا الاطلاع فليس بعلم بأكثر مما يلام أكثر علماء هذا العصر ومما تلام عليه مجلة الازهر (نور الاسلام) بما تذكره كثيراً من الاحاديث الضعيفة ، وكذا الموضوعة أحيانا . فلا يصح ان يجعل طعنا في دينه

(٣) مسألة بدء الوحي ص ٩٥

لا أدري ما الذي أنكره الاستاذ زهران من كلام الدكتور هيكل في هذه المسألة وأما أنا فانني أنكرت عليه متابعته فيها لأميل درمنغام مؤلف الاصل بما يستدل به الماديون على دعوى الوحي النفسي الذي بسطته ورددت عليه في كتاب الوحي المحمدي بالتفصيل كما أشرت إليه في مقدمة المقالة الاولى وسأعود إليه ، فانني رأيت المنكرين على كتاب هيكل والمعجبين به سواء في عدم فهم هذه المسألة المهمة وهي اساس الدين ، ولهذا أقول إنه يجوز أن يكون مثلهم لم يفطن لكون تلك المسائل المشرشبهات يستدل بها الماديون على أن ذلك الوحي ذكاء نفسي وعمل كسبي استمد له محمد ﷺ بما زعموه من الروايات الباطلة والآراء المخترعة التي فندناها في كتاب الوحي المحمدي تفنيداً

وأنكرت عليهما مع العلم بعذرهما الاعتماد على رواية سيرة ابن هشام في مسألة بدء الوحي وما صورا به جزئياتها من التخيل الشعري الذي تعارض بعضه الروايات ، ولا شك في حسن نية هيكل فيها ومراعاته الادب الواجب ، فان كان الاستاذ زهران ينكر شيئاً كتبه بعينه فعليه أن يكتبه لنا ، لا أن يكلفنا قراءة الكتاب كله والرد على كل ما أنكره هو منه لظنه أن رأينا فيه كرأيه ولكننا أقدر على الرد عليه بما «بروق الكافة ، ويخلب ألباب الخاصة والعامة» كما قال ، ورب شيء أنكره انا من هذه السير لا ينكره الاستاذ زهران ، وقد ينكر إنكاري ان لم يقف على دليلي مفصلا

إنني يا أخي أنكر كل ما رواه ابن اسحق وما تبعه به ابن هشام مخالفاً لرواية الصحيحين في بدء الوحي حتى رواية عبيد بن عمير التي قال شيخنا الاكبر في الحديث (الحافظ ابن حجر) انه يمكن الجمع بينها وبين حديث البخاري في أول صحيحه . وما أظن أنك أنت ولا أمثالك من المبالغين في الانكار على كتاب (حياة محمد) تنكرون مثلي رواية رؤية النبي ﷺ ملك الوحي في المنام وتلقيه منه أول سورة العلق مكتوبة في صحيفة أقرأه إياها ، وهي مرسلة لا ندري لعل الساقط من سندها

أحد زنادقة اليهود ، وأنكر كذلك جميع الروايات التي في كتب السير ودلائل النبوة في أنه ﷺ كان يرى ويسمع من الإرهاصات ما اعتقد به أنه سيكون نبي هذه الأمة فتعلق به رجاؤه ، وأنا أعهد أن أمثالكم يطعن على من ينكرها أشد الطعن إلا من طريق علمي كجرح الرواة أو معارضة المتون بمخالفة القرآن مطلقاً والضعاف منها للصحاح كما فعلت في كتاب الوحي المحمدي مما تلقاه كل قارئيه بالقبول

(٤) ما نسبه إلى السيدة خديجة ص ١٠٠

يعني الأستاذ زهران بهذه المسألة قول الدكتور هيكل إن خديجة قالت للنبي ﷺ عند ما فتر الوحي « ما أرى ربك إلا قد قلاك » أي أبغضك . وقد تابع بهذا درمنغام وهما لم يخترعاه اختراعاً . وكان من شأن المنكر عليهما أن يعلم أن ابن جرير رواه مرسلا من طريقين قيل أن رواتهما ثقات ، ولكنهما معارضان بما رواه الشيخان عن جندب قال اشتكى النبي فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك . فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) اهـ

وأقول إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب عدوته ﷺ وما قيل في الجمع بينهما من أن خديجة قالت له ذلك توجعا وأم جميل قالته شماتة فهو مردود وكان يجب على هيكل ألا يأخذ كلام درمنغام قضية مسلمة ولو بحث وراجع لعرف الصحيح وعلم أن هذه الفترة القصيرة في الوحي ليست هي التي استوحش لها النبي ﷺ وكبر عليه الأمر ، بل تلك الفترة هي التي كانت بين بدء الوحي في حراء وبين الأمر بالتبليغ وهي ثلاث سنين كما بينته في كتاب الوحي المحمدي وكان ينبغي للدكتور هيكل أن يتأمله ويعتمد عليه فهو لباب التحقيق

بل هذه الفترة مشهورة في كتب الحديث وكتب السير لا ينبغي لمن يجهلها أن يكتب مصنفا في حياته ﷺ يدعي أنه يتحرى فيه الحقائق فماذا فعل بالكتب التي طالعها لأجله

(٥) ما قاله في الاسراء والمعراج ص ١٥٣

أجمل الاستاذ زهران إنكاره على ما كتبه الدكتور في هذه المسألة و كلفني أن أبين ما أنكره منها وأثبت ما أعرفه ، وهو إرهاق يتقاضاني أن أصنف كتابا أو رسالة طويلة فيها ، وقد سبق لي أن ارتجلت محاضرة فيها استغرقت ساعتين ونيفا في جمعية مكارم الاخلاق اذ كانت في قاعة دار السادات

الدكتور يثبت الاسراء والمعراج وينقل فيهما ماهو مشهور بين الناس من الاختلاف بين العلماء هل كان في النوم أو اليقظة ، وبالروح والجسد أم بالروح فقط ، وينفرد بتعليل القصة بأنها من مشاهد وحدة الوجود الخيالية ، ويصف هذه الوحدة بغير ما يصفها به أهلها من الصوفية الغلاة الذين يعرفون بصوفية الحقائق ، لانه موضوع ليس من علمه ، كما ان التمييز بين صحاح الروايات وضعافها ومنكراتها واختلاف متونها وتعارضها في المعراج ليس من شأنه بالاولى وقد أشرت إلى بعضها آنفا في الكلام على حديث شق الصدر والجمع بينها متعذر حتى قيل بتعددها وهو لا يعقل

ومما أخطأ فيه كما نرى ما نقله عن موسيو اميل درمنغام في وصف المعراج وقد خلط فيه بين الروايات المضطربة فلم يميز بين صحيحها ومنكرها ، ووصفها وصفا شعريا خاب الدكتور ببلاغته الفرنسية فعرج هو من أفقه إلى أفق أبعد منه في التخيل الشعري وهو أفق وحدة الوجود التي يعجز صوفية الهند ومقلدتهم من الافرنج أن يبلغوا فيها شأو محيي الدين بن عربي في النثر وعمر بن الفارض في شعره وقد قال الدكتور فيها بما لا يعقله من الجمع بين الازل والابد

مسألة وحدة الوجود عقيدة هندية قديمة لا تتفق هي وعقيدة الاسلام في كون الخالق تعالى فوق جميع خلقه بائن منهم ، وخلاصتها أن وجوده تعالى وتقدس عين وجودها وهي مظاهر له كمظاهر الماء من جامد ومائع وبخار و غاز كما قال عبد الكريم الجيلي :

وما الخلق في التمثيل إلا كثلجة   وأنت بها الماء الذي هو نابع

وأقرب مما ذهب إليه الدكتور في تصوير مسألة الاسراء والمعراج أو تقريبها الى الاذهان بما يوافق العلوم العصرية هو ما ثبت عند القائلين باستحضار الارواح من تمثل ارواح الموتى المجردة بصور جسدية من الاثير تتكاثف أحيانا بما تستمده

من مادة الكون أو من جسم الوسيط حتى يمكن تصويرها بالآلة الماكسة للنور ، وقد قرأنا في كتاب (المذهب الروحاني) وغيره من الكتب والصحف شواهد على ذلك ، وأصل هذا معروف عند أهل الدين بما ثبت من تمثل أرواح الملائكة والشياطين بصور البشر وغيرهم وأمثلته كثيرة في كتب أهل الكتاب المقدسة وفي القرآن العظيم والاحاديث الصحيحة ، ويحكون في كتب الصوفية أن بعض الروحانيين منهم يتجردون من أجسادهم الكثيفة ويتمكنون من تحويلها إلى أجساد أثيرية لطيفة أحيانا تقطع المسافات البعيدة في طرفة عين وتنفذ من الاجسام الكثيفة، فالمسألة معروفة مسلمة عند غير الماديين من المليين وغيرهم من الروحانيين

فعلى هذا يمكن أن يقال إن روح النبي ﷺ أعطيت من القوة في تلك الليلة ما كانت به كقوة روح جبريل الذي كان يتمثل له ﷺ بصورة دحية الكلبي وغيره، وتمثل للسيدة مريم عليها السلام بشرا سويا. وفي هذه الحالة تتصرف الروح بجسدها الاثيري اللطيف فتحمله من مكة الى بيت المقدس ، ومنه إلى حيث شاء الله من السموات العلى إلى سدرة المنتهى ، وقد بينت هذا من قبل في المنار وفي محاضرتي الطويلة التي اشرت اليها آنفا وقلت إنه مذهب الصوفية الموافق لقول جمهور المحدثين إن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد

ولعل هذا ما أشار اليه الاستاذ الاكبر المراغي في التعريف بالكتاب بقوله (وعلم استحضار الارواح فسر للناس شيئا كثيرا مما كانوا فيه يختلفون ، وأعان على فهم تجرد الروح وامكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الأبعاد وقد انتفع الدكتور بشيء من هذا في تقريب قصة الاسراء فأتى بشيء طريف) اه

اشتبه بعض قراء هذه العبارة المجملة الوجيزة في فهمها فظنوا أن الاستاذ وافق المؤلف على القول بأن الاسراء كان بالروح منفصلة من الجسم ، على مسألة وحدة الوجود ولكن قوله (فأتى بشيء طريف) لايدل على فهمهم هذا ولذلك لم يقل « بشيء طريف فيه » بل هو يشير الى ما قلته،

وجملة القول أن الدكتور هيكلا نقل بعض أقوال علماء المسلمين في مسألة الاسراء والمعراج وقول درمنغام من غير تمحيص ولا تحقيق كما فعل بعض أهل

بالسير وغيرهم من المسلمين ، وزاد عليها مسألة وحدة الوجود بعبارة مبهمة تدل على أنه لا يعتقد انها مخالفة لنصوص الكتاب والسنة لخفائها المعروف فلا يباح لمنكريها عليه الطعن في دينه، ولا يصح للمعجبين به أن يقولوا إنه محقق لروايات السيرة

(٦) ماعقب به معجزة الغار ص ١٧٧

يعني الاستاذ الناقد المنكر بهذه المعجزة ما نقله الدكتور هيكل عن اميل درمنغام عن بعض كتب السير كالسيرة الحلبية من أن النبي ﷺ حين دخل مع صاحبه الغار وجاء المشركون يبحثون عنه وجدوا شجرة تدلت فروعها إلى فوهته وبيتا من العنكبوت يستر من فيه وحمامتين باضتا عند بابه . وذكر أن وجه المعجزة في هذه الاشياء انها لم تكن موجودة وإنما وجدت وقتئذ وأن درمنغام قال: «هذه الامور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ الاسلامي الجد (كذا) وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في أرض الله نظائر »

(أقول) حديث هذه الثلاث أخرجه ابن سعد وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم عن أبي مصعب المكي قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة ابن شعبة فسمعتهم يتحدثون ان النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله بشجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا في فم الغار ، واقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وهراويهم وسيوفهم الخ

قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ـ ذكر حديث أبي مصعب هذا: قال العقيلي مجهول ذكره في ترجمة عون بن عمرو . وذكر الحافظ في ترجمة عون هذا انه منكر الحديث مجهول وذكر حديثه هذا عن أبي مصعب وقال إنه لا يعرف

فهذه المعجزات لم يصح بها الخبر بل انفرد بروايته مجهول منكر الحديث عن رجل لم يعرف قط ، فالظاهر انه هو الذي وضعه عليه ، ولو كان له أصل لأمكن أن يقال من ذا الذي حقق أن هذه الثلاث وجدت عند دخوله ﷺ في الغار وأنها لم تكن من قبل ، وكيف كان عبد الله بن ابي بكر وراعي غنمه مولاه عامر بن فهيرة يدخلان الغار في كل ليلة ؟ ولم لم يحدثا بها أحدا ولا احدث بها من أكرمه الله بها

وهو النبي ﷺ وكذا صاحبه « رض » حتى حدث بها أبو مصعب المجهول الذي أعيا رجال الجرح والتعديل أن يعرفوه أو يعرفوا عنه شيئا ، ولم يحدث بها عنه إلا عون ابن عمرو المنكر الحديث ؟ وأي حاجة إليها في حفظ من كفل الله حفظه وعبر عن ذلك بأنه تعالى معه ومع صاحبه ؟ هنا يظهر الفرق بين شعور الاستاذ زهران والدكتور هيكل وامثالهما : الفريق الاول يرتاح إلى روايات خوارق العادات مطلقا ويرون أنها أعظم الحجج على إثبات النبوة فلا يعنون بتحقيق رواياتها ، والآخرون ينفرون منها لكثرتها عن جميع الملل ولا يرون فيها حجة قاطعة على النبوة كالآيات العلمية والعقلية وأعظمها القرآن ، ولذلك يميلون إلى تكذيب روايات تلك الخوارق وسنبين تحقيق الحق في ذلك (للنقد بقية)

وفيات الاعيان

(شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي)

فاجأنا في ضحوة يوم شديد الحر من هذا الشهر المحرم (سنة ١٣٥٤ ـ مارس سنة ١٩٣٥) نبأ وفاة شاعر العرب المطبوع وعلم الفصاحة المرفوع الشيخ عبد المحسن الكاظمي بعد مقاساة أمراض طال أمدها عدة سنين صبر عليها صبر الكرام ، ويحزنني أنه لم يتح لي تشييع جنازته ، وقد قمت بكل ما استطعت من حقوق مودته (المادية والادبية) في أكثر من ثلث قرن حتى اني عرضت نفسي لمرض طويل كاد يكون مزمنا بزيارتي له ليلا وأنا مصاب بنزلة صدرية شديدة ، وكان يزورني في وسط المعهد يعيننا في يوم الجمعة من كل أسبوع وقد نزيد عليها لأسباب عارضة واني أنشر هنا ما كتبته في شأنه بعد تعارفنا بمصر بأيام قليلة وهو ما تراه في ص ٣٢٨ من مجلد المنار الثالث بتاريخ ربيع الاول سنة ١٣١٨ يوليو سنة ١٩٠٠ بعنوان (القديم في الحديث ، والاول في الآخر) وهذا نصه :

ذهبت بلاغة الشعر العربي بذهاب دول العرب حتى صار القرن يمضي كله ولا يظهر فيه شاعر عربي الاسلوب بليغ الكلام وحتى صرنا نعد وجود مثل

سعادة محمود سامي باشا (البارودي) من قبيل مايسميه الحكماء بالرجعة كأن السليقة العربية رجعت اليه بالوراثة لاحد أجداده الاولين من غير عناء في كسب ملكتها ،
والظاهر أن بلاد العراق لاتزال أقرب الى السليقة العربية من أهل هذه البلاد وان النابغين فيها أكثر منهم في غيرها . ولقد وافى هذه البلاد من أشهر رجل فاضل جدير بلقب (الاديب) وقل الجدير به في هذا العصر ألا وهو الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمي (نسبة الى الكاظمية بلدة في ضواحي بغداد) لقيناه فلقينا الادب الصحيح والاخلاق الحسنة من الشاعر المفلق، العذب المنطق، الذي ناهز المقدمين ، وخاطر المفرمين ، ومن السجايا الفاضلة الظاهرة فيه الاباء وعزة النفس حتى انك لاتشعر في أول عهدك به بما عنده من لطف المعاشرة ورقة الطبع ولين العريكة . قال صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري وكيل الحقانية وأحد أركان الادب في مصر : انني عند ما لقيته أول مرة ظننت أنه لا تطيب معاشرته فلما خبرته علمت أنه لا تطيب مفارقته ، اه وما أجدره بقول شاعرنا احمد بن مفلح المشهور بابن منير الطرابلسي

إباء فارس في لين الشام مع الظر ف العراقي واللفظ الحجازي

أما شعره فعلى الطريقة العراقية العذبة القديمة — طريقة الشريف (الرضي) ومهيار (الديلمي) وأما انشاده فهو يناسب شعره في التأثير الذي هو المقصود الاهم من بلاغة القول اه

ونشرت بعد هذا قسما من قصيدته الميمية وهي أول ما سمعناه من انشاد شعره ونشرت القسم الآخر منها في جزء آخر ، ولعمري إن إنشاده للشعر لا يبلغ من نظمه له في إثارة الشعور، بما شاء من شجو وشجن ، وحنين إلى سكن ووطن ، وشوق إلى لقاء حبيب ، وحزن على فراق عشيق أو صديق ، وإن أنس فلن أنسى إنشاده إيانا قول الشاعر :

وارحمتا للغريب في البلد النا زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

ولئن قال ابن النبيه في بائيته :

وما المدامة بالألباب أعبث من فصاحة البدو في ألفاظ تركي

فان لنا أن نقول : ما أعبث المدامة بالعقول ، ولا عزف الفارابي بالقانون، بما أضحك الثغور وأثار الشجون ، وأجرى الشئون دراً على العيون ، ولا نعي جميل لبثينة أمام دارها ، ولا كابنها للناعي ـ فرة نابغة لو قارها ، بأعظم سلطانا على القلوب من إنشاد الكاظمي لهذين البيتين بصوته الرخيم ولهجته المراقية، وتقطيعه للبيت بغير أوزانه الشعرية ، كوقوفه على كلمة الغريب ، والنازح ، والمعيش ، فاني لأتذكر الآن خفقات قلبي لسماعهما ، فاجد الذكرى تعيدها سيرتها الاولى ، ولقد كانت كلمة بثينة أشجى كلمة سمعتها من كلام البشر ، ولا بأس بذكرها هنا لما شعر جميل العذري بدنو أجله في مصر عهد الى رجل أن ينعاه الى بثينة في حي أهلها وأعطاه حلته آية لها ، فوقف فأنشد هنالك

صرخ النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول

فخرجت حاسرة وقالت : ياهذا إن كنت كاذبا فقد فضحتني ، وإن كنت صادقا فقد قتلتني !! فأخرج لها حلته فأنشدت :

وإن سلوي عن جميل لساعة من الدهر لا حانت ولا حين حينها

سواء علينا ياجميل بن معمر اذا مت بأساء الحياة ولينها

هكذا كان الكاظمي يخلب ألبابنا بانشاده العراقي الشجي وكل أدباء العراق يخلبون الالباب بضروب الانشاد ، وإن كان لا أشجى من سمعنا منهم ، ولقد أحببته لانشاده وشعره معا ، ثم اتصل بشيخنا الاستاذ الامام وخصه بمدائحه المؤثرة وكان بالمدائح ضنينا ، فمشقناه التنويه بالاصلاح وإمامه ، وقد ذكرته في تاريخ الاستاذ الامام منوها بما كان من عطف الامام عليه ومواساته له ، ومما لم أذكره أنه كان لهمه راتب شهري قدره عشرة جنيهات ما عدا الهدايا ، وكان ينكر ما عدته عليه من كثرة عدم رثائه له ، وكان يعتذر انه يوجده وكده ، ثم علمنا أنه انما كان يخشى غضب الخديوي عليه اذا هو رثاه ، إذ سعى له صاحب المؤيد عنده بمثل راتب من الاوقاف .

اني كنت صدقت الكاظمي زعمه أن شدة الحزن والاسى على الامام أخرست لسانه، وحيرت وجدانه، وأطاشت جنانه، فأمسى عاجزاً عن رثائه لا يستطيع منه شيئاً. وظللت سنين مصدقاً له، وأرى من حق الوفاء لاستاذنا علي بره والوفاء له، على أنه حدثني فيما كان يقصه علي من سيرته الشخصية أن الخطوب ليس لها على نفسه سلطان، وان الحزن ليس له في شجون قلبه ولا في شئون عينيه مكان، وانه كاد هجومها عليه يغلبه على جلده مرة أو مرتين ففطن لذلك فكان لارادته القلب والرجحان، فكان عصي الدمع شيمته الصبر، ليس للحزن عليه نهي ولا أمر

ولقد كان يقول لي انه لم يجد بعد الاستاذ الامام من أخلص له الوفاء مثلي، ويظهر لي انه على رأيي ومذهبي فيما أدعو اليه وأحيا لأجله من الاصلاح الاسلامي والوحدة العربية، وكان ينشدني بعض قصائده في مدح من يرجو برهم ويقف لي عند ما تتضمنه من الاشارة إلى ما أحب من المصلحة العامة، في تضاعيف ما أكره من المدائح الشخصية، بله ما نظمه في المسألة العربية ورجالها، ومنه ما يخصني بزعمه دون غيري، ولم أكن لأحفل بالتصريح بشيء يخصني فكيف أحفل بالتلويح والتعريض الذي لا يكاد يفهم المراد منه أحد؟ ولكن خطر ببالي كثيراً ما لم أذكره له ولا أشرت إليه من تقصيره في رثاء شقيقي اللوذعي الاحوذي السيد حسين الشاعر الاديب الخطيب وقد كان عشقه الكاظمي غراماً، ووده له لزاماً؛ وكان وكيلي في إدارة المنار مدة غيبتي في الاستانة عاماً كاملاً لم يكد يفارقه فيه يوماً، ثم عاد الى سورية فقتل بيد مجرم أثيم، فكان من إكبار خطبه عندي أن قلت في تأبينه انه ليعز علي أن أرثيه وكنت أرجو أن يرثيني، وأكبر المصاب فيه أهل الفضل والادب في جميع البلاد العربية، وعقدوا له في بيروت حفلة رثاء وتأبين تبارى فيها أدباء الطوائف الدينية بما كان أقوى مظهر لرابطة الادب الجامعة، فكانت حفلة نادرة في ذلك الوقت، ولكن كان صديقي وصديقه أبخل بشعره عليه منه بدمعه، وهو الغني الملي، بالشعر، المقتر الشحيح بالدمع، وانما يجود بالشعر حيث يرجى به النوال الجزل

أتى الملك فيصلا في مصر فرأى من لطفه وتواضعه وتكريمه له ما أحدث

له أملا بأن يحيا بجوده حياة جديدة من الإتراف والسعة أقلها أن يكون له راتب شهري كبير وهو في مصر ، أو ينقل الى منصب كبير ، في بغداد ، فمدحه كما مدح أخاه الامير عبدالله وبيتهم الشريف بقصائد غر ، كان ينشدنيها كلها أو بعضها قبل ارسالها ، ويحاول إرضائي وأنا المنكر لسياستهم البريطانية بما فيها من التنويه بالاصلاح والوحدة العربية ، حتى اذا ماخاب أمله فيهم ، وغلبهم ابن السعود على الحجاز وحدث له من الرجاء في جوده وسخائه ما يئس من مثله منهم ، طفق يمدح هذا وآله ، ويعرض بل يصرح بهجو أولئك ، ومن ذلك قصيدة في الفرق بين الفيصلين فيصل بن عبدالعزيز وفيصل بن الحسين ، وكان يدعي انه لم يكن له من باعث على هذا وذاك إلا ما يهمنا جميعا من مصلحة العرب والاسلام

كذلك كان يستشيرني في القصائد التي كان ينظمها في القضية العربية التي يقيمها حزب الاتحاد السوري في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ويكل إلي السعي لما يرجوه من الجائزة عليها من الوجيه ميشيل بك لطف الله ، وهي من غر قصائده

وكثيراً ما كان يزيد في هذه القصائد التي نظمها ولم يكتبها ، وكثيراً ما كان يرتجل غيرها ، فقد ثبت عندنا أنه أوتي من ملكة الارتجال ما يساهم به فحول العرب من الجاهليين والمخضرمين والمولدين ، وهو يعد من فصحائهم لا من بلغائهم ، فشعره فحل في لغته وأسلوبه ، دون فلسفته وتأثيره الروحي

وما كان لي أن أطمع بارجاعه عما يبغيه من الكسب بشعره وهو بضاعته الرائجة ، فكنت أحمد من قصائده ما فيها من الآراء العامة ، وأقتصد في الانكار على المبالغة الشعرية في المدح فيوافقني على ما أقول ، ولا أدري ما يكتبه بعد ذلك ويرسله ، وما يثبته في ديوانه الذي يدخره لمستقبله وورثته ، فقد كان يحفظ كل ما ينظمه وينشدني وينشد غيري من حفظه ، وقد ينقح ما ينتقده عليه السامع في المجلس ، ويزيد فيه ما شاء وينقص منه ، وكان يرجو أن يبذل له أحد الملوك أو الامراء أو الكبراء ما يكفي لوفاء ما يذكر من دينه وطبع ديوانه ، فان لم يتح له

ما يرجو وكل أمر طبعه من بعده الى أبر الاوفياء له الذي اختار أن يجعله وصيا على كريمته الرباب ، واياي كان يعني

هذه خلاصة ما يقال في شعره وأدبه ومودته وكسبه ، ولقد علمت انه كان له كسب نسائي خفي من كتابة التمائم للحب والبغض ، وكان أمين سره في هذا العمل صديقه المرحوم توفيق أفندي الرافعي ، وأول من أفشاه لنا امرأته الاولى التي عشق أختها وتزوجها ، حملت الى أهل بيتنا بعض هذه التمائم فأبيت أن انظر فيها ، وحدثتهن عن اسرافه في النفقة ، وما كان يوهمني (قبل بنته الرباب) من أن له عيالا ينفق عليهم ، وقد سمعت منه ورأيت مابعد من عجائب اسرافه ، فلقد كان يشتري ثمر المنجا الجيدة بالعشرات أو مئة بعد مئة وهي اغلا الثمار ثمنا ، وكان دائما يشكو الحاجة أو الضرورة ، ويطرق أبواب الكبراء الواسعة والضيقة ، وقد لجأ أخيراً الى المرحوم سعد باشا زغلول ومدحه بالقصائد الفياضة التي ذكرفيها الاستاذ الامام أول مرة بعد وفاته !! ثم لجأ الى زعيم الوفد من بعده ، وظهر في هذه الاثناء بشعر بنته الرباب ، وقد شبت على استبدال البرنيطة بالحجاب

وجملة القول فيه انه كان شاعر العرب المرتجل المفلق كما كان قال قبل اختيار هذا اللقب لنفسه

لتخل القوافي ميادينها فقد عصف الشاعر المفلق

وكانت حياته الشخصية في داره ومع اصدقائه وزواره مفاكهات أدبية أكثرها في شعره وأغراضه منه ، ثم لم يكن يتحدث في السنين الاخيرة الا عن مصائبه وامراضه وخلته ، حتى صار مملولا بالطبع . نذكر هذا للعبرة والموعظة ، ونسأل الله تعالى لنا وله العفو والمغفرة ، والرحمة الواسعة

ويسرنا جد السرور عناية الحكومة العراقية باكمال تربية كريمته ، وعناية أدبائها وادباء فلسطين وسورية بتأبينه ، وهمَّ بعض أصحابنا باقامة حفلة تأبين له حافلة ، ثم أرجؤها إلى انتهاء هجير الصيف ، وما كان لمصر أن تهضم حق أدبه وما كان ظهوره واشتهاره الا فيها ،

﴿ باب مختارات الصحف ﴾

تفاقم شر الطلاق في اميركا

لمراسل الاهرام في امريكا

أشرت في احدى رسائلي الماضية الى القاضي بن لندسي في مدينة لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا الملقب قاضي الطلاق لتساهله في تسهيل سبله على الطالبين ولكثرة عدد الذين أعتقهم من ربقة الزواج كما يعتق السجناء حال انتهاء المدة المحكوم عليهم بها ، وقد أعلن هذا القاضي اليوم اعتقاداً جديداً أبداه بشكل نبوءة مفادها امحاق عهد الزواج بهذه البلاد في وقت غير بعيد إذ قال :

« إن الزواج في هذه البلاد صائر الى حالة توجب الاسف وتحمل على الاحتساب فإن لم نفتح عيوننا للحقائق ونصرح بها غير متهيبين ونعمل على تغيير ما نفهمه من علائق الجنسين تصبح الاباحة في الحب والفوضى في الزواج والتطرف في حسبان الطلاق من ضروريات المعيشة الحديثة شيئاً سهلا وواجبا وإن كان مخالفا لما قررته الاديان وأوجبته قوانين الهيئة الاجتماعية

« فالزواج عندنا قد أصبح ألعوبة أو مهزلة بحيث لا يختلف عن شركة تجارية يعقدها شخصان ويبقيان فيها متعاونين ما بقيت رابحة وما اتفق ذوقاهما ، وينفصلان عندما يشعران بالخسارة أو بالنفور المتبادل . ولا ريب في أن البواعث الطارئة على تمدننا في هذا الزمان تعمل على تقويض أركان التوازن الديني وتشويه آداب المجتمع ، وتمهد السبل للطبيعة البشرية المائلة الى الشر في طغيانها فتتمادى فيه بلا وازع من الدين ولا رادع من القانون . والقاضي الذي تبدو له هذه المساوىء في القضايا المختلفة لا يرى سوى علاج واحد ناجع وهو أن تستعين الهيئة الاجتماعية بالدين والعلم والتهذيب على استئصال ما طرأ في هذا العصر من التطورات الغريبة العاملة على خراب الحياة الزوجية وفساد أخلاق الناشئة

« وقد يحسبني بعضهم من المفكرين المتفوقين في هذا الباب بالنظر الى كثرة عدد الذين أفلتوا من قيود الزواج في محكمتي ، فأنا على الرغم مما يقال من تساهلي

في حل ما عقده الشرع من أشد الناس تمسكا بزي الزواج القديم القائل ببقاء الاثنين جسدا واحدا الى أن يفرقهما الموت ولا يحل هذا الشكل الا العمل بهذه القاعدة، وأعتقد ان أجدادنا كانوا أسعد حالا وأهنأ عيشا من الوجهة الزوجية مما نحن عليه الآن

« ومهما كان اعتقادنا بنظرياتهم فان تلك النظريات قد انطوت ومعها الحياة الزوجية القديمة المبنية عليها أو انها تنطوي الآن بسرعة وحل محلها جنوح(١) لا يعترف بقيود، خال من كل مسؤولية ومن الحب الحقيقي في تعاقد الجنسين بحيث اصبح الناس يعتقدون أن الزواج قضية موقتة يحافظون عليها ما وفرت لهم الغبطة وضروب الشهوات والمسرات فاذا عدمت هذه الميزات ذهبوا إلى المحامي

ويظن هذا القاضي أن الحالة الاقتصادية في الحياة العصرية التي تزاحم فيها المرأة الرجل في الاعمال على اختلافها والتي جعلت الزواج صعبا أو مستحيلا على الشبان من سن ٢٠ الى ٣٠ لقلة دخلهم هي التي سببت هذا التشويش والفوضى في الطلاق ايضا. لان الزوجة التي تفرك(٢) او يحاول زوجها التخلص منها قلما تعارض لانفتاح ابواب العمل امامها بخلاف ما كانت الحال عليه في الماضي

وتنبأ القاضي لندسي من سبع سنوات عن ان عدد المطلقين في السنوات العشر التالية سيضارع عدد الذين يتزوجون وقد مضى من تلك الاعوام سبعة وبقي ثلاثة ومع ذلك فقد تم ما خمنه قبل انتهائها حسبما يقول اه

(المنار) إن سوء عاقبة هذا الفساد أكبر مما يحسب هذا القاضي ويقدره وإن له اسبابا وعللا كثيرة، وان علة العلل كلها انحلال العقيدة الدينية وما تعقبه مع الحرية الواسعة من اباحة الشهوات، وقد كان الدين عندهم نظاما اجتماعيا أدبيا تكفله التربية والتعليم وتحميه القوانين فضعفت الكفالة والحماية بحرية التعليم العالي للنساء والرجال معا فصار من المتعذر أن يدين هؤلاء بالنصرانية المبنية على التسليم بما يقال لهم من غير برهان معقول مقنع، وهذا الدين لا يجدونه الا بالاسلام فهو العلاج الوحيد لجميع مفاسد الحضارة الغربية كما فصلناه في كتاب الوحي المحمدي،

(١) كذا والجنوح الميل ومنه ميل السفينة الى حيث ترتطم بوحل فتقف

(٢) فركت المرأة ابغضت زوجها فهي فارك وفروك

﴿ باب الرسائل ﴾

﴿ العقبة من الحجاز في عهد الدولة العثمانية ﴾

حضرة الاستاذ العلامة حجة الاسلام بهذا العصر ، وقائد كتيبة المحققين الذي كتب له النصر ، السيد رشيد رضا أطال الله بقاءه ونفع به

قرأت في الجزء المؤرخ في ٣٠ المحرم ١٣٥٤ من المنار فصلا وافيا عن العقبة وفيه كلام نقلتموه عن أمين أفندي سعيد معناه ان العقبة أدخلت سنة ١٩٠٦ ضمن الحدود العثمانية وألحقت بلواء الكرك (شرقي الاردن اليوم) وصارت جزءاً من أجزائه

والذي أعرفه أنا أن العقبة لم تلحق في وقت من الاوقات بلواء الكرك ، وهذا هو أصل المعترك ، فان الانجليز يريدون أن يجعلوا العقبة من البلاد التي كانت الدولة العثمانيـة ألحقتها بلواء الكرك حتى يقولوا إنهم لم يغيروا شيئًا من الوضع القديم بل أبقوا العقبة تابعة للخطة التى كانت تابعة لها من قبل . والحقيقة أنه لما تشكل لواء الكرك ألحقوا به قصبة معان وتوابعها ماعدا العقبة ، وكان ذلك من الدولة قصداً وعمداً حتى لا تجعل العقبة تخرج من أرض الحجاز نظراً لاستثناء الحجاز من أمور كثيرة كان متفقًا عليها بين الدولة والدول الاجنبية ومن جملتها عدم جواز تملك الاجانب . وقد كنت مرة في دمشق في أيام ولاية ناظم باشا وعلمت من المرحوم محمد فوزي باشا العظم وكان هو عمدة مجلس الادارة ان ولاية سورية راجعت الباب العالي في أن العقبة باتصالها بأرض معان وبكونها ميناء لمعان وبلاد الشراه يجب إلحاقها بمتصرفية الكرك تسهيلا للاشغال .

فأجاب الباب العالي ولاية سورية قائلا : ان هذه الملاحظة لاتخفى علينا ولكن هناك ملاحظات سياسية أهم منها وهي أنه اذا ألحقت العقبة بلواء الكرك صارت من ولاية سورية ودخلت تحت المعاهدات التي بين الدولة والدول الاجنبية فصار يجوز للاجانب أن يتملكوا فيها بخلاف ما إذا كانت تابعة للحجاز فليس للاجانب

حق أن يتملكوا شيئاً في الحجاز وهو أمر متفق عليه بين الدولة والدول. فبقيت العقبة اذن تابعة للحجاز ولم تتبع الكرك كما طلبت ولا بسورية، فقصدت ان اصحح هذه الرواية التي تقلتموها عن أمين أفندي سعيد والتي لو صحت لما كان محل للتعجب من سعي الانكليز بالحاق العقبة بشرقي الاردن لانهم يكونون حينئذ بنوا على اساس قديم. والحال أن هذا الاساس لم يوجد، وان العقبة كانت ولم تخرج من الحجاز لا أولا ولا اخيرا ووضعها الحاضر لا يستند على شيء قانوني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته م

جنيف شكيب أرسلان

(المنار) هذا ما يقال من جهة ما يسمى التشكيلات الادارية في الدولة. وأما من الجهة الشرعية الاسلامية فالعقبة وما حولها من الحجاز وبصفة أوسع نقول من جزيرة العرب التي أوصى النبي ﷺ بأن لا يبقى فيها دينان كما بيناه مرارا، فاحتيال انكلترة للاستيلاء عليها أفظع اعتداء على دين الاسلام

﴿ وزير مسيحي يصف الشريعة الاسلامية ﴾

خطب الاستاذ فارس بك الخوري الوزير السوري الاسبق ومن كبار مسيحيي سوريا في احدى الحفلات التي أقيمت بدمشق لاحياء ذكرى المولد النبوي ومما قاله :

«إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله، والدين الذي جاء به أوفى الاديان وأتمها وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس اليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لارقى النظم والحقائق العلمية

«ان محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الارض سابقهم ولاحقهم، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها» (المقطم)

مأساة أميرة شرقية (*)

بقلم الاستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي نزيل البصرة

(٢)

ونحن مع احترامنا للنبي المكرم عيسى نقول: قد أجاد الاستاذ في تنظيره وتمثيله، ألا يعلم لويس أن شرب الدخان في النارجيلة أو غيرها إنما حدث بعد اكتشاف كولومبوس أميركا ولم ينتشر الا في الازمنة الاخيرة، بل في هذا الزمان نفسه لو دخلت مجلس أمير من بني تميم أهل اليمامة لم تر فيها نارجيلة فضلا عن الخمر، فهل بلغ به هوان نفسه عليه أن يزعم ان مجالس أمراء ابي بكر وعمر كانت محتوية على الخمر؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، فأي رجل من زنوج أفريقية بل قبائل أسكيمو يلقي نظرة إجمالية على التاريخ ويتوهم وجود الخمر في مجالس أمراء الخلفاء، ولم تمض على انتقال النبي الى الرفيق الاعلى الا أيام قلائل ولم يرو لنا التاريخ شرب الخمر في مجالس الامراء الا بعد ذلك بأزمان طويلة؟

وليس مقصودي ان أبرىء خالداً من الوجهة الدينية أو ادعي له العصمة الواجبة للانبياء، لان الكاتب لم يتصد لهذا الامر الا من الوجهة التاريخية والادبية ولذلك أحصر ردي عليه فيهما فهل يستطيع ان ينقل لنا كلمة واحدة من التواريخ المعتبرة يثبت بها ما افتعله؟ هيهات ذلك.

لقد كنا نظن أن مجلاتنا الادبية لما تصل بعد الى المستوى الاعلى من التحقيق في التاريخ والادب وان كتابنا لا تزال بضاعتهم مزجاة في ذلك، ولكننا بمدارأينا

(*) نشرها (كرهام لويس) المستشرق الانكليزي في جريدة المصور الاسبوعي للهند صور فيها الصحابي خالد بن الوليد القائد الحربي الاعظم في فسطاط كمجالس راجات الهند تدار فيه كؤوس المدام واصطفت نراجيل دخان التبغ وصور ليلى بنت جويد مزينة بأحدث أزياء نساء أوربة وحلي الشرق تدخل عليه لتشفع لمالك بن نويرة زوجها بزعمه اذ اسر ... معه في حرب الردة فعشقها وأمر بقتله وتزوجها. وقد نشرنا الفصل الاول في ج ٧ م ٣٤

هذا المقال اغتبطنا أيما اغتباط بمجلاتنا وكتابنا . وكنا نظن أن كاتباً شهيراً قد تصدى لكتابة سلسلة مقالات في التاريخ والادب الشرقيين في أشهر المجلات الانكليزية في الهند وعرضها على علماء الشرق والغرب يربأ بنفسه أن يرتكب الخلط والخبط والكذب البحت ، ولكن أبى الله الا ان يفضح هذا الاديب الكبير ليعلم مطايا الافرنج ومقلدوهم أن أدباءهم ليسوا معصومين كما يزعمون من الوهم والغلط والجهل والكذب بل ربما فاقوا غيرهم في ذلك ، وسترى في الرد على مقاله ما يجلو كل شك ويلاشي كل ريب

ومن العجيب أن الاديب كوهام جعل من خالد خالدين ، ولرجل واحد صورتين ، فالصورة الاولى التي تقدم الكلام عليها تخالف تماما صورة خالد التي نشر تحتها ترجمة خالد بن الوليد وأعماله وسيرته في المجلة نفسها ، في جزء ٨ أكتوبر ١٩٣٣ فخالد الاول مستطيل الوجه مائلا الى الاستدارة ذو لحية مقصوصة قصاً غير بليغ وأما الثاني فان وجهه صغير مخروطي وملامحه مخالفة أشد المخالفة لملامح الاول ، ذو لحية فرنسية مخروطية منهوكة بلا عارضين . فهكذا يكون التخبط والا فلا

﴿ الرد على مقاله ومناقشته الحساب ﴾

(١) زعم الكاتب الكاذب أن ليلى بنت الجودي الغسانية كانت زوجا لمالك ابن نويرة ثم تزوجها خالد بن الوليد ثم تعشقها وغنى بحبها عبد الرحمن يعني ابن أبي بكر الصديق وما زال ملحا في طلابها إلى أن ظفر بها أخيراً ففتن بها حتى أعرض عن نسائه وسراريه وجعلها سيدة البيت ، ثم لم يلبث ان هجرها وفارقها فرجعت الى بيت والدها بدمشق وقضت بقية حياتها فيه - هذا ملخص قصة ليلى بزعمه

أقول وهذا كذب محض وجهل فاضح فان ليلى بنت الجودي لم يتزوج بها مالك بن نويرة وكيف يتزوج بها وهو من أهل اليمامة في قلب جزيرة العرب وكان وثنياً مشركا وليلى بنت الجودي نصرانية وأبوها أحد رؤساء النصرانية في دمشق . وامرأة مالك بن نويرة التي تزوجها خالد بعد قتل زوجها اسمها أم تميم بنت المنهال . لم يتعشقها عبد الرحمن ولم يتغن بحبها ولا تزوجها . وقد التبس الامر على هذا الكاتب المسكين لفقره في الادب الشرقي فمزج امرأتين وعجنهما وجعلهما شيئا واحداً لحول في عين بصيرته ، وسيجيء الكلام على ليلى بنت الجودي في آخر الرد ان شاء الله

(٢) زعم أن ليلى زوجة مالك بن نويرة وقعت مع زوجها في أسر خالد وهو كذب أيضا إذ لم يذكر أحد من المؤرخين (فيما نعلم) ان خيل خالد اخذت مع مالك زوجته ، والحقيقة كما في الطبري والكامل وابن خلدون وغيرها ان خالد ابن الوليد نزل بالبطاح وبث سراياه فجاءته الخيل بجماعة من بني يربوع منهم مالك بن نويرة فسأل خالد الذين جاءوا بهم أهم مسلمون فيبقيهم أم مرتدون فيقتلهم ، فاختلفوا فشهد أبو قتادة ونفر أنهم مسلمون وانهم أذنوا وصلوا معهم، وشهد آخرون انهم غير مسلمين فامر بهم خالد فقتلوا ، ولم يذكر أحد انه كانت معهم امرأة مع ان الرواة ذكروا كل شيء حتى أنهم لم يغفلوا عن ذكر أن ذلك كان ليلا وان البرد كان شديداً

(٣) زعم ان امرأة مالك كانت قد وهبت قلبها لزوجها وأزمعت ان تبذل كل مرتخص وغال في فدية زوجها فتزينت بحليها وحللها وذهبت الى خالد لتشفع لزوجها، فلما رآها عشقها واصدر أمره بقتل زوجها ودعوة إمام لعقد النكاح ، وخاق لها عباءة كثيفة وزعم ان النساء يومئذ كن محتجبات وكان كشف وجوههن عاراً ، وهذا كله كذب وجهل، فان الحجاب لم يكن له وجود في ذلك الزمان حتى في نساء المسلمين فكيف بنساء المرتدين؟! وانما حدث الحجاب بعد ذلك بزمن طويل، أنظر كتابنا (الاسفار في مسألة الحجاب والسفور) ولم يكن عقد النكاح يتوقف على إمام المسجد في بلاد العرب في ذلك الزمان ولا في هذا أيضاً وانما هي عادة من عادات المسلمين في الهند وفي كثير من البلاد الاسلامية ، وليس ذلك بمشروع في الاسلام ، ويكفي لعقد النكاح ان يشهد شاهدا عدل من المسلمين ولكن أهل البلاد المتحضرة يحضرون القاضي أو نائبه عادة وأما خالد فلم يكن له امام بل هو القائد والامام كما هي العادة في ذلك الزمان أن يكون الامير هو الامام، ولم يدخل خالد بامرأته في تلك الليلة بل تركها حتى تنقضي عدتها كما في ابن جرير مجلد ٤ ص ١٩٢

(٤) لو فرضنا ان أم تميم ذهبت الى خالد لتشفع في زوجها لما أمكن ان يتصور متصور حتى في هذا الزمن أن امرأة شريفة زوج أمير تتزين بما عندها

من حلي وحلل وتذهب في الليل البهيم فتدخل على رجل أجنبي يملك ناصيتها وتخلو به في خيمته ، لامور

(ا) أن التجمل والتحلي انما يكون وقت الفرح لا وقت الحزن ولا سيما في ذلك الوقت العصيب حين أحب الاحباب اليها تحت خطر الموت ينتظر كلمة تخرج من بين شفتي القائد تحييه أو تقتله فتزينها في ذلك الوقت مما لا يعقله أحد يعرف عادات العرب وأحوالهم لانها لو فعلت ذلك لقضت على نفسها وعلى خالد ، إذ الخلوة بالاجنبية ولا سيما في الليل فسق موجب للعزل والتعزير، ولا يمكن لامرأة عرفت بذلك ان تكون زوجة لسيد من سادات العرب بل ولا من أوساطهم ولا لرجل عرف بذلك أن يكون أميراً لابي بكر

(ب) ان (الديمقراطية) عند العرب كانت في عنفوان شبابها ولم يكن الجنود يخضعون ولا يطيعون الامير اذا رأوا منه منكراً، والدليل موجود في نفس القصة وهو شيئان (الاول) أن بعض الجند وهم الانصار اختلفوا مع قائدهم خالد في التوجه الى البطاح [1] فقال لهم خالد لا اكره أحداً منكم أما انا فذاهب فتخلفوا عنه وذهب، ثم بعد ذلك ندموا ولحقوا به (الثاني) ان أبا قتادة أعلن إنكاره على خالد في قتل مالك وأصحابه حتي ذهب مغاضبا له إلى المدينة واشتكي لابي بكر الصديق الخليفة مارأي من خالد واستعان بعمر واجتهدا ان يحملا أبا بكر على عزل خالد. فلم يفعل

(ج) لو ان أبا قتادة ومن وافقه من الناقمين على خالد وفيهم عمر بن الخطاب الذي كان كالوزير لابي بكر وكان إذ ذاك مجتهداً في حمل ابي بكر على عزل خالد وبقيت في قلبه حزازة على خالد حتي إنه حين تولى الخلافة عجل بعزله فلو أن أبا قتادة رأي خالدا قد خلا بامرأة مالك ليلا قبل عقد النكاح بل في حياة زوجها لاخبر بذلك عمر وكانت حجته قائمة على فسق خالد ثم لشنع عمر بذلك على خالد وألزم أبا بكر عزله فلا يجد منه بدا

(٤) ربما تكون العادة عند الاروبيين ـ قوم الكاتب ـ ان المرأة اذا أرادت

---

[1] أرض بني يربوع قوم مالك بن نويرة

إن تشفع عند أمير تجملت وتزينت وتغنجت وتدللت لتسبي قلب ذلك الامير فيقضي حاجتها، وأما العرب فان العادة عندهم على خلاف ذلك فان المرأة اذا ذهبت إلى رجل أجنبي ولو لم يكن أميراً تذهب اليه حزينة متبذلة باكية حيية خاشعة، وأما المرأة التي تتزين وتتبرج وتذهب للاجانب فهي في نظر العرب بغي فاجرة لاتتمكن من الدخول على الاشراف

(٥) زعم كراهام لويس ان تلك الليلة كانت ليلة هيط ومياط وأكل وشرب وسكر ورقص وخلاعة وبطر احتفالا بالنصر والظفر وقد زل حماره في الطين في هذا أيضاً، ولو أشرف إشرافة على التاريخ الاسلامي أو ألم إلمامة به ولا سيما في أوله لعلم أنه كاذب ولخجل من نفسه (كما يقول الانكليز) قبل خجله من الناس. لو كانت الجنود المحمدية يامستر كراهام تحتفل عند الانتصار بالاكل والزمر والخمر والعهر ما أكلت جنود أسلافكم وسادتكم الذين استعبدوكم قرونا أعني الروم الجبابرة في ربع قرن أو أقل على قلة عددهم وعددهم

اني أرثي لجهلك يامستر كراهام واتمنى ان تعلم ولو قليلا سيرة محمد وأصحابه الابرار الاطهار. أفتظن أن أصحاب محمد كأصحاب نابليون وكجنودكم في الوقت الحاضر كلما انتصروا فزعوا الى اللهو والفواحش كالدواب؟ ان أصحاب محمد كانوا يحيون لياليهم في معسكرهم بالصلاة وتلاوة القرآن اقتداء بنبيهم، إقرأ يا كراهام في سورة السجدة من القرآن (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) ثم اقرأ في سورة الفتح (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) ثم اقرأ في سورة الذاريات (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالاسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وكذلك كان هدي نبيهم وإمامهم كما وصفه الشاعر بقوله

وفينا رسول الله يتلو كتابه	اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه	اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

(يتبع)

تقريظ المطبوعات (تأخر عدة أشهر)

كتاب المحلى للامام أبي محمد علي ابن حزم

من حسنات المطابع في هذا العصر أن يسرت لكل مشتغل بفقه الحديث أن يقتني كتاب المحلى مطبوعا أحسن طبع على أجود ورق في أحد عشر جزءا، بعد أن كان من كنوز أغنى الخزائن ، وأندر الذخائر ، وحسبك من فضله ونفعه شهادة سلطان العلماء الامام عز الدين بن عبد السلام انه هو والمغني لابن قدامة أحسن ما كتب المسلمون في الفقه ، فهي تغني عن وصفه و بيان امامة مؤلفه وفضله، وثمن النسخة منه ١٥٠ قرش وهو يطلب من طابعه الاستاذ الشيخ محمد منير الدمشقي ومن مكتبة المنار

﴿ كتاب الفتح الرباني – لترتيب مسند الامام أحمد الشيباني ﴾

(وكتاب بلوغ الاماني ، من أسرار الفتح الرباني)

الامام أحمد رحمه الله تعالى إمام أئمة السنة حفظا ورواية ودراية وفقها ، وجرحا وتعديلا، ومسنده أوسع الأصول في الحديث وأعمها فائدة ، والمسانيد موضوعة لحفاظ الحديث يشق على غيرهم الاستفادة منها ، فان كان تلاميذه منهم لم يحتاجوا الى ترتيب أحاديثه على أبواب كتب السنن كما فعل الحافظ أبو داود السجستاني من اعلامهم، فالفقهاء من أتباعه كانوا أحوج الناس الى ذلك، ونحن لا ندري هل وجد فيهم من قام بهذه الخدمة أم لا ، وانما ندري انه ليس في الايدي شيء من ذلك، وكأن الله تعالى ادخرها لاحد إخواننا أصدقاء المنار وهو الاستاذ الفاضل خادم السنة السنية الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، ولعمري انه لقد قاسى من العناء في هذا الترتيب مالم يكن يظن ان أحدا يطيقه في هذا العصر ، وسلك فيه سبيلا لم يسبق إلى مثله : جعل الكتاب كله اثني عشر جزءا، وكل جزء منه أربعين ملزمة (كراسة) من ملازم الطبع بالقطع الكامل. وعد أحاديث كل كتاب بالارقام واقتصر في السند على اسم الصحابي وطبعها بحرف كبير مضبوط بالشكل الكامل فهذا كتاب الفتح الرباني، وأما كتاب بلوغ الاماني فهو شرح وجيز له في أدنى الصفحات بحرف أصغر من حرف المتن. يبدأ فيه بذكر السند فتفسير غريب الحديث فالضروري من معناه فتخريجه، فنحث المهتدين بالسنة على المبادرة إلى اقتنائه

﴿ سبب تأخر هذا الجزء من المنار وسيكون ما بعده أكبر وأحسن ﴾

أخرنا هذا الجزء وهو الأول من هذا العام انتظارا لاجوبة المشتركين الذين خيرناهم في الجزء الماضي بين أكرم الخصال وأشرف الخلال، ولم أرض لأحد منهم إلا ما يرضاه الله عز وجل للذين اورثهم الكتاب من عباده المصطفين لدينه (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ويؤسفنا أن كثيراً منهم رضى لنفسه ما لا يرضاه الله لأحد من أهل دينه ووارثي كتابه حتى ادنى الطبقات وهم الظالمون لأنفسهم، رضوا بأن يأكلوا حقه بالباطل سحتاواختاروه على أكله حلالا عن سماح ورضى ، وعفو عما مضى، كما علم كل من قرأ الجزء الماضي، ومنهم من وفى واعتذر فقبلنا عذره، ومنهم من وعد وطلب النظرة الى الميسرة فانظرناه ، ومنهم من طلب العفو والسماح فسامحناه ، ولكن أكثر مشتركى هذا القطر لما يردوا لنا جواباً فهؤلاء لا نرسل اليهم هذا الجزء، وان جاز ان يكون بعضهم لم يقرأ خطاب التخيير بعد ، وأما أهل الاقطار البعيدة ولا سيما جزائر الهند الشرقية فموعد رجع الخطاب منهم قد صار قريباً.

وعدت بتجديد حياة المنار صورة ومعنى، فاما الورق فكما يرى القراء جودة وحسنا ، وأما الحروف فلما يتم كل ما أوصينا عليه منها ، واما الصحائف فقد زدنا فى هذا الجزء كراسة ونرجو ان نزيد فيما بعده أيضاً حتى يعود مجلده كما كان اذ كانت سنته اثنى عشر شهرا او اكثر إن وفى لنا المشتركون في تجديد النظام، وصاروا يؤدون قيمة الاشتراك فى اوائل العام، ونفتح لهم فيه الابواب الادبية والعلمية التي عزمنا عليها

ونحمدالله ان الذين يعرفون قدر المنار لا يعدلون به غيره من المجلات الدينية التي قلما يجدون فيها شيئا الا منقولا من الكتب المطبوعة الرخيصة يمكن ان يستغنوا به عنها ، وما يجدونه فيه من حقائق التفسير وحل المشكلات بالفتاوى وغيرها لا يجدونه فى غيره البتة ، وانما يجدون شيئا تطمئن به القلوب، وتنشرح له الصدور ، كما تراه في تفسير أمر يعقوب عليه السلام أبناءه بالدخول من أبواب متفرقة، والحاجة التي كانت فى نفس يعقوب فقضاها بهذه الوصية، فاقرأ جميع التفاسير من اقدمها الى احدثها ثم ارجع الى تفسير المنار، وكذلك سائر ما تقدم وما تأخر من هذه السورة وغيرها، . اسأل عقلك واستفت قلبك فى ذلك كله



قال عليه الصلاة والسلام إن للإسلام صُوًى و « مناراً » كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ برج الأسد سنة ١٣١٣ هـ ش ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٥

فتاوى المنار

﴿ سؤالان عن الربا في دار الحرب وعن كون الاسلام دين سياسة أم لا ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في بنجر تقارا (جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ القدير السيد محمد رشيد رضا المحترم — أطال الله عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فان لمناركم الاغر مكانة في قلب كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبما كان للاسلام من مجد لعبت به الاهواء ، لا زال مناركم يرسل أشعته إلى أقصى بلاد الشرق والغرب ، ليستضيء بنوره من أضله الله وأعماه عن الحق

وبعد فأقدم لفضيلتكم سؤالين أيها البحر الزاخر علما مسترحما الجواب عليهما على صفحات مجلتكم الغراء لتعم الفائدة والله ولي التوفيق

(١) إن الربا انتشر في أرض جاوا في هذه الايام انتشاراً لا عهد لنا به حتى إن بعض الاساتذة الذين كانوا في مقدمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمقاومين للربا خرجوا من المدارس وأصبحوا اليوم في مقدمة المرابين . فاذا سألناهم عن الدافع إلى هذا أجابونا بلسان واحد بأن صاحب المنار أفتى بجواز الربا على الافرنج ، وإذا رأينا أحدا يرابي على الوطنيين أجابنا بأن موظفي الحكومة لادينيين ، وأننا في دار حرب . وقد أفتى صاحب المنار بجواز الربا في دار الحرب ، فهل لما أشيع عن مناركم من صحة ؟ إذا قلتم نعم ، فستقفل الحوانيت ويقف دولاب تجارة العرب بجاوا ويتوجهون إلى الربا اعتماداً على فتواكم فما رأي فضيلتكم ؟ نرجو الجواب في أول عدد من مناركم ليحق الحق ويزهق الباطل (إن الباطل كان زهوقا)

(٢) هل الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟

لان في أرض جاوا حزبين كبيرين متشاجرين أحدهما حزب المحمديين والآخر شركة إسلام اندونسيا وهذان الحزبان مع اتفاقهما في المبادىء السلفية لا يزالان مختلفين في هذا الامر

فالمحمديون يقولون بأن الدين الاسلامي ليس دين سياسة ولا يمنعنا عن الاشتراك مع الحكومة والتوظف بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) الى آخر الآية ومدارسهم مرتبطة بوزارة المعارف . أما حزب شركة اسلام فانهم يقولون إن الدين الاسلامي دين سياسة ولا يسمح لنا بالتوظف في دائرة الحكومة والارتباط بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) الى آخر الآية

ويحتجون على حجج المحمديين بأن الله نهانا عن الذين قاتلونا في الدين ، والقتال يكون بالسيف أو بالضغط والارهاق والاضطهاد ومنع نشر الاسلام وفضائله، لهذا أرجو أن تشرحوا لنا الحق في هذا الامر لعل الله يهدي الفريقين والذي مال عن الطريق السوي فيتفق الفريقان على نشر الاسلام ومبادىء السلف الصالح بدلا عن النزاع الذي لا نتيجة من ورائه إلا الاضمحلال

أرجو نشر الجواب في أول عدد من مناركم والسلام عليكم

من تلميذكم المخلص

أبو بكر بن سعيد باسلامة

﴿ جواب المنار ﴾

(١) أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب

إن ماتعنونه من إفتائي بحل أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب ليس كما ذكرتم أونقلتم، وإنما هو جواب عن سؤال ورد على المنار من مدير جريدة الوفاق (بسنغافورة) ونشر في (ج ٨ مجلد ٢٧) الذي صدر في ربيع الآخر سنة

١٣٤٦ » في فتوى بعض العلماء بحل أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها مما كان برضاهم وعقودهم فهو حل لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح »

هذا موضوع الاستفتاء ، والمستفتي فيه منكر له أشد الانكار كما هو مبين بنص كلامه في السؤال إذ جعل هذه الفتوى خطراً على التوحيد ومقتضية لتحليل جميع المحرمات . وقد بينا في جوابه أصل الشريعة في إباحة أموال الحرب باجماع المسلمين وما قيد العلماء به عمومه . ولم يخالفنا أحد في ذلك فراجعوا فتوانا في (ص ٥٧٥ من مجلد المنار ٢٧) فان بقي في أنفسكم شبهة فيه فبينوه لنا . وقد كتبنا في آخره « ان تلك الفتوى لا خطر فيها على التوحيد ولا تقتضي تحريم شيء من المحرمات . ومن لا يطمئن قلبه للعمل بها فلا يعملن بها » اه

وجملة القول إنني ما أفتيت في شيء انفردت به في هذا الموضوع ، وان الذين ذكرتم انهم يستحلون أخذ الربا من المسلمين بدعوى انهم « لادينيين » أي كفار تعطيل وإباحة ، لا يمكنهم أن يدعوا ان صاحب المنار أفتى بتكفيرهم ولا بأخذ الربا منهم ، ولا بجعله حرفة المسلمين ، وانما يتبعون أهواءهم ، على أننا سنصدر ان شاء الله تعالى في هذا العام كتابنا في مباحث الربا والمعاملات المالية المصرية التي نشرناها في مجلدات المنار بعد تلك الفتوى فانتظروا فالمسألة ليست من البداهة بحيث يحررها المرابون والتجار ، وخطر الاستدانة من الافرنج بالربا أضعاف ما تتصورون من عكسه ، بل هو الذي جعل المسلمين افقر الشعوب ،

(٢) الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟

ان قول حزب المحمديين ان الاسلام ليس دين سياسة خطأ ، وان استنباطهم من هذا القول ان الاسلام لا يمنعهم من الاشتراك مع الحكومة في وظائفها وأعمالها غريب فهو مبني على أصل فاسد ، ولو لم يكن الاسلام دين سياسة لكان منعه من الاشتراك مع غير المسلمين في أعمال حكومة غير اسلامية أشد وأقوى

وأما احتجاجهم بآيات سورة الممتحنة (لاينهاكم الله ..) الخ فهو في غير محله فان موضوعها ان الاسلام لا ينهى أهله في داره عن البر والعدل في معاملة

الكفار غير المحاربين لهم في دينهم ووطنهم ، وانما ينهاهم عن تولي المحاربين المنازعين لهم في دينهم ووطنهم ، والمراد بتوليهم مساعدتهم على اعمالهم الحربية وكل ما فيه جعل السلطان والقوة لهم على المسلمين . فاذا كان جعل مدارسهم تابعة لمدارس الحكومة غير الاسلامية يضر الذين يتعلمون فيها بافساد عقائدهم وأخلاقهم ودينهم أو يؤيد سلطانهم عليهم تكون تابعيتها لها مما نهى الله عنه من توليهم سواء سمي الاسلام سياسيا أم لا ، فان الحكم منوط بنص القرآن لا بتسمية الدين سياسيا أو عدمه ، وإذا كان ذلك نافعا للمسلمين يحفظ حقوقهم ويمنع أو يخفف الأذى الذي يقع عليهم فانه لا يكون محرما ، وقد يكون بمقتضى السياسة الاسلامية مستحبا أو واجبا ، فهؤلاء أحوج الى اثبات كون الاسلام دينا سياسيا فيما يعملونه ويطلبونه

وأما قول « حزب شركة اسلام » ان دين الاسلام دين سياسي فهو لا يبيح لهم التوظف في مصالح حكومة بلادهم غير الاسلامية فأصله هو الصحيح ، وما بني عليه من الحكم ففيه نظر ظاهر فان سياسة الملة والامة ليست منصوصة في الكتاب والسنة بعبارات جلية يفهمها كل أحد أو يقدر كل أحد على استنباطها من النص — وإنما أساسها المصلحة العامة وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال ، وأقوم وسائلها التشاور بين أهل الحل والعقد من عقلاء علماء الامة بمصالحها لا علماء الاصطلاحات الفقهية وحدها ، ألم تر كيف كان سياسي الخلفاء الراشدين بل إمام سياسة الاسلام الاعظم عمر بن الخطاب يختار أمراءه من دهاة الاذكياء ، لا من عباد الفقهاء

وأظهر قواعد أئمة الفقه فيها قاعدة الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى المأخوذة من سياسة السنة وسيرة الخلفاء الراشدين وهي ان احكام العبادات تبنى على العمل بظواهر نصوص الكتاب والسنة . واحكام السياسة والمعاملات الدنيوية تبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد دون ظواهر النصوص فان تعارضا يؤول النص لمراعاة المصلحة

وعندنا من تجربات الشعوب الاسلامية في ذلك ما وقع لمسلمي الهند مع الدولة الانكليزية فقد كان المسلمون هم حكام الهند فسلبت هذه الدولة منهم

الحكم بجهلهم، فظنوا ان دينهم يوجب عليهم عداوتها عداوة سلبية بأن يجتنبوا مشاركتها في شيء من اعمال الحكومة الادارية والقضائية وان يجتنبوا تعلم لغتها وعلومها فكانت عاقبة ذلك أن أضاعوا ثروتهم وقوتهم فصاروا أفقر من الوثنيين والبرس (أي الفرس) وأضعف، فهل هذا مقتضى السياسة الاسلامية التي تحفظ بها مصالح الاسلام والمسلمين؟؟ كلا إن المسألة أكبر مما فهمه هؤلاء وأولئك فيجب درسها وتمحيصها على الجامعين بين معرفة نصوص الشرع وحكمه ومعرفة شئون العصر على الاساس الذي وضعناه لهم

﴿ الربا والزكاة والضرائب ودار الحرب ﴾

(س ٥ — ٧) من صاحب الامضاء في بيروت

لصاحب الفضيلة الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة (المنار) المعظم. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد أرجوكم أن تتفضلوا بنشر أسئلتي المحررة ادناه مع الاجابة عليها في (المنار) وتكرموا بقبول خالص الشكر ومزيد الاحترام.

(١) هل يجوز شرعا وضع مال في أحد المصارف الاجنبية واخذ ربا عنه ودفعه (أي الربا) الى الحكومة عن الضرائب المتنوعة التي تفرضها وتجبر الناس على دفعها؟

(٢) هل يجوز دفع الضرائب — كاعشار الزروع وغيرها — الى الحكومة من اموال الزكاة؟

(٣) متى يدعى الاجنبي وامته (امة محاربة) بعرف الشرع؟ وما هي (بلاد الحرب)؟

احد قراء المنار
عزت المرادي

(المنار) هذه المسائل من متممات المسألة الأولى من مسائل استفتاء جاوه الذي قبله، ونجيب عنها بالايجاز

(٥) أخذ الربح من المصارف الاجنبية

ان الربا المحرم قطعاً لا يحل إلا لضرورة يضطر صاحبها اليه اضطراراً كالاضطرار إلى أكل الميتة ولحم الخنزير ، فهل الربح المسئول عنه كله من الربا القطعي ؟ وهل دفع الضرائب الاجبارية من الضرورات الاضطرارية التي تبيحه ؟ المشهور أن الربح الذي تعطيه المصارف لأصحاب الاموال هو حصص من الربح العام الذي تستغله منها . وهو أنواع أقلها ما هو من الربا الذي عرفه الامام أحمد وغيره من أئمة السلف — وقد سئل عن الربا الذي لا شك فيه فقال — هو أنه كان يكون للرجل على الرجل دين مؤجل فاذا جاء الاجل ولم يكن عنده ما يقضي به زاده في المال وزاده صاحب المال في الاجل ، وهذا بعض ربح المصارف المالية وليس منه ما تأخذه ولاما تعطيه لاصحاب سهامها ولا المودعين لاموالهم فيها ، وأما كونه بعض مالها المحرم في الاسلام فمثله كثير من أموال الناس ، والعبرة في مثله بصفة أخذه لا بأصله ولا سيما في هذا العصر الذي قلما يوجد فيه كسب يلتزم فيه الشرع في بلاد الاسلام فما القول في بلاد الافرنج ومستعمراتهم ؟ فمن اعتقد مع هذا كله أنه من الربا المحرم لا يجوز له أخذه لاجل أن يدفعه في الضرائب المحرمة — من باب دفع الفاسد بالفاسد — لأنه ليس ثمت ضرورة تبيح له ذلك . ومن اعتقد أنه غير ربا شرعي قطعي لم يحرم عليه ، فان التحريم هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازما ، واشترط الحنفية وجمهور السلف أن يكون بنص قطعي ، بل قال أبو يوسف انه لا يقال في شيء انه حرام إلا إذا كان بينا في كتاب الله بغير تفسير — ومن كان عنده شبهة فيه دون التحريم كان دفعه في ضرائب الظلم الاجبارية أولى من دفع الاموال التي لا شبهة فيها . وقد بينا حكم الشبهات من قبل في مباحث الربا والمعاملات المالية التي تصدر في كتاب مستقل

(٦) دفع الضرائب من أموال الزكاة

أموال الزكاة المستحقة على صاحبها لا يجوز دفعها إلا للاصناف التي بينها الله تعالى في آيتها المعروفة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ وزكاة الزرع كالاعشار

إذا أخذتها الحكومة تسقط عن صاحب الزرع المستحقة عليه ولكن لا يسقط عنه زكاة النقدين بدفعها الى الحكومة أداء لضرائب الظلم . وفي هذا الباب مشكلات تختلف باختلاف الحكومات إسلامية وغير إسلامية

(٧) الامة المحاربة التي تسمى بلادها دار الحرب

دار الحرب مقابلة لدار الاسلام التي تكون فيها الحكومة الاسلامية التي تقيم أحكام الاسلام، فكل أمة أجنبية لا تعقد حكومتها مع الحكومة الاسلامية معاهدة على السلام والامان وعدم الاعتداء تكون أمة محاربة وتكون دارها دار حرب لان الحرب فيها عرضة للوقوع في كل وقت إذ لا عهد يمنعها ، وللفقهاء تعريف لها لوحظ فيها جريان الاحكام من الجانبين

عقد العلامة ابن مفلح الفقيه الحنبلي فصلا وجيزاً لهذه المسألة في كتابه (الآداب الشرعية) قال فيه ما نصه (ج١ص٢١٣): فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الاسلام ، وإن غلب عليها أحكام الكفار فدار الكفر ولا دار لغيرهما . وقال الشيخ تقي الدين وسئل عن ماردين هل هي دار حرب أو دار إسلام؟ قال هي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار الاسلام التي يجري عليها أحكام الاسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار ، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويعامل الخارج عن شريعة الاسلام بما يستحقه ، والاول هو الذي ذكره القاضي والاصحاب والله أعلم . اه

وقال في كشاف اصطلاحات الفنون «ودار الاسلام عندهم ما يجري فيه حكم إمام المسلمين من البلاد . ودار الحرب عندهم ما يجري فيه أمر رئيس الكفار (كلمة الكفار تشمل في الاصطلاح الشرعي غير المسلمين من كتابيين ووثنيين ومعطلة) من البلاد كما في الكافي ، وفي الزاهدي ان دار الاسلام ما غلب فيه المسلمون وكانوا فيه آمنين ، ودار الحرب ما خافوا فيه من الكافرين . ولا خلاف في أنه يصير دار الحرب دار إسلام بإجراء بعض أحكام الاسلام فيها . وأما صيرورتها دار الحرب — نعوذ بالله — فعنده بشروط (أحدها) إجراء أحكام الكفر اشتهاراً بأن يحكم

الحاكم ولا يرجعون إلى قضاة المسلمين ، ولا يحكم بحكم من أحكام الاسلام - كما يأتي في الحزة - (وثانيها) الاتصال بدار الحرب بحيث لا تكون بينها بلدة من بلاد الاسلام يلحقهم المدد منها (وثالثها) زوال الامان الاول أي لم يبق مسلم ولا ذمي آمنا إلا بأمان الكفار (أي غير المسلمين) ولم يبق الامان الذي كان للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة قبل استيلاء الكفرة . وعندهما لا يشترط إلا الشرط الاول ا ه ويعني بقوله فعنده الامام أبا حنيفة وبقوله وعندها أبا يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله

ولفقهاء المذاهب أقوال أخرى في دار الاسلام ودار الحرب وأحكامهما ، والاصل فيها ان دار الاسلام ما كان أهلها من المسلمين وغيرهم آمنين بسلطان الاسلام وحكمه العدل وجارية فيهم أحكامه، ودار الحرب ما كان امانها واحكامها بسلطان غير المسلمين وغير أحكام الاسلام سواء كانت بينهم حرب أم لا، فيدخل في دار الحرب ما كان حكامها من المعاهدين المسلمين ، ولهذه المسألة فروع مشكلة في هذا فان بعض البلاد التي تسمى حكوماتها إسلامية لا تجري فيها الاحكام الاسلامية من حيث هي إسلامية بل لها تشريع وضعي مخالف للشرع الاسلامي يسمى باسم البلد أو القطر ويسمى رئيس حكومتها شارعا وتنفذ الاحكام باسمه بمعنى أنه هو الشارع والمنفذ لها بسلطانه واسمه ، لا بحكم الله واسمه ، ولانخوض في بسط هذه المسائل

(س٨ — ١٠) من صاحب الامضاء بدمشق « الشام»

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الامر قد أشكل علينا في بعض المسائل ولم نعثر على شيء منها ونريد منكم أن تبينوا أحكامها بالتفصيل التام ولم نر أحداً نعتمد بعد الله تعالى إلا جنابكم وها هي الاسئلة

١ — ما حكم استعمال الذهب في الكتب الاسلامية وغيرها (أي تذهيب الكتاب في الكعب)

٢— ماحكم طبع الكتب الاديان الباطلة وتجليدها

٣— هل يجوز حفر الصليب على النحاس أو على الزنك وطبعها بالذهب على ظهر الكتاب . أفتونا وانشروها في صفحات منار كم الغراء ولكم الاجر والثواب على الله تعالى ودمتم للمسلمين ذخراً

الداعي
محمد منصور نجاتي

(٨) تذهيب جلد الكتب

تزيين الكتب المجلدة بطبع أسمائها وأرقام عددها وغير ذلك من الزينة بالمادة الذهبية المعروفة عند المجلدين مباح لايدخل فيما نهى عنه النبي ﷺ من الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة ولا مما زيد على ذلك خاصا بالذهب كما بيناه من قبل مراراً في باب الفتاوى فلا نعيده

(٩) طبع كتب الاديان الباطلة وتجليد كتبها

نشر الاديان الباطلة والمساعدة عليه إقرار لها ومساعدة على الدعوة اليها أو معرفتها والاطمئنان بها فهو حرام على الاقل في حال إنكارها والبراءة منها، وأما الرضى بها واستحلال نشرها والمساعدة عليه فهو كفر

(١٠) حفر الصليب على النحاس أو الزنك وطبعه

الصليب شعار لدين غير الاسلام فلا ينبغي لمسلم أن يساعد أهله على إظهاره ولا أن يعارضهم فيه في دار الاسلام ولكن أهله قد يتخذونه علامة لبعض مصنوعاتهم وتجاراتهم فلايكون فيه إقرار لشيء من عقائد أهله ولا من عباداتهم ففي هذه الحالة لا يعد من يحفره في المدن لاعلان تجاري مثلا موافقا لشيء من دين أهله ولا جانيا على دينه هو

حفلة الازهر بشيخه الاستاذ الاكبر

(الشيخ محمد مصطفى المراغي)

عزم جماعة من طبقات الامة العالية والوسطى إقامة حفلة تكريم عامة لشيخ الاسلام المراغي ابتهاجا بعودته إلى مشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية بعد فترة خمس سنين كادت تقضي على ما كان فيه من دين قويم وخلق كريم وعلم نافع، وتجعله بيئة دسائس ورياء وفتن وأهواء وخرافات ونزعات مادية ، فكانت كسني يوسف السبع الشداد، وكان هذا العام بعودة المراغي كذلك العام الذي أغاث الله به الناس، ذلك العام كان غوثا من القحط والجدب الذي كاد يقضي على الحياة البدنية ، وجاء هذا العام غوثا من الجهل وفساد الاخلاق الذي كاد يقضي على الحياة الدينية العلمية

وقد سعى الاستاذ لصرف الناس عن إقامة هذه الحفلة ، زهداً منه في هذا الظهور والشهرة ، بيد أن الازهر علماءه وطلابه لم يتسن لاستاذهم ورئيسهم صرفهم عن الانفراد بإقامة حفلة باسمهم خاصة بهم ورياسته عليهم إسلامية من أقوى دعائمها اتباع الاجماع وكانوا على التكريم مجمعين ، والعلم باجماعهم كان نطقياً لا سكوتياً لانهم محصورون ، جمعوا النفقة المقدرة للاحتفال من أنفسهم بنظام اختياري عادل ، واختاروا للاحتفال أفسح مكان في مصر وهو معرض الجمعية الزراعية الذي تعرض فيه نتائج زراعة القطر وصناعاته ، فراعوا النظير بعرض نتائج العقول والفنون فيه ودعوا إلى حضوره ألوفا من رجال الطبقات العليا والوسطى وفي مقدمتهم أمراء البيت المالك والوزراء العاملون والقاعدون وكبار رجال القصر والدواوين ، وممثلوا الدول الاسلامية السياسيين ، ووضعوا من موائد الشاي وما يتبعه عادة من أنواع الحلوى والفطائر يسع المئين أو الالوف : منها ما وضع للمتعارفين من جمع القلة ، ومنها ما وضع للمتجانسين من جمع الكثرة ، ووضع للمحتفل به ولاعضاء لجنة الاحتفال مائدة في صدر المكان مزينة بالرياحين والازهار بجانب منبر الخطابة وبجانبه الآخر موائد الامراء والوزراء ، وأمام موقف الخطابة آلة المذياع الكهربائي (الراديو) ووضع

في جو المكان أصوار أو أبواق متفرقة من مضخمات الصوت لتسمع كل من فيه ما يلقى على المنبر كأنه بجانبه .

وكان وراء هذا المجلس الفسيح الخاص بالمدعوين مجلس آخر للالوف المؤلفة من مجاوري الازهر وهم مع علمائهم أصحاب الدعوة، وقد جلسوا بترتيب ونظام تام كنظام الجيش الالماني

ولما كمل الجمع أقبل الشيخ الاكبر فانتصب القاعدون وقوفا إجلالا له وتكريما، وهتفت جيوش المجاورين دعاء وترحيبا ، ثم أديرت كئوس الشاي على جميع الموائد في وقت واحد ، وتلاها الطواف بأكواب شراب الليمون والبرتقال المثلوج ، بنظام دقيق سريع ، ولما فرغ الجموع مما لذ لهم وطاب أكلا وشربا افتتحت الحفلة بتلاوة أشهر القراء لآيات من الذكر الحكيم ، ثم نهض رئيس لجنة الاحتفال صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان فألقى خطبة الافتتاح ؛ وتلاه الخطباء والشعراء من علماء الازهر ونابغي طلابه ، وكان أولهم أشهر علماء الازهر في الخطابة الارتجالية والكتابة العصرية : صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني ، فبدأ خطبته بما يعهد به من مراعاة مقتضى الحال ، بصوته الجهوري المعتاد ، وما لبث أن هاجته ذكرى ما سامته المشيخة الساقطة من هضم ، وما أرهقته من عسر وظلم ، وما انقلب اليه بانقلابها من عزة وكرامة في وقفته هذه على أعين عظماء الامة ، ومرأى ومسمع من رجال الدولة ، فاذا به وقد غلبه على رأيه ورويته غاشية من مراقبة الله عز وجل شغلته عن المضي في خطبته بمداراة خشوعه ، وكفكفة دموعه ، فمكث هنيهة يستنجد قلبه ، ويستلهم ربه ، فألهمه حسن الخلص بتوجيه التهنئة على هذه النعمة الى الامة لان ظفر الازهر ظفر لها ، وأن يكل أمر تكريم المراغي الى الله الذي رفع ذكره ، وأعلى قدره ، ووضعه في الموضع اللائق به ، ومكنه من الاصلاح الذي خلق له ، وختم الخطبة بالدعاء لجلالة الملك وولي عهده

لا يتسع المنار لما تحيط به الصحف اليومية من وصف هذه الحفلة بالتفصيل ، ونشر ما ألقاه أعلام الازهر فيها من الخطب والقصائد ، وانما الواجب عليه أن يبدأ بنشر خطبة المحتفل به فهي أفصحها لفظا، وأبلغها معنى ، وأصحها بيانا لما ينويه من الاصلاح ، على منهج المصلح الاول الاستاذ الامام قدس الله روحه ، وجعله خير خلف له ، فيما نوه به من رفع ذكره ، وتخليد حمده وشكره :

خطبة الاستاذ الاكبر

في حفلة تكريمه

حضرات السادة الاعزاء :

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم ، وأشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرمهم ، وعاطفة الحب الفياض البادية في قولهم وفعلهم ، في شعرهم ونثرهم ، ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم

ويسهل علي قبول هذه المنن كلها واحتمالها إذا أذنتم لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف ، واعتبارها كلها موجهة إلى الازهر الشريف ، الذي تجلونه جميعا وتعتبرونه بحق شيخ المعاهد الاسلامية في مصر وغيرها من البلاد

وائن دل هذا الاجتماع بالقصد الاول على غرض التكريم فقد دل بالاشارة والتبع على معان أسمى من غرض التكريم

دل على أن الازهر خرج عن عزلته التي طال أمدها ، ونهض يشارك الامة في الحياة العامة وملابساتها ، وعزم على الاتصال بها ليفيد ويستفيد ، وهذه ظاهرة من ظواهر تغيير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن تغيير طرائق التعليم فيه ، وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف ، وطرائق

في التعليم يجب أن نحتذي ونهتدي بها . ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الازهر وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين ، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره على شرط أن نكتم الامر لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة ، والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة ، وتدرس الملل والنحل ، وتقارن الديانات وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية

ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة والحديث حديث الازهر والازهريين ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الازهر العامة ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الاخلاق ، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ ، ذلك هو الاستاذ الامام (محمد عبده) قدس الله روحه وطيب ثراه ، وقد مر على وفاته ثلاثون حولا كاملة ، ومن الوفاء بعد مضي هذه السنين ونحن نتحدث عن الازهر أن نجعل لذكراه المكان الاول في هذا الحفل ، فهو مشرق النور وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التي نلجأ اليها اذا اشتد الظمأ ، والدوحة المباركة التي نأوي الى ظلها اذا قوي لفح الهجير

الازهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التي يدرس فيها الدين الاسلامي الذي أوجد أمماً من العدم ، وخلق تحت لوائه مدنية فاضلة ، وكان لهذا الاثر الضخم في الارض ، فهو يوحي بطبعه الى شيوخه وأبنائه واجبات انسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية، يعدون مقصرين آثمين أمام الله وأمام الناس

اذا هم تهاونوا في أدائها ، وأنهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم ولمعهدهم وأنفسهم الا اذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفة لغته،وفهموا روح الاجتماع ، واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة اليه مما هو متصل بالدين، أصوله وفروعه،وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بآراء العلماء والاستزادة من العلم ، وتمكنهم من نشر الثقافة الاسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية ، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه وإلى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم، ويحتاج إلى العزم والتصميم على طي مراحل السير في هدوء ونظام وجد ، وصدق نية ، وكمال توجه إلى الله ، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله

والمسلمين في الازهر آمال من الحق أن يتنبه أهله لها

أولا — تعليم الامم الاسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الاسلامي وتاريخ الاسلام ورجاله،وقد كثر تطلع هذه الامم إلى الازهر في هذه الايام وزاد قاصدوه منها أفراداً وجماعات، واشتد طلبها لعلماء الازهر يرحلون اليها لاداء أمانة الدين وهي بيانه ونشره

ثانيا — إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية، وهي مجموعة مرتبط بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات ، وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهوداً مضنية ، وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق ، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة ، على ان بعضها متصل بالآخر كما هو الحال في دراسة الازهر،فاذا وفق الله أهل الازهر إلى التعمق في دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة حديثة، ودراسة المعارف المرتبطة بها وأتقنوا طرق العرض الحديثة ـ أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضا صحيحا صادقا بلغة يفهمها أهل العصر الحديث ، وإذ ذاك يكونون أداة اتصال

جيدة بين الحاضر والماضي، ويطلعون العالم على مايبهر الانظار من آثار الاقدمين وأعتقد أن التعليم الازهري على النحو الذي أشرت اليه هو الذي يرجى لتحقيق الامل وأنه مدخر لأبنائه إن شاء الله

ثالثا — عرض الاسلام على الامم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي خال من الحواشي المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل عليه وزيد فيه، ومن الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

رابعا — العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينها، فان الامة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرقة ، ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي إلى الحق في أكثر الاوقات ، وان بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها ، ونشطت أهلها وخلقت فيهم تعصبا يساير التعصب السياسي، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها، وهذه المذاهب فرقت الامة التي وحدها القرآن وجعلتها شيعا في الاصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف مثل مايقال في فروع الفقه الصحيح أن ولد الشافعي غير كفء لبنت الحنفي، ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة ، وعذبات العمائم وطول اللحى حتى ان بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لانشاء مساجد خاصة

من الخير والحق أن نتدارك هذا وأن يعنى العلماء بدراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة دراسة عبرة وتقدير، لما فيهما من هداية ودعوة إلى الوحدة، دراسة من شأنها أن تقوي الرابطة بين العبد وربه ، وتجعل المؤمن رحب الصدر هاشا

باذلا للحق ، مستعداً لقبوله ، عاطفا على اخوانه في الانسانية ، كارها للبغضاء والشحناء بين المسلمين ،

قد أتهم بأني تخيلت فخات ، ولا أبالي بهذه التهمة في سبيل رسم الحدود ، ولفت النظر اليها ، وفضل الله واسع ، وقدرته شاملة ، وما ذلك على الله بعزيز

الآن وقد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين في الأزهر، ترون أيها السادة أن العبء الملقى على عاتق الازهر ليس هين الحمل، فانه في حاجة إلى العون الصادق من كل من يقدر على العون إما بالمال أو العقل، أو بالمعارف والتجارب، وكل شيء يبذل في طريق تحقيق هذه الآمال ، هين اذا أنتجت الجهود بهذه الثمرات الطيبة المباركة

أيها السادة :

أكرر لكم شكري وأبعث من هذا المكان وفي هذا الجمع المبارك تحية الازهر إلى العالم الاسلامي وإلى دور العلم ومعاهده . وأتشرف برفع ولاء الازهر إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر الملك فؤاد الاول وصاحب الفضل العميم في الازهر في العصر الحديث ، أدام الله عزه ومتع جلالته بالصحة التامة والتوفيق الدائم وأقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي العهد المحبوب . والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ خطبة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان ﴾

رئيس لجنة الاحتفال

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أصحاب السمو . . .

حضرات أصحاب الدولة والمعالي . .

حضرات السادة . .

أحييكم أطيب تحية . . وأشكر لكم أصدق الشكر تلبيتكم دعوتنا ، فقد برهنتم بذلك على ما للازهر من المنزلة الرفيعة في نفوسكم ، والمكانة السامية في

قلوبكم ، وضاعفتم معنى التكريم الذي أراده الازهريون لشيخهم من إقامة هذه الحفلة الكبرى . إذ أعلنتم بهذا الاشتراك أن مقام المشيخة الاسلامية الذي يرقاه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي هو هو مقام الرياسة الدينية العظمى ، الذي يحيطه المصريون بمظاهر الاحترام والاجلال ، ويتوجه اليه المسلمون في شؤون دينهم بأسمى الامال ، كما يدل اشتراككم على أن مصر ممثلة في صفوة أولي الرأي من رجالها تعرف ما للاستاذ المراغي من أياد بيضاء على التعليم الديني ، وجهود بارزة في سبيل إصلاح المعاهد الدينية وإعلاء شأنها ، واني باسم الازهر وباسم لجنة الاحتفال التي شرفتني برياستها أرحب بكم وأحيي من قلبي تلك الرابطة الوثيقة التي تربط الازهر بهذا الوطن العزيز وبالعالم الاسلامي أجمع وأحيي هذا الشعور النبيل الذي يتجلى نحو هذا المعهد الديني الاكبر في جميع المناسبات

حضرات السادة :

أنشيء الجامع الازهر من نحو ألف عام وتاريخه في هذا الزمن الطويل يكاد يكون تاريخ الحياة العلمية والدينية والاجتماعية لمصر ولسائر بلاد العالم الاسلامي ، اذ كان هو مصدر العلوم ومقر الدراسات لهذه البلاد جميعها (١) ثم طرأت بعد ذلك طوارىء كان من أثرها هذا التحول في الحياة العامة ، وفي أساليب التعليم واتجاهاته ، وزخر تيار هذه الاتجاهات الجديدة وزاحمت الازهر بما لها من قوة الشيء الجديد ، وكاد الازهر وسط هذا التطور العام ينفصل عن البيئة المصرية وتصبح تعاليمه السمحة مقصورة على رجاله ، وأوشك بفعل الزمن أن يصير وطناً مستقلا في قلب هذا الوطن ، وكادت فائدته تخفى على بعض الناس ، وشعر الازهريون أنفسهم أنهم يبتعدون عن شعب مهمتهم الكبرى إرشاده وهدايته ، وينفصلون عن مجتمع عملهم في الحياة تهذيبه وتثقيفه ، وإذ ذاك لاحت

(١) في هذه الدعوى غلو وشطط وقد أشرنا الى الحق في موضوعه في كتاب «المنار والازهر»

بارقة أمل خلال جهود المصلحين في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ثم جاء عصر جلالة مولانا الملك المعظم فتوجهت عنايته السامية الى اصلاح الازهر والمعاهد الدينية اصلاحا شاملا ، فوضعت له الانظمة واللوائح الحالية ، وقسمت الدراسات العالية فيه الى كليات تقوم كل واحدة منها بنوع من الدراسات الاسلامية والعربية . على نمط جامعي، خشي معه بعض الناس أن يتحول الازهر عن تقاليده ومميزاته الى نظام المدارس المدنية، لكنهم مالبثوا أن شهدوا معجزة الأزهر تبرز أمام العيون واضحة جلية فاذا العلوم والفنون الازهرية التي استقرت في كتبنا القديمة تتحول الى دراسات عصرية منظمة محتفظة بطابع الازهر في دقة البحث. وعمق التحليل واذا أساتذة العلوم المستحدثة في النظام الجديد المنتدبون لذلك من الجامعة المصرية والمدارس العالية يلقون محاضراتهم المختلفة في كلياته بجانب شيوخه . وإذا عقول الطلاب تتسع للجديد الطريف وللقديم المتيد في ثوبه الجديد ، وبهذا أخذ الازهر يسترد زعامته الادبية والعلمية بعد أن نافسته معاهد استمدت حياتها منه

والاستاذ المراغي في تأسيس هذا النظام عظيم الفضل ولجهوده كبير الأثر في تكوينه

أيها السادة :

أترك لحضرات الخطباء والشعراء بعدي تفصيل الكلام على فضل الاستاذ الاكبر وجليل أعماله وأختم كلمتي بالتوجه الي الله تعالى بالحمد والثناء على توفيقه وجميل رعايته، وأضرع اليه جل شأنه أن يهب الاستاذ الاكبر التوفيق في عمله، ويرزقه السداد والحزم في رأيه ليحقق بالازهر وفي لازهر ماينشده العالم الاسلامى من اصلاح بفضل مايسديه جلالة الملك المفدى من رعاية ، ويخص به الأزهر من عطف وعناية

ادام الله جلالة الملك ذخراً للوطن العزيز ممتعاً بالصحة الكاملة وابقاه حاميا للعلم والدين وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب أمير الصعيد آمين

باب الرسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة خطابه في حفلة التكريم

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر

لله أنت فيما ملكت من القلوب ، وما منحت من التوفيق ، وما ألقي اليك من مقاليد الامم الاسلامية وتربية ناشئتهم وكهولهم وشيوخهم ، فالله حسبك ونعم المعين

يعلم فضيلة أستاذنا الاكبر أن قلوبنا بحبه خافقة ، وعيوننا اليه شاخصة ، وأكفنا بالضراعة إلى الله بتأييده منبسطة ، نطلب اليه تعالى دوام توفيقكم ، وإطالة عهدكم ، والبركة في عمركم ، حتى تجددوا للأمة الاسلامية شبابها ، وتعيدوا اليها مجدها ، لكي تتبوأ في مشرق الكرامة مكانها ، وتلقي اليها الدنيا بزمامها فتعيدها سيرتها الاولى ، فقديما أشرق نور الاسلام وارتفع به صوت الداعي ، والامم من ظلمات الجهالة في تداع ، طمست البدع المعالم ، وتنافست الامم في المظالم ، فهامت في أودية الضلال (ومن يضلل الله فما له من هاد)

والآن وقد دار الفلك دورته ، لقد أرسلك الله في الناس داعيا إلى الصراط المستقيم ، هاديا من طغت عليهم أوشاب المدنية الحديثة الى تفهم روح الدين الصحيح تحقيقا لقول الرسول ﷺ ما معناه « إن الله ليبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » وان الامة لتصيخ لأقوالكم وتتهافت على إرشادكم فما من خطة تختطونها ، أو حكمة ترسلونها ، إلا هبطت علينا هبوط الماء على الظمآن ، والأمن والسكينة على الخائف اللهفان

سيدي الاستاذ الاكبر : إن أحب الامور إلى قلوبنا العمل على وحدة الدين

والقضاء على تلك الفروق الخيالية ، والعصبيات المذهبية ، فتلك من وساوس الشيطان للإنسان ، حتى انتهى الأمر بنا إلى ما أشرتم اليه فضيلتكم في خطابكم البليغ في حفلة التكريم «من أن ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ، وما نرى من تعدد صلاة الجماعة في المسجد الواحد ، وما نسمع من الخلاف في التوسل والوسيلة ، وعذبات وطول اللحى ، حتى أن بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لإنشاء مساجد خاصة»

نعم لا يستحيون لانه « لا حياء في الدين » إننا وأيم الله ياسيدي الاستاذ نرى هذا بقلوبنا ونحسه بعيوننا ويحز في نفوسنا ، وما شيء أحب الينا من جمع كلمة المسلمين والقضاء على أسباب التفرقة بينهم ، وليس وراء قوله تعالى مزدجر (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء)

هذا بيت الداء ، وأنتم أخبر بالدواء ، وهاهي (ذي) الامة ألقت اليكم قيادها وهاأنتم (أولاء) وضعتم يدكم المباركة على سكان السفينة لتقودوها إلى شاطئ السلامة إنه لا شيء أغلى وأعز من الدين «دينك دينك إنما هو لحمك ودمك» ألا وان الدين قد ذهب ، ألا وإنه لم يبق منه إلا الصلاة كما أخبر الصادق المصدوق « آخر ما يبقى من دينكم الصلاة فمن ضيعها فقد كفر» ألا واننا قد أضعنا الصلاة ، ومن أداها فقشر ظاهر لا لب فيه ، ألا وإن البدع تفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، هذه البدع عمت المساجد وتخللت الصلاة ، وإني لا إخال فضيلتكم إلا ذاكرين ما حدث من ابن عمر رضي الله عنه ففي المأثور عنه انه كان سائراً بالكوفة فمر على مسجد وسمع المؤذن ينادي بالصلاة فدخل وأخذ يركع تحية المسجد ، فلما فرغ المؤذن من الاذان ورأى بعض الناس خارج المسجد وقف ببابه وقال : حضرت الصلاة يرحمكم الله ، فسلم ابن عمر رضي الله عنه وخف وأخذ حذاءه وانصرف

من المسجد تاركا صلاة الجماعة ، قائلا : والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة . رحم الله ابن عمر ماذا كان يبدي ويعيد لو بعث اليوم ورأى صلاتنا ؟

سيدي الاجل : ليت الامر وقف عند ابتداع البدع في المساجد والصلاة وما يسبقها ويلحقها ولم يمس جوهر الصلاة ، ولم يهدم أركانها هدما ، ويطمس معالمها طمسا : تقصير مخل ، نقر كنقر الغراب ، يسرقون من صلاتهم فهم أسوأ الناس سرقة . هذه منكرات يجب على من رآها أن يزيلها فان لم يستطع فليزل عنها

هذا ما حمل بعض المتمسكين بدينهم على الفرار بصلاتهم إلى مسجد من أرض الله يقيمون فيه الصلاة : الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ ثم قال « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكقوله للرجل الذي صلى بين يديه مرات « ارجع فصل فانك لم تصل » فقال الرجل في الثالثة : والذي بعثك بالحق لا أحسن غيرها فعلمني .. فعلمه فالمسيء صلاته شر من تارك الصلاة ، إذ تارك الصلاة معترف بتقصيره عالم أنه ظالم لنفسه فترجى له التوبة والانابة ويحظى بالمغفرة (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) أما المسيء صلاته والمدخل فيها البدع فانه يعتقد عن جهل انه يتقرب الى الله تعالى بصالح الاعمال وأحبها اليه ، غافلا عن إساءته فيها وضلال سعيه فأنى ترجى توبته من عمل هو في نظره خير الاعمال ؟ فيبقى كذلك حتى يلقى الله تعالى وقد خسر عمله (قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فان لم يشملهم النص فلا يعدوهم الوعيد

ان الصلاة لو أديت على وجهها المشروع كان لها السلطان الاكبر على النفوس ورققتها وهذبتها ووقتها شر الهلع والجزع ، وأعدتها للقيام بجلائل الاعمال والتحلي بجميل الخصال ، والمثابرة في سبيل الحقوق المشروعة على النضال ، وجعلت كل مصل ينصف أخاه من نفسه ، ويعمل لغده ويحاسب نفسه على أمسه : بهذا تقل

الجرائم ويغلق باب السجن ويستريح القاضي ،ويكون الدين بحق مستودع القوة التي ترهب الاشرار وتصد غارة الاشقياء ، وتجعل الناس يحافظون على حقوق بعضهم البعض ، ولا يحتاج الامر الى قانون المراقبين والمشبوهين ، إذ الكل يشعر بمراقبة العلي الكبير ، فيحافظون على أموالهم وأرواحهم وأعراضهم ، وينقرض الفساد ،وتسود الطمأنينة البلاد(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)

والمأمول من فضيلتكم أن تبينوا كتابة وبواسطة الوعاظ والمرشدين: حقيقة الصلاة وما يجب أن تكون عليه الجماعات في المساجد وأئمتها ورؤساؤها وما يجب عليهم من رعايتها وتطهيرها من مفاسد البدع ، ومن الادعية المبتدعة ، واللغو والتشويش على المصلين فيها

انك ياسيدي إن عملت ذلك — وأنت خير من يعمل — قدمت الى الله يوم الدين بخير زاد (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)

فالامر الآن بين يديك ولا سلطان في الدين لأحد عليك ،وما المرء بمستطيع في كل حال أن يقوم بجلائل الاعمال : فأئمة المساجد ورؤساؤها هم رعاتها «وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته» (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

أحمد محمد شهاب

رئيس نقطة ضبط اخنار بوليس المنيا

تفسير المنار

الجزء الثاني عشر

للسيد الامام محمد رشيد رضا رضي الله عنه

يحزنني أن أقرظ هذا الجزء ونحن في مأتم السيد رشيد رضا ، ولا نزال مأخوذين بدهشة الخبر ، وكأننا في حلم مفزع لا أمام حقيقة صادعة ، ولا أمام جرائد تفيض جداولها بالنعي والتأبين ، ولا بين معزين من مختلف الطبقات يذرفون الدمع الهتون، ويتوجعون لمصيبة المسلمين بفقد الراحل الكريم، ويتحدثون عن الفراغ الذي تركه ، وأنهم لا يجدون من يملؤه، فقد كان السيد الامام رحمه الله ملء السمع والبصر ، وكان الحجة الثبت ، والمفزع الذي تطمئن اليه النفوس الشاردة من وساوسها ، وتهدأ به القلوب الواجفة مما يحيك فيها ، فتجد برد اليقين وتشعر ببشاشة الايمان ، يحزنني ان أقدم للامة الاسلامية هذا الجزء من التفسير وأنا في هذه الحالة النفسية التي لم أرها من قبل ، على كثرة النوازل والفواجع ، ولكن كل المصائب تهون وتتضاءل أمام مصيبتنا في الراحل العزيز أحسن الله نزله ، وحشره مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وبعد : فتفسير المنار أشهر من الشمس ، وأبين من فلق الصبح ، يعلن عن نفسه بنفسه ، وقد قرظه العلماء والفضلاء في الشرق والغرب ، وأثنوا عليه بما هو أهله ، واتخذوه مرجعا لهم ، بل استغنوا به عن كل التفاسير التي تقتنى ، وهو الآن عمدة المحققين من علماء الازهر وغيرهم،

ولست الآن بصدد الكلام على مزاياه ومجموعة ما انفرد به عن كل كتب

(التفسير) فذلك له مقام آخر، غير ان الذي أريد أن أعجل للقراء به ونحن في هذه المحنة القاسية أن أذكر لهم بعض ما امتاز به الجزء الثاني عشر، وهو آخر الاجزاء التي أنجز طبعها السيد المبرور أحسن الله جزاءه، ورفع في الجنة درجته فقد امتاز هذا الجزء على صغر حجمه بالنسبة لسوابقه بتحقيقات انفرد بها، كالكلام على حكمة التحدي بالسورة الواحدة وبالعشر، وهنا يفيض السيد إفاضة يتجلى فيها روح الالهام الصحيح، والنظر الصادق، فترى من التحقيقات في الموضوع مالا ترى في كتاب آخر، فاذا أنت انتقلت إلى آية الطوفان (وقيل ياأرض ابلعي ماءك، وياسماء أقلعي، وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) أطلعك على ما في الآية من بلاغة روحية تهتز لها النفس وتلمس بصدق جانب الاعجاز في الآية الكريمة، ويبطل عجبك من تأثير القرآن في نفوس العرب، ذلك التأثير العجيب الذي بدلهم في سرعة لم يعهد لها نظير، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ورفعهم من الحضيض الاوهد إلى الذروة فكانوا مشاعيل الهداية، ومعلمي الامم، وقادة الشعوب بالحق والعدل والعلم، نعم يبطل عجبك فالقوم كانوا مرهفي الحس، سليمي الذوق، وكانت اللغة لغتهم، وهم أعلم بمرامي الكلام ووقعه وتأثيره، فلا عجب أن كانت هذه البلاغة العالية الاخاذة تأخذ بمجامع قلوبهم، وتأطرهم على الايمان أطراً، فاستمع اليه — أثابه الله يقول —

ما أفظع هذا المنظر! ما أشد هوله! ما أعظم روعته! ماء ينهمر من آفاق السماء انهماراً، وأرض تتفجر عيونا خوارة فتفيض مدراراً، ماء ثجاج، يصير بحراً ذا أمواج، خفيت من تحته الارض بجبالها، وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها وكانت عليه هذه السفينة كما كان عرش الله على الماء في بدء التكوين، كأن ملك الله الارضي قد انحصر فيها، فتخيل أنك ناظر اليها كما صورها لك التنزيل، تفكر فيما يئول اليه أمر هذا الخطب الجليل، واستمع لما بينه به الذكر الحكيم، أوجز

عبارة وأبلغها تأثيراً ، جعلت أعظم مافي العالم كأن لم يكن شيئا مذكوراً إلى أن يقول: قرر علماء البلاغة الفنية إن هذه الآية أبلغ آية في الكتاب العزيز أحاطت بالبلاغة من جميع جوانبها وأرجائها اللفظية والمعنوية التي وضعت لفلسفتها الفنون الثلاثة : المعاني والبيان والبديع

وإن مثل هذا التفاضل بين الآيات الذي يقتضيه الحال والمقام لاينافي بلوغ كل آية في موضعها وموضوعها درجة الاعجاز ، ولا يعد من التفاوت المعهود في كلام أشهر البلغاء كأبي تمام والمتنبي وكذا غيرهما من شعراء الجاهلية ومن بعدهم في الدرجات الثلاث العليا والسفلى وما بينهما، فآياته كلها في الدرجة العليا المعجزة للبشر، وإن كان لبعضها مزية على بعض كما تراه في تكرار القصة الواحدة من هذه القصص ، وقد بسطناه في تفسير آية التحدي « بعشر سور مثله مفتريات » من هذه السورة

مثال ذلك ما نراه من بلاغة هذه الآية في باب العبرة المقصودة بالذات من سياق هذه القصص كلها ، وهو فوق ما ذكروه من نكت الفنون فيها، وبيانه أن الله قد أنذر الظالمين وأوعدهم الهلاك في آيات كثيرة - ومنهم مكذبو الرسل عليهم السلام - كلها معجزة في بلاغتها ، ولكنك ترى في هذه الآية من تأثير تقبيح الظلم والوعيد عليه نوعا لاتجده في غيرها، لأن حادثة الطوفان أكبر ما حدث في الارض من مظاهر سخط الله تعالى على الظالمين ، وقد علم من أول القصة أنها عقاب للظالمين بيد أن إعادته في هذه الآية عقب تصوير حادثة الطوفان بارزة في أشد مظاهر هولها ، وإشعار القلوب عظمة الجبار العزيز الحكيم في الفصل فيها بما تتلاقى فيه نهايتها ببدايتها والتعبير عن هذه النهاية بالدعاء على الظالمين بالبعد والطرد الذي يحتمل عدة معان مذمومة شرها الطرد من رحمة الله تعالى يمثل لك هؤلاء الظالمين من قوم نوح بصورة تمثال من الخزي واللعن والرجس لانرى مثله في أمثالهم من أقوام الانبياء على ما تراه في التعبير عنها بالعبارات الرائعة في البلاغة

بهذه الأساليب ، وإحداثها الرعب في القلوب الخ ثم عقد فصلا بل فصولا في نهاية القصة كان أحدها للكلام على ما في الآية من بلاغة اصطلاحية ، وإن من يقرأ العبارتين يتجلى له الفرق بين البلاغتين ، هنا يشعر بأسلوب يهز أريحيته ، ويملك عليه وجدانه ، ويأخذ النفس من أقطارها ، وهنالك تشغله العبارة والاصطلاحات الفنية عن المقصود من الآية وهو التأثير والعبرة ، وبهذا تعرف مبلغ أثر القرآن في نفوس العرب

وعلى الجملة لقد كتب السيد عدة كراسات في قصة نوح تصلح أن تكون رسالة وحدها ، ولا سيما الفصل الذي عقده لبيان غضب الله على عباده وعقابهم ببعض ظلمهم وفسوقهم في الدنيا دع ما ختم به سورة هود من عقد خلاصة وافية لها ، وهي سنة انفرد بها المرحوم السيد وحده دون باقي المفسرين ، فقد جرت عادته أن يعقد خلاصة لكل سورة يبين فيها مجمل ما اشتملت عليه من الاحكام والحكم والسنن الالهية في الافراد والامم بأسلوب لا يتيسر لغيره

ومن مزايا هذا التفسير تحقيق الحق في مسألة الهم من سورة يوسف في قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) وهنا ترى في كتب التفسير خلطا وخبطا وحشوا من الاسرائيليات تنافي الذوق والعقل والشرع والامانة وترى السيد يجرد قلمه لدحض كل هذه الاقوال ، ويبين الحق فيها بيانا شافيا تطمئن إليه النفس كما جلى القصة للناس جلاء ظهرت فيه وجوه العبرة منها ونقاها من كل مادسته الاسرائيليات فيها ولذلك اقترح عليه الكثيرون من الافاضل طبع سورة يوسف على حدة وقد فعل — رحمه الله — وسيراها الناس قريبا إن شاء الله ، ولولا خوف الاطالة لنقلت إلى القراء نموذجا من تحقيقاته في سورة يوسف ليروا كيف يدرك المتأخر مالا يدرك المتقدم ، ولا سيما في كتاب الله الذي لا يتناهى إعجازه ، رحم الله السيد وأحسن عزاء الامة العربية والعالم الاسلامي فيه

عبد السميع البطل

نعي فقيد الاسلام والمسلمين

السيد الامام محمد رشيد رضا منشىء المنار رضي الله عنه

ننعى إلى الاسلام والمسلمين ، إمام أئمة المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين غير منازع ، وأحذق الأئمة المحققين السابقين منهم واللاحقين غير مدافع ، زعيم أهل السنة العاملين العاملين ، وأنفذهم بصيرة ، وأرسخهم عقيدة ، وألد خصوم البدعة وأبطشهم بها يداً وأثبتهم على قتالها قدما ، علم الهداية الخفاق ، وصوتها الرنان في الآفاق ، المتفاني في تحرير الشعوب الاسلامية لا من البدع والخرافات والاوهام والضلالات حسب ، بل منها ومن أغلال الاستعباد وقيود الاستبداد ، وأخلص المخلصين للاسلام والمسلمين ، وعمدة الداعين إلى هدي الرسول الامين محمد ﷺ السيد الامام محمد رشيد رضا رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة النعيم مستقره ومثواه آمين

اختاره الحي الباقي لجواره حوالي منتصف الساعة الثانية من مساء الخميس الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ ه الموافق الثاني والعشرين من أغسطس سنة ١٩٣٥ ونعاه من عرف وفاته من أهله وأصدقائه إلى من لم يعرفها منهم في القاهرة والاقاليم المصرية والاقطار الاخرى ونعوه إلى الصحف ونعاه محط الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة في منتصف الساعة الثامنة مساء إلى من يبلغه صوته من سكان المعمور، وصدرت الصحف هنا وهناك ناعية باكية مؤبنة مؤرخة، وارتجت أنحاء القاهرة بهذا النعي وأقضت المضاجع فيها وانساب المعزون إلى دار المنار عدد ١٤ بشارع الانشا جنوبي وزارة المعارف مساء الخميس يوم الوفاة وصبيحة الجمعة التالية له حتى غصت بهم ساحة الدار والطريق الفسيحة أمامها .

وفي تمام الساعة العاشرة حمل النعش أبناء الفقيد في الهداية والعلم وساروا به وخلفه المشيعون وفيهم أقطاب العلم والادب في البلاد حتى مسجد السيدة الشامية بشارع نوبار حيث صلى عليه المصلون جما غفيرا ثم حمل على سيارة واستقلت جمهرة من المشيعين سيارات إلى مدفن أستاذه الامام الشيخ محمد عبده في مقابر المجاورين حيث دفن بجواره ، وأبنه على قبره ثلاثة من الحاضرين وهم آخرون بالتأبين ولكن رؤي أن الزمان والمكان لا يتسعان له فطلب الكف عنه إلى وقت آخر ، واستمر الناس يفدون على داره أياما للتعزية . وقد روعي في كل مراحل هـذا الخطب العظيم من ساعة الوفاة إلى نهاية التعزية السنة الشريفة النبوية ، وقد نعى الفقيد بعض الاقطار الاسلامية على المآذن وصلى عليه كثير منها صلاة الغائب ولا سيما في المساجد الثلاثة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس

ولد السيد الامام رضي الله عنه في جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ الموافق أكتوبر سنة ١٨٦٥ م في قرية تسمى القلمون على شاطىء البحر الابيض المتوسط من جبل لبنان تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال حين كان جميع أهل هذه القرية من السادة الاشراف المتواتري النسب وقد اشتهروا إلى شرف النسب بشرف الحسب وحسن السيرة ويمتاز بيته الكريم فيهم بأنه بيت علم وارشاد وتقى ورياسة ، وبأنه معقد رجاء ذوي الحاجات ، ومحط رحال العلماء والادباء والحكام والعظماء ، ولذلك نشأ السيد الامام رضي الله عنه عالي النفس ، كبير الهمة ، محبا للعلم والتقوى والصلاح ، ضاربا في هذا وذاك بسهام صائبات

تعلم في كتاب القرية قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب الاربع ثم أدخل المدرسة الرشيدية بمدينتهم طرابلس الشام وكان التدريس فيها باللغة التركية فأقام فيها سنة ثم انصرف عنها ودخل المدرسة الوطنية الاسلامية التي كان

يديرها أحد الساعين لتأسيسها أستاذه العلامة الشيخ حسين الجسر الازهري رحمه الله ، ولما لم تقبل الحكومة العثمانية أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ألغيت وتفرق طلابها ، فذهب بعضهم إلى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم لطلب العلم في المدارس الدينية في طرابلس والفقيد منهم ، فجد في طلب العلوم الدينية والعربية والعقلية ووضع وتلقى على أقطابها وهم مشايخه حسين الجسر ومحمود نشابه وعبدالغني الرافعي هناك ، ولازم أستاذه الشيخ حسين الجسر دهراً طويلا حتى أتم دراسته وبرع في العلم والشعر والكتابة وكان في إبان طلبه العلم منصرفا إلى عبادة ربه داعياً إلى الاصلاح حتى علا في بلاده ذكره وضاقت به حريتها المخنوقة وميدان العلم والاصلاح فيها ، فهم بالاتصال بالسيد جمال الدين الافغاني حكيم الشرق الاول ولم يوفق فقدم مصر وفي اليوم التالي لقدومه اتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حكيم الشرق الثاني وبقي ملازما له يأخذ عنه ما كان عنده وعند أستاذه من العلم والحكمة ووجوه الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وأصدر أول عدد من مجلة المنار في العشر الاخير من شوال سنة ١٣١٥ هـ — مارس سنة ١٨٩٧ م وأخذ ينشر فيه ماعنده وعند أستاذيه من علم وحكمة وهدى وإصلاح وبشد بذلك وبالكتابة في الصحف اليومية أزر أستاذه الامام في دعوته حتى اختاره الله لجواره وبقي هو وحده في الميدان بعد ذلك دهراً طويلا وفيًا لأستاذه ولدعوته حتى اختاره الله هو الآخر لجواره رضي الله عنهم وأرضاهم بعد أن أصدر من مجلدات المنار أربعاً وثلاثين مجلدة وجزءاً من الخامسة والثلاثين وعدة كتب من إنشائه وعدة كتب من إنشاء غيره من المصلحين

توفي السيد الامام أسبغ الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان عن نحو اثنتين وسبعين سنة هجرية أو نحو سبعين سنة ميلادية قضاها إلا قليلا منها وهي

سنوات الطفولة في دراسة العلم ونشره بالكلام وبالكتابة لاسيما العلم بالكتاب والسنة وهدايتهما وأحكامهما وأسرارهما وفي رياضة النفس على العمل بهما وعلى التحلي بالخلق الكريم الذي كان عليه جده الأعظم محمد رسول الله ﷺ وفي الدعوة إلى سبيل الله وإلى الاصلاح وفي محاربة أعداء الدين ورد الشبهات عنه حتى بلغ في كل هؤلاء الذروة والغارب وأصبح منقطع النظير لا يشق له في ميدان من ميادينها غبار ولا يدرك له فيها شأو

وإن أعجب لشيء فعجبي العظيم لآماله الكبار في إعزاز الاسلام والمسلمين التي لم يخمد لها لهب ولم يهمد لها جمر والتي شغلته المعركة وأنهكت قواه وأقامت العالم الاسلامي وأقعدته

وكان أكبر همه رضي الله عنه مصروفا إلى رد المسلمين إلى أصل دينهم وهو الكتاب والسنة وإلى تحريرهم من رق البدع والخرافات وحمايتهم من عقارب الفتن والشبهات وسل من أجل ذلك حساميه لسانه وقلمه وكلاهما أحد من الآخر وما زال يرمي البدع والخرافات والمشكلات والشبهات حتى أصاب منها الكلى والمفاصل وكاد يجهز عليها لانحراف المسلمين بها عن الدين ولأن هذا الانحراف أصل بلائهم وذلتهم واستعبادهم . وما كان رضي الله عنه يقنع بهذا — وفي هذا وحده الكفاية — بل كان يسعى ويجاهد ويشارك في تحرير الشعوب الاسلامية من الاستبداد قولا وكتابة وعملا

ومن أجل هذا وذاك هجر وطنه الشام إلى مصر وسافر إلى الاقطار الاسلامية الشاسعة الهند والعراق وتركية أوروبا وبلاد العرب بل وإلى أوروبا نفسها لدعوة علماء الاسلام وملوكه وأمرائه وزعمائه لما يعتقد أنه الحق ولمشاركته من كان على شاكلته منهم في السعي والجهاد لاحياء الاسلام والمسلمين

ومن أجل هذا وذاك كان رضي الله عنه مغتبطا كل الاغتباط بالمملكة

العربية السعودية لانها متوجهة حكومة وشعبا للعمل بالكتاب والسنة في الشؤون الدينية والدنيوية معاً منصرفة كل الانصراف عن المنكرات والبدع والخرافات وهو ما يريد أن يوجه العالم الاسلامي كله إليه ويصرفه عنه ولأنها تقيم الدليل الحسي العملي في هذا العصر المادي الطاغي على امكان حياة الامم حكومات وشعوبا بالكتاب والسنة حياة منزلية اجتماعية سياسية سعيدة وبذلك يثبت مايدعو اليه من أن القرآن الكريم وما يوافق روحه من السنة الصحيحة أصل لسعادة البشر في الدنيا كما أنه أصل لسعادتهم في الآخرة ، وكان لا يدخر جهدا ولا وقتا في تأييد هذه المملكة السعودية السعيدة ومحاربة خصومها بلسانه وقلمه وبمساعيه الحميدة

ومن أجل هذا وذاك كان يحب آل سعود أعزهم الله وأيدهم بروح من عنده حبا جما ويقصد للفرص التي يتمكن فيها من الاتصال بهم والافضاء اليهم بكل ما عنده من وجوه الاصلاح كل مرصد ويفترصها ولا يدع واحدة منها تفوته

ومن أجل هذا وذاك كان حريصاً كل الحرص على أن يحتفي بتكريم سمو الامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية حين مروره بالديار المصرية عائدا من أوروبا إلى وطنه العزيز ويقضي معه أكثر أوقاته ويختلي به ليفضي إليه بما يجيش في صدره من وجوه الاصلاح

وكان الفقيد تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته مصابا في آخر أيام حياته بعلة تعرف في الطب الحديث « بضغط الدم » وكان يعلم علم اليقين أن خير وقاية تتقى بها أخطار هذه العلة اجتناب الاعمال العقلية والجسدية وكان مهدداً بنكسها به وقد جاءه نذيرها وكشر له عن نابه وألقى عليه إنذاراً مفزعا وهو نوبة قاسية من نوباتها وحذره الطبيب شرها

وأشهد أني سألته في الاسابيع الاخيرة من حياته غير مرة عن صحته

سؤال محب مشفق يعرف هو مقاصده وأنه لا يخشى شيئا خشية فقده فكنت أفهم منه أنه يجد في جسمه كله فتوراً وضعفا وكان ذلك يقع من نفسي أسوأ وقع

وما كان يخفى على السيد الامام رضي الله عنه وهو حكيم من أرجح الحكماء عقلا وأبعدهم نظراً أنه يستهدف بالمتاعب العقلية والجسدية للخطر الاكبر وهو الموت الفجائي المنقض لمضاجع الاحياء ، ولكن إيمانه الصادق الراسخ بالله سبحانه وتعالى — وما أصدق إيمانه وأرسخه — القائل وقوله الحق (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وتعطشه الشديد الدائم إلى بذر بذور الاصلاح وتعهدها دائما بمدارسة أهل الاصلاح وولوعه الشديد بتأييد آل سعود كل هذا دفعه إلى بذل جهوده العقلية والجسدية بسخاء في الحفاوة بالامير سعود وفي مدارسته إياه شؤون الاصلاح حين مروره بالديار المصرية عائداً إلى وطنه العزيز ، ولم يستطع سمو الامير أعزه الله وأيد ملك والده بنصره المبين ولا بعض من معه أن يحملوا السيد الامام رضي الله عنه على القصد في الجهود التي بذلها على النحو الآتي :

استقبل سمو الامير على رصيف الميناء في الاسكندرية في منتصف الساعة الخامسة من مساء الاثنين الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٣٥ ساعة قدومه مصر من أوروبا ثم بات في الاسكندرية ورافق سمو الامير منها إلى بنها يوم الثلاثاء ١٣ منه وحضر فيها الحفلة التي أقامها لسمو الامير الكاتب البليغ والخطيب المصقع الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ثم عاد إلى القاهرة واستقبله في محطها في أواخر الساعة الحادية عشرة من مساء الاثنين التاسع عشر من أغسطس وكان المحط ساعتئذ غاصا بالمستقبلين حتى لم يبق فيه موضع لقدم وانغمس السيد الامام في هذه الجموع المحتشدة مكرها وقد قال من رآه إنه تعب كثيراً وما كادت عين سمو الامير حفظه الله تقع عليه حتى أخذه من يده وسار به ولكن

الزحام غالبهما على أمرها وحال بينهما وفي هذا ما لا يخفى من التعب والضرر اللذين تعرض لهما السيد الامام رحمه الله

وفي يوم الثلاثاء العشرين من أغسطس أخذ سمو الامير يستقبل المهنئين فسارع السيد الامام إلى تهنئته وتغدى معه ثم حضر الحفلة التي أقامها حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا لسمو الامير ودعا فيها سموه لزيارة دار المنار فتفضل باجابته الدعوة وزارها يوم الاربعاء ٢١ منه ، وكان السيد حريصا الحرص كله على أن يخلو بسمو الامير ساعة يفضي اليه فيها بأشياء في نفسه من شؤون الاصلاح فلم تتيسر له هذه الخلوة في دار المنار فاتفق هو وسموه فيها على أن تكون هذه الخلوة في « الذهبية » التي يقيم فيها سمو الامير في فجر يوم الخميس ٢٢ منه وهو يوم سفر الامير وعلى أن يرسل اليه سيارة تقله من دار المنار إلى الذهبية وكان الفجر يومئذ على الساعة الرابعة صباحا إلا دقيقتين ، فجاءته السيارة رحمه الله قبيل الفجر وهو يتنفل ثم استقلها إلى الذهبية وكان فيها مع سمو الامير الدكتور فؤاد سلطان عضو مجلس الادارة المنتدب ببنك مصر والسيد محمد الغنيمي التفتازاني شيخ السادة الخلوتية التفتازانية ثم حضر بعده الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ، فاختلى فيها السيد بالامير ساعة أفضى إليه فيها بما أراد وحينئذ استراح فؤاده وطابت نفسه وقرت عينه ولكنه أبى أن يقتصر في الحفاوة بالامير على هذا القدر المضني لأمثاله وهو في مثل حاله ولم ينم ... تلك ليلة الخميس وعزم أن يودع سمو الامير في السويس ولم يقبل رجاءه ولا رجاء بعض من معه في إعفائه من هذا العناء وذهب إلى السويس في سيارة مع الذاهبين وما أشق السفر بالسيارات ، فأقل ما فيه من مشقة أن يبقى الراكب في السيارة قاعداً في وضع واحد لا يمكنه تغييره طول الطريق وما أطوله ، ووقف على الرصيف يودع سمو الامير حيث أقلعت السفينة التي تقله وعاد أدراجه بالسيارة

إلى القاهرة من غير أن يلوي على شيء في السويس وذلك لأعمال بدار المنار لابد من انجازها

وبينما هو عائد يجتاز طريق السويس إلى القاهرة بالسيارة مع رفيقيه وهما ابراهيم أدهم بك زوج حماة سمو الامير فيصل بن جلالة الملك عبد العزيز سعود وهو تركي لا يحسن العربية وزكي أفندي محمد ثنيان شقيق حرم سمو الامير وهو شاب يافع وهو منصرف إلى تلاوة القرآن الكريم في المصحف كعادته في أواخر أيام حياته كلما خلا من عمل أو كلام نافع، إذ شعر وهو في السيارة بدوار فاستوقفها ونزل منها وقاء ثم ركبها وسارت الهوينى واستأذن زميليه أن يضطجع واضطجع وظنه رفيقاه نائما فتركاه وقبيل أن يدركوا مصر الجديدة أرادا تنبيهه فاذا به جثة هامدة، فسارعا به إلى مركز الاسعاف بمصر الجديدة وهناك ثبت أنه رضي الله عنه قضي نحبه، فأحضر إلى داره وكان من أمر النعي والتشييع والدفن والتأبين والتعزية ما بيناه في صدر هذا المقال

***

وبعد فهل مات السيد الامام محمد رشيد رضا صاحب المنار حقا ؟ نعم مات إذ فارق روحه الطاهر جسده الشريف فأودع القبر هذا الجسد العزيز أما الروح فبقي معنا وسيبقى ما بقيت هذه الدنيا إن شاء الله تعالى ، بقي روحه الطاهر متلألئا باسما في أكثر من أربعين مجلدة من مجلدات المنار وغيره من مؤلفاته وفيما اختاره وقام على طبعه وتصحيحه بنفسه من مؤلفات غيره الاحياء منهم والاموات وفي اخوانه وأبنائه الذين اقتبسوا من علمه واهتدوا بهديه وفي سيرته التي سج فيها على منوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنه وعنهم أجمعين

***

فمن مجموع هذه الثروة التي تركها يمكن إن شاء الله تعالى أن يبقى المنار حياً بمثال السيد الامام رضي الله عنه ولو بعض التحقيق والمنار ولو بصيصاً من النور الذي بعثه السيد رحمه الله إلى مشارق الارض ومغاربها ويستمد حياته ومادته من هذا المجموع ، والنية معقودة إن شاء الله على اصداره واستمراره

***

هذا ما وسعه المقام الآن من أمر السيد الامام رضي الله عنه وإن لهذا اليوم ما بعده وإن لنا لعوداً على بدء ، أحسن الله عزاء آل رضا وعزاء اخوانه وأبنائه وعزاء الاسلام والعائلة الاسلامية فيه وأغدق عليه ما هو إن شاء الله تعالى أهل له من سحائب رحمته ورضوانه وجعله (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

عبد الله أمين

« المحرر » كتب حضرة العالم الاديب الكبير كاتبه هذه من أكثر من ستة أشهر للنشر في المنار ، وها قد صدق فأله الحسن وتصدر المنار بعد استيفاء المعاملات الرسمية لاصداره ، والله نسأل أن يوفقنا للاستمرار في خدمة فقيدنا وفقيد الاسلام والمسلمين

كلمة الاستاذ علوبة باشا

وزير المعارف

في مهرجان الاصلاح الاجتماعي

أقامت « رابطة الاصلاح الاجتماعي » مساء يوم الجمعة ٨ ذي القعدة مهرجانها في دار جمعية الشبان المسلمين برئاسة سعادة وزير المعارف الاستاذ محمد علي علوبة باشا ، وبعد تلاوة آيات من القرآن الحكيم تقدم فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز فشكر بالنيابة عن جمعية الشبان المسلمين رابطة الاصلاح الاجتماعي عملها ، وانتهز فرصة وجود سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وزير المعارف فشكر له حرصه على ترقية الشباب لأنهم عماد الاصلاح ، وقال إن أس الاصلاح هو الخلق والدين ، ولا يصلح الشباب إلا بالخلق والدين ، وطلب من الوزير الجليل أن يجعل نظم التعليم مؤسسة على الدين والخلق ، ولا يتم إصلاح إلا إذا تقرر الدين مادة أساسية في جميع مراحل التعليم ، وتمنى للوزارة النهوض على أساس الخلق والدين

فوقف سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وألقى الكلمة التالية :

اخواني : سادتي :

لم أجد فرقا بين اليوم والامس ، ولا أعرف لي وصفا إلا أني محمد علي من قبل ومن بعد ، أضيف إلى اليوم تكليف في عنقي أرجو الله أن يوفقني للنهوض به ، ولقد دلتني التجارب والتاريخ قبل الاسلام وبعده على أنه لم ترق أمة إلا بالدين ، ولا فائدة من وطنية إلا بالدين ولا دين إلا بالوطنية

سادتي : صدق شاعر الجاهلية الحكيم في قصيدته الخالدة إذ يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

ما أصدق هذا القول على الامم والجماعات ، وما أصدقه على الافراد أيضا ، ثم على الافراد .

ولا عجب في ذلك ، فكما أن الامم لا سبيل إلى نجاحها واستقرار أمورها إذا اختلط فيها الحابل بالنابل ، وتوسيت كفاية المستنيرين ، وكرامة الاكرمين ، فكذلك الافراد .

لاسبيل الى اسعادهم اذا سادت فيهم أحط غرائزهم فخذلت أسمى مواهبهم العقل سيد الملكات ، والخلق الفاضل سبيل السعادة ، فهما وحدهما الجديران بأن يسودا ويهيمنا على الانسان كما يجب أن يهيمن أشراف القوم ومفكروهم على عامتهم وسوادهم

ولا سبيل الى استقرار الامور في نصابها إذا اختلط الامر وترك الحبل على الغارب ، واستسلم كل انسان لأهوائه ونزعاته ، وتركها تستبد بخلقه وتطغى على عقله ، فان مآل ذلك الخسران المحقق والبوار الذي لاشك فيه

أيها السادة :

لعلكم تذكرون حكمة الرسول عليه صلوات الله وسلامه حين عاد من غزوة بدر الكبرى فقال لاصحابه قوله المأثورة « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » يعني من جهاد الغزو الى جهاد النفس ومغالبة أهوائها، وكبح جماحها الثائر

وانما أذكركم بهذا لابين لكم الحافز القوي الذي يحفزنا الى تقديم هذا الواجب — واجب الاصلاح وتقويم الاخلاق — على كل واجب آخر

وما ذلك المهرجان الذي أقمناه بالامس في مؤتمر الشباب الاخلاقي لنصرة الخلق الفاضل القويم ، ولا هذا المهرجان الحاشد الذي نقيمه اليوم للاخذ بناصر الاصلاح والمصلحين . الا مثلين من أمثلتنا التي أخذنا بها نفوسنا لنفع أمتنا وتسديد خطواتها في طريق السعادة الحقيقية والخير العميم

أيها السادة :

ان الاصلاح الاجتماعي غايتنا التي طوينا فيها أمانينا ، وعاقدنا عليها كل مانسعى الى تحقيقه في اسعاد الامة وإبلاغها أعلى درجات العزة والرفعة ، وان الدعاية للاخلاق الفاضلة هي أهدى سبيل يصل بنا إلى تلك الغاية المنشودة التي تعلقت بها آمالنا ووقفت عليها جهودنا

على أن الطرق المؤدية إلى ذلك القصد الشريف ، وتلك الغاية الموجودة لتختلف وإن كانت لا تتناقض ، والوسائل التي يتوسل بها المصلحون والدعاة إلى الاخلاق لتتعدد وإن كانت تجتمع آخر الامر وتأتلف تحت راية واحدة . فما أجدر الدعاة إلى الاخلاق والمصلحين أن يجتمعوا في أول الطريق صفاً إلى صف ماداموا يعلمون علم اليقين أنهم متلاقون ومجتمعون آخر الامر في الغاية والهدف

لقد نشطت في هذه الايام جماعات من الشباب الناهض يروجون لأغراض اصلاحية شريفة بوسائل شريفة ، وأخذت تعقد اجتماعاتها في مختلف الاندية ، وتلقي خطبها في شتى المنابر ، وتنشر آراءها على صفحات الصحف ، وقد التفت الجمهور لها ، وأنصت لقولها . فأوشكت هذه الجماعات المتباينة أن تتبوأ مقاعدها اللائقة بشرف أغراضها ، ونبل مقاصدها ، ولقد ظللت أتتبع أخبار تلك الجماعات بعين الرضا ، ممكناً لها في أعماق قلبي أكبر الترحيب ، غير ضان عليها بكل ما أملك من جهد ، رغبة في تشجيعها وتقويتها ، مردداً قول شاعر انكليزي ساغه الاديب كامل كيلاني في شعر عربي :

قطرات المياه منها محيط ... وصغار الحصى تكون أرضا
ودقيقاتنا تؤلف جيلا ... بعد جيل في إثره يتقضى
وقليل الحنان والحب مما ... يجعل الارض جنة الخلد خفضا

ثم جعلت أنعم النظر وأطيل التأمل في هذه الجماعات المتشعبة التي اختلفت أسماؤها وأنصارها ، واتفقت أغراضها ووسائلها ، فوجدت أن لا مندوحة من تضافر هذه القوة المشتتة ، وتجمع تلك الروابط المتعددة لتنضوي جميعها تحت لواء واحد ، فيتكون منها اتحاد قوي يوحد طريقها ويلائم بين خطاها ، ويرسم لها أعلام الطريق وسواه فتمضي على اسم الله راشدة موفقة إلى الخير

ولست أبغي بذلك أن تتفرق هذه الجماعات ثم تندمج في هيئة واحدة باسم واحد ، فان هذا الاندماج يحد من نشاطها الفردي ، ويفتر من عزيمتها ، ولكني أريد أن يكون الاتحاد لها بمثابة الاب أو القائد الاعلى ، وتبقى هي على حالها ، فلكل جماعة نظامها ، ولها استقلالها ونشاطها

وان ذلك ليذكي في هذه الجمعيات روح التقدم والنجاح بفضل ما ينشأ بينها من التنافس والتسابق ، وهما دائما أكبر دواعي النشاط والاقدام، وأقوى مشجع على الاضطلاع بأنبل الفروض، وأعظم الواجبات

ذلك أيها السادة رأيي وتلك هي أمنيتي ، ولست أرى هذا اليوم السعيد الذي تتحقق فيه هذه الامنية ببعيد ، وما ذلك على اخلاص الشباب بعزيز

أيها السادة :

ان جميع الامم التي تقدمت في طريق الحضارة والحرية أشواطا بعيدة لم تصل الى ماوصلت اليه من الرفعة ، ولم تبلغ مابلغته من المجد الا بفضل نجاحها الاجتماعي الذي تأسس على قوى متينة من الاخلاق ، وارموا بأنظاركم نحو أية أمة من كبريات الامم تروا أن التفاضل بينها وبين غيرها في القوة والمنعة يمشي جنبا الى جنب مع التفاضل في الرقي الاجتماعي ، فاذا كانت أمنيتنا أن ننهض بهذه الامة نهوضا حقا فلنا بالامم أسوة حسنة ، وماعلينا الا أن نسعى لاصلاح كياننا الاجتماعي اصلاحا تقر به عين الخلق القويم

أيها السادة : ان وجوه الاصلاح الاجتماعي شتى ، وليس من همي أن أفصل القول فيها تفصيلا بعد أن أجملته فقد قام بذلك حضرات الاماثل الاعلام الذين أخذوا على عاتقهم — متفضلين أن يحاضروكم الليلة في كثير من نواحي الاصلاح الاجتماعي ، وستكون هذه البحوث القيمة مع غيرها محل تمحيص وفحص لتكون نواة للنهضة التي نسعى لتحقيقها ما وسعنا الجهد

وقد عنيت في خطابي هذا أن أوجه أنظاركم الى وجوب تنظيم جمعيات الاصلاح التي نشطت في هذه الايام ووجوب اشتراك كبار القوم في العناية بها وتشجيعها والاخذ بناصرها حتى تؤتي أكلها وترجع على الامة بأبرك الثمرات

ويسرني أن لا أختم كلمي قبل أن أشكر لحضراتكم تفضلكم باجابة دعوتنا لكم لحضور هذا المهرجان وأن أشكر حضرة الشاب النشيط سيد افندي مصطفى سكرتير رابطة الاصلاح الاجتماعي فلقد كان له أكبر الاثر في تهيئة هذا المهرجان والله أسأل أن يهبنا الرشاد في القول والعمل والسلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابد منها

رأيت أنه لابد من إصدار « المنار » ذلك الأثر الخالد الذي دوى صوته أربعين عاما في العالم مجاهداً في نشر الاصلاح ، ومحاربة البدع والخرافات . فتوكلت على الله وطلبت تجديد الرخصة باسم أكبر نجلي الفقيد « السيد محمد شفيع رضا » حرسه الله ، وبما أن سنه وسن المدرسي لايسمحان له بأن يكون رئيسا للتحرير مسئولا تقدمت أنا لهذا

وإني أعاهد الله سبحانه وتعالى أن يبذل ما أستطيع من مالي ووقتي في هذا العمل الجليل ، وأدعو محبي فقيدنا العزيز من اخوانه وتلاميذه ومريديه إلى شد أزري وارشادي ومعاضدتي كل بما يدخل في طاقته والله ولي التوفيق

ويرى القراء أن فقيدنا رضي الله عنه قد كتب أم أبواب هذا العدد : التفسير والفتاوى فهما آخر ما خطه قلمه وسيرون في الاعداد القادمة كثيراً من مذكراته وآثاره

وإني لأشكر سعادة رجل مصر والاسلام محمد طلعت حرب باشا فانه حفظه الله قدم للمجلة مساعدة يشكر عليها

محي الدين رضا

الوهابيون

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[1]

همس في أذني بعض الحجاج المصريين ونحن في الباخرة «كوثر» في العام الماضي أثناء تأديتي فريضة الحج أن الوهابيين يمنعون الناس من الصلاة على النبي وإذا صلى أحدنا عليه أمامهم أنزلوا به عقابا شديداً . فقلت له هذا وهم يود إذاعته بعض رجال السوء من القالين للوهابيين . فقال : بل هو عين الحقيقة وسترى الامر بنفسك

ولما قابلت جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في يوم ١٢ مارس الماضي لأول مرة وكان أحد العلماء يتلو على مسامعه تفسير القرآن فلما انتهى المفسر من التلاوة أخذ جلالته في سرد طائفة من فضائل الدين الاسلامي الحنيف وكان إذا ذكر النبي ﷺ يتبع اسمه بالصلاة عليه ولا يغفل عن الصلاة عليه مرة مطلقا

وقابلت بعد ذلك حضرة العالم النجدي المشهور الشيخ عبد الله بن بليهد فقدم إلي رسالة اسمها «جامع المسالك في أحكام المناسك» وضعها في مناسك الحج توزعها الحكومة مجانا كما توزع رسالة أخرى وضعها الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأشرف الشيخ ابن بليهد على طبعها فتصفحت الرسالة الاولى فلحظت أن الشيخ ابن بليهد يلتزم ذكر الصلاة على النبي ﷺ في كل مرة يرد اسمه فيها فقلت له إن بعضهم يتهم الوهابيين باهمال الصلاة على النبي ﷺ ومع ذلك أراكم التزمتم إيراد الصلاة عليه في كل مرة يرد اسمه الشريف فيها بينما نرى غيركم لا يلتزم ذلك وبعضهم يضع حرف (ص) أو حروف (صلعم) فقال : إن وضع هذه الحروف قبيح والواجب أن يتبع اسم النبي بالصلاة عليه كما التزم ذلك العلماء الموثوق بهم وأورد أسماء طائفة من العلماء

(١) فصل من كتاب «رحلتي إلى الحجاز» بقلم محي الدين رضا وقد أتمت طبعه مطبعة المنار ويطلب من مكتبتها وثمنه خمسة قروش صاغ وعدد صفحاته ١٦٠ بقطع المنار

المتقدمين وما قالوه في هذا الباب مما لا يحضرني الآن لأنني أكتب هذه الكلمة بعد مضي نحو ثلاثة أشهر على المقابلة

ولما قابلت جلالة الملك في قصره بمكة في يوم ١٩ مارس الماضي مع وفد الصحافة وتحدثنا مع جلالته وكنت أطرح الأسئلة عليه . قلت لجلالته : انني ألحظ أنكم تصلون على النبي في كل مرة يرد ذكره فيها ومع ذلك نرى بعضهم يتهم الوهابيين بعدم الصلاة على النبي ، فقال جلالته :

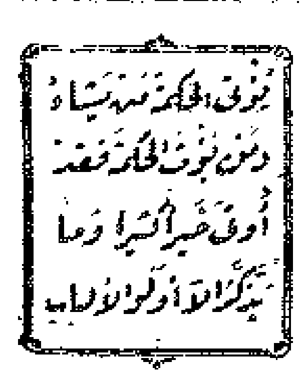
هذا أمر غريب جداً ، كيف لا نصلي عليه ؟ ومن الذي نحبه بعد الله أكثر من نبينا ﷺ ، فوالله إنه أحب الينا من كل شيء ، وإنا نغار عليه وندافع عن دينه كما نغار على حريمنا وأكثر بل اننا نحب خلفاءه الراشدين ، ونحب كل خادم للاسلام ولا سيما الأئمة الاربعة ، ونحن طلاب حق نتبعه أينما وجدناه ونأخذ الصحيح في أي مذهب كان أو على يد أي عالم أتى به لا نفرق بين أحده وما نحن نحب تفسير ابن كثير ونعنى به كثيراً وصاحبه شافعي ، واذا نحن جنحنا الى مذهب الامام أحمد رضي الله عنه فلأنه يعنى بحديث رسول الله ﷺ أكثر من غيره من الأئمة كما هو معلوم . فهل بعد ذلك يقال عنا اننا لا نصلي على النبي ﷺ وهو الذي جاء بالدين الحق الذي ندين الله به ، وتوسع جلالته في ذلك كثيراً وكانت أمارات التأثر بادية على محياه بجلاء تام

وفي المدينة المنورة قابلت حضرة الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم أمير المدينة ولحظت أنه يلتزم الصلاة على النبي أيضا فنوهت باتهام بعضهم للوهابيين بترك الصلاة عليه فانطلق يسفه مزاعم أولئك ويفصل القول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ ، ومما قاله : اننا معشر الوهابيين نعتبر الصلاة والسلام عليه في الصلاة ركنا من أركان الصلاة لا تتم إلا به بينما بعض المذاهب لا يعتبرها ركنا،وهذه حجة دامغة للمزاعم الباطلة

فهذه أقوال ثلاثة من أقطاب الوهابية بل هي أقوال جلالة الملك المعظم محيي المملكة وحامي الجزيرة العربية كلها تقريباً ، وأكبر علماء مملكته ، وحاكم أشرف إمارة من إماراته أجمعت قولا وكتابة على أن مارميت به الوهابية محض افتراء وإفك وبهتان

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٨ محرم سنة ١٣٥٤ هـ   ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

حفلة تأبين فقيد الاسلام

المرحوم السيد محمد رشيد رضا

في يوم الخميس ١٠ محرم سنة ١٣٥٥

قالت جريدة «الجهاد» الغراء في عددها الصادر بتاريخ ١١ المحرم : —

اقيمت بعد ظهر أمس بدار جمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين المرحوم فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر . وحضر الحفلة جمهور غفير من رجال العلم والفضل والادب واعتذر صاحب السمو الامير عمر طوسون لتغيبه وصاحب المعالي وزير المعارف لارتباطه بموعد آخر وصاحب السعادة محافظ العاصمة وغيرهم . وتلقت اللجنة برقيات وخطابات كثيرة من الاقطار العربية

وافتتحت الحفلة بآي الذكر الحكيم ووقف فضيلة الاستاذ الاكبر والقى كلمة الافتتاح وتعاقب بعده الخطباء على الترتيب الآتي :

الاستاذ حبيب جاماتي : حياة السيد محمد رشيد رضا

فضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني : السيد رشيد المفسر (ألقاها فضيلة الشيخ محمود شلتوت)

الاستاذ محمد لطفي جمعه : السيد رشيد رضا واتصاله بالمستشرقين

الاستاذ الحاج محمد الهراوي : قصيدة

فضيلة الشيخ محمد المدني : السيد رشيد رضا والاصلاح الديني

الاستاذ عبد السميع المطاي : السيد رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والارشاد

الدكتور عبد الرحمن شهبندر : الرابطة الشرقية

الاستاذ عبد الله عفيفي : قصيدة

كلمة الاسرة : ألقاها نجل الفقيد

خطبة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب)

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحكمة هي الفقه في القرآن . وروى ابن جرير عن ابن عباس انها معرفة القرآن : ناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه — وهي تفصيل للرواية الاولى عنه . وروي عن مجاهد انها الاصابة في القول والعمل ، وعن غيره انها معرفة ما في القرآن من عجائب وأسرار .

ونحن نضم هذه الروايات بعضها إلى بعض فنقول : ان الحكمة هي الفقه في القرآن ، وذلك لا يكون إلا بمعرفة ناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وحلاله وحرامه ، وما اشتمل عليه من عجائب وأسرار ، وعبر وعظات ، ونظم صالحة للاجتماع ، ومعان سامية للاخلاق ، وهذا محتاج إلى وسائل أولها العقل الراجح والبصيرة النافذة ، ودقة الملاحظة ، وسعة الاطلاع على سنة الرسول صلوات الله عليه ، وأقضية الصحابة رضوان الله عليهم ، وآراء السلف الصالح ، ومذاهب الأئمة ، ومعرفة أحوال المجتمع الانساني ، وأسرار تطوره ، وخصائص البيئات المختلفة ، وروح العصور السابقة ، ونتيجة ذلك كله هي الاصابة في القول والعمل أو خلق يوجه الارادة إلى أعمال الخير طبقاً للعلم الصحيح فيصدر العمل نافعاً موصلا إلى سعادة الدنيا والآخرة

وقد كان فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا محيطا بعلوم القرآن ، وقد

رزقه الله عقلا راجحاً في فهمه ومعرفة أسراره وحكمه ، واسع الاطلاع على السنة وأقضية الصحابة وآراء العلماء ، عارفا بأحوال المجتمع ، والادوار التي مر بها التاريخ الاسلامي . وكان شديد الاحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه ، خبيراً بأحوال المسلمين في الاقطار الاسلامية ، ملما بما في العالم من بحوث جديدة وبما يحدث من المعارك بين العلماء وأهل الاديان . فهو ممن أوتي الحكمة ورزق الخير الكثير

وقد كان — بلا شبهة — أكبر المدافعين عن قواعد الاسلام وأشدهم غيرة عليها ، فني في خدمة دينه وجاهد في الله حق جهاده وأوذي في سبيل مبدئه وصبر وصابر إلى أن توفي رحمة الله عليه

كان خصوم السيد رشيد ثلاث فرق : فريق الملحدين الذين لا يؤمنون بدين . وفريق أهل الكتاب من غير المسلمين . وفريق من المسلمين الذين جمدوا على أقوال العلماء وابتعدوا عن معرفة السنن وعن هدي القرآن ، وقد جاهد هذه الفرق جميعها ، ولقي من الفريق الثالث أشد العنت وأشد المقاومة ، لان بيده سلاحا من أشد الاسلحة خطراً أمام العامة هو سلاح اتهام السيد رشيد بالكفر والزندقة في الاسلام ، والدليل بيد هذا الفريق قائم وهو عدم موافقة السيد رشيد لمن يعتقدهم العامة ويقدسونهم ، وكيف يكون السيد رشيد على الحق مع أن فلانا وفلانا لا يقولون قوله ولا يعملون عمله ؟ وإقناع هؤلاء يحتاج إلى زمن طويل أطول من عمر السيد رشيد، لكن الحق الذي يؤيد السيد رشيداً أقوى من هؤلاء جميعهم

لذلك ظفر السيد رشيد وكثر أنصاره ومريدوه بعد أن كان قليل الانصار قليل المريدين ، ووجد في الاوساط العلمية من اتخذ مبدأه وقفى على طريقه . ووجد في العامة من تفتحت أعينهم للنوره وزالت عن قلوبهم غشاوات الجهل والباطل

ولم يكن للسيد رشيد مبدأ جديد في الاسلام حتى يصح أن يقال ان له مذهبا ينتسب اليه ، بل كان مبدؤه مبدأ جميع علماء السلف التحاكم إلى الله ورسوله عملا بقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) ، وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف أيضا تخير الاحكام المناسبة للزمن والنافعة للامة في مواضع الاجتهاد وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف في كل ما يتعلق بذات الاله سبحانه وصفاته وكلامه

ما يتعلق باليوم الآخر ، فهو رجل سني سلفي يكره التقليد وينادي بالاجتهاد ، ويراه فرضا على نفسه وعلى كل من قدر عليه

من الحق ان نعد السيد رشيدا من المجددين وان نعده من المجاهدين في احياء السنة . ومن الحق ان نعتبر بما كان للسيد رشيد من اناة وصبر في البحث والقراءة والتأليف والفتوى والمناظرة . ومن الحق أن نذكر أن هذه الاعمال الصالحة التي قام بها احتسابا وأداها في سبيل الله

فرحمة الله على السيد رشيد وجزاه الله عن الاسلام احسن ما يجازى به رجل وهب حياته للعلم والدين

تعزية ملك العربية السعودية وولي عهده

الرياض في ٢٥ جمادي الاول سنة ١٣٥٤
حكومة الحجاز :
المنار محمد شفيع رضا — القاهرة

أسأله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاءكم بفقيد الاسلام والمسلمين وان يعوضه عنا بجنانه ورضوانه وان يعوضنا في الله من يقوم مقامه في خدمة هذا الدين والدعوة الى الله .

عبد العزيز

. . .

جده في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٥٤
المنار محمد شفيع رضا — القاهرة

ان مصابنا ومصاب الاسلام بفقد والدكم السيد رشيد عظيم جدا أسأله تعالى ان يتغمده برحمته وان يعوضنا عنه خيرا بفقده .

سعود

قصيدة الاستاذ الهراوي

أي صرح هوى وحصن حصين ... ولواء طوته أيدي المنون

وكتاب في الرشد يهدي إلى الر ... شد وسيف مهند مسنون

مات رب المنار والامر لله ، ... وما مات غير داع أمين

عاش لله مخلصا في جهاد ... نصف قرن مبارك في القرون

ومضى باليراع يدعو إلى الحـ ... ق وبالقلب واللسان المبين

لا يطيق السكون في حرج الدي ... ن ويمضى يريح أهل السكون

لم يدع راحة له أي حين ... وهو في حاجة لها كل حين

طاح بالقلب حين أودي به الجهـ ... د وجهد القبور نار اتون

فقد العلم منه أي كتاب ... فقد الدين فيه أي معين

شعر الناس باحتياج اليه ... بعد أن لم يروا له من قرين

* * *

عز عن صاحب المنار حمى الشـ ... ام وعز الاحساب في «قلمون»

بلدة في ذرى طرابلس قرت ... من طرابلس غرة في الجبين

بلدة انجبت إلى الشرق قوما ... هم نجوم الهدى وأسد العرين

غاب عنها منارها فتوارت ... من جوى الحزن بالسحاب الجون

بعثتني جماعة الفضل في مصـ ... ـر رسول القريض في التأبين

بعثتني لاندب العلم والدين ... وأبكيهم بدمع سخين

بعثتني وساقها حسن ظن ... في ضعيف ينوء تحت الظنون

ولعمري لو لم تكن بعثتني ... لرأتني بالدمع غير ضنين

فلقد كان لي حفيا وكانت ... بيننا عروة الوداد المتين (١)

عقدت بيننا المودة قربى ... زاد توثيقها توالي السنين

(*)

---

(١) كان الفقيد يلقب الناظم بشاعر الشرق والاسلام

شيبتني مواقف الحزن تترى ورثاء الخدين اثر الخدين
ووقوفي على الربوع الخوالي وبكائي المكان بعد المكين
والتياعي على أيامى ثكالى عن حماها يد الكفيل الامين
ويتامى تذوق في العيش بؤساً بعد خفض من الزمان ولين
برح الحزن والجوى بفؤادي قرح الدمع والبكا من جفوني
من مجيري من بعدها ومقيلي من وقوفي بطرف باك حزين

« * »

ياغريب الديار لم تفقد الاهـ ل فما مصر غير أم حنون
جئتها عالما وطالب علم فتلقتك في الحشى والعيون
ياربيب الامام في مجلس العلـ م وفي موطن الهدي واليقين
كنت أوفي بنيه حفظا لذكرا ه وأبقى على الوفاء المصون
لم تفارقه في الحياة وميتا لم تفارقه في الثرى السكون
فسلام عليك حيا وميتا وسلام على الامام الدفين

الحاج محمد الهراوي

خطبة الاستاذ الشيخ على سرور الزنكلونى

أيها السادة:

كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوي ، وشخصية بارزة ، امتد ضوءها الى الأقطار العربية والاقطار الشرقية بل كان لهذا الصوت أثر في بعض الامم التي ليست شرقية ولا اسلامية ، لان الابحاث التي تعرض لها صاحب المنار وان اتصلت بالشرق وبالاسلام اتصالا قويا . فانها متصله بالغرب

ايضاً ، لان عيون الغرب لاتنام عن المسلمين ولاعن الشرقيين

اشتغل صاحب المنار طوال حياته بقضية الاسلام وقضية العرب ، وبما يتصل بالاسلام من امر الخلافة ، وبما يتصل بالعرب من هجمات الاستعمار ، ولم تحرم مصر من زعامة السياسة في ظروفها المختلفة فكان بهذا كله لمصر، وللشرق وللاسلام والمسلمين .

أيها السادة :

ليس في وسعي أن أوفي صاحب المنار حقه في مثل هذا الموقف ، ولكني أردت أن أساهم مع المساهمين ، وفاء لحق الصداقة ، وتقديراً لتلك الشخصية النادرة .

عرفت المغفور له صاحب المنار منذ ابتدأ الاستاذ الامام — رضوان الله عليه — دروسه في الازهر ، ولم يكن صاحب المنار في ذلك العهد يدهشنا بوجوده العلمي ، لان طلاب الشيخ جميعا كانوا يغترفون من بحر واحد ، وأن تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم

ولم يكن لصاحب المنار ميزة في ذلك الوقت سوى انه كان يكتب ماينقيه أستاذنا عنيفا ، وقد كان مثل هذا العمل في نظر الازهريين عملا لا يدل الا أثرا لموهبة خاصة ، ولا لنبوغ ممتاز

تآخينا وتآخي معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة ، وبقدرها ، وكان هذا لايمنع بعضنا من توجيه النفس الى السيد رشيد ، توجيها خاصا كلما ظهر السيد رشيد بموهبة ممتازة ، قد يطول الحديث عنها ، حتى هوجم الاستاذ الامام في آرائه الدينية والاصلاحية ، مهاجمة عنيفة ، من كل القوى التي توفرت لها عوامل الكيد والاستبداد ، واذا بالسيد رشيد يبرز في وجوده القوي لمناصرة الحق ، والوقوف في وجه هذه الجيوش المحتشدة : فاخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمه ولسانه ، وينشر في مجلة المنار آراء استاذه واتجاهاته ، وما كان يتلقاه من دروس شيخه وكان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمال الفهم واستقلال الفكر ، وكذلك كان أمر السيد رشيد في كل ما كان يكتب من مقالات

وما يدون من ابحاث لأن أسلوب الاستاذ الامام خلق ممتازا ، وسبق ممتازاً
مات الاستاذ الامام ، وللسيد رشيد في نفوس اخوان الشيخ وابنائه منزلة سامية ومع سمو هذه المنزلة لم يخطر ببال أحد أن السيد رشيدا سيرث الشيخ فيما كان يدعو اليه ، وانه سيرتفع صوته في بلاد الاسلام النائية ، ولكن ابى الله سبحانه الا أن يسير السيد رشيد بخطى واسعة الى الامام وقدر الله لصوته وهو على منبر مناره أن يدوي في بلاد الاسلام والشرق ، ولم يعتر جهاده في سبيل العلم والدين بعد وفاة شيخه مع كثرة المخاطر شيء من الوهن والفتور

ولاجرم ان هذه الميزة هبة الهية لا تمنح الا للقليل من افذاذ الرجال ، لان حياة الاستاذ الامام كانت قوية في مصر وفي غير مصر

لهذا كان بقاء صاحب المنار ثلاثين عاما بعد وفاة شيخه في وجوده القوى يصدعادية جيوش الباطل التى لم تفتر ولم تنم ، دليلا ملموسا على أنه من الافذاذ الذين يخل التاريخ بالكثير من أمثالهم ولعل أكبر شاهد على ذلك ان مهمة السيد رشيد العلمية لم يستطع الى الان ان يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين

أيها السادة :

ان لصاحب المنار — رحمة الله عليه — من حياته العلمية آثارا كثيرة وجوانب قوية ، لااستطيع ان أوفيها حقها .

وقد اردت ان تكون كلمتي فيه الآن مقصورة على علمه بالقرآن وبأسرار القرآن ،لأن صلتي به لم تتأكد الا من درس التفسير على الاستاذ الامام ،ولان آثاره في تفسير القرآن هى أقوى الآثار واظهرها في الاقناع والالزام ، ولان مفسر القرآن اذا أخلص وصدق ! استحق الثناء الخالد لأنه بصدقه واخلاصه يشرف عقله على الوجود ، وعلى ماوراء الوجود ، وقد تحقق ذلك للسيد رشيد رحمة الله عليه

فالقرآن كتاب الوجود ، وكتاب ماوراء الوجود ، وكل من جهله واتجه الى غيرهمهما كان قويا في نظر نفسه ، وفي نظر أمثاله ،فحياته غير صادقة وسعادته لاضمان لها ، ولا استقرار ، بل المسلمون اذا أخلصوا للقرآن فهما وعملا

وعرضوا جواهره السماوية على عقول البشر ، فقد ملكوا كل شيء ، لان المقول من مادة السماء ، ومادة السماء اذا تركزت في الارض محال ان تطغى عليها شهوات النفس الترابية .

والانسان اذا أهمل فهم القرآن والتبصر فيه وقد أحاط بما في الارض علما ، فليس من الله ولا من الوجود الحق في شيء . فحصر العقل في جزء صغير من الوجود يستخدمه في حياته المادية لا يصور الحقيقة ، ولا يحقق معنى الحياة والسعادة ، اذ الحياة الانسانية مسبوقة بوجود لانهائي وبعدها وجود لانهائي .

ومن حق العقل أن يفكر طويلا في ذلك الوجود اللانهائى ، هذا لا يتم الا بفهم القرآن ، ومن أجل ذلك يقول الله تعالى : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ويقول : (وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون)

أيها السادة

ان لاهل القرآن وأنصاره مرتبتين : المرتبة الاولى — في فهم معانيه الصحيحة وامتزاجها بالعقل والروح والنفس ، فيشع منها النور والقوة بحيث يملان عالمها في الوجود بقدر الطاقة البشرية ، وهذه هى مرتبة النبى ﷺ ومرتبة الصديقين من أصحابه وأمته الى يوم الدين

المرتبة الثانية — هى فهم معانيه فهما صحيحا ، وامتزاجها بالعقل وبالنفس في أغلب أحوالها ، وهذه هي مرتبة كبار العلماء والصالحين مع ما في كل من المرتبتين من المنازل المتفاوتة بتفاوت الاستعداد ، وصفاء الجوهر

واني أومن اعانا قويا بأن السيد رشيد قد تمت له المرتبة الثانية في أرقى منازلها وارجو ان يكون له نصيب من المرتبة الاولى

أيها السادة

اذا علمتم ان القرآن هو كلام الله ، وانه كتاب الوجود ، تعلمون مقدار ما بذلته وتبذله العقول في استخراج جواهره منذ أنزل الى اليوم ، ولا يتم للعقل استقصاء كل ما فيه وتحديده بالدقة مادام الوجود قائما ، ولكن العقل

يأخذ منه ما يستكمل به وجوده، وطمأنينته في الدنيا والآخرة على قدر فهمه

ومن هنا تعددت آراء المفسرين لاختلاف وجوه النظر، ولذلك كان تفسير القرآن في أكثر العصور فن علم وجدل، مع أن التفسير يجب أن يكون زبدا مستخلصا بالمقاييس العلمية الصحيحة المستمدة من الفن والبحث، كما أن التفسير الذي لا يعتمد على مقاييس العلم والعقل، لا يسمى على الحقيقة تفسيرا للقرآن الكريم. ويجب أن يدخل في مقاييس العلم ما يستظهره العقل من أسرار الوجود بالدلائل القاطعة، وليس من التفسير مظاهر الحياة التي تعتمد على نزعات النفس في أنانيتها الضعيفة المضطربة

وهذا هو ما وفق إليه الراحل الكريم في تفسيره للقرآن، وفي علاجه للأبحاث الدينية، فقلما كان يتعرض السيد رشيد لبحث لا يتصل بالقرآن اتصالا جوهريا إلا بقدر ما تمس إليه الحاجة

وكثيرا ما كان يتعرض لأقوال المفسرين، وما يستدلون به، ولكنه لم يترك القرآن في المكان الذي تتجاذبه فيه الآراء كما فعل أكثر المفسرين، بل كان في تفسيره يستخلص القرآن للعقل مؤيدا للغة وبالشواهد والأدلة من ظواهر الوجود.

وأول من فتح هذا الطريق وعبده الأستاذ الإمام رضي الله عنه، وقد سار في تعبيده صاحب الذكرى شوطا بعيدا انتهى فيه إلى آخر سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد فسر من القرآن على هذا المنوال الحكيم اثني عشر جزءا وهي أصعب أجزاء القرآن فهما واستنباطا، وكان آخر آية فسرها من سورة يوسف ومات على أثر تفسيرها قوله تعالى: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾

وقد كان المسلمون والمؤمنون الصادقون، والعلماء المخلصون يستمدون لفهم القرآن على وجهه، وتذوق حلاوته، وتلمس بعض وجوه إعجازه، هو وحده الذي يقدرون خسارة العلم والإسلام الفادحة بفقد صاحب المنار.

وإذ كانت هذه هي منزلة السيد رشيد من تفسير القرآن الحكيم ، وهو غاية الغايات والشغل الشاغل للملأ الاعلى في السماء وفي الارض ، فماذا يبتغي آل السيد رشيد له وأصحابه له من المنزلة الرفيعة ؟

رحم الله السيد رشيدا بقدر ما ضحى وبذله من جهوده ، وأفاض عليه من كرمه لواسع ما يفيضه على المخلصين من حفظة كتابه ، وأسكنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا

ومدرسة دار الدعوة والارشاد

كلمة الاستاذ عبد السميع البطل في حفلة تأبين الفقيد

إن طريقة الوعظ والارشاد ، ليست من الصناعات التي يستطيع كل انسان أن يزاولها في مهارة وحذق ، ولكنها ملكة من الملكات التي قد يحسنها قليل العلم ، ويتخلف عنها أكثر الناس تحصيلا ، وقد نشأ فقيدنا ونشأ معه الميل إلى وعظ العامة وارشادهم ، بما كان يتصدى له أولا في صدر شبابه من قراءة الدروس في قريته القلمون من أعمال طرابلس الشام ، ثم بما كان من انشائه المنار ثانيا ، واستهدافه بالاجابة عن الاسئلة التي كانت تنحدر اليه كالسيل من الشرق والغرب ، في المسائل المتنوعة ، وجرأته وصراحته في تقديم النصيحة للملوك والامراء وكبار الحكام والعلماء — إحياء لسنة السلف — مما جعله أندى العلماء صوتا ، وأبعد المصلحين صيتا ، وأسير المجددين ذكرا ، وأكثر الكتاب أثرا .

وقد قويت رغبته في أن يتولى هو نفسه تربية طائفة من الشبان يصنعون على عينه ، يقوم بعضهم بواجب الدعوة الى الاسلام ، ورد شبهات المعترضين عليه ، متسلحين بما يتسلح به أمثالهم من رجال الدعوة في الامم الراقية ، من الجمع بين علوم الدين ، وما لا بد منه من علوم الدنيا ، ويقوم الفريق الآخر بارشاد المسلمين إلى ما هو أجدى عليهم في دينهم ودنياهم ، مع خبرة بحال العصر ، وما ينبغي أن يكون عليه المرشد من مسايرة الزمن .

كانت هذه أمنية تختلج بنفسه منذ كان يتردد وهو طالب بطرابلس على مكتبة

المبشرين الامريكيين ، يقرأ جريدتهم الدينية ، و بعض كتبهم ورسائلهم ، ويجادل قسوسهم .

وفي سنة ١٣٢٧ كان الخلاف بين الترك والعرب مستمرا ، فرأى أن يشخص إلى الاستانة ليقضي على عقارب الفتنة ، متوسلا إلى ذلك باتصاله بكبار الدولة هنالك ، و بما كان يكتبه من مقالات في جريدة اقدام وجريدة كلمة الحق ، ثم في جريدة الحضارة ، ولشيء آخر شغفه حبا ، وكان مستهاما به صبا ، وهو تأليف جماعة لانشاء مدرسة للدعوة والارشاد .

اختار إمامنا أن تكون الاستانة مشرق ذلك النور ، ومبعث هذا الاصلاح ، وقبلة التأليف بين العرب والترك ، ليكون المشروع بنجوة عن مهاب السياسة وأعاصير الفتنة ، وفي الاستانة ساح عاما كاملا ، يروج للمشروع ، ويقنع به كبار المسئولين ، فلقي أولا ترحيبا به ومعاضدة ، وتقرر أن تكفله وزارة الاوقاف ، وتألفت الجماعة من كبار رجال الدولة للعمل واعداده في تفصيل واسع لا محل لبيانه هنا ، ولكن بعض الايدي كانت تعمل من وراء الستار للنهي عنه ، والنأي عنه ، فقضي عليه وهو جنين ، وعاد فقيدنا من الاستانة ، كما كان يعود منها كل مصلح ساخطا ناقما ، ولكنه لم ييأس من روح الله ، فجدد السعي هنا بمصر ، وألف الجماعة ، واختير أعضاؤها من أهل الفضل والغيرة ، ووضع لها قانون من أدق القوانين ، وعلم بالأمر الخديوي عباس الثاني فأكبره ، وأظهر رضاه عنه ، وارتياحه له وأمدته الاوقاف بمبلغ من المال ووعدت بمضاعفته ، وتبرع له كثيرون من ذوي الاريحية ، وأجمع العقلاء على استحسانه — بله وجوبه — وفتحت المدرسة أبوابها في ١٢ من ربيع الاول سنة ١٣٣٠ تيمنا بعيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان السيد وكيل الجماعة وناظر المدرسة بل كان عقلها المفكر ، وروحها المدبر .

نجحت الفكرة اذا بمصر ، ولقيت معاضدة الامير واستحسان العقلاء ، ولكنها لم تنج من ارجاف المرجفين ، وأذى المفسدين ، فلبس لها بعض الجرائد جلد النمر وتوعدها دعاة النصرانية ، وأنذرت القناصل دولها عاقبتها ، ان مدرسة أنشئت بمصر سيكون لها من الاثر في تنبيه المسلمين ما سيكون خطره عظيما .

كانت المدرسة ملتقى الطلبة من جميع الاجناس الاسلامية ، التقى فيها المصري والمغربي ، والشامي والفلسطيني والعراقي ، والتركي والداغستاني ، والهندي والجاوى والسومطري . وكان يفضل الاجنبي لحاجة بلاده إلى المتعلمين أكثر .

كان الطلبة فريقين ، فريق منتسب يحضر من الدروس ما يشاء ، ويتخلف عما يشاء ، وفريق يحتم عليه حضور الدروس كلها ، ويبيت في المدرسة مكفي الحاجة من مطعم ومسكن وكتب ، وكان لهذا الفريق نظام خاص يسلكه في معيشته وتربيته ، منه أن يستيقظ طلبته قبيل الفجر للصلاة وتدبر القرآن ويؤدوا الفرائض كلها في جماعة خلف امام واحد ، ويكثروا من التنفل في الصلاة والصوم ويروضوا نفوسهم على آداب الاسلام بقوة فيتحرجون من فعل خلاف الأولى ، ومن ثبت عليه الكذب كان الطرد جزاءه ، وكانت المدرسة في قصر شريف باشا بالمنيل على ضفة النيل الغربية عند قنطرة الملك الصالح فكان الطلبة لا ينزلون الى مصر الا باذن كتابي من الفقيد ، بعد ان يذكر طالب النزول كتابة سبب نزوله وموعد غدوه ورواحه وكان يقول (ان الذي يكثر الاختلاف الى القاهرة تبطل الثقة به) لذلك كنا نظل الاسبوع والاسابيع لا نغادر جزيرة الروضة وكان المجتمع بالامس غيره اليوم ، بل فوق ذلك كان يكلف كل طالب ان يحمل في جيبه مذكرة يدون فيها اعماله حسنها وسيئها ليكون على نفسه حسيبا ولاجل ذلك كان لابد ان يجتاز الطالب سنة تسمى السنة التمهيدية لاختبار أخلاقه وتزويده بالعلم والعمل وكانت اللغة الفصحى هي لغة التخاطب كما كانت لغة الدرس ، ومن وصاياه ان التزام الفصحى يوما واحدا خير من قراءة كتاب

مضى على انشاء المدرسة ثلاث سنين الا قليلا ، ثم اشتعلت نار الحرب الكبرى وكانت ايامها النحسات ، فابعد الخديوي وكان لها عضدا ، فغلت الايدى الى الأعناق وجمدت الاكف عن العطاء واعطت الاوقاف قليلا واكدت ثم شحت بالصبابة واعتذرت عندئذ اضطرت المدرسة ان تكتفي بمن فيها من الطلبة ولم تقبل جديدا وألجأتها الضرورة الملحة اخيرا ألا تلتزم ما كانت تلتزمه من نفقة المأكل والكتب وظلت تجاهد هذا العنت في رثاء وضعف سنتين ، ثم ودعت الحياة تاركة آثارا حسانا وميراثا عظيما ممن تربوا في احضانها وعملوا جهدهم على

تحقيق بعض اغراضها ، وما أسف العقلاء على شيء أسفهم على حرمان الامم
الإسلامية من ثمرات هذه المدرسة التي كانت موضع الرجاء في انقاذ المسلمين
مما تهوكوا فيه من مفاسد البدع والخرافات والتقاليد والعادات حتى لقد كان استاذنا
يقول (لو اني كتبت تاريخا للمدرسة لكان فضيحة للامة كلها) يريد ان الامة
الاسلامية المنبثة في الشرق والغرب لم تحسن احتضان هذا العمل المجيد ،
والاضطلاع به في حين تنفق الامم الاخرى ملايين الجنيهات على جماعات الدعاة
بسخاء واغتباط .

ولعلكم تحبون أن تعرفوا عمل السيد في المدرسة ، ولقد كان فيها معقد
الأمل ، وقطب الرحى والقبلة التي تولى الوجوه شطرها ، كان لدروسه أعظم
الأثر في إصلاح النفوس ، وتثقيف الألسن ، كان يدرس التفسير ، فتتجلى روح
الالهام الصادق ، والبصيرة النيرة ويدرس الحديث والتوحيد والكلام
وحكم التشريع ، وتعليم الانشاء ، وتمرن على الخطابة الارتجالية ، ويبصرنا بالاساليب
الصحيحة وما يجتنبا من دخيل أو سوقي أو مبذول أو وضع للمفردات في
غير موضعها ، وقرأ قدراً من البلاغة ، وكنا نطالع أمامه في مقالات العروة الوثقى ،
ولشد ما كانت دهشتنا أول العهد به حين سمعنا لأول مرة لغة فصيحة عالية
الاسلوب مرنة وغوصا على معاني المفردات في دقة ، والتقاطاً لفرائد البلاغة في
دروس التفسير وغيرها واستخراجاً لكوامن العبر من ثنايا الآيات البينات ، بل
لشد ما كان عجبنا حين كنا نراه يبكي في المواضع التي تستدر الدمع ، والذين
عاشروا السيد يعلمون أنه كان أسيفا رقيق القلب ، سخيا بالدمع ، سخاءه بالمال ،
وكان يقول ، وكتب في (المنار والازهر) انه كان يقرأ ورد سحر أول اشتغاله
بالتصوف فاذا مر ببيت المنبهجة (١)

ودموع العين تسابقني ... تجري من جفوني كاللجج

ولم يبك ، تركه ولم يقرأه لئلا يكون كاذبا فيخجل أمام ربه
كان السيد مغرما بالاستطراد الطويل في غير ملل ، فبينا يكون موضوع

(١) وكنت أود في هذا المقام لو يتسع الوقت للكلام على السيد رشيد الأديب
والسيد رشيد الصوفي الانسان

الدرس تفسيرا أو حديثا ، أو حكمة تشريع مثلا ، إذا به يحتال للدخول في باب السياسة أو الاجتماع أو تاريخ الفرق ومذاهب المبتدعين أو ما أشبه ذلك ، فنخرج من الاستطراد بكليات عظيمة تزيدنا بصيرة وثقافة .

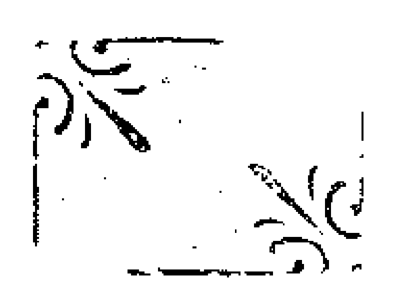
وقد لا تعجب هذه الطريقة رجال التربية الحديثة ويرونها معيبة بالمدرس مضيعة للطالب ، ولكن هذا يرجع فيما أرى إلى عدة أسباب ، فهو قد قرأ كتب المتقدمين ، وتغلغل فيها ، وهضمها ، وتمثلت فيه ، فتأثر بها ، وتلك كانت طريقتهم ، وكان ريان من العلم شبعان ، فكانت تتدافع المسائل في صدره فلا يستطيع لها كبحا ، وسبب ثالث كان أحيانا ما يصرح به ، وهو انه قليل الثقة بدوام المدرسة ويخشى أن يفوته شيء يريد أن يقوله فلاتواتيه الفرصة ، لذلك كان يتلمس الاستطراد تلمسا ، وأذكر أن بعض اخواننا من كبار علماء الازهر حملته مرة هذه الاستطرادات في مجلس معه — وكانت شغفت كثيرا مما بنفسه — على أن يطلب اليه أن يعقد درسا خاصا في بيته ليلة في الاسبوع ففعل ، وكان يحضره كثير من أذكياء علماء الازهر وأساتذة المدارس العالية والثانوية والابتدائية .

ثم لعلكم تحبون أن تقفوا على شيء من حال طلبتها بعد أن آل أمرها الى ما عرفتم ، وأقول لكم ان منهم المشتغل بالتربية والتعليم ، والمشتغل بالصحافة والتحرير ، والمشتغل بالوعظ والارشاد ، والمتصل بالملوك ورجال السياسة وحسبكم أن تعلموا أن الناموس الخاص لجلالة ابن سعود أحدهم ، بل حسبكم أن تعلموا أن زعيم القدس الكبير السيد أمين الحسيني ممن يتشرفون بالانتساب اليها .

هذه لمحة خاطفة عن تلك المدرسة التي أصبحت كمنشئها في ذمة التاريخ وهناك مدرسة الفقيد الكبرى التي عكس منارة من أشعتها على العالم أربعين سنة ، تبوأ فيها بحق مقام الامامة ، وخلف ميراثا عظيما يشرع للناس طرق الاصلاح ، ويبصرهم بكتاب الله وهدى رسوله وقد أصبح له تلاميذ ومريدون يعدون بالالوف وصار له حزب قوي في الازهر ممن قبضوا قبضة من أثره ، وانه لميراث

عظيم ، شغل فقيدنا حياته في جمعه وادخاره وترك ذرية ضعافاً لا سند لهم إلا الله وإخلاصه ، وأقول والألم يحز في النفس ، إن المنار قد مات بموت صاحبه أو كاد ، ولا غرو فقد كان السيد أمة وحده في علمه ، ودينه ، وكفايته وصبره ، وثقته به ، والبذل في سبيل الله ، ولست بواجد من يملأ بعض فراغه في بعض ما تهيأ له ، وفي العالم الإسلامي علماء يعدهم الناس بالألوف . ويا لله للأمة الفقيرة .

ولقد كان السيد جديداً دائماً ، غير آسن ، كما كان يتجلى ذلك في كتاباته وأحاديثه ، اتصلت به مدة تناهز ربع قرن اتصالاً وثيقاً ، طالباً وصديقاً ، فما أذكر أني وردت شرعته يوماً – على كثرة الورود – إلا وصدرت بجديد في العلم أو الأدب أو شئون الحياة ، أحسن الله عزاء الأمة فيه ، وبوأه منازل الكرامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً



خطبة الاستاذ

محمد احمـــــــد العدوي

الاستاذ بكلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم .

يرحم الله مالك ابن أنس اذ يقول : (لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها) . ولقد كانت هذه الكلمة دستور أستاذنا الراحل في الاصلاح ، آمن بها ايمانا خالط قلبه ، وتغلغل في نفسه . سلف هذه الامة صلح بالعمل بدين الله ، بعيدا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين .

البدع والمحدثات

ومن أجل ذلك حارب البدع والمحدثات في دين الله ، ليبقى للدين جماله ، ويحفظ له عظمته وجلاله . وأي عاقل يرى ما عليه المسلمون وهم يزورون قبور الصالحين ، من تعفير للوجوه ، وتقبيل للاعتاب ، وطواف حول المقاصير كما يطاف بالبيت الحرام ، والتجاء الى صاحب القبر في كشف المكروب ، وهداية القلوب ، والبركة في الرزق ، وما الى ذلك مما لا يتصل بالاسلام في قليل أو كثير ؟ ؟ — أي عاقل يرى ذلك ثم لا يندى جبينه لهذه البدع في دين التوحيد والفطرة ؟

وهذه بدع الموالد أصبحت معرضا من معارض الفسق ، وسوقا نافقة للتجارة في الاعراض أو انتهاكا لحرمة الدين ، وهذه بدع الاذكار ومعها الطبول والمزامير والرقص والطرب ، تصور الدين أمام الاجانب

بصورة تتقزز منها النفوس ، وتجعله الى الهزل أقرب منه الى الجد ! !
وهذه بدع الدجالين من محترفى الطرق ، يستغلون سذاجة الجماهير بضروب من التمويه والشعوذة : كأكل الثعابين والنار ، وطعن انفسهم بالسلاح وما الى ذلك !

ولا تنس فعل الكلشنى ، وعمود الحسين ، ومراغة المغاورى وقبر أبى السعود الجارحى ، ومغطس الطشطوشى وصناديق النذور، التى لم يأذن بها الله ، دع كتب أدعياء التصوف وما شحنت به من أباطيل كإيهام الناس أن هناك حقيقة تخالف الشريعة ، ووحدة الوجود التي سرت اليهم من ديانات الهند الوثنية

فاذا جاهد الاستاذ فى ذلك السبيل فانما يجاهد لحماية دين الله من الشرك ، وذرائع الشرك ، وتطهيره من الجهالات، ولا غنى لمصلح ديني عن خوض هذه المعركة التى خرج منها الفقيد ظافرا ، فكان سيفا من سيوف الله على رقاب المبتدعين والمضللين

دفع الشبهات عن الدين

وكذلك كان من أهم أغراضه أن يدفع عن الاسلام الشبهات التى يوردها أعداؤه عليه ، كما أفاض في دفع شبهات الماديين كنظرية دارون وهناك قسم من الشبهات منشأه الجهل بالاسلام ، وما انطوى عليه من حكم كشبهتهم على توريث البنت نصف اخيها ، وتعدد الزوجات ، والرق فى الاسلام ، وقد تجلت عبقرية الاستاذ فى هذه المسائل ، فابان حكمة الله العليا في هذا التشريع ووضع رسالة سماها (نداء للجنس اللطيف في حقوق النساء في الاسلام) وفيها تحقيق لكل هذه المسائل .

وكذلك عني بدفع الشبه التي تعرض بسبب تعارض بين نظريات العلم والدين ، وكبرى حسناته كتاب الوحي المحمدي) الذي ألفه لمناسبة شبهة لبعض الغربيين ، على الوحي ، وهو خير مؤلف يدعى به ، إلى الاسلام ، ويدحض شبهات الماديين المعطلين ، قرظه علماء مستقلون ، وغيرهما تقريظ أستاذنا الاكبر المصلح المعظم (الشيخ المراغي) يقول فيه :

صديقي الجليل الاستاذ محمد رشيد رضا

أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحي المحمدي) أن أقول : انكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة الى الدين الاسلامي القويم . فقد عرضتم خلاصة من ينابيعه الصافية عرضاً قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة ، وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون ، فجزاكم الله عن الاسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون ، ولكم مني تحية الاخاء . والسلام عليكم ورحمة الله .

وكذلك عني الاستاذ بشرح المسائل التي أساء المسلمون فهمها ، كمسألة القضاء والقدر ، وله فيها تحقيقات علمية نفيسة تتفق وحكمة الله في تكليف الانسان وجزائه على الخير والشر ، فما كتبه السيد في دفع الشبه التي منشؤها جهل أو تجاهل بالاسلام ، أصل عظيم في الاصلاح الديني ، ودعامة لا يستغني عنها عالم مصلح .

(إحياؤه سنة العلماء)

من أبرز صفات الفقيد إحياؤه سنة علماء الصدر الاول الذين كانوا يصدرون في فتاواهم عن كتاب ناطق ، أو سنة ماضية ، أو قياس على أحد هذين الاصلين ، واهتدى بهديهم الائمة الاربعة ، فمهدوا لمن بعدهم طريق الاستدلال . ولم يقنعوا بذلك ، فنهوا عن التقليد في دين الله ، وبالغوا في ذلك ، وإن شئت فقل : وأسرفوا .

نقل عن أبي حنيفة (رض) لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا مالم يعلم من اين أخذناه ، وقيل له : إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ، قال اتركوا قولي لكتاب الله ، قيل إذا كان خبر الرسول (ص) يخالفه ، فقال : اتركوا قولي لقول رسول

ﷺ (ص) ، وقيل : إذا كان قول الصحابة يخالفه ، قال اتركوا قولي لقول الصحابة ونقل مثل هذا أو ما هو أشد منه عن بقية الأئمة .

نهى الأئمة عن التقليد ، لأنهم أدري الناس بمقدار ضرره على الدين ، وأنه شلل يحول دون النشاط العلمي ، وهو إلى ذلك كله امتهان لقيمة الحجة ، وتعطيل لموهبة العقل ، ويرحم الله من قال « التقليد ابطال لفائدة العقل »

كانت هذه سنة العلماء ، لأن الذي في كتب الاصول : (إن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم)

ثم خلق من بعد الأئمة خلق أغلقوا باب الاستقلال في فهم الدين ، وقصروه على طائفة يحصيها العد ، وكأن القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يصلحان عندهم شريعة دائمة !!

ولما كان أستاذنا الراحل من أئمة الاصلاح الديني ، لم يكن له بد من تحطيم السلاسل التي وضعت أمام ذلك الباب ، وقد وضع كتابا نافعا سماه « الوحدة الاسلامية » على شكل محاورة بين مصلح ومقلد وله في أوله كلمة جديرة أن تحفظ « لا إصلاح إلا بدعوة ، ولا دعوة إلا بحجة ، ولا حجة مع التقليد »

لم يقف الاستاذ في احياء هذه السنة عند ذلك الحد ، بل كان دائما ينوه بشأن العلماء الذين لهم محنة وبلاء في ذلك السبيل كشيخ الإسلام بن تيمية الذي قال فيه أحد الائمة ﴿ ما رأيت مثله ، ولا رأي هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لهما منه ﴾ وشى به العلماء لدى الملوك وولاة الامور ، ورموه بالالحاد فسجن اكثر من مرة ، ومات سجينا بدمشق وكتلميذه ابن قيم الجوزية ، كان على أخص أوصاف شيخه ، امتحن في سبيل دعوته ، وأوذي مرات ، وحبس مع شيخه بقلعة دمشق بعيد امنية

فاذا كان الاستقلال السياسي شهداء يصرعون في ميادينه ، فان الاستقلال الديني العلمي له شهداء وشهداء ، وفي مقدمتهم ابن تيميه وابن قيم الجوزية

أما احياؤه لذكرى موقظ الشرق ﴿ السيد جمال الدين ﴾ ﴿ والاستاذ الامام ﴾ فحدث عنها ، ولا حرج فقد أحيا سيرتهما قولا وكتابة وعملا ، وكان

أظهر شيء فيه شغفه بتلك السيرة حتى لا تكاد تجلس إليه مجلسا بدون أن يسمع ذكرى الامامين وأحدهما ، فان المصلح هو الذي يعني بسيرة المصلحين فهو يعتبر بحق محيي سيرة المصلحين ، ورافع لواء المجددين على أساس كتاب الله تعالى وسنة خاتم النبيين

* * *

دراساته العميقة

لقد عكف استاذنا الراحل على دراسة القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، دراسة واسعة النطاق ، فكان بذلك متمكنا من علوم القرآن الكريم ، كمعرفة المكي والمدني منه ، وتاريخ المصاحف ، وأوجه القراءات ، وما صح من أسباب النزول وما لم يصح ، وما دخل على المفسرين من إسرائيليات على تفاوت بينهم في القلة والكثرة ، حتى شيخهم ابن جرير فكان من أجل ذلك تفسير أستاذنا الراحل نسيج وحده في سلامته من الروايات الضعيفة في أسباب النزول ، ومن الاسرائيليات التي شوهت جمال القرآن ، كما عكف على دراسة علوم الحديث ولا سيما علم تاريخ الرجال الذي عز في هذا العصر ، فكان من السهل عليه الوقوف على درجة الحديث في سرعة مدهشة ، وما أحوجنا إلى أمام له تلك الخبرة الواسعة كفقيدنا الراحل

* * *

امراض المسلمين

وكذلك كان من أهم أغراضه بحثه عن أمراض المسلمين الخلقية والاجتماعية وفساد تربيتهم الدينية والمدنية ، فكنت تراه باحثا منقبا عن كل أولئك الأمراض ، وطرق الوقاية منها ، وهذا كتابه « الوحدة الاسلامية » يطلعك على كثير منها ، وإن أخذ الدين من طريقه الصحيح ، خير علاج لها ، وقد أعانه على ذلك خبرته الواسعة ، ورحلاته المتكررة ، من رحلة إلى الهند ، إلى رحلة الاستانة إلى رحلة لأوروبا ، وذلك عدا رحلاته الثلاث إلى سورية التي اختير في آخرها رئيسا لأول مؤتمر عربي ، وهو الذي نودي فيه بالامير فيصل ملكا على سورية

ثم رحلته الى الحجاز مرتين ولا شيء أعون للمصلح الديني من دراسته لأحوال المسلمين ، دع أن دار المنار كانت دائما غاصة بالزائرين من كبار العلماء ، وكان ذلك كله خير معين له على القيام بمهمته كمصلح ديني ، فاذا دعا الى الاصلاح ، فانما يدعو على بصيرة ، واذا وصف العلاج ، فانما يصفه بعد أن عرف المرض .

إصلاح الأزهر

هو المعهد الديني الذي مضى على تأسيسه عشرة قرون ، كان فيها مشرق الثقافات الدينية والعربية . غير انه قد طرأ على هذه الجامعة من أعراض الشيخوخة ما جعلها غير وافية بحاجات العصر من تخريج طلابها بما يكافح جماح الملحدين ، ويصد شبهات الملحدين ، والدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب واعداد طائفة لهذه الدعوة مزودة بالعلم والدين .

ومن أجل ذلك كان في حاجة كبرى إلى أصلاح طرائق التعليم ومناهج الدراسة .

وقد كان أول من أيقظ الأفكار لذلك الاصلاح (السيد جمال الدين الافغاني) حينما وفد على مصر في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة ، واستفاد منه بعض شبان الازهر ، وتولى السعي لذلك الاصلاح مريده الاكبر وخليفته (الاستاذ الامام) ، غرضه الاسمى تخريج نشء جديد من جميع الشعوب الاسلامية جامع بين التقوى والاخلاق الفضلى ، وبين العلم الاستقلالي المثمر لترقية الامة واحياء علوم الدين ، والتمكن من الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه .

ثم جاء الاستاذ (المراغي) وأمضى في الازهر خمسة عشر شهرا ، شيخا له ورئيسا لمجالسه العليا ، فكان محط الرجاء ومعقد الآمال ، ورجل الساعة ، وقام في ذلك الوقت القصير بعمل الجبابرة ثم شاء الله أن يدع الأزهر قبل أن يتم الاصلاح الذي أراده ، فاضطرب الحال ، واختل أمر القائمين عليه من رجال الادارة ورُوِّعت الطلبة بما لم يروع به قطاع الطرق . وساعد على ذلك السياسة الدكتاتورية حتى أذن الله أن يعود للسفينة ربانها ، وللاصلاح رجله ، فعاد إلى

الازهر أستاذنا (المراغي) موفور الكرامة . وضاء الجبين . فتح لطلاب لاصلاح باب الأمل على مصراعيه

أما مجلة المنار . فقد كان خير نصير لكل أولئك المصلحين . كان نصيراً للسيد جمال الدين ونصيراً للاستاذ الامام . ونصيرا أي نصير للاستاذ المراغي أبلى في سبيل هذه المناصرة بلاء حسنا . وقام بأوفر نصيب في ذلك الجهاد

اقرأ مجلة المنار منذ أنشئت . ثم اقرأ كتاب « المنار والازهر » الذي ألفه السيد في آخر حياته وفيه أربعة وأربعون شاهدا من دعوته الاصلاحية . الى عشرة مقاصد لنبع الازهر اكثرها . ومقدمة في ماضي الأزهر وحاضره ومستقبله وجناية العهد الماضي عليه

ذلك توضح المقياد الاسلام والمسلمين في الاصلاح الديني

نسأل الله تعالى أن يعوض المسلمين فيه خيرا . وأن يوفقهم للسير على نهجه وتقدير جهاده وبلائه . وأن يجزيه عن دينه كما يجزي المجاهدين الصابرين



خطبة الاستاذ حبيب جاماتي

على مقربة من مدينة طرابلس الشام قرية صغيرة تدعى القلمون ، تشرف عليها قمم لبنان الشامخة ، وتكتنفها صخوره البارزة ، وتنشر عليها أشجار الزيتون نفحات من عبيرها المنعش . ويخيل اليك أن القرية تزحف ببيوتها وحدائقها ، من سفح الجبل الى شاطىء البحر ، لكي تغتسل في مياهه الزرقاء ، سعيدة بأن تنعم بكل ما يمكن أن تجود به الطبيعة على بلدة بالجبل والسفح والسهل والبحر .

واذا مررت بتلك القرية الجميلة السعيدة ، وكنت غريبا عن الديار ، فان جميع الذين يقابلونك في طريقك يمسكون بك ويلحون عليك بان تحط الرحال ، فتأخذ نصيبك من الراحة ان كنت متعبا ، أو تأخذ مؤونتك منها ان كنت قادما على تعب ولا يسعك إلا أن تنزل على رغبتهم ، حينذاك يسير بك القوم الى بيت المشايخ ، إلى بيت آل رضا الى بيت الفقيد الذي نحيي ذكراه .

وكلمة «شيخ» ليست في لبنان انما يطلق فقط على رجال الدين المسلمين ، بل هي لقب وراثي ، يطلق أيضا على من يايعهم الشعب بالرياسة والزعامة . فلا فرق بين رجال الدين ورجال الدنيا ، وبين المسلم والمسيحي ، وبيت آل رضا من البيوتات القليلة في لبنان ، التي تحمل أبناؤها لقب المشيخة مزدوجا . أي انهم من رجال العلم والارشاد : ومن رجال الرياسة والزعامة .

وفي قرية القلمون ، ولد محمد رشـــيد رضا ، من أسرة تنتسب الى الاسرة النبوية الشريفة .

فلا غرابة في أن يكون الراحل قد اصطبغ بصبغة ذلك الوسط ، وأن تكون تلك الطبيعة التي ترعرع في أحضانها قد فرغت فيه الشيء الكثير مما أغدقته على بلدته فجاء شامخ الرأس كجبال القلمون صلبا في عقيدته كصخورها ، فياضا في علمه كذلك البحر الزاخر الذي كان يجلس على شاطئه في ريعان شبابه ، حتى اذا ما جاء الى مصر ، أخذ من فضائها الواسع الصافي سعة الصدر وصفاءه فلعبت السياسة دورها البشع ، وأعاد التاريخ نفسه ، حقا فزحف على الدولة الفتيـــة غزاة من الغرب وهرع الاحرار المجاهدون للقاء المعتدين

وفي ٢٤ يوليه سنة ١٩١٩ كانت موقعة ميسلون ، التي كتب فيها العرب بدمائهم الزكية صفحة جديدة من صفحات التاريخ الاسلامي المجيد ، ولسان حالهم يقول :

عش كريما أو مت عزيزاً　　تحت ظل القنا وخفق البنود

وبعد أن دفن الاستقلال السوري في ميسلون إلى حين — قفل السيد محمد رشيد رضا راجعاً إلى مصر حيث استأنف جهاده المزدوج في سبيل الدين وفي سبيل الوطن ؛ إلى أن توفي وهو في حوالي السبعين من عمره .

أيها السادة :

إن حياة الفقيد الذي اجتمعنا اليوم لاحياء ذكره ، لسفر ضخم يصعب على مثلي أن يختصره لكم في سطور . فكل مرحلة من مراحل تلك الحياة الحافلة بالاعمال الجليلة ، والجهاد المستمر جديرة بأن يقف المرء أمامها خاشعاً مفكراً . وكل مرحلة من تلك المراحل سيتناولها أحد الخطباء الاجلاء بالبحث والتحليل والخطب التي ستسمعونها هي الحلقات التي تتكون منها تلك السلسلة الناصعة المتماسكة التي نسميها حياة الامام السيد محمد رشيد رضا

ولن أنسى لا أنسى ذلك اليوم من أيام أغسطس الماضي الذي سافرنا فيه معه إلى السويس ، في معية صاحب السمو الامير سعود . كان السيد محمد رشيد في ذلك اليوم شديد الفرح ، يكثر من الحركة والكلام والضحك ، وكنا نتساءل قائلين « ما سبب ذلك يا ترى ؟ » وما كنا ندري أنه رحمه الله يودعنا ويودع العالم قد توفي فجأة في الطريق ، في ذلك اليوم ، قبل أن يصل إلى القاهرة كما تعلمون

والآن أيها السادة ، إن ما قلته عن حياة السيد الامام محمد رشيد رضا ليس كل ما يجب أن يقال عن حياته ، ولكنني أديت واجباً عن نفسي وعن أخواني المسيحيين ، نحو الراحل الكريم ، وبشرائي أن يكون صوتي قد ارتفع في هذا المجمع الاسلامي الحافل ، كما ترتفع الآن رنات الاجراس والنواقيس الشرقية العربية ، في الاقطار الشرقية العربية فتمتزج بأصوات المؤذنين ، داعية إلى التآخي ، إلى التضامن ، إلى التكاتف ، إلى التعاون ، في سبيل القومية العربية .

في سبيل الأوطان الذبيحة!

ومن نبلها البالغ توفي - الوفاء بكل مافيه من قدسية وروعة فعاش طول حياته وفيا لدينه، وفيا لأساتذته وتلاميذه، وفيا لأهله وعشيرته وصدقائه، وفيا لوطنه الاول والثاني

تلقى رحمه الله علومه في مدارس طرابلس الشام وكان أشهر اساتذته الشيخ حسين الجسر، من كبار العلماء السوريين في ذلك العهد

وفي سنة ١٨٩٧ نال شهادة العالمية، وقدم الى مصر في تلك السنة، أي في شهر رجب عام ١٣١٥ هجرية، تحدوه الرغبة الملحة في لقاء الامام محمد عبده رحمه الله.

وصلات السيد رشيد رضا بالامام معروفة مشهورة، وقد ظلت وثيقة لم تعتورها شائبة الى أن توفي الامام في سنة ١٩٠٥

وكان المرحوم السيد رشيد رضا قد أنشأ «المنار» في شوال سنة ١٣١٥ أي في مارس ١٨٩٨

ومنذ أن وطئت قدماه أرض مصر الى أن توفاه الله اليه، ظل يجاهد ويناضل في سبيل دينه، دون أن ينسى وطنه الاول: فقد عاد الى سورية بعد الحرب العظمى مباشرة، ونظرا الى مكانته السامية في النفوس، انتخبه السوريون رئيسا لمؤتمرهم الوطني، الذي اجتمع في دمشق، سنة ١٩١٩، وقرروا اعلان استقلال سوريا كدولة عربية، ونادى بالمغفور له فيصل ابن الحسين ملكا على السوريين وكان لآراء السيد محمد رشيد رضا، ونصائحه، وإرشاداته، فضل كبير في نجاح تلك الحركة المباركة

ولكن الاقدار شاءت أن تلبث السورية المجاهدة الناهضة ظهر المجن

قصيدة الشيخ اسماعيل الحافظ

في تأبين السيد الامام

محمد رشيد رضا رحمه الله

داعٍ الى الحق غالت صوته النوب   أصيب في فقده الاسلام والعرب

وكوكب من سماء الفضل حين هوى   هوى منار الهدى وانثالت الكرب

وأصبح المجد مهجور الحمى وبكى   من ثكله شرف الاعراق والنسب

قضى الامام فوجه الحق مكتئب   مما دهاه وطرف الهدي منتحب

والحزن مستعر النيران متصل   والصبر منقطع الاوصال منقضب

والزهد والرشد والارشاد في ترح   والبر والدين والاخلاق والادب

ومعقل العلم والعرفان مضطرب   يكاد من برحه الهول ينقلب

والشرق يندب والاقطار واجمة   كأنما دب فيها الويل والحرب

يا ناعي الحبر حق ما رويت لنا   ان الامام حواه الترب ام كذب

ويح الردى كيف أخفى نجمه ومتى   كان المنايا من الافلاك تقترب

كادت تضل عقول فيه من جزع   تقول: هل مات أم دارت به الشهب

أم راح يبغي سماء عن سماوته   أم استسر فقامت دونه الحجب

لا تنكروا رقدة الهادي الرشيد فقد   اعيا وقد يستريح الدائب الدرب

دعاه رب أبت الالباب دعوته   هفا بها لمغاني قدسه ترب

والبدر مهما تناهى في تنقله   في الفلك فهو الى مغناه منقلب

لئن طوت فضله أيدي الردى فطوت   مساعيا لم تزل ترجى وترتقب

ورب ليل طواه كله نسكا   ورب يوم قضاه كله قرب

ورب خافية الاعلام نائية   يعيى بها الفكر ادراكا ويضطرب

ألقى عليها شعاعا من بصيرته   بدت به وهي في عين النهى كثب

وزنت سنة هدى قد تكفلها ... وهم وراثات عن ابوتها لرب
أعادها برزة للناس هادية ... كما تجلت عن سنا انوارها السحب
ورب آيات تنزيل مرامرها ... ظلت زمانا عن الالباب تحتجب
سما اليها وعانى سترها فبدا ... للمستريبين من تفسيرها عجب
يتلوا لها العلم منقاداً ويأخذه ... من روعة الحق سلطان ويغتصب
وغارة في سبيل الله ظافرة ... يهدو لها المجد والاسلام والحسب
قد شنها منه ماضي العزم ينجده ... من حزمه وحجاه جحفل لجب
دارت على محور البرهان دورتها ... حتى تجلت وهو في ارحائها قطب
ثم انثني وهو محفوض الجناح نقى ... والحق مرتفع الرايات منتصب
في ذمة الله نفس ما ألم بها ... رضى الغير رضى الخلاق أو غضب
وهمة ما ثني عن باعها أمل ... ولم يمنها من العلياء مطلب
خفي على القائم الهادي اذا خفيت ... معالم الحق او ضلت به العصب
ومن اذا نزلت للاسلام نازلة ... علا به الجد والاقدام والدأب
وان دجا الخطب وسودت جوانبه ... بدت له فيه من آرائه شهب
القت المحن والاطماع دانية ... والمقدم الندب والاهوال تصطحب
والمؤثر الجد يقضى ليله سهداً ... فيه اذا جد بالمستهتر اللعب
والقائل الصدق لا يدنو به رغب ... في قوله لا ولا ينأى به رهب
ما اطبت قلبه الدنيا بزخرفها ... ولا ثنى عزمه مال ولا نشب
غايات مبدئه الاعلان في عمل ... وروح نهضته الاقدام والقلب
سائل به الليل هل شقت غياهبه ... عن جاهد مثله لله يحتسب
وسائل العلم والعرفان هل رفعت ... لمثله في ذرى عليائه الرتب
وهل شكا الوطن المحزون نكبته ... الا وابكاه ذاك المشفق الحدب
ياصاحب القلم الكافي مفتكه ... يوم التناضل ما لم تكفه القضب
اذا انبرى فهو طورا في الحشا ضرم ... وان جرى فهو حينا في لمم ضرب
(أدا وقتك ظبى الاقلام مشرعة) ... أما توافت لك الآثار والكتب

أما أوائلك أيام محجلة　　يبلى المدى وهي في آثارها قشب

تلك المواقف يختال الزمان بها　　والباقيات على الأيام ، والخطب

السائرات مسير النيرات هدى　　والساطعات وآفاق النهى كهب

والخالدات على أيامها زمن　　والدائبات فما أن مسها نصب

والملقيات ، [illegible] هم الورى عبرا　　تمشي على ضوئها الأجيال والحقب

منار هديك [illegible]　　اشكاله عمد لاصلاح والطنب

وغيث نفسك للمأمول [illegible]　　من منبع الوحي والإلهام ينسكب

ذخران للدين والدنيا اذا جليا　　للناس حفهما الإعجاب والعجب

فهم وظرف [illegible] سمع ملتمسا　　هداهما وعيون الدهر ترتقب

هيهات قد [illegible] المدى [illegible]　　وقد مضى ذلك العهد الذي طلبوا

تبكيك [illegible]　　والملحدون اذا مستهم النوب

كنت [illegible] عززت عدد　　يحمي العقيدة والأخلاق أو أهب

وكنت سيفا على الإلحاد ذا شطب　　من الجهاد على أفرنده ندب

يبكون [illegible] وحدتهم　　تقم في نظمها طورا وتقترب

ركبت [illegible] كل سابقة　　واليوم بعدك لا سرج ولا قتب

فدتك من [illegible] الأيام شرذمة　　راموا علاك فما نالوا ولا قربوا

جروا وراءك حتى حزتها رتبا　　أوفت سموا على هام السهى انقلبوا

مقصرين فلم يمضوا حياتهم　　كما قضيت ، ولم تذهب كما ذهبوا

ذهبت كالمزن [illegible] بعدما رويت　　منه البطائح واهتزت به الهضب

ذهبت [illegible] أوطان وفيت لها　　تكاد إثرك عن أوطانها تثب

غادرتها وهي أوزاع ممزقة　　يعيث منتدب فيها ومغتصب

تدعوك [illegible] وازحة　　يؤدها المضنيان الهم والوصب

اذا رأت [illegible] لآمال مخفقة　　طغى من الوجد في احشائها لهب

توم قرنت [illegible] رحمة وهدى　　للبر في حده مفنى ومضطرب

كنز من الحلم [illegible] قد ضربت　　من الجلال على أركانه قبب

يكاد حين تحييه ضمائرنا يضمه اليها صدى منه وينجذب
اذا نطقت به أوحى لها مثلا من الثبات وشملا ليس ينشعب
وان شكت خطبها كادت جوانبه تئن للخطب اشفاقا وتنتحب
يا أكمل الناس ايمانا وأحسنهم ودا وأكرمهم خلقا اذا انتسبوا
من لي بأيامك اللاتي نعمت بها دهرا يظللني من دوحها عذب
أيام أرشف من صفو الرسائل أو نجوى الحديث كؤوسا ما بها لغب
وانها لها، قد مضت فاليوم لا رسل تفي امانة نجوانا ولا كتب
أحس أن تميز الماء في كبدي يحيله الحزن جمرا فهو يلتهب
وان سوداء قلبي حين أذكرها تمور من مقلتي دمعا وتنسرب
سأحفظ العهد، فاحفظه، وأنثر من فيض الشؤون رثاء ليس ينقضب
ولو نظمت الثريا في رثائك ما قضيت للحق إلا بعض ما يجب

في ٢١ رمضان سنة ١٣٥٤ اسماعيل الحافظ

تاريخ هذا العدد

الحق اننا طبعنا هذا العدد في أوائل ربيع الاول سنة ١٣٥٥ وأواخر شهر مايو سنة ١٩٣٦ وذلك لنعوض لقراء ما فاتهم من أعداد لاكمال المجلد الخامس والثلاثين .

العدد القادم

سنجعل العدد القادم خاصا ببحث اسلامي عظيم هو « المستشرقون والاسلام » وقد تولى تحريره حضرة النطاسي البارع الدكتور حسين الهراوي مفتش صحة مصر القديمة وهو المسلم العالم الغيور . وسيصدر بعد هذا العدد بعشرة أيام إن شاء الله .

فقيد العرب والاسلام — ١ —

المرحوم السيد محمد رشيد رضا

كلمة سريعة[1] بقلم ابن أخيه الحزين

سألنا كثير من الاصدقاء والمحبين من مريدي فقيدنا الكبير أسئلة شتى فرأيت أن أكتب مايلي رداً على ماحضرني من تلك الاسئلة حتى يطلع عليه الجميع ولايزال القلب كسيراً والحزن عاماً فمعذرة من القراء الكرام إذا وجدوا شيئاً غير محص والله يتولانا برحمته ويحسن عاقبتنا جميعاً أنه خير مسؤول وأكرم مجيب

كيف بلغت الخبر

قرع باب مسكني في نحو الساعة ٣٠ر٣ بعد ظهر يوم الخميس ٢٢ أغسطس الماضي وكنت ممدداً في سريري بعد ماتغديت ففتحته القرينة وسرعان مادخلت علي تقول قم حالا وكلم عبده فظننت انها تقصد ابن عمي السيد عبد الغني رضا فقلت ولماذا لم تدعه للدخول علي فقالت قم فكلمه . فنهضت مسرعا إلى الباب فوجدت عبده بواب دار المنار فاخذتني رعشة الوجل لانه حضر في ساعة غير مألوف حضوره فيها وقد سبق أن حضر في مثلها يوم أخبرني بوفاة جدتي ؟! فقلت ماذا تريد ياعبده قال السيد عبد الغني عاوزك ورأيت دموعه تترقرق في مقلتيه وصوته يتهدج فقلت له قل واسرع ما الذي حصل فقال « مات السيد ! »

وهنا انهمرت دموعي وأصبحت أنا بذهول فدخلت غرفة النوم لألبس فقالت القرينة : ماذا حدث؟ قلت « مات عمي » وصرت لا أعرف ماذا أصنع فأردت التوضؤ فصرت إبحث عن القبقاب وهو أمامي فلا أجده وبعد ما توضأت صرت انتقل في المنزل مفتشاً فيه عن الذي البس وابن أجد البذلة والحذاء وما اليهما ولقد لقيت في ذلك عناء كبيراً

وفي اثناء ذلك كانت القرينة فهمت من عبده أن الوفاة حدث وهو عائد من

(١) نشرت في جريدة (ألف باء) الدمشقية ١٠و١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٥

السويس وانه لايزال في مصر الجديدة . سرت في الشارع وانا أحس انني على وشك السقوط لا أهادى يمينا وشمالا

في دار المنار

صعدت إلى الدور العلوي في المنزل فقابلت قريبة عمي وقلت لها نحن اخوتك واولادك فصبري نفسك وأرسلت على أثر ذلك تلغرافات للسيد محمد شفيع نجل الفقيد وكان لايزال في سورية وجوب حضوره حالا وأخبرته الخبر وأرسلت تلغرافا للصهري محمد افندي السيد بالاسماعيلية ليحضر المساعدة في الامر وأرسلت رسولا إلى الاستاذ عبد السميع افندي البطل فسرعان ما حضر وحضر صهري في الليل ومعه الصديق مصطفى افندي ابراهيم حمدي . وانتشر الخبر بسرعة مدهشة في القطر المصري فحضر بعض الاصدقاء من طنطا وغيرها وانهالت علينا "برقيات" .

وفي الساعة ٧٫٣٠ أذاع الراديو النعي في العالم كله فقوبل الخبر بذهول ولم يستطع الناس تصديقه بسرعة فشرعوا يستفهمون تلفونيا من دار المنار

في مصر الجديدة

عندما حضرت إلى دار المنار كان ابن عمي السيد عبد الغني لايزال في مصر الجديدة متنقلا مابين الاسعاف والقسم لاجراء اللازم بنقل جثمان الفقيد وحضر فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية إلى دار المنار فجلس منتظراً وأمارات الحزن بادية عليه وهم بالذهاب إلى مصر الجديدة ولكننا لما اتصلنا تليفونياً بمصر الجديدة فهمنا أن كل الاجراءات تمت ولم يبق على الحضور إلا القليل من الزمن .

وصول الجثمان

جلسنا نتكلم في وقع المصيبة واستغراب ما حدث إلى أن وقفت أمام دار المنار سيارة من سيارات نقل الموتى وحمل الناس نعشاً فيه جثمان ذلك العالم الكبير الذي طبقت شهرته العالم أجمع فانهمرت الدموع من العيون وكان يرافق

النعش جمهور من المحبين وتقدمهم فضيلة السيد محمد الغنيمي التفتازاني وكانت دموعه قد بللت لحيته وعيونه قد احمرت من شدة البكاء والنحيب واشتد البكاء من جميع الحاضرين ولاسيما فضيلة المفتي

فضل التفتازاني

وللسيد التفتازاني أفضال كثيرة فهو الذي حمل معظم المصاب على اكتافه فقد أسرع إلى دار الاسعاف وإلى القسم وبذل مجهودا عظيما في كل منها ، ولما وصل إلى دار المنار عمل كل ما في قدرته للحصول على الاذن من ورثة المرحوم الشيخ محمد عبده بدفن عمي بجواره ففاز وسرعان ما أحضر التربية والحانوتية واتفق معهم على بناء التربة في الليل حسب الشريعة الاسلامية وفاز أعظم فوز وبالجملة فالسيد التفتازاني أسدى لصديقه الراحل أعظم خدمة بعد وفاته ولا يزال يعمل لخدمة أولاده بصدق وقوة مما يسجل له بمداد الشكر الجزيل . حفظه الله وابقاه عونا للملهوف فهو أهل خير وفضل ومعدن معروف (١)

الاستاذ الطاهر

وفي أثناء ذلك كانت حديقة الدار قد امتلأت بالكراسي وازدحمت بالزوار وحضر الاستاذ محمد علي الطاهر على غير علم بالذي حصل فظن نفسه اخطأ المنزل ولما أخبره بمصابهم كاد يصعق واخذ يقول لقد جئت لأزور رب الدار محدثا نفسي أنه إذا قدم إلى الشاي فانني سأعتذر عن شربه وانه على أثر ذلك سيقوم إلى الثلاجة فيحضر لي فاكهة من التي تعود أن يتمشى منها

وبعد ذلك أخذ يحوقل ويتأسف ثم انصرف إلى التليفون يخبر الذين يرى انه يحسن أخبارهم بالفجيعة فجزاه الله خيراً

الميت المجهول!!

ومما يصح التنويه به هنا أن المرحوم كان يركب سيارة مع تركيين في عودته من السويس لايجيدان العربية وفي الطريق كان يحمل مصحفا صغيرا يتلو

(١) وقد توفي رحمه الله ولابد لنا من كتابة كلمة عنه والله الموفق

آيات الله طول الطريق الى ان أحس بتعب فطلب من السائق ان يوقف السيارة فاوقفها وقاء بعد ماوضع المصحف في جيبه واستسمح اللذين معه بالاضطجاع قليلا لانه متعب فاضطجع ولما وصلت السيارة إلى مصر الجديدة حاولا إيقاظه فوجدا جسمه لا حياة فيه وكانت روحه صعدت إلى الملأ الاعلى ففاجأ به على الاسعاف ثم ذهبا إلى دائرة البوليس فكتب البوليس محضراً بوفاة «شخص مجهول» في أول الامر ثم تدارك الخطأ

ماذا وجد معه ؟

وكتب البوليس محضراً بالذي كان معه وسلموه إلى حسين رضوان الموظف في مطبعة المنار وقد حضر وسلمني ماأمضى على تسلمه وهو محفظة فيها جنيه واحد ونظارتان ونظارة كبيرة مقربة وعمامته ومصحف وفك اسنانه ولم تصل يد البوليس إلى كيس نقوده ولا إلى قلمه ففقدا ولسنا ندري اين كان فقدهما ؟

وقع المصيبة على حرمه

ويظهر اني كنت مسرعاً في اخبار حرم عمي بالمصاب وكنت أظن أنها علمت به من ابن عمي قبل وصولي وكان غرضي أن أصبرها وبعد ما كلمتها بما قدمت نزلت لارسال التلغرافات وتدبير مايلزم فحضر إلي الخادم وقال إن الست أغمي عليها فوقعت في مشكلتين ،ولما صعدت وجدتها في حالة حزن شديد وبكاء وليس ثمة إغماء والحمد لله فهدأت نفسها بما حضرني من كلمات وكانت عندها الغسالة وقد تركت الغسيل وهي تنتحب وعلى أثر ذلك حضرت قريبتي فاشتد البكاء منها فزجرت قريبتي وقلت لها يجب أن تتحملا المصيبة بصبر عملا بوصايا الفقيد وتركتهما ونزلت اعمل مايلزم

سمو الامير سعود

وكان عمي رحمه الله قد دعا سمو الامير سعود الى دار المنار فى مساء يوم الاربعاء ٢١ اغسطس الماضى لشرب شيء من المثلجات لما لم يتيسر ان يقبل الامير دعوة للغداء أو العشاء لارتباطه بمواعيد سابقة. وقد خاطبه فى ذلك عند سفره الى أوربا ويوم حضر منها وكان فى طريقه

الى فلسطين والشرق العربي فوعده بالقبول وترك التدبير لسيادة الشيخ فوزان السابق معتمد المملكة العربية السعودية في مصر

ولقد عني رحمه الله باصلاح مكتبه ومدخل دار استعدادا لاستقبال الامير والح على أولاده بسرعة الحضور من سورية لاستقبال الامير ولكن مرض ابنه المعتصم أخر حضورهم . وقد عاد من سورية قريباً وهو في دور النقه والحمد لله

وحب عمي لان سعود يعرفه كل الذين يترددون على دار المنار وحبه للامير سعود عظيم جدا فقد كنت كلما ازوره يحدثني عن مقابلته للامير وشغفه بادبه وخلقه وحيائه وصلاحه وتقواه وجمال وجهه، واذا سمعته يتحدث عن كل ذلك احسست بأن لعابه يسيل متحركا بالشهد ولاسيما اذا حدثك عن الحفاوة التي لقيها الامير في أوربا واجوبته لملوك أوربا ورؤساء جمهورياتها وكبار رجالها وكيف كان يفاخر بالاسلام وماامتاز به من المزايا

يود الانفراد بالامير

وكان رحمه الله يود الانفراد بالامير للتحدث معه في بعض الشؤون ولكن الامير اعتذر بضيق وقته وبانه يود سرعة العودة لتغيير ثيابه والوضوء والصلاة ثم هو يود حضور حفلة وفاء النيل تلبية لدعوة سعادة المحافظ . وعلى ذلك قال للسيد : اذا بقيت مصمما على السفر غداً فتحضر الى الذهبية في الساعة الرابعة صباحا ونجلس معاً في تلك الساعة الهادئة وسارسل اليك سيارة خاصة

لم يذق طعاما

وقد جرت عادة المرحوم ان يستيقظ قبل الفجر للتهجد ثم يصلي الصبح في اول وقته وينام بعد ذلك قليلا ولكنه في صباح الخميس انتظر السيارة بعد الصلاة فحضر الشيخ فوزان السابق فركب معه

الى الذهبية وخرج ولم يذق طعاما في داره
ولما اختلى بالامير وافضى اليه بما رآه لازما طلب منه الامير ان لا يسافر معه الى السويس وطلب مثل ذلك من السيد محمد الغنيمى التفتازاني والح فى طلبه حتى كاد رحمه الله يغضب منه ولكن ذلك كله لم ينفع وركب السيارة الى السويس وفى السويس اختلى مع الامير مرة ثانية مدة طويلة وبعد تحرك الباخرة فضل الرجوع حالا الى عمله فى دار المنار وفعلا ركب السيارة عائداً فوصل الي داره محمولا على النعش ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم .

استأذن القرينة

ولا يفوتني ان اقول إنه استاذن قرينته بالسفر فاذنت له في ذلك ولو استأذن طبيبه الدكتور أحمد عيسى بك لما أذن له لانه يعلم أنه مصاب بتصلب الشرايين والروماتيزم وضعف القلب وكان قد نهاه عن اجهاد نفسه مدة طويلة ولكنه سمح له بالعمل بعد ذلك اما السفر بالسيارة عن طريق السويس فانه ماكان يأذن له به ولكن هكذا شاء الله ولا راد لمشيئته

كيف قضى ليلته

ولما حضر الى الدار جثة هامدة وأنزلناه من النعش في الدور العلوي رأيته كأنه لا يزال حيا ومددناه فى غرفة الاستقبال وكنت أظن أنه ربما يستيقظ قريباً لأن شكله لم يتغير مطلقاً وفى الليل دعوت حضرتي الدكتورين الفاضلين الدكتور شهبندر والدكتور حسنى أحمد لفحصه ولما فحصاه نصحا لنا بوضع الثلج حول جثته خشية الحر ورفع السجاجيد التى تحته وحوله فصدعنا بالامر حالا وياسبحان الله لقد كتب له ان يحاط بالثلج وهو الذى كان يحب الثلج حتى فى الشتاء !!

الديون باهظة

ولقد تبين أن الديون التى عليه باهظة وكان الناس يظنون أنه غني جداً وكنت انا أيضا أظن فيه ذلك ومجال الظن متسع فكتبه رائجة

وهذا كتاب « الوحي المحمدي » طبع ثلاث مرات في عام واحد ولقد نفد من طبعته الاخيرة نحو الفي نسخة في زمن وجيز وهكذا الحال في كتبه وكتب الاستاذ الامام رحمهما الله . واذا راجت الكتب فان دخلها لا يستهان به ولكن يظهر أن عدم توفقه في الادارة وكثرة كرمه أفضى به الى هذه الحالة . هذا اذا لم نقل غير ذلك . فاللهم وفقنا لوفاء دينه وألهم الذين له عليهم ديون وفاءها سريعا

دعاء مستجاب

ولقد أتم رحمه الله تفسير سورة يوسف الى نهاية الآية ١٠١ التي هي خاتمة القصة وهي قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) فقال رحمه الله :

« تحول عليه السلام عن خطاب والده في بيان هذه العاقبة المثلى ، في مقام الشكر لربه وحمده وبما يناسب المقام من صفاته ، الى مناجاة ربه في الاعتراف بها والشكر عليها ، وسؤاله حسن الخاتمة في الدنيا الرافعة الي منتهى السعادة في الآخرة : لشعوره بان ماخلقه له من الخير والنعمة قد تم كما فهمه أبوه ، وكل شيء بلغ حده في هذه الحياة انتهى فقال :

(رب قد آتيتني من الملك) اقصى ما ينبغي لمثلي ويصلح له في غير قومه ووطنه ، فجعلتني متصرفا في ملك مصر العظيم بالفعل ، وان كان لغيري بالاسم والرسم ، فكان تصرفي مرضيا له ولقومه . . ولم يشر على حسد حاسد ولا بغي باغ مما ذقت مرارته بمجرد تصور وقوعه على تقدير صدق الرؤيا الدالة عليه ، (وعلمتني من تأويل الاحاديث) ما أعبر به عن مآل الحوادث ومصداق الرؤى الصحيحة فتقع كما قلت (أنت وليي) الذي توليت ولا تزال تتولى أموري كلها في الدنيا وفي الآخرة لا حول لي في شيء ولا قوة (توفني مسلما) لك اذ تتوفاني بما تم لي وصية آبائي وأجدادي

وهي المشار اليها بقوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) (والحقني بالصالحين) منهم واحشرني معهم . فهذا الدعاء العظيم ، بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم) أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فنسأله تعالى ان يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الاسلام

انتهى كلامه رحمه الله واجيبت دعوته فظل يتلو القرآن الى آخر نسمة تنسمها من الحياة

المنار

وهذا آخر مانشره في الملازم التي طبعت من الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار التي نرجو الله ان يوفقنا لاصدارها ثانية ذكرى لعلمه وآثاره

فقيد العرب والإسلام

— ٢ —

كان دائم العمل

ان كثيرين من شبان اليوم وغير اليوم أيضا يكثرون من التحدث عن كثرة أعمالهم اذا كان للواحد منهم عمل منتظم في الحكومة أو في دائرة من الدوائر الاهلية وقد لا يتجاوز عمل الواحد منهم ست ساعات يعمل فيها ببطء وتؤدة وهو يستطيع انجاز عمله كله في نصف هذا المقدار من الزمن اذا أجهد نفسه قليلا

وأما السيد رشيد فقد عرفته من عام ١٩٠٧ وكنت مقيما في منزله الى أواخر عام ١٩٢٢ فكنت أدهش من عمله المتواصل يستيقظ في الصباح مبكرا جداً فيصلي الصبح حاضراً ويكون قد تهجد قسما من الليل قبل حلول وقت الصلاة ثم يستريح قليلا وبعد ذلك يجلس في مكتبه فيقرأ ويكتب ويظل على ذلك الى

أن يحضر له الفطور فيجلس الى المائدة وفي أثناء الفطور تتاح له فرصة قراءة الصحف الصباحية وبعد ذلك يرجع الى مكتبه الى أن يحين وقت الغداء فيتغدى ثم يأوي إلى فراشه قليلا وبعد ذلك يصلي العصر ثم يذهب الى مكتبه للعمل وقد يستمر في عمله الى ساعة متأخرة من الليل وفي أثناء الليل يصحح كثيراً من المسودات التي جمعت من مجلته (المنار) او مؤلفاته المختلفة أو ما يطبع في مطبعة المنار من كتب المحدثين او ما شابهها مما يحتاج للدقة في المراجعة من جهة سند الاحاديث أو صحة النقل أو وجاهة الرأي

قلت انه ينام بعد صلاة الفجر والواقع أنه ينام احيانا واحيانا يخرج الى النزهة في تلك الساعة الهادئة وكثيراً ما يذهب الى مسافات بعيدة جداً ويصل احيانا الى الاهرام والناس نيام ثم يعود ماشيا أو راكبا وقد اتخذ هذه الخطة ولا سيما عندما سكن بجوار كوبري الملك الصالح ويسير في تلك الساعة حاسر الرأس وقد يكون الجو باردا

وفي نزهته هذه يصطحب معه مصحفا أو مسبحة فيتلو ما تيسر له من القرآن أو يسبح الله كثيرا . ولقد اشتهرت فسحته هذه وجمعت كثيرين من أهل الاحياء المجاورة يقلدونه فيها

ولقد كان نشيطا في عمله في مكتبه وفي نزهته وكان يسير بقوة يعجز عنها الشبان، واذكر أنني كنت اسير معه أحيانا وهو في الكهولة وانا في أول مراحل الشباب فما كنت استطيع السير بجواره فكنت اسير وراءه بكل مشقة وعناء ولو أنه رحمه الله نظم عمله ووفر من يريحه من قراءة المسودات واشتغل في الوقت الذي كان يشغله بالمسودات بالتأليف لزاد عمله نحو النصف ولكان محصوله العلمي أكثر مما خلفه مع كثرته وعظيم فائدته العلمية وحسن تنظيمه واتقانه وابداعه

الاتقان في العمل

وله ذوق مشهور في اتقان كل شيء ويتجلى ذلك في مؤلفاته وحياته العامة

والخاصة . وقراء مجلة المنار يعرفون له الفضل العظيم في وضع تلك الفهارس المتقنة للموضوعات والاعلام ولم يقصر فهرسه المنظمة على المجلة بل وضعها لتفسيره فوضع لكل جزء من التفسير فهارس منظمة تسهل على الباحث العثور على طلبته بسرعة

وعمل هذه الفهارس يأخذ قسما كبيرا من وقته لو يتيسر له العثور على من يعملها له لوفر جزءا من وقته

واذكر انني عندما كنت في داره في شارع درب الجماميز وكنت لا أزال مراهقا كنت اساعده في عمل تلك الفهارس مساعدة آلية فقد كان رحمه الله يكتبها متتابعة وكنت أتسلمها منه واقصها ثم أضع ظروفا عليها حروف الهجاء فاضع في كل ظرف الموضوعات التى تدخل في حرفه ثم أرتب كل حرف ترتيبا منظما والصقها مرتبة ثم نقدمها للطبع

وقبيل وفاته اراد أحد الاصدقاء عمل فهرس لمجلد المنار الاخير وعمله فعلا ولكنني سمعت المرحوم ينتقد عمله بانه غير واف بالموضوعات المهمة كلها ولذلك لم يعتمد عليه فلم يطبع

هذا ولكثرة عمله كانت الفهارس تتأخر لانه ما كان يعتمد على أحد في عملها وهذا يرجع الى عظم دقته واتقانه في عمله رحمه الله

ولم تقتصر دقته على أعماله العلمية بل انه كان يحب الاتقان والدقة في مأكله ومشربه وملبسه الى درجة يعرفها كل من خالطه عن قرب أوبعد وأما إتقان مطبخه فذلك حديث الجميع حتى ان السيد محمد الغنيمي التفتازاني طالما كان يتفكه بقوله : ان الواجب على وزارة المعارف العمومية ان تعهد الى بعثة من البنات بالتخصص في فن الطبخ في منزل السيد رشيد رضا .

وكان كرمه مضرب المثل ولا يزال كذلك في جميع البلدان الشرقية فقد كان حريصا علي اضافة كل قادم الى مصر ، واما اصدقاؤه فقد كانوا يذهبون الى داره من غير كلفة غير أنه في أواخر أيامه كان يواظب على صيام أيام مخصوصة منها الايام البيض ولذلك كان أصدقاؤه يعنون بمعرفة أيام صيامه حتى

ذا ما حضر واستطاعوا ان يأكلوا منه فيشبعوا أجسامهم بطعامه وانفسهم بعلمه ومعارفه عطفه وكرمه

ولازلت اذكر عندما كنت يافعا وكنت في داره بشارع درب الجماميز وكان الوقت وقت شهر رمضان فكان اذا أحس ان الوقت أشرف على الفجر ولم يبق مجال للاكل فكان يسرع الى ايقاظي ويحضر لي اللحم المحمر وما أشبه ويقف فوق رأسي يحثني على الاكل بسرعة فقالت مرة جدتي والدته: ان محيي الدين يجوع من رمضان كثيرا فقال لها ضاحكا : الله يحفظك ياوالدة أنت سمينة تتغذين من شحوم جسمك وأما هو فنحيف يحتاج للغذاء حتى يستطيع النهوض والعمل

وكان كريما جداً بالمال ولا سيما في الاعياد والمواسم فكان يعطيني في العيد مالا يقل عن نصف جنيه ذهبا طبعا عندما كنت صغيرا فلما كبرت صار يمنح أولادي بالنقود وكنت أراه يعطي كثيرين من الشبان الشرقيين وطلاب العلم نقودا ولا زلت اذكر مرة أنه دفع لشاب عراقي جنيها ذهبيا في أيام الحرب وكان بائسا فامتنع عن الاخذ فالح بقوة وقال له انني لاأتصدق عليك وانما يمكنك أن تحسبه سلفة من محيي الدين وعند مانوسر ترده اليه وبذلك أخذ الجنيه وهو الآن محام وكان موظفا بالحكومة العراقية في بغداد

ولطالما مد اليه كثير من العظماء أيديهم فردها مملوءة ولم يكن يذكر ذلك لاحدما وإنما سمعت هذا من الخادم الذي كان واسطة الدفع وهنا انقل للقراء كتابا ورد الي من الشيخ محمد بن سياد امين مكتبة الحرم المكي قال حفظه الله :

عزيزي السيد محيي الدين

حزني على الاستاذ السيد مثل حزن الولد على الوالد فانا لله وانا اليه راجعون كان سمع نبأ وفاته رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة التي قبض فيها في جده في الراديو وبلغنا الخبر الاخ محمد افندي نصيف صباحا بالتلفون فاحسست بالمصيبة ودب الحزن في نفسي غير أني كابرت النفس فيه وانكرت وقع ذلك الخبر وكذبت الخبر بادىء بدء ثم جعلت أتمنى ان يكذب الناس معي هذا

الخير وهيهات ان يغفل الناس ما قدمته وقد أرغمتهم الحقيقة على الاعتراف بالواقع فإذاهم يكتبون به في جرائدهم ويتحدثون في انديتهم ويصلون على المرحوم في مساجدهم فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم اللهم لنا الاجر واحسن لنا العزاء والهمنا السلوان ياسيد محيي الدين في هذا الفقد الكبير والاستاذ الجليل والمرشد العظيم وتغمده الله واخاه الوالد المرحوم برحمته وقابلهما برضوانه وحلهما في فسيح جنانه

اذكره رحمه الله حين كان يمدني وأمثالي من طلبة العلم المنقطعين في أثناء الحرب العمومية بشيء من ماله الخاص وكان رحمه الله يمثل بعمله الصالح هذا ماقيل في جده الاكبر صلى الله عليه وسلم: «إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم» وأذكره رضي الله عنه حين انقذني من السجن بكفالته الشخصية (ونعمت) يوم اعتقلني الانكليز في اوائل الحرب العمومية اعتقالا سياسيا ولولاه رضي الله عنه لامتد اعتقالي الى أواخر الحرب كما وقع لكثيرين امثالي وكذلك كان يمثل بعمله الصالح هذا ماقيل في جده الاعظم صلى الله عليه وسلم «وتعين على نوائب الدهر» وكان رحمه الله يعمل حسبة لله لاعن ايعاز من احد ولا عن مسألة وتعرض فواحسرتاه على هذا الخير الجسيم الذي فقدناه وواحسرتاه وكان رحمه الله ذا الجناحين يعلم علوم الدين ويفقه في أمور السياسة وما أعظم فقر العالم الاسلامي الى مثله وما أشد الخطر على الثغر الذي كان رحمه الله مرابطا عليه يدافع عن نهضة الاسلام بعد فقدانه

***

هذا ما كتبه عالم صوفي جليل وهو يكشف لنا عن ناحية كانت مخفية من نواحي عظمة فقيدنا وما انشاء دار الدعوة والارشاد الاعزة في جبينه رحمه الله فقد جمعت طائفة من طلاب العلم من بلدان الشرق أحدثوا أثراً محموداً في النهضة الاسلامية العربية

القاهرة الحزين

محيي الدين رضا

قصيدة الأستاذ

عبد الله عفيفي

مكانك لا يلج بك العثار … تراخى الليل وانطفأ (المنار)

وغابت في مغاربها الدراري … وحجب طلعة القمر السرار

أردد في ديار الحي صوتي … وقد أعييت فلم تجب الديار

أطاف بأهلها الساقي فمالوا … وأذن فيهم الحادي فساروا

وفرق بينهم صدع الليالي … وليس لصدعة الزمن انجبار

أحلاي الذين سروا تباعا … أما لليل بعدكم نهار

يرجي أن يهز الشوق جسمي … وقد عز المزار فلا مزار

فراقد منهم كانت سناه … أحالت نورها نبد القتار

نعمر ما نعمر ثم نطوى … وأهون ملبس ثوب معار

ونسلك للفنية كل صوب … ونخرج لا شعار ولا دثار

رويدك يازمان وما رويد ! … تهاوى الدوح وانتهت الثمار

ثوت بالكوكب الهادي العوادي … وطال بكاتب (الوحي) السفار

فواحفاه هل بين المنايا … وبين حماة هذا الدين ثار ؟

***

رشيد : وكنت إذ تدعى يأبي … يراع فيضه نور ونار

حسام من سيوف الحق تلقي … إليه قيادها البيض القصار

من الفردوس يسطع من شباه … سنا يغيل أو نقع يثار

كريم لا يجور ولا يماري … رشيد لا يجور ولا يجار

تجرد للجهاد فلم ترعه … كتائب للضلالة تستثار

تلقاها بعزم أحوذي … فلا وهن ولا قلب مطار

فصان موونا ومضى حميداً ولم يلحق به دنس وعار

***

رشيد تفجع الاسلام حزنا وناحت عرب وبكت نزار
قوى قد كنت من أمضى شباها وكان لها بمضائك ازدهار
اذا جئت (الامام) فقل سلام من القوم الذين عليك ثاروا
هم عرفوك بعد هوى مضل وهم بعد الثلاثين استناروا
ومن تثبت شريعته تساوى لدعوته التلبث والبوار
وأفضل مصلح رجل حلاه بلاء واصطبار وانتظار
ومن راض السريرة لا يبالى أقبل الموت أم بعد انتصار
وما يجزى المجاهد أن يجازى بسوء انما العار الفرار
سلام يا محمد من وفي له من ذكرك النخب الدار

تعزية الجمعية السورية العربية

بسان رفائيل — ولاية مندوسه الارجنتين

لقد شق على هذه الجمعية خبر وفاة العالم العلامة الشيخ محمد رشيد رضا فكان لهذا الخبر المشئوم أشد تأثير في نفوس كافة مناحيها ، لما كان للفقيد من المنزلة السامية في عالم الثقافة والادب العربي . إن هذه الخسارة أحدثت فراغا قل أن يسد . نظراً لعلو المقام الذي كان يتسنمه الفقيد بين ابناء أمته . بناء عليه فان جمعيتنا هذه تقدم تعزيتها الحارة إلى كافة أبناء العرب في جميع الاقطار ، وبقلوب ملؤها الأسى تشاطر عائلة الفقيد بهذا المصاب الفادح . سائلينه تعالى أن يعوض على الامة العربية ما فقدت ويسكن الراحل الكريم فسيح جنانه .

رئيس الجمعية السورية العربية

سان رفائيل « الارجنتين »

مصاب المسلمين

في

أعظم علمائهم وأعقل حكمائهم

أمات السيد رشيد أقضى نحبه وتولى ، أتزلزل ذلك الطود الراسخ ، أهوى ، ذلك العلم الشامخ ، أيموت العلم وتتضاءل الحكمة ؟ أتدري أيها الناعي من نعيت ؟ أتعلم أنك تنعى حجة الاسلام وعلامة الزمان وفخر الامة المحمدية بين الأنام ، يا لهول المصاب ويا لفداحة الخطب فقد جار الزمان واستبد ، وعبثت الايام بهذه الامة التي أناخت عليها الويلات بكلاكلها ، أفي كل يوم نفجع بزعيم جسيم ويموت رجل عظيم ، أفي كل يوم نصاب في الصميم ؟

أيها الدهر الخؤون لقد جرت في حكمك اليوم واشتدت قسوتك ، أطفأت سراجا وهاجا كان يهتدي به المسلمون في ظلمات هذه الحياة ، ويسيرون على ضوئه في دياجي الليالي الحالكات ، أتعمد الى ذلك النور فتخمد أنواره وتشاهد هذا الحائر فتهتك أستاره ، قل أيها الموت كيف تجاسرت على اختطاف تلك الروح الكبيرة والاقتراب من ذلك الجسم المتأجج بحب الاسلام ، ألم يخفك ذلك الاشتعال ، ألم تقف وقفة حائر أمام تلك النفس التي تسيل جزعا على تقطع المسلمين أوصالا فتنفث في كل طرفة عين من الحكم البالغة ما لو وعاه المسلمون لاستعادوا مجدهم الداثر وحظهم العاثر ، ألم تستهوك تلك الحكم النيرات أن تتريث لتأخذ درسا في الرحمة والاخلاص ، ألم ترهبك تلك النفس التي كانت تغلي مراجلها في ذلك الصدر الرحب الفسيح الذي لم يتسع لغير الدين الصحيح فوعى أصوله وضبط فروعه ، ألم تفزعك تلك الحشرجة وكلها زفرات أو صعدات أوصاب على تقهقر المسلمين وتأخرهم ، بالله كيف استطعت أن تحمل تلك الروح وقد ناء بحملها العالم الاسلامي بأجمعه ؟ تالله اني لم أكن يوما لاشعر بفراغ في جانب

المسلمين لا أرى من يسده كما أشعر في هذه الساعة ، وكل من يعرف الى أي درجة وصل المسلم اليه في الانحطاط الديني والاخلاقي والادبي والسياسي وكيف ضاع حيثيته ومركزه يدرك أن السبب الجوهري في هذا التأخر المشين هو جهل المسلم بحقيقة دينه القويم ، ويفهم أن العالم الاسلامي لم ينجب عالما دينيا منذ أربعين سنة يصل الى درجة حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا ولذا فلا بدع أن تقرح الجفون حزنا وتسيل الدموع أسفا على نبراس الفضائل ومصباح المعرفة ومنار السنة ونصير الحقيقة والصادع بالحق في وجه الباطل وستثبت الاجيال القادمة من هو السيد رشيد رضا لا أدري من أين أبدأ في سرد محامده الخالدة، ولا ماذا أقول وأني لعاجز من المعاني وعاجز عن التعبير أن يوفي الفقيد العظيم حقه غير أن الواجب يقضي علي أن أقول كلمتي التي إن دلت على شيء فلا تدل سوى على تقديري خسارة العالم الاسلامي بموت هذا العلامة الكبير والحبر الجليل

ولا أستطيع أن أحدد أعظم عمل قام به الراحل الكريم وكل أعماله عظيمة ، فالمنار مجلة العلم والدين والحكمة والاخلاق والارشاد والسياسة والتاريخ والاصلاح والدفاع عن حقوق المسلمين المهضومة والادب ، مجلة كافحت تيارات الزمان واستمرت تفسر من القرآن ما أشكل على المسلمين من آياته وتحلل من حكمه وبيناته، وتنشر إعجازه وغريبه وتقرر أحكامه التي وضعها الله لعباده وتأتي بفصول من أحاديث القرون الغابرة للذكرى والاعتبار ، ثم استورى الناس زنادها فأورت وطلبت الارتشاف من معينها فأروت، أفادت جميع المسلمين لا فرق بين العرب والهنود والايرانيين والاتراك والجاويين والافريقيين والافرنج والصينيين ، عرفتهم أصول دينهم وقومتهم وأحيتهم، وأنارت طرقهم ومهدت لهم السبل للسير في نور الهداية، وذكرتهم بعظمة رجالهم، وترجمت حياة الكثيرين منهم خدمت العالم الاسلامي من أول يوم صدورها إلى اليوم الذي أغمض الموت فيه عيني صاحبها فمن لنا بمن يستمر في إصدارها ؟ أليس الخطب بربكم جسيم ، من سيدافع عن المسلمين إذا ما وصمه أعداؤه بالتعصب الذميم ونسبوا إليه السخافات المرذولة والخرافات المشئومة ، من سيحيي لنا ذكر عظماء المسلمين

ويحل مشاكله الدينية من غير أن يتعصب لمذهب دون مذهب ويتقيد برأي دون
رأي ؟ من هو المفتي اليوم وقد توفي رشيد وانقضت أيامه (وفي الليلة الظلماء
يفتقد البدر) ؟

لا أدري — أأبكي موت رشيد أم أندب إبعاد أبواب المنار فقد مات
بموت السيد رشيد علمان ، ورشيد عالم يتدفق علماً كالسيل الجارف في اندفاعه
من أعالي الجبال وقد وعى كتاب الله وفهم أسراره ودرس درساً تحليلياً سنة
رسول الله ﷺ فعرف صحيحها وسقيمها ، فشرع يبحث عن أمراض المسلمين
حتى شخصها وأخذ يصف لهم الأدوية ، فمنهم من واظب على الدواء فشفاه الله ،
ومنهم من أهمل فأخزاه ، ثم ناضل وجاهد ، ثم جالد وكابد ، وأخيراً مات فقيراً لم
يأخذ من هذه الدنيا الفانية سوى الذكر الخالد والعمل الصالح ولكنه خلف
للمسلمين تركة كبيرة وتراثاً ضخماً خلف لهم أعداد المنار لجميع ما مضى من سني
حياتها ، وخلف لهم تفسير القرآن ، ذلك التفسير الذي أتم الفقيد في بحوثه القيمة
فيه أساليب العلم الصحيح ، فأثبت أن القرآن صالح لكل زمان ومكان ، وما تفسير
عبده إلا نتيجة البحث والتنقيب في معاجم العلوم وكتب المعارف واستنتاجات
العلماء الدينيين في جميع العصور الماضية مقرونة بالآراء القويمة والأفكار السليمة
حذف منه الإسرائيليات وأثبت المحمديات وأحيا به سنة سيد المرسلين فاستوجب
من الله الرضوان وفسيح الجنان .

يا ليت شعري أي تلميذ في هذا الوجود أخلص لأستاذه كما أخلص السيد
رشيد للشيخ محمد عبده ؟ فلم تكن تخلو رسالة من رسالاته من نسبة الفضل فيها إلى
الأستاذ الإمام حتى توج كل ذلك في تاريخ حياته في كتابه الضخم الذي سيطفو
على الأيام ويجتازها إلى القرون القادمة شاهداً إلى الأبد على مروءته النادرة
واعترافه بالفضل والجميل . وأين التراجم التي عهدناها من ترجمة السيد رشيد لحياة
أستاذه الإمام ، فليست هذه الترجمة بتاريخ حياة فرد من أفراد الأمة ولكنها
خلاصة لتاريخ أمة بأسرها تمثلت في شخص الشيخ محمد عبده خاض فيها فقيدنا
البحث وطرق المواضيع العلمية والأخلاقية والفلسفية والدينية والتاريخية وأتى

في المقدمة بكلمة عن موقظ الشرق أستاذ مذهم السيد جمال الدين الافغاني وكانه وضع للناس حديث النهضة الحديثة في الشرق ورجالها وأسبابها وصورها في شخص الرجل الذي لا ينتهي ذكره، ولا يزال المفكر في آرائه الصائبة واستنتاجاته الدقيقة مدة من الزمان، ولقد كنت اقرأ هذا التاريخ يوما في جزيرة — الصومال وعندي صديق يستمع فوقفت فجأة وانحدرت دموع عيني كاللؤلؤ الفضل وبعد لحظة سألني الصديق عن سبب بكائي فأجبته « انما بكيت » كيف تصل يد الموت إلى عالم كهذا لا يستطيع الزمان أن يبقى حتى تنفد مادته، اقرأ يا ريك كتابه « نداء الجنس اللطيف » فتعرف عظمة المقيد بادئ ذي بدء ثبت ما للمرأة في الاسلام من مركز ومقام، وأفهم العالم أن الاسلام لا يهضم حقوقها بل جعل لها من حماية الرجل وحماية الشرع ما تستطيع أن تعيش معها سعيدة موفورة الكرامة، بيان ذلك من كاتب قوي الحجة، سريع الخاطر، حاضر الذهن، لا تعوقه عن اثبات الحق البراهين المعقدة تدلي بالأدلة القوية والحقائق العقلية والنقلية حتى ترجع النفوس الطامحة الى الحق وقد أوردت ما أوهمونا من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاستدلالات المنطقية التي لا تقبل الجدل ولا النقض، ولكن واأسفاه عليك يا رشيد وأهاً فقد ذهبت وخليت الديار، وأصبحت مع الاخيار في دار الابرار، وأين نحن منك وقد بعد الدار وشط المزار وأسفاه على ذلك الرجل العظيم. ذلك العلم الخفاق، فقد خفت ذلك الصوت الداوي الذي طالما رن رنينه في الافق، فاستفز الارواح بعد خمودها، وبث فيها نشاطاً وأوجد فيها حياة، ويشهد ابناء النيل أني في قولي لصادق، وتشهد الجزيرة العربية وتشهد جاوا والهند، ويشهد العالم الاسلامي بفضل عالم فقده السيار طالما صر فوق الطروس، فحفز النفوس، وزلزل العروش وهذب البادي، وكون الاخلاق، وطيب الاعمال، وأرشد الى حسن، انما لو لم يؤلف السيد رشيد الا كتابه (الوحي المحمدي) لكفاه ذلك فخراً واحيائه الى الابد ذكره، ولكن مؤلفاته أكثر من ان تحصى وهي أكثر من كثير أو تذكر في كلمة تأبين كهذه أكثر كلها زفرات، وجل جملها أنات من قلب حزين يندب حظ المسلمين، ويعرف أنه كما احتفت جريدة

المؤيد في مصر منتخبي المنار وكان يقوم أحد بدلا عن عبد الكريم الريفي ولا عن محمد عبد الله حسن الصومالي ولا عن المهدي ولا عن عرابي باشا ولا عن جمال الدين الافغاني ولا عن مصطفى كامل وسعد زغلول والشيخ محمد عبده، فكذا لن يقوم أحد مقام السيد رشيد رضا. ولست أقول إن العالم الاسلامي لا يكتنف رجالا أعلاما ونباريس أولي فهم وإدراك، ولكني أقول إن النفوس متضائلة والاحلام حقيرة، وأنه لا يوجد رجل يضحي بنفسه في سبيل مبدئه الديني ويعرض صدره لسهام الانتقادات المرة الكرة تلو الكرة كما فعل السيد رشيد رضا ونحن في عدن كنا نستنير بمناره ونسترشد بعلمه، وطالما كتب رحمه الله المقالات وحرر الفتاوي لارشادنا، ولا يسعنا الا ان نستمطر الرحمات من لدن العلي الاعلى على روحه الطاهرة آمين

محمد علي إبراهيم لقمان

رئيس نادي الاصلاح العربي بعدن

تعزية جمعية الرابطة العلوية

في تافيا بجاوة

لقد انهلت القلوب جزعا وامتلأت الجوانح أسى وحزنا، لما أن بلغنا نعي صاحب السيادة العلامة الكبير المرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فقد فقد العالم الاسلامي فيه علامته الكبير وحبره النحرير وحاميا عظيما عن ذماره، وذائداً عن حياض دينه ومناره، ومفخرة علمية كبرى بل تاج فخاره رحمه الله رحمة الابرار وأخلفه علينا بخير خالف وعليه فلا عجب اذا اهتزت البلاد الاسلامية أسفا وروعا وبكت الافئدة والعيون جمعا

وقدم رفيق تعازينا في الفقيد لشعوب الاسلام والعرب عامة، ونخصص عائلة الفقيد الشريفة المصونة بأرقها راجين من المولى جل وعلا أن يمطر على ضريح الفقيد المعظم شآبيب رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ويخلفه على العالم الاسلامي خلفا صالحا ويلهم الجميع لا سيما ذويه الصبر والسلوان

عن الهيئة المركزية لجمعية الرابطة العلوية

الكاتب الاول: السيد أحمد بن عبد الله السقاف

كلمة الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في حفلة التأبين

ابتدأت النهضة في سورية دينية كما ابتدأت في معظم الأقطار الأخرى لسبب بدهي - وهو اعتقاد الناس أن الأئمة من أنفسهم فهم يخطئون ولكن دينهم الذي يقدسونه لا يخطئ، وهم يخطئون ولكن العقائد التي توارثوها عن أئمتهم لا تنحط ، فلا بد لهم والحالة هذه من أن يرجعوا إلى دينهم إذا أرادوا أن يعودوا سيرتهم الأولى من الرقي والنجاح، ففيه الكنوز المخبوءة التي تحقق لهم رغباتهم .

وكانت الحلقة التي سارت أبعد شوط في هذا المضمار في سورية مؤلفة من الأساتذة المرحومين: الشيخ طاهر الجزائري ، والسيد سليم البخاري، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ جمال الدين القاسمي، والسيد علي مسلم وغيرهم ، وكان من حظي ومن حظ الأستاذ محمد كرد علي أن نلتحق بهذه الحلقة المباركة، فكان يطلق علينا للتشهير بنا أسماء مختلفة آخرها أننا (وهابية) وهي كلمة لم تمر في نظرنا يومئذ إلا بما تعنيه اليوم في كثير من الأوساط في أنها طريقة الرجوع إلى السلف والاعتماد على كتب المؤلفين أمثال ابن تيمية وابن القيم ومن حذا حذوهما من الأئمة

معرفتي بالسيد رشيد سماعا : وفي تلك الفترة طلعت علينا من القاهرة مجلة (المنار) فعرفنا أن لنا في مصر إخوانا ينطق بلسانهم الراحل الكريم، فكنا ننتظر وصولها بلهفة وشوق لنطلع منها على أخبار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وإخوانه السلفيين المجددين

ومع كل المقاومات التي لاقيناها في الدولة العثمانية ولاقاها إخواننا في مصر فلا بد لنا من الاعتراف بأنها لم تكن شيئا مذكورا بجانب ما لقيه رجال الإصلاح الديني في [illegible]، ولعل من أسباب ذلك أننا ليس عندنا [illegible] كبير [illegible] منظم له جيوشه وقواده ومصالحه الخاصة

ما عرفني بالسيد رشيد عيانًا فهي عقب الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ فقد جاء سورية وزار دمشق زيارة طويلة عهدها ودعي إلى إلقاء درس في الجامع الأموي فقام عليه الحاقدون على التجديد الديني والحرية والدستور وتألبوا عليه بصورة كادت تنتهي بسفك الدماء فما فهموه واختلقوا عليه وزوروا عليه ما لم يقله ونسبوا إليه تحليل بعض المحرمات وتحريم بعض المحللات، ولولا تدخل كبار الأحرار لكانت ثورة رجعية حمراء، وهذا درس بليغ يجب ألا ينساه من وضع الإصلاح الديني الاجتماعي نصب عينيه مثلكم أيها السادة لأنه يدل دلالة واضحة كيف أن أعداء الإصلاح لا يتورعون عن الاختلاق والتزوير في سبيل مآربهم، وكيف أنهم يتذرعون بالدين للوصول إلى شهواتهم، وعلى كل حال فليس من الضرورة في شيء أن يكون أكثر الناس تشدقًا باسم الدين بأفواههم هم أقرب الناس إلى الله بقلوبهم

وعالج السيد رشيد رضا الشؤون السياسية في حياته، فكان في إبان الحكم العثماني من أنصار اللامركزية، وقارع الاستعمار مقارعة يشهد له بها كل من عرفه معرفة صادقة، وإن الخدمات الجلى التي قدمها في الموضوعات الدينية متعددة وجوهرية فمنها سعيه المتواصل لإظهار الصلة الوثيقة بين المعقول والمنقول وأنهما حليفان لا يجوز أن يفترقا، ومنها نشر الأخبار الصحيحة عن أخلاق السلف الصالح التي كانت سبب عزته ومناعته، ونقص هذه الأخلاق في الخلف الحاضر. ومنها اهتمامه بالأخلاق الإيجابية - وهي الأمر بالمعروف كما كان يهتم بالأخلاق السلبية - وهي النهي عن المنكر. ومتى عرفنا أن هنالك تفاعلًا شديدًا بين العقائد الدينية والعقائد السياسية واتصالًا وثيقًا أدركنا شأن الخدمات التي أداها السيد رشيد في النهضة العربية الوطنية، وستبقى مجلة المنار التي أنشأها بجده وغذاها بعقله وعقل أساتذته وإخوانه سجل النهضة الدينية الحديثة، وإذا كان الموت درجات: موت يفرح له الناس وموت لا يتأثر به أحد من الناس فموت السيد رشيد رضا هو موت تهلع له قلوب الناس

تأبين الامام

السيد محمد رشيد رضا

بقلم سماحة السيد عبد الحميد كرامي زعيم طرابلس الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا كانت الاعمال مرآة تنعكس فيها صورة أصحابها

واذا كانت الآثار تنطق بقيمة أربابها

واذا كانت الصفات الحميدة والمبادىء السامية والعقيدة الثابتة والايمان الصحيح تدلك على الرجل الموهوب صاحب الشخصية البارزة والعظمة الحقيقية .

فان فقيد الامة العربية المرحوم الشيخ رشيد هو ذلك الرجل العظيم والموهوب الحكيم ، واني استشهد من الوقائع بأمرين

أما الاول فتلك الابيات التي تركت دويا في جميع الاوساط وقد نفثها صدر المجدد الكبير والفيلسوف الشهير الشيخ محمد عبده رحمه الله ومنها هذا البيت :

فبارك على الاسلام وامنحه مرشدا
« رشيدا » يضيء النهج والليل قاتم

فقالت جماعات ان الامام يعني بالرشيد فقيد اليوم

وقالت جماعات ان الرشيد تمود الاشتقاق العقلي فهي فعيل بمعنى الفاعل ، وكيف ما كان الحال فان الفقيد لو لم يكن ذلك الرجل لما تبادر إلى أذهان الجماعات أنه الرشيد المرجو !

وأما الامر الثاني فهو آثار الفقيد وتآليفه وإظهاره التعاليم الاسلامية الحقة بمظهرها الصحيح ووقوفه المواقف المشرفة في سبيل العروبة والاسلام ، فاذا ما كتب

في عقيدة وإذا جادل فيقنع أو يقتنع ، فهو إذن رجل اجتمعت فيه مزايا الرجل وحاز هذه: غزارة العلم وسلامة الخلق وسمو المبدأ وشدة الإخلاص وأصالة الرأي حتى كاد يتهمه البعض بالشدة، وما ذلك إلا لعدم محاباته لأحد في ما يعتقد أنه حق.

وقد عاشر الإمام الرشيد في ثقافته وعمله، وتفوق بالوفاء والإخلاص، وكلكم يعرف أكثر مني كيف كان وفيًا بارًّا أمينًا لأستاذه الشيخ الإمام محمد عبده على الأخص، فمنه يتلاقى العقل بالأدب ويجتمع المنطق وسداد الرأي، ويتفق العلم مع الدين، ويكفيه فخرًا أنه وضع حدًّا لما علق من الريب في إذهان الناشئين، ولكل ما كان يلفقه الفرنجة خاصة من أعداء الدين، وأن السيد رحمه الله قد عرف وهو غريب الدار في مصر أن يحمل الأمة المصرية الكريمة على حبه واحترامه وتقديره، وها هي حفلتكم اليوم ناطقة بذلك الاحترام، ممثلة هذا التقدير الذي أذكره بالخير والفخر لمصر قلب العروبة النابض، مصر الضيافة، الآخذة عن محيطها من رجال الأدب ورجال السياسة إلى الذروة العليا فتطلبهم وتقويهم وتلهمهم بما هو كامن فيها من سحر وقوة وجمال.

وإذ كانت العروبة والإسلام مدينين للفقيد العظيم بما ألف وكتب ونشر فإن السيد رحمه الله مدين بعظمته لمصر الخالدة العاملة على تشجيع ذوي الرغبة في خدمة أمتهم وبلادهم بما قدمت له وما منحته به، ومدين أيضًا للعالم الإسلامي بما أحاطه به من رعاية وتقدير وبحسن استفادته من علمه وفضله.

إن العروبة والإسلام المفجوعين بفقيدهما الخالد وبولدهما الأمين لا بد ولكن تعزيتنا أيها السادة هي في بقاء رجالات مصر وكواكبها المنثورة في سماء العبقرية وذلك يخفف عنا أعباء المصيبة بفقيدنا الذي نسأل الله له الرحمة الواسعة، والجنة الناعمة، كما نرجو للبلاد العربية جمعاء وحدتها التامة ولمصر استقلالها الكامل لتعيد مجدها الغابر، وعهدها الزاهر، وفي ذلك أكبر عزاء، وأفضل رجاء، والسلام عليكم ورحمة الله

طرابلس الشام   عبد الحميد كرامي

عواطف ابن زيدان
نحو فقيد الفضل والعرفان

لقد فقد الهدى أسمى فقيد ... بمصر ليس فيه سوى (رشيد)

فقاد لفقده الاسلام حزناً ... وفقد (مناره) الزاهي المشيد

وود (فؤاده) لو كان يفدى ... فقيد بالطريف وبالتليد

ولو يمضي سواد العين فيه ... لرجح هان في حق الفقيد

فقيد ماله خلف يضاهي ... جلالة علمه السامي المديد

إمام كان منه الشرع يجلى ... ودين الله يسمو في صعود

إمام شاد للاسلام حصناً ... حديداً صار رمزاً للخلود

إمام فاز بالقدح المعلى ... بفضل السبق والشأو البعيد

إمام لايجارى في المعالي ... وماله في المعارف من نديد

لقد أحيا الانام حياة علم ... وأرشدهم إلى القصد السديد

(بنيل) علومه الفيض روى ... عطاشاً في الصدور وفي الورود

فأصبحت المذاهب منه ثكلى ... تقول عزاؤنا بالدمع جودي

وتعلن أنه قد كان فرداً ... يعز نظيره في ذا الوجود

وأن له على الفقه طراً ... ايادي جددت خير العهود

وأن له على الافكار فضلا ... يرد به أخا الفكر الشرود

وأن له لدى العظماء ذكراً ... يرجع مثل ترجيع النشيد

اذا ذكرت ذوو الاصلاح يوما ... فإن فقيدنا بيت القصيد

رسا بثباته فوق الرواسي ... وفي وثباته حتف العنيد

ولم يعبأ بما قد كان يلقى ... من الازمات والدهر الشديد

أيجهل فضله في الناس يوماً ... وفضله ما عليه من مزيد

وهل بعد الرشيد يطيب عيش ... ويفخر المعز بالوجود

وآه ثم آه ثم آه ... على طود تغيب في اللحود

ولكن لا مردّ لحكم مولى ... مضى طبق المشيئة في العبيد

وهل يجدي سوى التسليم عبداً ... يقر لدى المصاب إلى السجود

ويرجع عند ذلك إلى التأسي ... بمثل فقيدنا الركن العميد

عليه رضى المهيمن ما تجلت ... على مثواه أنوار الشهود

وفي دار النعيم يقر عيناً ... بما يرجوه من غفران مجيد

ورحمة الله ربه تتلى عليه ... أتم مطارف الذكر الحميد

ابن زيدان

عن مكناس في ٢٥ رمضان عام ١٣٥٤

قاله وأمر بكتابته

خديم العلم والتاريخ

عبد الرحمن ابن زيدان

نقيب الأسرة المالكة في المغرب الأقصى

وصف المقطم لحفلة التأبين

أقيمت أصيل أمس في دار جمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين المرحوم السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار برئاسة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر

وكان في مقدمة الذين شهدوا هذه الحفلة أصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ ابراهيم حمروش والشيخ علي سرور الزنكلوني والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من شيوخ الأزهر ورجال الدين

وحضر الحفلة أيضاً حضرات الشيخ فوزان السابق معتمد الحكومة السعودية وعبد القادر بك الكيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقية وحمد الباسل باشا والدكتور نمر والسيد الثعالبي والوجيه ميشيل بن لطف الله وانطون بك الجميل وخليل بك ثابت والدكتور خليل مشاقة والاساتذة خير الدين الزركلي وأسعد داغر وأمين سعيد وتوفيق بك هولو حيدر وغيرهم من أعيان السوريين واللبنانيين .

وجلس على المنصة فضيلة الأستاذ الأكبر رئيس الحفلة ومهدي بك رفيع مشكي سكرتيرها العام وبقية الخطباء مع آل الفقيد

كلمة رئيس المجلس الاسلامى الاعلى

بالقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الوطنى المفضال الاستاذ محمد على الطاهر المحترم

القاهرة — مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد تلقيت كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٤ رجب ١٣٥٤ وفق ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥ والمتضمن قيام فريق من اخواننا الاكارم بتأليف لجنة لتأبين فقيد الاسلام الكبير منشىء المنار المرحوم السيد محمد رشيد رضا

انى أشاركم فى القيام بهذا الواجب اعترافا بفضل الفقيد العظيم ومآثره الجليلة وجهاده المتواصل في سبيل الاسلام والعروبة .

وأشكر لحضرتكم اهتمامكم فى اقامة هذه الحفلة التأبينية الكبرى لايفاء الفقيد الجليل حقه من الرثاء والتأبين وتخليد ذكراه الحافلة بشتى المآثر والصفات .

واسأله تعالى أن يعوض الاسلام والمسلمين خير العوض ويجزي الراحل الكريم على ماقدم وبذل خير الجزاء .

وانا لله وانا اليه راجعون

والسلام عليكم .

رئيس المجلس الاسلامى الاعلى

٨ شعبان سنة ١٣٥٤ محمد أمين الحسينى

السيد رشيد رضا

كلمة الاستاذ محمد لطفي جمعه

كل من قرأ الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده تأليف المرحوم السيد محمد رشيد رضا ووصل الى صفحة ٧٩١ لا بد أن يكون اطلع على النبذة الآتية تحت عنوان (إحالة الاستاذ الامام محمد عبده بعض المستفتين على مريده المؤلف) قال رحمه الله :

« واذكر من الاحياء المعروفين محمد لطفي جمعة كان كتب الى الاستاذ الامام وهو تلميذ في المدرسة الثانوية مكتوبات وأنه حضر ولقي الاستاذ واراد البحث معه في المسائل التي كانت تشغل باله وهو طالب ثانوي وقد وجدت كتابين للطفي جمعة رأيت أن أنشرهما لما فيهما من الدلالة على بحثه في زمن التعلم في مسائل فلسفية وعلاقتها بالدين ومعرفته بمكانة الاستاذ وفضله والهامه الرجوع اليه فيهما ووصفه التعلم في المدارس الثانوية وقد فاته ولا أذكر ماذا ريتنا بالتفصيل »

ورجوعي إلى الكتابين المذكورين رأيت تاريخها ٢٤ فبراير سنة ١٩٠٤ وإذن تكون علاقتي بالمفتي الامام وتلميذه الرشيد ترجع إلى ٣٢ سنة ، وفي الخطابين تصوير لخواطري في عهد الدراسة الثانوية وفيهما بحث في أقدمية المادة والتكوين وخواطر في النفس البشرية وخلق آدم وحواء الخ

وإذن وجب على بوصفي من أسبق الأحياء إلى معرفته أن أوفيه حقه من التأبين، وقد وقع حظي على موضوع علاقة المرحوم السيد رشيد بالمستشرقين وهو بحث غريب طريف لأن السيد لم تكن له علاقة حقيقية بأحد من علماء المشرقيات الافيا تعلق ببحثه أحيانا نادرة في آرائهم . وكان يقر بعضا منهم على النتائج الباهرة التي وصلوا اليها ولا سيما جولد زيهر في كتابته على السنة المحمدية، وأقول إن دراستي لمؤلفات معظم المستشرقين الذين كتبوا عن الاسلام والتقائي ببعضهم في أوربا ومصر جعلتني أكون عقيدة ثابتة في أن الذين بحثوا في الاسلام منهم أثناء القرون الوسطى أمثال أديسون وباكون كانت تتأجج في صدورهم نيران الحقد والكراهية واستمرت هذه النار في صدور بعض الذين بحثوا منهم في جانب

كثيرا من اعوام العصر الحاضر وهم اهل تعصب وحقد على الاسلام . ثم استحدث عهد ادعى فيه بعض المستشرقين إلتزام الحياد فيما كتبوه وقالوا انهم خالو الغرض وبريئون من سوء النية ولم يعودوا يوجهون الى الاسلام شيئا من الذي اليه اسلافهم في كتبهم الخاطئة .

وينبغي ان اقول ان المستشرقين الحسني النية أدوا أعظم خدمة للاسلام وألقوا بمؤلفاتهم وجهودهم اضواء جديدة على أصول الدين الاسلامي الذي قلب العالم رأسا على عقب . وفي مقدمة هؤلاء نولدكه وسنوك هرجرونجه وهما هولنديان ونيكلسون وادوارد براون الانجليزيان وجولد زيهر النمسوي وليون كايتاني الايطالي ورينان وديساسي الفرنسيان

اما الآخرون الذين لم تتوفر فيهم النية الحسنة ولا الغيرة الصادقة الواجبة على كل باحث علمي فقد أتاح الله أقلامهم لنشر فضائل الاسلام على الرغم منهم وفي مقدمة هؤلاء مرغليوث الذي لطخ وجه العلم والتاريخ والادب بكتابه في حياة النبي الذي حشره فيه من الاكاذيب والاباطيل ويسرني أن أذكر أن بعض المستشرقين امثال موير ودرمنجم وكايتاني قد سلكوا في النقد العلمي طرقا تختلف بعد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين فوصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته والى التأكيد بصحة استعداده للوحي فعمدوا الى تفسير خفاياه ولكنهم عجزوا

أما المتأخرون من المستشرقين فقد استخلصوا اصول العقيدة الاسلامية وبحثوا اطوار نشوئها وترقيها وقالوا بأن بعض ما يعتقد المسلمون انه منزل من الله لم يكن غير نتيجة تطور طبيعي أو تفسير لمعان غامضة لم تكن واضحة في فجر الاسلام ونزعوا عن صورة النبي جميع ما أضيف اليها من الاساطير والروايات التي بدلت حقيقتها أو شوهتها

ثم تناولوا بالنقد الدقيق أقوال النبي وأعماله وحركاته وسكناته ووضعوا حدا فاصلا بين ما أوحي اليه وهو ثمرة الالهام وبين ما وصفوه بالمدارك التي تنشأ في عقله على أثر اتصاله بالحياة اليومية وبعد أن استتب الأمن والتشريع بالقرآن ووضع القواعد لتسيير الدولة الضخمة التي انشأها

موا ذلك و... يعتقدون أنهم يفضلون العنصر الآري ... معناه الفاضل من العنصر الإنساني ... فقصروا عنصر الآري على أنه لا يحتمل الفن ولا الجمال في نظرهم و... العنصر الإنساني إلى ... النبوة وفي أثناء حرب ... المرحوم الأستاذ الإمام كتب جبرائيل هانوتو مقالا في جريدة جورنال عن الإسلام فرد عليه الفقي ردا مفحما ألزمه الحجة وأرغمه على الاعتذار والتقلب في اعتذار كالأفعى ثم نقل الأستاذ فرح انطون نبذا من تاريخ ابن رشد من كتاب ارنست رينان ونسب فيها إلى الإسلام أنه ضيق العطن حيال الفلسفة وأن غيره من الأديان أوسع صدراً للحكمة فانبرى الشيخ محمد عبده للرد على رينان بأدلة تاريخية وبراهين محسوسة حتى أزال ... أثر ما نسب إلى رينان ومعظمه راجع إلى أخطاء في الترجمة وقع فيها الناقل بحكم العجلة وقلة الخبرة . ومن غرائب المصادفات أن السيد رشيد وفرح كانا من بلد واحد وصلا إلى مصر في يوم واحد أما الموقعة الكبرى بين المرحوم السيد رشيد رضا والمستشرقين فهي رده عليهم في درسهم للسيرة المحمدية وتفسير الوحي وهو يسلم بأن علماء الإفرنج درسوا تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده على طريقتهم في النقد والتحليل ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وقلبوها فيها ونقشوها بالمناقيش وقرؤا القرآن بلغته وقرؤا ماترجم به أقوامهم وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد وتاريخ الأديان ولا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية وما كتبه المتعصبون للكنيسة من الافتراء على الإسلام والنبي والقرآن فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية :

أن محمداً كان سليم الفطرة كامل العقل كريم الخلق صادق الحديث عفيف النفس قنوعاً بالقليل من الرزق غير طموح بالمال ولا جنوح إلى الملك ولم يعن بما كان يعني به قومه من الفخر والمباراة في تحبير الخطب وقرض الشعر ، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات كالخمر والميسر وأكل المال بالباطل ، وبهذا كله وبما ثبت بعد النبوة جزموا بأنه كان صادقاً فيما ادعاه بعد استكمال الأربعين من عمره من رؤية ملك الوحي وإقرائه قرآناً وإنبائه بأنه رسول من الله لهداية قومه فسائر الناس .

أما المستشرقون الماديون فرأيهم أن الوحي إلهام يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس ، فإن هذا شيء لم يثبت عندهم وجوده ، وهذا

وهذا التصوير الظاهر للوحي قد سرت شبهته في كثير من المسلمين العصريين
الذين يقلدون الماديين

وقد أخذ المرحوم السيد رشيد على عاتقه الرد على هؤلاء الماديين في الصفحة
٧٨٨ من المجلد السادس من المنار سنة ١٣٢١ أي منذ أربع وثلاثين سنة : فرد على
من شبهوا النبي محمداً بالآنسة الرعية الحربية جان دارك راعية الغنم بأنها لم تقم
بدعوة الى دين أو مذهب وأنها كانت مصابة بنوبة عصبية قصيرة الزمن معروفة
السبب وهو بغضها لأعداء وطنها الانجليز وتعيينها قائدة لجيش ملكها وتجهيزها
بعشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانجليز الذين كانوا يحاصرون
أورليان فدحرتهم عنها حتى رفعوا الحصار في مدة أسبوع وذلك سنة ١٤٢٩ ثم
زالت خيالاتها الحماسية فهزمت في السنة التالية ١٤٣٠ فانكسرت وجرحت
وأسرت وحوكمت وأحرقها رجال الكنيسة الذين قدسوها بعد ذلك بخمسمائة
سنة بالتمام فصارت سنة ١٩٣٠ القديسة جان دارك .

قال السيد جمال الدين الأفغاني لبعض مجادلي النصرانية انكم تصدقون قصصا
من رقاع العهد القديم وتستحونها للمسيح عليه السلام وقال رشيد رحمه الله
للمستشرقين الماديين إنكم تصدقون قصصا آخر مما فهمتم من تاريخ الاسلام
لامن عمومه وحده وإنما خلعوها على [illegible]

وألف السيد رشيد كتاب الوحي المحمدي للرد على هؤلاء وذكر منهجهم
واضطرابهم وتلقى المطورة اجتماع النبي ببحيرا الراهب في مدينة بصرى
بالشام الذي قيل انه علم النبي

والثابت أن محمداً ﷺ خرج الى الشام مع عمه كان عمره تسع سنين
وكل ماجاء فيها ضعيف الاسانيد الا رواية الترمذي

وهذه ليس فيها اسم بحيرا وفيها غلط في المتن وليس في شيء منها أن النبي
سمع من بحيرا شيئا من عقيدته أو دينه

ويتناول مسألة ورقة بن نوفل أحد أقارب خديجة ويحاول بعضهم إيهام القراء
أن محمداً أخذ عنه شيئا من علم أهل الكتاب والحقيقة ان ورقة كان عند بدء
الوحي أعمى ولم يلبث ان مات وتناول المرحوم هذه النقطة في تفسير [illegible]

الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهي الاية ١٥٧ من سورة الاعراف .

واسلام سلمان الفارسي وغيرها ..

ولكن نار العقيدة ونورها تشتعل وتضيء في صدر المرحوم عند ما يرد على المستشرق الذي قال : إن محمداً كان يجد في التحنث طمأنينة لنفسه فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل أبي قبيس . وهذه النجوم في ليالي الصيف في صحراء كثيرة البريق حتى ليحسب الانسان انه يسمع صيص ضوئها وكأنه نغم نار موقدة .. ومحمد في ريب من حكمة الناس ويريد أن يعرف الحق الخالص قال : جولد زيهر في كتاب «السنة المحمدية» المكتوب باللغة الالمانية والمترجم الى معظم لغات اوربا .

ليس الاسلام سبب انحطاط الشعوب المتمسكة به ، ولكن سبب انحطاطها ضعف عقولهم واخلاقهم وخطأهم في فهم أحكام دينهم فقد أخطأ المسلم في فهم معنى التوكل والقدر وكل الامور إلى الحوادث واخطأ علماؤهم في فهم ما جاء من انهم خير أمة أخرجت للناس فظنوا الخير مقرونا باسم الاسلام ولفظه لا بروحه ومعناه ، وفي هذا مخالفة صريحة لأوامر الدين وأمثلة السنة المحمدية المقادة من أقوال النبي وأعماله .

وكذلك اخطأ المسلم في فهم معنى الطاعة لأولي الأمر والانقياد لهم فسلم جميع اموره للحكام وتركهم يتصرفون في اموره وظن ان الحكومة يمكنها القيام بجميع شؤونه بدون معاونته أو اشتراكه

وهذه العيوب وغيرها راجعة إلى طبائع الشعوب التي تدين بالاسلام وما ورثته من الاجيال الوثنية السابقة ، وقد مرت بها اليهودية أو المسيحية وتركت بعض آثار فيها .

وبالجملة فالأمة المنتسبة للاسلام وتكون منحطة أو مغلوبة ليست أمة مسلمة الا لفظا ، وهي في الغالب وثنية تلبس ثوب الاسلام ، لأن بحوثنا المستفيضة أثبتت لنا ان الاسلام يرفع شأن المنتسبين اليه ولا يمكن ان يخفضهم بل تخفضهم اخلاقهم وعقولهم .

كل مطلع على آداب الافرنج يعلم أن علماء المشرقيات عندنا بعرض دوحة يانعة بالعلوم العربية وقد أينعت بمستشرقيها المشهورين منهم أمثال دي خويه، وجرجيه ونولدكه، وسانتي ي، ورينان، وكايتاني، ونيكلسون وبراون، وجولدزيهر، وويلهاوزن وقد شادوا للعلوم الشرقية والآداب العربية مجداً لا يدانيه في حسن التأليف الاجلال مباحثهم، هؤلاء كلهم علماء تغذت مواضيعهم العقلية على حذق النقاد ودقتهم، وقد نشأت لكل منهم سجية تطلعه حول جميع الامور من علل ودور حتى كشف لنفسه منها مبدأ .

واتفق نولدكه، وليون كايتاني، ودي جوجيه، وويلهاوزن، وجولدزيهر ونيكلسون على صحة سيرة رسول الله التي كتبها ابن اسحق ورواها ابن هشام ولم يكن هذا التصديق اعتباطا إنما نتيجة بحث واستنباط واستقراء، وقد ظهر لهم أن ابن اسحق المتوفى في منتصف القرن الثاني كان ثبتا في الحديث والمغازي ودرس على أعظم العلماء المعروفين في زمنه وفي عصره وأنه فيه طريقة الاسانيد

وقد رأيت كتابه باخبار رسول الله ... ويروي عنه ابن اسحق مطبوعا في هولندا سنة ١٨٩٠ أما السيرة ذاتها فقد طبعت في أوربا سنة ١٨٦٠ وترجمت الى بعض اللغات الأوربية، وابن هشام الذي روى عن ابن اسحق كان مشهوراً بعلم النسب والنحو وتوفي بمصر في أوائل القرن الثالث

ان فريقا مهما من المستشرقين يستعملون علمهم وأدبهم لاغراض سياسية في الممالك الاسلامية والشرقية، فهم يتقنون اللغات ويندسون بين ظهرانيهم ويقفون على أخلاقهم وعاداتهم ونظمهم واسرار دولهم، فمن هؤلاء هرجرونجيه الذي أقام في مكة وفي حاوي مسلما وجورج سيل أقام في مصر ومكة مسلما، وشارب بيرتون حج وألف في كتاب العرب وشمائل الاسلام كتابا، ولين مؤلف كتاب « المصريون المحدثون » .

وكانت الحاجة الى هؤلاء الناس ماسة وعملهم لأوطانهم مثمرة عندما كان أهل هذه البلاد الشرقية والاسلامية متمسكين بآدابهم حريصين على حياتهم القومية .

أما الآن فقد أصبح كل شيء معروفا ومعلوما ومباحا بل أصبح المسلم في هذه الايام حجة لغيره من أهل الاديان والملل الاخرى وفتنة له يضل بها عما أقام الحق من أعلامه ،فاذا قيل إن الاسلام خير الاديان بل هو دين الله جاء في أكمل صورة ببعثة خاتم النبيين وأيدنا هذا القول بألف دليل — رأينا علة واحدة تهدم كل ماتي من الادلة وهي « لو كان الاسلام دينا صحيحا ماوجدنا أهله المتمسكين به في زعمهم على مانرى من فساد الاخلاق وسقوط الهمم وضلال العقول » حتى أصبحنا فتنة لغيرنا

فلما كانت سنة ٦١٠ كانت الحال النفسية التي يعانيها محمد على أشدها فابهظت عاتقه العقيدة بأن امراً جوهريا ينقصه وينقص قومه . ونسي النهار والليل والحلم واليقظة وقضى ستة أشهر في هذه الحالة ثم جاءه الملك ! !

وقد حنق المرحوم السيد رشيد على هذا التصوير لبداية الرسالة فقال : ان هذا المستشرق ارخى لخياله العنان ونزع من جواده اللجام ،وخسه بالمهماز فعدا به سبحا، وجمح به جمحا ،وقد حت حوافره له قدحا واثارت له نقعا واذن لشاعر يته ان تصف محمدا عند الغار بما تحدثه في نفسه مشاهد نجوم الليـل . وكل ما كتبه أوجله غير صحيح وتصل حمية المرحوم وحماسته عند ما يكتب

« فمن اين علم هذا الافرنسي ان محمداً نسي الليل والنهار ،والحلم واليقظة، وانه كان يقضي الساعات الطوال جاثيا في الغار او مستلقيا في الشمس وانه قضى ستة اشهر في هذه الحال — قد افترى في الاخبار ليستنبط منها انه صار صلوات الله عليه مغلوبا على عقله غائبا عن حسه ،وانا ننقل هنا اصح الاخبار في خبر تحنثه في الغار الليالي ذوات العدد من شهر رمضان في تلك السنة لانفيا قبلها لتفنيد مفترياته وللاستغناء بها عما نقله من الخلط في صفة الوحي

وخلاصة رأي الشيخ رشيد في الوحي وهو اهم مسألة عالجها في حياته حتى جعلها آخر ماالف ونشر قال :

«ان استعداد محمد للنبوة والرسالة عبارة عن جعل الله روحه الكريمة كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كل مافي العالم من التقاليد الدينية والآداب الوراثية والعادات المكتسبة الى أن تجلى فيها الوحي الالهي بأكمل معانيه ،وأبلغ مبانيه لتجديد دين الله المطلق الذي كان يرسل به رسله الى أقوامهم خاصة بما يناسب

عالمهم واستعدادهم وجعل بعثة خاتم النبيين به للبشر عامة دائمة لا يحتاجون بعدها الى وحي آخر، فكان في فطرته السليمة وروحه الشريفة، وما نزل عليها من المعارف العالية، وما أشرق فيها من نور الله، الذي تلونه عليك من آخر سورة الشورى . هو مضرب المثل في قوله تعالى في سورة النور (الله نور السموات والارض مثل نوره .)

فزيت مصباح المعارف المحمدية يوقد من زيتونة لا شرقية ولا غربية ولا يهودية ولا نصرانية بل هي الهبة العلوية

كلمة المجاهدين السوريين
في الصحراء بوادى السرحان

أرسلها المجاهد الكبير سعادة محمد عز الدين باشا الحلبي من النبك

حضرات أصحاب السعادة رئيس وأعضاء اللجنة الموقرة لتأبين الاستاذ الكبير المرحوم الامام العلامة السيد محمد رشيد رضا — القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانا نشاطركم الأسى على رزء الفقيد العظيم العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله فلقد فقدنا به ركنا عظيما من أركان العرب والاسلام وعلماً فذاً من أعلام العلم والتقوى، وبطلا مقداما من أبطال نهضتنا الذائدين عن حياضها والمتفانين في سبيل اعلاء شأنها ورفع كلمتها وكيف لا يكون رزؤه عظيما وهو العلم المفرد بعلمه وصلاحه وأخلاصه لأمته ووطنه وهيهات أن يجود الزمان بمثله ، أن الزمان به لبخيل .

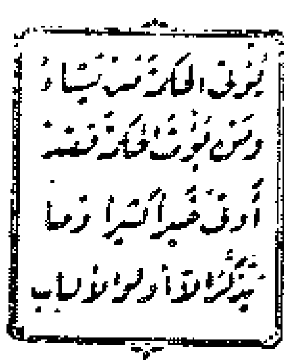
فلو يمكننا فداؤه لفديناه بالنفوس وبكل غال ورخيص وبكل جبان لم يحذ حذوه في الجهاد الوطني الصحيح ولم يكن على غراره بعزة النفس وحب الحرية والكرامة ولئن كرمته الأمة فأنما تكرم به البطولة والصدق والاخلاص . رحم الله الفقيد رحمة واسعة وجعل خلفه خير خلف السلف والهمنا جميل الصبر والسلوان وحيا الله القائمين بحفلة تأبينه من عظماء الامة وكرامها الشاعرين بشعوره الحي

وانا لله وانا اليه راجعون عن النبك — وادى السرحان ٧ و ١ و ٩٣٦

باسم مجاهدى الصحراء وأحد أصدقاء الفقيد : محمد عز الدين الحلبي

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٨ محرم سنة ١٣٥ هـ   ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

المستشرقون والاسلام

بقلم الدكتور حسين الهراوى

مفتش صحة مصر القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

من أحمد نسيم الشاعر

الى الدكتور حسين الهراوى

قف وقفة بين اجلال واكبار … واحمد دفاع طبيب الحي والدار

جلى «حسين» بشوط راح ينهبه … شأن الجواد إذا جلى بمضمار

ما أنفك يهدي إلى الاسلام منكره … والحق أبلج لا يخفى بانكار

يقظان ما هدأت يوما شقاشقه … كالفحل يتبع تهداراً بتهدار

في كفه قلم لو شاء أترعه … سم الأساود أو شهداً لمشتار

مرهف الحد مبري له جدل … يرضي النبي ويرضي الخالق الباري

براعه كقناة الخط يرهبها … سنان كل أصم الكعب خطار

يجري على الطرس آيا حين تقرأها … يجري دم الرشد بالبادي وبالقاري

قويمة في ارتياد الحق أشرعها … للأخذ بالحق لا للأخذ بالثار

تدفع الصدق من حيزومها ضيباً … دفع الخضارم تياراً بتيار

من عترة برسول الله مشرقة … ملء النواظر من زهر وأقمار

الله أنزل في الأحزاب أنهم … من أهل بيت كرام الخيم أطهار

فما ارتضوا نزعات الأمر مأثمة … ولا ارتدوا برد آثام وأوزار

ولا تقطع أمر الله بينهم … ولا أصيب بنقص بعد امرار

أعظم بهم في مجال الدين من نفر … مهاجرين ذوي عزم وأنصار

قم يا حسين فاطفيء كل مشعلة … من الضلال تنطى زندها الواري

عجل لهم قطهم خزيا إذا حسروا … عن أوجه سفرت سوداء كالقار

مدوا بأيد تخط البطل فاندحروا … قهراً أمام متين الايد قهار

لولاك لانغمست في الكفر ناشئة … كادت تضل بجحاد وكفار

...ش في طريقك وادمعهم بمحرقة ... تبقي ندوبا ذات آثار

مستضعفون إذا ذلوا فان قدروا ... جاءوا بمكر خفي الكيد كبار

شريعة الله والمختار هازئة ... بمفترين على الاسلام أغرار

مستشرقين أثاروا نقع حملتهم ... حتى كأنهم طلاب أوتار

يخفون تحت ستار البحث كيدهم ... وهم على دين قسيسين أحبار

وقوم أحق بنيس النعل مشركة ... وليس منطقة شدت بزنار

تعصب وأكاذيب ملفقة ... من مقذعين وقح النقد أشرار

ما بالهم نقدوا القرآن وانصرفوا ... في نقدهم عن أصاحيح واسفار

وأجهل الناس من يبني عقيدته ... على شفا جرف من زيفه هار

وكيف تطلب منهم رشدة وهم ... في الدين عمي قلوب عمي أبصار

ان أبصروا الخير أخفوه وان ظفروا ... بالشر أبدوه في جهر وإسرار

والذين استباحوا البغي ساعرة ... مشبوبة الوقد من ناس وأحجار

في كل يوم ترى منهم أخا خطل ... يقول أذعن غير مختار

ضلت يراعته في نفس باطله ... كما يضل السرى في ظلمة الساري

بشراه بالخزي في دنياه ممتطياً ... متن الضلال وفي أخراه بالنار

لا نضر الله داراً بات ساكنها ... ولا سقاها حيا وطفاء مدرار

إن كان للعلم تضليل وشعوذة ... فالعلم أقبح مدعاة إلى العار

* * *

حسين هل لك في حمد يردده ... فم الزمان اذا أدلى بأخبار

كأنه باقة في روضة أنف ... شتى الازاهير من ورد ونوار

جادت عليها الغوادي فهي زاهرة ... وكل ناضرة الأكمام معطار

قصيدة تضرب الدنيا بسنبكها ... فتنبه الذكر في بيد وأمصار

اني تمر تترك الآفاق مشرقة كوكب مستفيض الضوء سيار
ضمها بعروتك الوثقى معطرة كأنها وردة من ورد آذار
حسبي بمدحك أعلاء وتزكية فبالشريف تعالى شعر مهيار
جزاك ربك في آلائه نعما موصولة بمثني بعد ابكار
أعدك الدين للجلى إذا اشتجرت اعداد ليث قوي الزند زأر
دين من الله جلى كل واجبه يوم استهل بأضواء وأنوار
كالشمس ما أشرقت بيضاء مسفرة تختال ما بين أشراق وأسفار
وبعد فانظر الى نفسي وما احتملت من حاسدين لاهل الفضل أغمار
مرت فيهم فضاعت مدة سلفت عددتها بينهم من شر اعماري
صدوا عن الشدو آذانا مصممة ليست تصيخ لورق فوق أشجار
ان أنكروك فلا تحزن فقد نكروا من قبل فضلك آياتي واشعاري

احمد نسيم

الفصل الاول

أسباب ونتائج :

يحدثنا التاريخ أن جزيرة العرب عامة ومكة خاصة ، لم تكن قبل الاسلام مستعمرة لأحد ، ولم يفتحها فاتح قط[1] وكان العرب مدى تاريخهم أحرارا

وكذلك يحدثنا التاريخ أن العرب قبل الاسلام لم تكن لهم ثقافة ، أو دور تعليم ، ولم تكن لهم مدنية ولا تاريخ مكتوب غير ما كانت تتناقله الألسن راوية عن راوية ، وتلك هي ثقافة الفطرة

ولم يكن للعرب هيئة اجتماعية ، أو نظام حكومي بالمعنى الذي نفهمه الآن ، وجل تفاخرهم كان بانتصار قبيلة على أخرى ، أو بتحديها ، فكانوا أشتاتا من القبائل لا تجمعهم إلا ميادين الحروب أو أسواق التجارة او مواسم الحج

ومن البين أنه لم تكن هناك أية فكرة أو ظن بينهم لجمع شتاتهم وتوحيد مجتمعهم قبل الاسلام

ومن وسط هذه القبائل المفككة أو من أسحق الامكنة فيها سطعت أشعة الاسلام، وفي مدى عشرين عاما من حياة النبي العربي الكريم ﷺ ، تكونت أمة تشعر بوجودها الادبي وتقوم برسالتها في الأمم المجاورة ، فتكتسح المتقدات البالية ، وتقضي على ملك الفرس والرومان وترثه

(١) مواقف حاسمة للفصل الاول لعنان

وليس لهذه النهضة الكبرى ، والثورة الفكرية العظمى سوى مصدر واحد هو القرآن ، وأداة واحدة في تأدية الرسالة هي شخصية سيدنا محمد ﷺ ، ومهما يكن من الظروف التي ظهر فيها الاسلام ، وأحوال العالم في ذلك الوقت ، فان ظهور الاسلام من أجدب وسط في العالم ، ومن أوحش صحراء ، ومن أبعد الامكنة التي يظن أن العالم ينقذ على يدها ـ هذا كله ـ يعد معجزة لا شك فيها

وإذا كانت النهضة العربية ومصدرها الاسلام وحده تعد آية فان اكتساحها للعالم والمعتقدات وتكوين دولة ترث الرومان والفرس في مدى ثمانين عاما يعد سراً ليس من السهل أن يعود ، ومن المستحيل أن تجد له مثلا في التاريخ(١) خصوصاً إذا لاحظت أن هذه الثقافة الجديدة قد هضمت الدول كلها وطبعتها بطابع خاص هو الطابع الاسلامي

بل المثير للدهشة والعجب أن تظل هذه الثقافة الى الآن راسخة ثابتة رغم العواصف التي واجهتها ، والحروب التي عملت على فنائها

*
* *

والتاريخ يحدثنا عن تنازع البقاء الدولي بين الشرق والغرب ، ويصف لنا من الحوادث مدها وجزرها ، وكيف بسط الشرق سلطانه وساد ، ثم كيف قاومه الغرب ورده واكتسحه أو كاد

وعلى الرغم من كل هذه التقلبات ، فالاسلام دينا وقانونا وثقافة اجتماعية وأخلاقية ، ثبت لكل هذه الموجات والعواصف والتقلبات ثبات الصخر على الشاطىء ، فذهبت كلها بذهاب الزبد على سطح الماء

والواقع أن أعداء الاسلام لم تهدأ ثائرتهم، ولم يفت في عضدهم بقاء الاسلام

(١) فتوحات الاسكندر ونابليون استغرقت زمنا يسيراً ولكنها ماتت بموت أبطالها

قويا مكينا على الرغم من الحروب والدسائس في البلاد الاسلامية التي أثاروها ، بل كان ذلك مما زاد المسلمين يقيناً وثباتاً واستمساكا بدينهم ومحافظة على يقينهم ، لأن الاسلام يحفظ القومية ، ويشعر الناس بواجبهم نحو أنفسهم ، ويجمعهم في دائرة واحدة من العاطفة ، ويوجههم كلهم إلى قبلة واحدة ، هذه القبلة التي تفنى ازاءها القوميات والشعبيات ويتساوى فيها الناس أجمعون من جميع الاجناس والأوساط

أضف إلى ذلك أن الاسلام هو أول مطلع للتفكير الحر ، والتحلل من قيود التقاليد ، وهو الذي يحث على الاسفار وجوب القفار والمشي في مناكب الارض ابتغاء الرزق . وهو في تعاليمه ينافي الاستعمار ، وينافي الخضوع لكائن من كان إلا للواحد الديان

وفضلا عن ذلك فان الاسلام عطف على الاديان الاخرى ، وطبع الشعوب التي انتشر فيها بطابع آخر هو الطابع العربي . فترى معتنق الاديان السابقة له والذين يعيشون في البلاد الاسلامية تجمعهم بالمسلمين رابطة الطابع واللغة ، ويعطفون على الاسلام بداعي العروبة ، والعروبة هي الطابع الثاني للاسلام لغير أهله . بما سنه من المعاملة الحسنة ومصاهرة أهل الاديان الاخرى وتقوية روابط الامم ، ونشر روح الوئام بين الجماعات وقد اختلطت الانساب وتنوعت ، ولكن الشائع في البلاد الاسلامية هو الاصل العربي سواء كان الشخص مسلما أو غير مسلم . فأصبح المؤرخون في حيرة من تسمية هذا الامتزاج وتلك الثقافة ، فطوراً يسمونها الاسلامية وطوراً يسمونها العربية

تلك حقيقة ، وذلك واقع ، ولم يخف عن الغرب ، وليس في حاجة إلى دليل وليس من المستطاع انتزاع تلك العواطف من أفئدة الناس ، وليس من الممكن استئصالها بحملة عسكرية ، أو انشاء محكمة تفتيش أندلسية جديدة لمحاربة آراء الناس وأفكارهم وضمائرهم وعلاقاتهم

فالمسألة كلها فكرية وعلمية ، ومحاربتها يجب أن تكون على أسلوب نشأتها: ثقافة وغزوة فكر

من أجل هذا نشأ الاستشراق في بلاد الغرب ، وأخذ جماعة من الغربيين يعكفون على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسة واستذكاراً وحفظا وتحقيقا وتغلغلا في البحث

هذا هو منبع المستشرقين ، وهذا هو مصدرهم ، وتلك هي الغاية التي يعملون لها .

والباحث في هذه الموضوعات لا يقدم موضوعا جديداً علمياً ، ولا يقدم كتابا قيما مدونا ، يعيد نشره ، ويحيي ذكره ، ليصبغ نفسه بصبغة العالم العبري، ومنها اصطبغ اسم المستشرقين بصبغة علمية

غير أن النواحي الاخرى التي عكفوا عليها وهي غزوة الفكر الشرق في قوميته ولغته ودينه كانت واضحة جلية في أعمالهم لانها الهدف الاول والغاية القصوى

والمستشرقون هم من أساتذة اللغات الشرقية في الجامعات وطلبتهم من أبناء وطنهم ، وهؤلاء الطلبة يعدون أنفسهم للعمل في المستعمرات في الشرق ، وكان لابد من المحافظة على قومية هؤلاء الطلبة . ولابد للعناية بتربيتهم أن لا يكونوا أداة عطف على الشرق أو مصدراً لاذاعة محاسن الاسلام ، ولادراك ذلك لابد من تصوير الشرق بصورة بشعة قبيحة في أخلاقه وعاداته وآرائه ، ولابد من تصوير الاسلام في صورة منفرة ، وأن يكون هؤلاء الطلبة حربا على الشرق والاسلام .

كما لابد من أن يقوم هؤلاء المستشرقون بدورهم في تغذية جمهور أممهم بمثل تلك التعاليم بنشر مؤلفات يصفون الشرق فيها بصورة مشوهة . ويصمون الاسلام بكل المخازي التي هو منها براء

ولذلك أصبحت الهوة بعيدة بين عواطف الغربيين والشرقيين ، وأصبح التفاهم أبعد منالا مما يجب

وقد تأثر الشرق نفسه بتلك الدعاية ، وكأنه من هذا التجريح والتشنيع شعر بضعفه أمام الغرب وألقى فريق من ضعفاء النفوس سلاحهم ، فاعتقد الشرقيون أنفسهم أن عاداتهم وأخلاقهم وقوميتهم وشعوبهم في مستوى أدبي وعقلي أقل من المستوى الاوربي ، وأصبح الشرقيون لا يثقون بأنفسهم في التفكير ولا في العمل الحر ولا في إدارة الاعمال ، وأصبحت تراهم إذا قرأوا في الجرائد أي جريمة عادية أو خبراً صغيراً ثاروا وقالوا إن ذلك مستحيل حدوثه في الغرب ، ولذلك أخذوا يقلدون الغربيين في كل شيء ، في المعنويات وفي الماديات

أما في المعنويات فقد شاهدنا اختلاط الالسن في الاسر والبيوت ، ونبذ اللغة القومية في الطبقات المتفرنجة ، وكذلك في الزي النسائي ، واستحالت الاخلاق ، وضاعت تلك المودة القويمة وصلة القربى ، وأصبح الشخص ينظر إلى أسرته المصرية الصميمة من أعلى إلى أسفل ، يحاول خدع نفسه بأنه غربي ، وأنهم شرقيون ، ورأينا تياراً جارفا من الادب الغربي يكتسح التفكير الشرقي والقومية الشرقية ، وانتشرت القصة الغربية ، وهي قصص لا تخرج عن معاني الحب الساقط ، وألفاظ الخنا ، وخيانة الزوجة ، وتهوس الشباب، وسقوط المرأة التي يقابل الزوج زلتها بالعفو والصفح والغفران

كان هذا من أثر الدعاية أن العربية ينقصها أدب القصة ، فملأ الغربيون هذا الفراغ بقصص لا تلتئم والشرف الشرقي ،ولا الغيرة الاسلامية ، ولا الآداب القومية . ثم هجم جماعة المبشرين على معاقل الاسلام ، مزودين بالمال والعلم والجمال ، فأصبحنا نرى المخازي والاغراء والقبائح ترتكب باسم الاديان ،

وأصبحت الاسرة الاسلامية يقتنص بعض أفرادها بالمال أو بالاغراء أو الاستهواء أو التنويم المغناطيسي باسم الدين . وترى ذلك متجلياً في دور التعليم الاجنبية ، وفي المستشفيات الاجنبية التي تحمل على بابها بالخط العريض انها بيئة ووكر المبشرين في ثوب علمي شفاف . طرق لا يقرها عقل أو ذمة أو ضمير أو وجدان

أضف إلى ذلك أن كل بلد شرقي استعمر كان لابد له من طلائع تجوس الديار ، وتستكشف الآثار ، وتكتب التقارير

وكان لابد لهذا الجاسوس أن يلبس ثوب العالم بلغة البلاد ، وأن يصطنع بحث العلمي

وفي حالة دخول الجيش الفاتح لابد لقيام صلة بين الاهالي والجيش المهاجم والتاريخ يحدثنا أن هؤلاء كلهم من المستشرقين

أما في حالة السلم فلابد من وضع سياسة لمعالجة هدم الاسلام وتفريق كلمة أهله ، وإعداد النفوس لقبول التغييرات التي تدخلهم تحت النير

هذه مسائل علمية محضة ، ويقوم بها المستشرقون

فلتغيير الدين يجب أن يقال إن الاسلام دين مخترع ملفق ، ولهذا الرأي شيعة من المستشرقين ، وللسخرية من الاسلام يجب مهاجمة شخصية النبي الكريم ولهذا أيضا شيعة من المستشرقين

ولتفكيك روابط العرب يجب أن يفهم الناس أن العربية الفصحى لا تصلح لشيء ، وأنها لغة قديمة وأن اللغات الدارجة أنفع منها

ولتفكيك روابط القومية والهيئة الاجتماعية الشرقية يجب أن يعزى كل شعب إلى أصله ، لان العرب لم يكن لهم فضل في ثقافة أو تاريخ

ولاضعاف الروح القومية وقتل الاعتماد على النفس يجب أن يفهم الشرقي أنه غير مؤتمن الجانب ، وأن الاختلاس غريزة فيه ، وأن الشرف بعيد عنه ،

من بلاده وتربيته لا تصلح إلا للزراعة ، وأن عقله غير مكون تكوينا تجاريا » وهذا كله ليحتكروا التجارة والصناعة ويتركوا للبلاد المستعمرة العمل الزراعي الشاق الذي لا يدر إلا الخير القليل

***

كل موضوع من الموضوعات التي ذكرناها تخصص لها فريق من المستشرقين وقد أصبحنا نعرف وجهة تخصص كل واحد منهم ، ويمكننا أن نعد أسماء المخصصين لكل موضوع من هذه الموضوعات كما سيمر بك في هذا الكتاب ، وكل هذه الموضوعات ذات مرمى سيء ، وليست من الحقائق العلمية في شيء ولذلك فان هؤلاء الناس قد ألبسوا موضوعاتهم الثياب العلمية ، غير أنه لم يتعرض لهم أحد بنقدها وإظهار مافيها من غش وخداع وتلبيس ، حتى إن كثيراً من القراء قد خدعوا بها ودخلت الحيلة عليهم

ولذلك يجب تحرير الفكر الشرقي من تلك الغزوة التي طال أمدها وسئمنا تكرارها ، ويجب أن نبرهن لهؤلاء الناس أنهم خادعون ، وأن الاخلاق الغربية لم تبلغ إلى الآن المستوى الشرقي ، وأن الزخرف البراق من المعاملة والطلاء الخارجي للمعاملات العادية لا يغير الواقع فالبلاد الغربية كالبلاد الشرقية فيها أحط الاخلاق وأشنع الجرائم من كل نوع

وليس الفكر الشرقي بأقل في مستواه من الغربي ، وإنما في استغلال المواهب نتيجة التربية الاستقلالية التي امتاز بها الغرب ونتيجة لازمة للحرية الشخصية والمساعدة الحكومية التي حرمتها الشعوب الشرقية ، إلا أن أول دعامة في تحرير الفكر الشرقي أن يعرف أسرار استعباده فيقف دونها حائلا، ويطلع على الصواب فيستزيد من مناهله ، ولا يقبل التغرير ، وأن يواجه هؤلاء المستشرقين بحقيقتهم ويعلن أن بضاعتهم مغشوشة ولأغراض غير بريئة ، وهي بضاعة زائفة صنعت في

معامل التغرير ، ولذلك عمدنا إلى الرد على بعض المستشرقين في هذا الكتاب وجعلنا الرد في أسلوب علمي ليعرف القارىء الحقيقة

والذي دعانا إلى وضع هذا الكتاب هو تلك الحادثة المشهورة التي اضطرب لها عقلاء المصريين ، فانه لما صدر المرسوم الملكي بتأليف المجمع اللغوي الملكي بالقاهرة ، ووجدنا اسم فنسنك من ضمن أعضائه نشرنا شيئا من مباحثه ، ورددنا عليه ، وانبنى على ذلك خروجه أو إخراجه من المجمع اللغوي وحلول غيره مكانه ، وبذلك انفضح جانب عظيم من أعمال المستشرقين وحقيقتهم مما سيتجلى عند قراءة هذا الموضوع في الصفحات المقبلة

أضف إلى ذلك أن هذا المبحث الذي خرج من أجله فنسنك كان بعض الناس سرقه ونسبه لنفسه في كتاب ادعى أنه بحث في الشعر الجاهلي ، وبذلك اتضحت آفة أخرى من آفات المستشرقين هي أن بعض الناس من المسلمين يجارونهم في تفكيرهم ويقتبسون آراءهم بغير نسبتها إليهم ليقال إنهم من العباقرة

وفوق ذلك فقد عثرنا على بعض سفسطة المستشرقين من أن محمداً كان على علم بالاديان السابقة وأنه اتصل في سياحته للشام بأهل العلم مما دعاه إلى وضع قرآنه وتلك الفرية قد اتخذت سبيلها في التفكير الشرقي ورددنا على ذلك في حينه كما سنزيده شرحا في الفصول القادمة

والخلاصة أننا نريد تنبيه الناس إلى طلائع الاستعمار . ومصدر تغذية المبشرين وأدوات أذلال الشعوب الشرقية وتفريقها ، وتشتيتها . ونثبت أن هذا كله من المستشرقين .

ولا ندعي أننا ندافع عن الاسلام بهذا الكتيب . فنحن أهون أن تكون لنا هذه المنزلة الرفيعة . ولكننا نريد أن نهتك سترهم ونظهر حقيقتهم دفاعا عن قوميتنا . وعقولنا . وقديماً قال عبد المطلب أما الجمال فأدافع عنها ، وأما البيت فله رب يحميه

الفصل الثاني

محمد قبـــــــل البعث

من البين أن مجيء القرآن ، وأثره في النهضة الفكرية العالمية كما رأيت - مسألة مدهشة حقاً .

وقيام شخص واحد هو سيدنا محمد ﷺ بهذه الدعوة الناجحة التي اكتسحت العالم مسألة موجبة للحيرة ومعجزة بلا مراء

والمستشرقون يقفون أمام هذه الحقائق ذاهلين ، ويحاولون الدخول إلى هذا الصرح العالي من باب التشكيك والتضليل . أو باب الاستنباط والقياس .

والتاريخ يعلمنا ويعلمهم أن حياة العظماء لها طريقة في البحث والدرس ولها طريق مألوف وهو الابتداء بدراسة الوسط الذي نبغ فيه الرجل العظيم والظروف المحيطة به . ثم دراسة طريقة انتزاعه السلطة أو قيامه على قيادة الأمة .

ثم يأتي بعد ذلك دور تكوين الشخصية وأثر الثقافة المحلية والعالمية في نفسه وأثر هذه الثقافة في أعماله .

وقد أرادوا أن يطبقوا كل هذه النظريات والمباحث على حياة النبي الكريم ﷺ كما يدرسون مثلا حياة نابليون والاسكندر وغيرهما .

وأول ما صادفهم من الخيبة والفشل أن الوسط الذي عاش فيه سيدنا محمد ﷺ كان وسطاً فطريا ساذجاً . ولكن هنالك في محيط ذلك الوسط وجد بعض النصارى واليهود .

ووجدت ظروف بسيطة في حياته ﷺ من سفره مرتين إلى الشام يمكن أن يبنوا عليهما القصور العالية من الأوهام

ولا بأس من أن يجعلوا من هاتين المسألتين ـ وجود نصارى ويهود في الحجاز وسفره إلى الشام مرتين ثانياً ـ موضوعا للتشكيك والتضليل

ولذلك نقتبس لك أسهل طريقة وأبسط تضليل من كتاب درمنجهام الذي نشر في السياسة الاسبوعية ورددنا عليه لانه كان أول مثار للبحث (١)

(والواقع أن محمداً منذ الساعة الاولى بل قبل أن ينزل عليه جبريل بالوحي كان أشد ما يكون نفوراً من الوثنية التي نشأ ونشأ أهله من قريش فيها وأشد ميلا لهذه المعاني الروحية التي يتحدث عنها النصارى واليهود من أهل الكتاب في أنحاء شبه جزيرة العرب ممن كان يتصل بهم في أثناء ذهابه إلى الشام وإلى اليمن في القوافل قبل أن يقوم بتجارة خديجة وبعد أن قام بها

وهذه المعاني الروحية في اتصالها بنفس محمد ﷺ المتوثبة منذ صباها للكمال هي التي دفعته إلى تحنثه بغار حراء شهراً أو أكثر من شهر

ان الله تعالى رضي للناس الاسلام ديناً مع بقاء الاديان السابقة . للقرآن وحده مندمجة في هذا الكمال الروحي ـ أي الاسلام ـ اندماجا أشار اليه القرآن في قصص أصحاب هذه الاديان وما جاءوا به من الحق من عند ربهم وأشار اليه حين أراد أن يثبت محمداً ﷺ في أمر ما جاءه كما جاء في سورة يونس (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

وفي هاتين الفقرتين ملخص لآراء المستشرقين الذين يظنون أنفسهم أهلا للبحث والاستنتاج دون أن نرميهم بشيء من سوء النية . ولعل ذلك أهدأ أنواع ضلال المستشرقين

ولما تسربت هاتان الفقرتان في الصحافة المصرية وعلى أيدي باحثين مسلمين

(١) طبع باسم حياة محمد للدكتور هيكل

رأينا توضيح هذه الطريقة واظهار ما فيها من خطأ في تطبيق ما يقال عن عظماء الغرب على حياة نبي عربي عاش في بيئة خاصة وفي محيط لا زال يتمسك بعاداته وأخلاقه إلى اليوم.

ولسنا نتهم هذا الرأي بأقل من أنه استنباط غير موفق ورأي خاطىء نتيجة الجهل والخطأ في الحكم

فأنت ترى من هاتين الفقرتين أن سيدنا محمداً تعمق في درس الأديان وتلقى مبادئها على الرهبان في سياحاته وأن ذلك العلم هو الذي دفعه إلى التحنث.

أما أنه خالط الرهبان وتشبع بمبادىء الاديان السابقة فذلك ظن ليس له من مؤيد ولو أنه كان كذلك لكان في كل عمل من أعماله دليل على ذلك وقد أحصى القرآن الكريم كل ما وجهه أعداء الاسلام وأعداء محمد ﷺ له من التهم ومنها الكذب والسحر والشعر، وكل ماشئت من صنوف السب والشتم والتهكم والضرب بالحجارة والتحدي للقتال كل هذا قيل ولكن واحداً منهم لم يجرؤ أن يقول له انك تعلمت هذا العلم على فلان. ولو كانت هذه الجملة قيلت لكنا على الاقل وجدنا عليها رداً في القرآن

ولو أن نفس محمد عليه السلام اعتنقت دينا أو مالت لأي دين قبل الاسلام لوجدنا لذلك أثراً واضحا في الحديث وقد سأله الناس كل أنواع الاسئلة بلا خجل وكان يرد عليهم بالصدق والأمانة التي اشتهر بها. ولم يرد ما يؤيد هذا الزعم ولذلك استنبطنا وكنا محقين في هذا الاستنباط أنه عليه السلام كان خالي الذهن من جميع الاديان وأنه اشتق طريقا في العبادة لنفسه كما سنبين ذلك في التحليل النفسي لحياته

أما الرحل والاسفار في التجارة أو مع عمه فقد كانت رحلته(١) الاولى مع عمه إلى الشام وهو ابن تسع سنين ولم يكن هناك مجال ما اتلقى هذه العلوم فليس ثمة جامعات وليس للرهبان حلقات درس كما أنه لم يكن يومئذ جماعة من المبشرين الذين تراهم اليوم يغررون بالناس، وكل ما حصل من الراهب بحيرا أن تنبأ لهذا الغلام بمستقبل ديني وتوسم فيه استعداداً خالصاً لهذه الرسالة الكبرى

والرحلة الثانية كانت وهو ابن خمس وعشرين من مكة إلى بصرى ومدة هذه الرحلة كانت ثلاثة أشهر

إذن فلنمش في هذا الطريق نفسه، ولنر ولنستنبط ما يمكن استنباطه، ولنتعرف عادات العرب وأخلاقهم.

فأول ظاهرة خفيت عن المستشرقين من عادات العرب أن صغارهم لا يجالسون كبارهم، ولا يمكن شاب حديث السن أن يجلس في مجلس الكبار ولا يناقشهم، ولا يباح له أن يتحدث في مجالسهم.

ولم يخبرنا التاريخ أن محمداً ﷺ شذ عن هذه القاعدة، وهذا دليل على أن كبار الرهبان وغيرهم لم يكن لهم من وسيلة لقلب عقيدة هذا الفتى كما يفعل المبشرون من أذناب المستشرقين في هذه الايام.

وأما الرحلة نفسها فيجب أن نلم بعمل التاجر الذي تكون مهمته من نوع عمل سيدنا محمد ﷺ، والعادة الجارية في بلاد العرب إلى يومنا هذا هي أن يقوم التاجر ببضاعته حتى يصل إلى المدينة التي سيبيعها فيها.

ثم يذهب إلى منزل وسيط التجارة فيمكث في منزله بضعة أيام حتى يصرفها الوسيط ويعطيه الثمن ثم يعود قافلا.

---

(١) تحقيق الطريق ومسافته وعادة العرب هذه رجعنا فيها إلى فؤاد باشا الخطيب وزير خارجية الحجاز سابقا ورئيس ديوان شرق الاردن الآن

فعمل التاجر في هذا السبيل ينحصر في المحافظة على التجارة في أثناء الطريق ومساومة الوسيط وحمل الثمن إلى أصحاب البضائع

والمسافة بين مكة وبصرى تقطع على ظهور الابل في نحو أربعين يوما ذهابا ومثلها إيابا ، ومدة إقامة التاجر في بيت الوسيط هي المدة التي تبقى من ثلاثة الاشهر التي قضاها سيدنا محمد (ص) في تلك الرحلة

فالوقت كله يقطع في الطريق وكانت رحلة واحدة ، فأي عقل إنساني أو غير إنساني يمكنه أن يستنبط أن سيدنا محمداً يمكنه أن يتعلم كل ما أتى به أو كل العلوم التي وردت عنه في وقت كهذا ؟

وأي سخف أدعى للسخرية من مثل هذا الاستنباط الملفق القائل أن سيدنا محمداً في أسفاره تعلم من الاحبار

أضف إلى ذلك ما استنبطه فريدرك شولتهس عندما جمع ديوان أمية بن أبي الصلت وطبعه سنة ١٩١١(١) وأظهر في مقدمة هذا الديوان مقدار مابذله من الجهد في جمعه من كتب السير ومن شوارد أخبار الكتب ورأى أن أمية هذا كان قد ترهب ولبس المسوح ونظم قصصا مصدرها التوراة والانجيل وكان يطمع في النبوة إذ أشيع وعرف أنه سيبعث نبي في زمنه

وبعد ذلك بعث محمد عليه السلام . وأخفقت آمال أميه فناوأ الاسلام وجاهر بعداوة نبيه .

ليس في الامر غرابه فليس أمية بأول رجل في مكة أو بلاد العرب عرف شيئا عن التوراة والانجيل وليس هو أول من عادى الاسلام والتوراة والانجيل والقرآن بين أيدينا شاهد بذلك وفي هذه الكتب توافق في بعض النواحي التاريخية واختلاف في نواح أخرى فليس من المستغرب أن يعرف شاعر عربي

(١) أدب اللغة العربية لمحمد هاشم

شيئا عن التوراة والانجيل وينظمه شعراً ولكن المستغرب حقا أن يقول شولتهس هذا إن محمداً عليه السلام استقى تلك المعلومات من المصدر نفسه الذي استقى منه أمية .

وليس أدل على الجهالة والتضليل في هذا القول وعلى التعصب الاعمى وقلة الخبرة من أن القرآن ليس بقصصه ولكن باحكامه وبقانونه وباعجازه ، وبأثره الاجتماعي والفكري . فهل اجتمع كل هذا في احد ؟ كلا . ولكن مستشرقاً يظن نفسه في منزلة علمية يطلق لنفسه العنان ويصدر الاحكام فيتلقفها طاعن من طاعن ومبشر عن مستشرق للتشكيك في مصادر القرآن

ولو طاوعنا هؤلاء فيما زعموا ، وبحثنا عن كل حكم من احكام القرآن ومصدره ورأينا حكما منها من السند والآخر من الهند والآخر من فارس ومن مصر ومن أثينا وروما الزم لهذا النبي الكريم آلاف الاسفار والاشتغال بالجامعات عدة قرون قبل أن يأتي بكتاب لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

مثل هذا التفكير المزري يقول به المستشرقون وتهضم عقولهم أن محمداً أتى بما أعجز الانس والجن في سفره الى الشام ثلاثة أشهر منها ثمانون يوما ذهابا وإيابا وعشرة اقامة

ولكنها طريقة من طرق التشكيك وضرب من الهوى لا نشك أن القارىء عرف مغزاه

الفصل الثالث

التحليل النفسي لحياة محمد قبل البعث

نحن ننكر إنكاراً تاماً أي أثر للأديان السابقة للاسلام في نفس سيدنا محمد ، وسواء سمع بها ورآها أو خالط أهلها وتعرف بهم ، فان ذلك لم يترك في نفسه الشريفة أي أثر ، ولم يعلق بذهنه من مبادئها وتعاليمها مايجعله يفكر فيها أو يفضل أحدها أو يقلدها

وليس أدل على ذلك من أنه لم يرد في القرآن الكريم الذي أحصى كل التهم التي وجهها أعداء الاسلام لنبيه الكريم مايؤيد هذا الزعم(١)

ومسألة التحنث في الغار والطواف بالكعبة وتوزيع الصدقات هي نوع التعبد الذي كان يتخذه عليه السلام قبل بعثه

فاذا قلنا إن التحنث في الغار له مايشبهه في الأديان الاخرى فالطواف بالكعبة لاعلاقة له بأي الدينين النصراني أو اليهودي الذي يتعمل جماعة المستشرقين الاسباب ويخترعون الوسائل للقول باقتباس الدين منهما

ولقد طبقنا حياته الشريفة على علم النفس الحديث لنتعرف أي سبب دعاه إلى هذا النوع من العبادة إذا صرفنا النظر عن العامل الالهي الاكبر في توجيهه إلى هذه الوجهة

ولكي يمكن فهم هذا الموضوع ستقدم للقارىء مقدمة وجيزة في علم النفس والتحليل النفسي لكي يتفهم أممنا تطبيق حياته على علمي النفس والوراثة

---

(١) بل وجد فيه وصفه بالأمي ووصف قومه بالأميين ، ووجد فيه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون)

لقد قسم فرويد العقل ثلاث مناطق

١ — العقل الظاهر . أو الواعي . أو منطقة الوعي

٢ — الذاكرة

٣ — العقل الباطني . أو غير الواعي . أو منطقة اللاوعي

فالعقل الظاهر أو منطقة الوعي تحتوي الاشياء التي يدركها العقل في وقت معلوم ، وهي التي تهيمن على الانسان في حالة صحوه وعمله

والذاكرة تحوي الذكريات الماضية أو مامر على الانسان أو حفظه

والعقل الباطني يحوي الاشياء الممنوعة من الظهور بوساطة الرقيب العقلي وفيها جميع الغرائز الموروثة ورغبات الانسان التي تدفعه إلى رغباته المتعددة ولكن يمنعها من الظهور قوة حاجزة تسمى بالرقيب ، لان كثيراً من رغبات الانسان لا تتفق والوسط الاجتماعي

والغرائز الموروثة في الانسان تتجلى فيه من السنة الثانية من عمره باظهار رغباته ككل الاطفال ولكنه يجد المقاومة لتلك الرغبات من الوسط المحيط به والذي يختلف باختلاف السن والوسط

فان الوالدين أو المربين والاساتذة هم الذين يتولون أرشاد الطفل في مدى سنيه الاولى وبذلك يبتدىء التصادم بين غريزته الاجتماعية والغرائز الاخرى كالبهيمية والانانية، فبطبيعة الحال يصبح مضطراً (حبا في استمرار الالفة بينه وبين المجتمع) إلى اتباع خطة مواجهة للواقع فيتنازل قهراً عن الاشياء التي يريدها هو ويستهجنها الناس .

ومن العناصر الاساسية لنظرية فرويد أن الرغائب والميول التي تقمع وتبعد الى العقل الباطني أو غير الوعي لا تمحي بل تبقي حية ولها أثرها في حياة الشخص وتؤثر تأثيراً واضحاً من مظاهر الوعي بطريق غيرمباشر فاذا كانت هذه الغرائز

المقموعة سيئة أمكن تهذيبها بالقوة الدافعة المرافقة لتلك العناصر الفطرية التي في العقل الباطني وتوجيهها إلى طريق نافع يساعد على تقدم الشخص ويكون تأثيرها في الوعي نافعاً . هذا ما يحصل في الاحوال المادية ولكن لنقص في التربية وخصوصاً المنزلية قد لا يحصل التهذيب في تلك القوة الدافعة وقد تستعمل في الاضرار بالتطور العقلي من الطفولة إلى المراهقة، مثال ذلك إذا تعلق الطفل بوالديه — خصوصا اذا كان وحيداً — فيكبر وليس لديه أي اعتماد على النفس وتكون النتيجة رسوخ هذا الميل عنده فلا يقوي على احتمال صعوبات الحياة وحده فاذا اضطر الى ذلك اضطراراً أصابه الحنين وكانت عملية القمع — أو تخفيف لوعة فراقه ـ مسألة شاقة ومؤلمة وذلك لأنه بعد أن تعود الاعتماد على والديه يرى نفسه قد كبر وأصبح في سن خاصة لا تتفق ومركزه وكرامته أن يكون عالة ويتسبب عن ذلك ظهور أعراض مرضية في العقل الظاهر كالبكاء والحزن

وكذلك قد تصيب الشخص في حياته وهو صغير صدمات مؤلمة يضطر إلى قمعها في العقل الباطني ولكنها تبقى فيه طول الحياة، وقد تظهر أعراضها في ظروف مختلفة إذ لم يستطع الرقيب قمعها تماما فاذا فشل الرقيب في قمع هذه الصدمات تماما ظهرت بشكل أفكار تجول في خاطر الشخص أو اعمال لا فائدة منها

هذه مقدمة سطحيه جداً في علم النفس يمكنك أن تتفهم منها النتيجة الباهرة التي وصل اليها فرويد وهي أهمية الغرائز في احداث ظواهر عقلية خاصة في تصرفات الشخص في الحياة

وبنظرية العقل الباطني وأثره تفسر الاحلام وتحلل نفسية الاشخاص، ومهما يكن من تنافر الآراء بين علماء النفس فان الجميع (فرويد ويُنج وأدلر) يعترفون بأن العوامل الخلقية والوراثية لها كل الأثر في الأمراض النفسية وكفايات الشخص

أما قوانين الوراثة فلم يوضع لها إلى الآن حدود وقواعد ثابتة يمكن تطبيقها بسهولة . وهي وإن كانت تفسر لنا الأحوال النفسية التي بين أيدينا إلا أن اختلاف طرق الوراثة في سلالة واحدة لا زال محتاجاً إلى تفسير وشرح كأن يكون الأخوان الشقيقان مختلفين في الأخلاق

إلا أن ذلك لم يمنع المشتغلين بتأصيل الحيوان من تتبع سلالة الهجين وامكانهم أن يستخلصوا منها بالتناسل سلالة نقية . فانه من الممكن ومن الأمور العادية جداً أن تحصل على جواد عربي أصيل من أم وأب هجينين بتقوية الدم العربي في كل سلالة وذلك بانتقاء الأقرب إلى الأصل الذي تريده

هذه مقدمة لبحث التحليل النفسي لحياة سيدنا محمد قبل البعث، وسترى أنه يستنبط منها أنه كان في ذاته وشخصيته وحدة كال مستقلة ولم يكن في نفسه أي أثر للأديان الأخرى وانه كان نسيج وحده .

فقد رأيت مما شرحناه لك أن العوامل النفسية في العقل الباطني هي الغرائز النفسية الكامنة أو التي قمعت وان لها أكبر الأثر في تصرف الشخص .

فلنطبق ذلك على حياته الشريفة .

فسيدنا محمد كان يعيش في وسط عبادة الأوثان . أو ما تقدم الاسلام من الأديان، فكانت هذه هي القاعدة الأساسية في المجتمع الذي كان يعيش فيه، فاذا كان محمد ﷺ قد ورث في نفسه عوامل نفسية تحرضه على كراهيتها كان له أن يتقم أو يعبث بها، ولكن عمليات القمع بوساطة الرقيب العقلي وغريزة الاجتماع وآداب العشرة تهيه أن يعادي الناس، فماذا كان شأنه مع نفسه؟ هذا ما سوف ننتظره من نتيجة التطبيق العملي على ما أثر من حياته الشريفة في كتب السير المعتمدة .

الحمل والطفولة

إن سلسلة نسبه الشريف تنتهي الى اسماعيل وابراهيم من جهة الوالدين وهو نسب معرق في النبوة . والعمل على تطهير العقائد . وسئل النبي عن نفسه فقال — أنا دعوة ابي ابراهيم — (ابن هشام ص ١٥٥)

ونسبه صلى الله عليه وسلم بانتهائه الى اسماعيل وابراهيم ونوح المعترف بنبوتهم من الاديان الاخرى يجعلنا نطبق قوانين النفس والوراثة الاخلاقية على شخصه الشريف . ولو كانت قوانين الوراثة واضحة تماما ومحدودة في حدود علمية تامة — لكان في تطبيقها أكبر لذة علمية . ولكن الناس يعرفون منها اليوم قوانين ونتائج لاشك في صحتها فيقولون عن السبع أنه يموت عطشا ولايلغ من ماء ولغ فيه الكلب .

وينقلون عن أبناء الملوك المعرقين قصصا طويلة ونوادر عن الانفة واحترام النفس فلا ننتظر من مثل ذلك النسب الا وراثة غرائز أرقى من مجموع مستوى الناس على الاقل عما كان يتجلى في آبائه وأجداده . فانهم لم يشتهروا بالثروة والغنى . ولقد ولد عليه السلام في إملاق ولكن آباءه اشتهروا بالشرف والنخوة وعرف عن أهله شدة المراس والصلابة فيما يعتقدونه حقا . ولم يرث عليه السلام من آبائه إلا شرف النفس . وهو ما نعبر عنه باللسان العلمي بالغرائز والالهامات الراقية العالية .

يدلنا على ذلك أخلاقه قبل البعث ! وقار وحشمة . واحترام لنفسه ولم يرتكب زلة أدبية مما كانت تبيحه عادات الجاهلية . فلم يسكر ولم ينهب ولم يقتل الى غير ذلك مما كانوا يعدونه من ضروب الشهامة .

وكانت أخص صفاته احترام النفس والغير . فلم يعتد على أحد ولم يطلب عنده حق لغيره .

كان هذا قبل النبوة . وقبل أن توجد عداوات وحزازات . شهدت بها وفود أعدائه عند ملك الروم .

وهذا أرقى انواع الغرائز والالهامات .

ولتمش قليلا بعد ميلاده . فنراه ولد يتيم الأب ولم يلتصق بأمه بل بعث به الى الصحراء .

مسألة غريبة في هذه الحياة الحافلة . فقد علمت ان الالتصاق بالوالدين فيه مضيعة للاعتماد على النفس ، وفيه معنى من معاني الرخاوة في الطباع وقد يكون في الالتصاق باحدهما مفسدة للأخلاق .

ولقد تيتم من أمه طفلا فلم يكن له أمل في الاعتماد على أحد من الناس اعتمادا قد يفقل من عزمه . أو يفسد من طباعه

ولتنظر الي اليتم وأثره في النفس .

أنا شخصيا جربت ذلك ،فقد ولدت يتيم الأب وفي كفالة الأم وقد أورثني ذلك عوامل نفسية مؤلمة . ما تحدثت بها الا أمضني الحزن والألم .

ان أول ما يشعر به اليتيم متى شب هو الاقرار بالواقع والاستسلام للقضاء والقدر ، والرضا بما قسم له من نصيب محزن . لفقدان عطف الآباء . والمرشد الخبير في أوقات حرجة من ظروف الحياة التي تحتاج الى قرار حاسم من مطلع خبير . ويكون الدافع النفسي موجها الى الخضوع والوحدة . لا الى حب السلطان والمظهر البراق . كما تتعود النفس الخشونة وعدم العطف . فلا يتعود اليتيم التدلل ولا المرح وهما اهم خواص الطفل في سن الصغر ،وذلك كله نتيجة الاخفاق في اشباع رغبات الطفل . والفشل المتوالي في نوال كل شيء يتطلبه أو يتطلع اليه .

أضف الى ذلك نوعا من الشفقة المؤلمة ، ونوعا من العطف أقتل للنفس من العقاب الصارم ، ذلك هو الحنان الذي يستجدى كأنه حسنة أو نافلة ، اذ ترى قوما يظنون انفسهم على شيء من حسن الصفات يعطفون على اليتيم عطفا هو اشبه بالصدقة منه بالعطف ويشفعون عطفهم بالاشارة الى انهم فعلوا ذلك ليتم الشخص .

دعيت مرة الى مهرجان زواج ،وانا غلام صغير فوزعت الحلوى على الرجال

والغلمان ، وكان كل والد يحضر لنجله نصيبه من الحلوى ، وخرجت من الاحتفال وليس معي غير دمعة تترقرق، فلم أصب من الحلوى قليلا او كثيرا ، ولم يلاحظ اخفاقي انسان ، فآليت على نفسي بعدها ان لا أذهب الى مهرجان (١)

وتوفيت احدى قريباتنا وانا غلام ، وكانت تحبني لقرابتها من المرحوم والدي وكنت في نحو العاشرة من عمري ، فانسللت وحدي من المنزل لامشي في جنازتها اعترافا بهذا الحنان الذي كانت تظهره نحوي ، وبكيت عليها كثيرا لانها ما كانت تراني حتى تذكر والدي وتبكيه ، وكانت هذه السيدة أصيبت بشلل ، فكانت تهتز في بكائها الى درجة اني كنت اشعر أن نوبة اغماء تعتريها فاذا افاقت قبلتني فيتبلل وجهي من دمعها

رأيت وفاء لها ان أسير في جنازتها وان اشيعها الى مقرها لاخير بتلك الدموع التي أرهقتها لذكرى أبي

ودفنت ، ووقفت على قبرها أبكي ، وكنت ألاحظ ان الناس ينصرفون في مركبات أعدت لهم ولم يدعني انسان لمركبته ، وبعد قليل ، وكانت الشمس قد قاربت المغيب ، وجدتني وحيدا بين المقابر ، لم يعرني أحد اهتمامه ، ولم يسأل عني سائل

هنالك عرفت ان لا نصير لي في الدنيا ، ولا من يسأل عني ، وضربت يدي الى جيبي فوجدتني خالي الوفاض ، فاغبرت الارض انتظر ما قدره لي الله لولا أن أسعفت بكار له حمار أعرج ، يسوقه امامه وسط القبور ، وهو يغني بصوت متهدج فوصلني الى البيت على أجر اتفقنا عليه

---

(١) ولعل أمثال هذه الحادثة هي التي جعلته عليه السلام يرضى بالواقع فلم يذهب الى سمر ولم يحضر ناديا

بعد تلك الحادثة لم أكن أذهب الى مكان الا بعد ان أفكر في طريق العودة وحدي

هذه العوامل كلها تورث في الطفل شيئا كثيرا من الخبرة والاعتماد على النفس ، وتفهمه الحياة ومعناها وهو طفل فيعوض بنفسه ما فاته من عون والده ولذلك لم أشك في رواية بحيرا حين قال عن النبي ﷺ (ما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا) لان مثله يجب ان يكون أستاذ نفسه ولا فضل لاحد عليه .

على ان هناك عاملا نفسيا قويا يختلج في نفس اليتيم وهو ذلك الشعور الذي يتولاه بانه ضحية القدر وانه بريء مظلوم في العالم ؛ فقد مرح الطفولة وابتسامتها العذبة ، وسرورها المستمد من عطف الوالدين وارشاد الوالد . فينظر الى العالم بالمنظار الاسود ، ويفكر في الانتقام من العالم لو استطاع الى ذلك سبيلا

هذا سر من اسرار بعض النفوس ، فغريزة التخريب والهدم كامنة في النفس ولكن عوامل الضعف قد تكبح هذه الغرائز ولا يجمحها غير التربية والوسط ، ولم يكن محمد ﷺ في وسط يساعده على تكوين نفسه ولكن الظروف هيأت له ان يكون رقيق القلب وكأني بهذه الظروف ليست بنت الصادفة ولكنها إلهام وتوفيق من قدرة أقوى ، فكيف تهذبت نفسه وكيف صار باراً بالعالم والفقراء واليتامى . وكيف استطاع ان يعرف نفسه وكيف تربت نفسه على العظمة ، ولم تفقد كبرياءها مع اليتم والاملاق

ان (نشأته راعي غنم) هي السر في انتصاره على افكار نورية تمليها الطبيعة البشرية وغرائز الهدم والتخريب وشعوره بظلم الحياة بفقد والديه

فلما كان غلاما تحمل مسئولية رعاية الاغنام التي هي مضرب المثل في الوداعة ، وهي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا . وهي أحوج ما تكون لرعايته

من الذئب الذي يهاجمها

، ولقد توفرت في هذه الصناعة كل العوامل التي يحبها اليتيم كما أسلفنا من العزلة عن الناس اتقاء ما يصيب اليتيم منهم من اهمال وعدم عطف والزهد والاعتكاف حتى لا تتأثر النفس بضعفها في الحياة . فهي نوع من التربية النفسية لنمو غريزة المسئولية ورعاية الضعيف والعطف على الوداعة . والشعور بالسلطان، والاعتماد على النفس

وان محمدا ﷺ ليشعر وهو يرعى الاغنام بانه ملك صغير له رعيته وعليه واجبه . وأهم هذا الواجب هو حمايتها ، من الذئب أو من اللص ، وهو في أثناء ذلك يمشي في الارض ويفكر في الطبيعة بين السهل والوادي،والجبل والصحراء، يبحث عن رزق أغنامه ورزقه ، أليس ذلك يصرفه عن البطش بهما ؟ أليس يعرف انه مسئول عن ضياعها ؟ اليست هذه مسئولية تربي في نفس كنفسه الشريفة كل تقدير للواجب وتمده أن يكون راعيا كبيرا ؟ يرعى الناس فيما بعد.

« ٥ »

حياته وهو غلام

في حياته عليه السلام أثر واضح للغرائز النبيلة ، وان عقله الباطني كان أنشط من عقله الواعي ، والهامه الطبيعي أشرف من الهامات الناس كافة

لقد عاش في وسط ليس للتربية القومية أي أثر فيه . وقد يكون الوسط العربي في بلاد العرب اليوم مشابها له ، أي إن الغلمان لا يجالسون الكبار ، فلم يكن له فرصة التربية العملية تلقينا أو مشاهدة ، ولكنه كانت تربيه غرائزه الخاصة اذا صرفنا النظر عن القوة الالهية التي نعتقد انها كانت مشرفة على اعداده .

يتجلى لك ذلك في حوادث جمة نسوق لك منها حادثتين : الاولى ماذكره

ابن هشام وغيره نقلا عن الحديث الشريف :

لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة(١) ثم قال : شد عليك ازارك، قال فأخذته وشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين أصحابي

والحادثة الثانية هي الحادثة المشهورة اذ أراد أن يسمر بمكة وتمتعها كما جاء في قوله عليه السلام : فخرجت لادنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : فلان زوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك حتى غلبتني فنمت

فما هو التعليل النفسي لهاتين القصتين اذا صرفنا النظر عن العامل الالهي الا كبر - فان هذا الهاتف وهذه اللكمة هما نشاط العقل الباطن نشاطا غير معتاد نتيجة الغرائز الشريفة التي أخفاها الرقيب العقلي على حكم البيئة التي يعيش فيها عليه السلام ، فسمعه صوتا وشعر به لكمة وهذا كثير الحصول في الامراض العصبية اذ يرى الشخص أو يسمع أو يشعر بأشياء لا وجود لها نتيجة العقل الباطن وكذلك تعلل الحادثة الثانية بمغالبة دافع السمر بغريزة الاقتصار والرضا بالواقع ، ومواجهته ، فشغل حتى نام

وليس هناك فرق بين العقل والجنون الا قوة الرقيب فاذا ظهرت الغرائز التي لا تلائم المجتمع سمينا ذلك مرضا ، واذا ظهرت الغرائز التي ترقي المجتمع وتسمو بالشخص الى منزلة رفيعة ومثل أعلى سمينا ذلك شخصية فذة وعبقرية وعزونا ذلك الى الغرائز الشريفة الراقية التي لم يستطع الرقيب التغلب عليها بحكم الوسط ، فالوسط الذي كان فيه عليه السلام يبيح للاطفال تعرية سوءاتهم أما غريزته فكانت أرقى من ذلك ، ولذلك نشط عقله الباطني ونهاه عن العري ويمكنك أن تؤول كل تصرفاته وهو طفل على هذا النحو فلا تجد هناك

(١) يظهر أن الرواية بالمعنى والا ففي استعمال وجيعة نظر

الا تمايلا واحدا وهو أن غرائزه كانت نبيلة غاية النبل مما اشتهر به من الامانة والكياسة إلى غير ذلك من جميل الصفات

محمد تاجر

هذه الصناعة هي ألصق الصناعات بأخلاق الناس ودراسة نفوسهم وفضل السياحات عظيم في تربية الشخص الخلقية . وقد ظهرت تلك غرائزه في أمانته . ولنذكر الآن العناصر الجوهرية في هذا البحث وهي صلة محمد ﷺ بالاديان الاخرى وهل هي التي أثرت فيه في التحنث بالغار أم لا ؟ يقول لنا جماعة المستشرقين إن صلة محمد ﷺ في سياحاته بالاديان الاخرى عرفته الشيء الكثير عن تلك الاديان ودراستها ويخيل إليك انها كانت دراسة عميقة كدراسة الطالب الذي يتخصص في علم الطب والحقوق مثلا . ومثل هذه الدراسة لا بد ان يلزم الطالب فيها باب أستاذه مدة طويلة جدا من الزمن . توازي على الاقل مدة دراسة تلاميذ سقراط . ولكن ظهر لك انه لم يصرف في الرحلة الثانية غير ثلاثة أشهر منها نحو ثمانين يوما في الطريق . ويلوح لنا ان هذه الرحلة لم يكن الغرض منها سوى التربية النفسية . وتحمل مشاق السفر والمحافظة على الامانة التي عهد اليه القيام بها وهي توصيل التجارة والعودة بالثمن . كما بينا ذلك مفصلا في الفصل الثاني الذي مر بك .

ولقد ادعى درمنجهام وغيره انه عليه السلام ذهب إلى اليمن ولم تؤيد كتب السير هذا الزعم . ولكنها أضيفت فقط للتهويل .

دين محمد قبيل الوحى

فلننظر ما ذكره ابن هشام ونستنبط منه دين محمد قبيل الوحي وهل تعبده له صلة بالاديان الاخري أم لا ؟

لم يرو لنا أحد من المسلمين وأعداء الاسلام شيئا عن دين سيدنا محمد قبل الوحي بل كل ما قالوه هو انه ﷺ (ابن هشام صفحة ٢٢٤) كان يجاور في حراء في كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث لغة هو التحنف

وقال عبيد — صفحة ٢٢٥ — فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه فإذا قضى ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبتدئ به إذا انصرف من جواره إلى الكعبة فيطوف بها قبل أن يدخل بيته

هذا هو كل ما كان يفعله عليه السلام من التعبد قبل بعثه وانطبق ذلك على علم النفس أيضا .

لقد نشأ محمد عليه السلام في الجاهلية التي كانت تحترم الكعبة وقد أوجدت الظروف التي طرأت على بناء الكعبة فرصة انقسام القبائل على حمل الحجر الأسود فكانت فرصة سانحة له أعطته ميزة الفصل بينهم وان يكون رداؤه محمل الحجر وان يكون له ميزة وضعه بيديه الشريفتين مكانه

فإلهامات محمد ﷺ الطبيعية وغرائزه لم تجعله ينفر من الكعبة وهو يجهل ما سيكون لها من الشأن على يديه مستقبلا . وليس في التوراة والانجيل ما يدل على أن هذا هو بيت الله الذي بناه ابراهيم فهو على حكم البيئة التي نشأ فيها لم يشذ عن احترام الكعبة . ولكنه نفر مما حوت من أصنام مما كان الجموع يدين به

نقف هنا وقفة قليلة لنتأمل هذا الفرق الماثل بين احترامه للكعبة ونفوره من الاصنام .

فالكعبة كما رأيت لا تمت بصلة لليهودية ولا للنصرانية . ولكن العرب كانوا يحترمونها احتراما متوارثا وكانوا يعرفون أنها بيت ابراهيم

ولقد روى الكلبي في كتابه (الاصنام) أن منشأ هذه الاصنام هو شدة تعلق ابناء اسماعيل بالكعبة فكانوا كلما كثروا ورحلوا إلى جهة أخذوا حجرا من الكعبة ووضعوه في مكانهم الجديد وطافوا به تبركا

ثم دار الزمن بهم فعبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه

فأنت ترى من هذا أن احترام الكعبة موروث في ابناء اسماعيل ومنهم محمد ﷺ ولكنه نفر من الاصنام .

وهذا فارق كبير . وتاريخه عليه السلام يكاد يحوي كل صغيرة وكبيرة من تعبده، بل كان يسأل بعد الاسلام من كل شيء، ولم نجد في عمل من أعماله دليلا على اتصاله بالاديان الاخرى

ولكن هناك أمر واحد تمحك فيه جماعة المبشرين بعد أن غذاهم به فريق المستشرقين تلك هي القبلة الاولى وزعيم هذه الفرقة هو سنوك هرجرونيه وفنسنك طريد المجمع اللغوي الملكي، وسنبين هذه الشعوذة عند الكلام عن هذا الرجل الذي وقفنا معه موقفا خالدا في هدم المستشرقين . على ان ذلك كان بعد البعث ولا شأن له بموضوعنا الآن . وعلى ان الاعمال الثلاثة التى كان يدين بها قبل البعث هي المجاورة في الغار وإطعام المساكين والفقراء فاذا انتهى ذلك الشهر طاف بالكعبة سبعا

فهل هذه الاعمال تمت بالصلة لاي دين من الاديان السابقة ؟

إذا كان هذا التعبد ان صح تسميته بهذا الاسم مصدره الغريزة والالهام وحده فهو على حكم الوراثة من جده الاعلى ابرهيم واسماعيل قد شق له طريقا وحده

ولم يقل لنا المستشرقون ومن جرى مجراهم أنواع هذه الصلة التي قالوا عنها بل اكتفوا بهذا الوضع للتشكيك لاغيره والا فاني أتحدى من يقول بأن هذه الاعمال التى كان يقوم بها محمد ﷺ متخذة من الاديان السابقة اللهم الادين الحنيفة دين الاسلام وملة ابراهيم، ومحمد بغرائزه والهامه شق له طريقا وحده ولم يتشيع لدين ما قبل بعثه . وإلا لكان المكافرون من أهل زمانه حاجوه بما كان يعترف به أو يعمله وليس في القرآن إشارة ما إلى ذلك مع انهم حاجوه بكل أنواع الحجج وطعنوه بجميع انواع المطاعن الا هذا . فهل ماخفي عن معاصريه اكتشفه المستشرقون في آخر الزمان . ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم

الفصل الرابع

محمد ﷺ وروح الاجتماع عند البعث

رأيت في الفصل السابق ان دين محمد ﷺ وتصرفاته قبل البعث كانت كلها من منبع الغرائز والالهامات العالية

وقديما قال الحكماء ان السر في عدم انجابه ذكرا ان أي ولد يخرج من صلبه كان محتوما ان يكون في درجة من الذكاء يصل بها إلى درجة النبوة وموت أولاده الذكور كان قضاء وقدراً لانه معد لتلك الرسالة العظمى التي ختمت به

ويقول انا درمنجام إن موت أبنائه قد زعزع عقيدة زوجته السيدة خديجة في الاصنام . واني انا بنفسي كلها خرافية جديرة بان نهملها (١)

والآن نتوجه لوجه مع جماعة المستشرقين كلهم الذين كتبوا ويكتبون عن حياته كرجل عظيم . ونريد أن يتمشى معنا القاري في هذا الفصل لنري هل كان محمد ﷺ رجلا عظيما فحسب أم نبيا ورسولا ؟ ولو جدت عبقرية عظماء الرجال في عصره وفي بيئته كانت تقوم بما قام به أم لا ؟

رأى الباحثون من المؤرخين أن العالم كان في وقت البعث في حالة انحلال أدبي وسياسي عم قطري الكرة الارضية

في الشرق كانت الصين والتبت تمزقهما الحروب الداخلية ، والهند كانت

---

(١) يقول درمنجام ان سبب زعزعة عقيدة السيدة خديجة في الاصنام انها كانت تقدم النذور والحلي لتلك الاصنام طلبا لحياة ابنائها الذكور من سيدنا محمد ولما لم تفلح هذه القرابين تزعزعت نفسها وأغرت سيدنا محمداً بهدم كيانها

على أن الواقع ان أولاده الذكور كلهم ماتوا بعد الاسلام فلو كان استنتاج درمنجام حقيقيا وينطبق على نفسيته عليه السلام لكان موت ابراهيم آخر انجاله سببا في ثورته عليه السلام على العالم أجمع . ومع ذلك فكل ما قال معاصرو النبي عند موت أولاده الذكور أن الله قلى محمدا فنزلت سورة (والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وماقلى)

في فوضى أخلاقية نتيجة انتشار المذهب البرهمي الذي يعد من أركانه هبة البنات الابكار للآلهة وأن يقوم البرهمي في دور الالهة في الاستمتاع بالعذارى مما لا يزال له أثر حتى اليوم ، وهبة البنات للاستمتاع الديني في المعابد ويطلق عليهن اسم فتيات المعبد

وكان شمال غربي آسيا في حالة ركود وغموض ، وشمال افريقيا في حالة يرثى لها من العالم الفاضح على ايدى فلول الرومان التي فقدت سمعتها الادبية ولم يبق منها الا بقية أنفاس تتردد كما تتردد آخر انفاس المشرف على الموت

وكانت اليونان تعاني ما تعانيه بقية البلدان لتبعيتها للدولة البزنطية . التي كانت مشتبكة في حروب مع الفرس الذين كانت جنودهم تعبث في أرض الروم فسادا حتى انحلت أمة الفرس نفسها

***

ومن هذا يتضح لك أن العالم كان في غمرة انحلال أدبي وسياسي ومادي وأخلاقي ولا يمكن تجديده الا بقوة خارقة تهديه سواء السبيل، على أن العالم لم يكن خاليا من بذور الاصلاح فقد كانت اليهودية معروفة . والنصرانية لها بابوية روما . ومازال هذان الدينان منتشرين للآن. كما توجد انقاض المدنيتين اليونانية والرومانية .

هنا نقف بالقارىء قليلا لنستعرض الآراء التي يقول بها منكرو رسالة محمد ﷺ ونتمشى معهم قليلا في استنباطاتهم لنرى إذا كانت تبيح لهم مثل تلك الدعوى

قال المستشرقون ومن لف لفهم إن محمدا كان على اتصال علمي بالاديان الاخرى . وانه استقى معارفه ومعلوماته من سياحته في الشام وباحتكاكه بمن يحضرون إلى مكه للتجارة . وقد زاد الغامزون اللامزون بانه كان يحسن القراءة والكتابة (مرجوليث) بدليل الآية الكريمة (إقرأ وربك الأكرم)

وادعوا أن هذا اعتراف بانه كان يجهلها. وانه قرأ عن كل شيء.
إن تصديق مثل هذا الكلام فيه كل العبث بالعقل البشري ، أما سياحاته في الشام فقد سبق عنها الكلام في الفصلين السابقين

وهنالك رأي آخر يقول به بعض المستشرقين وهو أن محمداً كان يقتدي بموسى عليهما السلام وأن دعوته كانت لحب السلطان.

يقول هذا القول المستشرق مرجوليث في كتاب تاريخ العالم العام ونقول رداً على هذا إن غرائزه والهاماته كانت واضحة تمام الوضوح وتصرفات الشخص في صغره دليل على غرائزه وميوله . ولم يكن في غرائزه عليه السلام ما يؤخذ منه حب السلطان وحب المال والتملك أو غرائز الهدم والافساد وحب الظهور وهي أظهر الغرائز في حياة الاطفال الذين يرجح أن يكون لهم شأن في المستقبل بل بالعكس كانت غرائزه العاملة هي التواضع والوحدة وفي الخلاف، ولم يعرف عنه انه استغل سلطانه في الاستفادة المادية وهي أهم مايطمح اليه العظماء.
كذلك لم يشتهر بالشعر ولا بالدعاية لنفسه وهما أقوى المؤثرات في عصره وفي كل عصر مما كان يهيء له أن يجمع حوله جماعة الانصار يعدّيها العدة للمستقبل الذي يتهيأ له لو انه شخص ذو مطامع

هذان هما الرأيان السائدان في كتب المستشرقين وهناك رأي ثالث يستنبطه بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة وهو أن محمداً عليه السلام كان على علم قليل بالاديان السابقة غير انه رأى أن العالم يحتاج للاصلاح المعنوي والنفسي وأن لا وسيلة لاصلاح المجتمع الا بهدم الخرافات والمعتقدات الزائفة فبدأ بالدعوة لهدم كل هذا

وانك لتجد في هذا الرأي أثراً واضحاً للثقافة والتعليم الراقي، فأصحاب هذا الرأي ما حكموا هذا الحكم الا بعد الاطلاع على تاريخ العالم الذي لخصناه لك في أول هذا الفصل ثم درسوا المعتقدات التي كانت شائعة في ذلك العهد وكذلك

تعلموا الموازنة بين الاديان ثم درسوا التاريخ السياسي والاقتصادي للامم كلها حتى القرن العشرين ولذلك كان هذا الاستنباط لايعد استنباطا بل يعد تقريرا لما حصل . ووليد الاطلاع على الاسباب والنتائج وهو تفسير لسر الدعوة التي قام بها الاسلام .

فهل كان يتسنى لرجل عاش في الجاهلية الاولى أن يعلم كل ذلك على غير معلم في صحراء جرداء قحلة ؟ وهل من الممكن لعقل بشري أن يتم كل هذا التحصيل والانتاج والتشريع وحده من غير معين من الاساتذة أو الجهابذة . مع ماعلمنا على النفس اليوم أن للعقل طاقة وللذكرة احتمالات لايمكن تجاوزها من غير أن يختل توازنها اختلالا عصبيا .

فأصحاب هذا الرأي يعرفون المقدمات والنتائج بجمعها فينسبون له عليه السلام قوة لاينبغي لاحد من البشر ادراكها في ذلك الوقت الذي بدأ فيه الوحي وهنا سر اختلال هذا المنطق — وهذا الرأي . ففرق كبير بين أن تدرك الامر من أوله وبين أن تعرفه بعد نهايته بأربعة عشر قرنا . وان تعرف أسباب نجاح الدعوة وتضيف اليها استنباطا من عندك - بعد أن تقرأ كل ذلك في كتاب واحد مأخوذ من آلاف المصادر .

ولو أدت دعوة محمد ﷺ إلى نتيجة عكس ما أدت اليه لما عدم أصحاب هذا الرأي الف حجة على خطئها وعدم ثقافة الداعي لها مما سنشرحه فيما بعد .

وهنالك رأي آخر وهو على مافيه من تهاون جدير بالذكر والتمحيص وهذا رأي أصحاب الفلسفة الحرة ايضا . وهو أن ليس لعظماء الرجال حاجة إلى التعليم وان أكثر العظماء لم يكونوا من المثقفين بل يكفي للنجاح فكر صاف وقلب طاهر جبار وعزيمة صادقة واخلاص حر عميق وايمان ثابت

وانا لنقف برهة أمام هذا الرأي لنقده ونقف علي كنهه لان نواحي عظمة

الرجال متعددة . فاذا صدق هذا القول عن رجل سياسي يقيم ثورة أو يهدم عرشا . او يفتتح دولة ، أو يستأثر بسلطة فانه لاينطبق على صاحب دين أساسه قوة الحجة وسلامة المنطق ، ويتناول التاريخ القديم والحديث في زمنه فينفي ويثبت ويناقش ويجادل ولا بد لهذا كله من ثقافة واطلاع لا وسيلة للالمام بها

فاذا كانت الالهامات والاخلاص والايمان وحدها هي مصدر كل هذه المعلومات فاننا لانشك ان مسافة الخلف بين منكري النبوة والمؤمنين قد قربت إلى أدنى حد لان الالهامات التي تتحدث بالغيب وتعلم المجهول وتحيط بتاريخ الاوائل والاواخر وتنفي وتثبت بطريق القطع واصواب هذه الالهامات هي فيض من قبس الرحمن ورسالة من الملأ الاعلى

وليس الصدق الصرف والاخلاص الحر والايمان الثابت الذي لايتحدث به صاحبه ولا يكتسب به شيئا من حطام الدنيا بل احتمل مرارتها لهداية البشر وانقاذ الانسانية — ليس ذلك كله — الا مرتبة من مراتب النبوة .

وهناك مسألة جديرة بالنظر والتفكير وهي أن الاسلام ليس للزهد والآخرة فحسب . بل نظم أعمال الانسان في الدنيا لتكون وسيلة الى الآخرة . وشرع من القوانين في الحياة المدنية ما ينظم الهيئة الاجتماعية . وعلاقات الافراد والامم . وهذه ليست طريقة عظماء الرجال رجال الدول . أو رجال السيف . بل المعروف عن كل عظيم انه استعان بالاحكام العسكرية ليمنع حرية الناس في حدود القوانين التي يضعها لصالح الدولة أو الفكرة التي يقيمها وهذا هو الامر الشاذ في دعوة الاسلام . فلقد كانت ميادنه عامة

ولننتقل الآن إلى مسألة أخرى جديرة بالنظر والبحث وهي اننا لو فرضنا محمدا ﷺ رجلا عظيما فحسب هل كان يتبع تلك الخطة التي اتبعها في نشر دعوته ؟ وهل كان ينتخب لها ذلك الوسط والزمن اللذين قام فيهما ؟ وهل كان من صالحه أن يقوم بهذا النوع من الدعوة لله

لقد أجمع المؤرخون أن مكة كانت وثنية حقا . ولكن ما ضرر الذي يصيب الناس من عبادة الاوثان أو الاحجار ما دام ذلك لا يؤثر في حياتهم ومعاشهم . وهذه أمة اليابان مثلا تغلغلت في الوثنية إلى العهد الحديث ومع ذلك طفرت إلى الحضارة واحدة فالضرر الذي يحصل من عبادة الاوثان إن هو الاضرر في نوع من انواع التفكير الصحيح . وإذا كان الدين هو معرفة حقيقة الله فقط من غير أن يكون وراء هذه الحقيقة مبادىء أخرى تنقذ البشرية من براثن الاوهام واستغلال العقول لتساوت جميع الاديان . وهناك أديان تكاد تمس التوحيد ولكنها خالية من روح المنطق فترى في هذه الاديان أن البقر معبود يقدس . ويعد روثها بركة وتشرب أبوالها في حين تعد فريقا من الناس نجسا لا يصح لمسه ويحمل هذا الفريق من الناس محكوما عليه أن يعمل في الاقذار والاوساخ . فما الفائدة التي تعود على العالم من مثل هذا غير العبث بالانسانية .

وهناك بعض الفرق التي اخترعت لها مذاهب في الاديان السماوية ورجعت بالانسان القهقري الى انواع عبادة الاصنام والاشخاص . فيوزن صاحب المذهب بالذهب كل عام ويؤخذ هذا الذهب من اتباع مذهبه ، ومن هذا يتضح لك أن التوحيد هو تحرير الفكر من كل شيء ، ولنرجع إلى ما كان سائداً في مكة .

فالمهم والواضح أن اليهود — اتباع الدين الالهي الاول — كانوا يستغلون أموال هؤلاء الوثنيين بالربا الفاحش إلى حد استعباد الناس ودفعهم ببناتهم للبغاء تسديداً للديون الباهظة التي جرها الربا الفاحش

وقد كانت حالة العرب الوثنيين من الفقر والاملاق والبؤس والتشريد مما يستوقف النظر العادي . وكانت مصيبتهم الاقتصادية والادبية مما يبعث على التفكير في هدم اليهودية لا الوثنية . فاذا أضفت إلى ذلك أن مكة ليست بلداً زرعياً بل واد غير ذي زرع تكتنفه الجبال والصحارى علمت أن كل أرزاق

الناس كانت من التجارة ورعاية الماشية في الاماكن البعيدة .

ومكة على حالها الآن أحسن بكثير من مكة قبل الاسلام . فمورد مياهها الآن متوفر من [عين زبيدة] التى جرى اليها بعد الاسلام وكانت قبل بلقعا جافا .

وإذا عرفنا أن محمداً ﷺ كان تاجراً فان هذه مسألة لابد أنه كان يعرفها . وهي أنه رأى بعينيه وسمع باذنيه مصدر ألم الناس وفقرهم هذا الفقر الذي يقاسيه أهله وعشيرته من الربا والاملاق نتيجة طغيان أصحاب رؤوس الاموال من اليهود الذين استأثروا بتشريع القوانين بمكة ، فاذلوا بهذا التشريع أعناق العرب ودفعوهم دفعا إلى استثمار اعراضهم في البغاء (١) .

فالرجل العظيم الذي يوجد في مثل هذه الظروف لو كان غير محمد ﷺ ونصب نفسه للدفاع عن المظلوم ونصرة الضعيف فانه كان يتخذ طريقاً مباشراً للقضاء على أصل الداء من منابعه والتاريخ يدلنا على أن عظماء الرجال الذين عاشوا في مثل تلك العهود وجهوا جهودهم لاقصر الطرق فقاموا بالدعوة الاشتراكية ومحاربة أصحاب رؤوس الاموال ، أو البلشفية أو غير ذلك مما تراه مفصلا في كتب التاريخ عندما يستأثر بعض الناس بالامر ويستبدوا بالنفوس ، ولعل دراسة أعاظم الرجال تدعونا الى تأييد هذا الرأى — فنابليون مثلا لما رأى الثورات تمزق فرنسا لم يقم بدعوة الى الزهد بل عمل على حصر السلطة في يده من طريق الحرب والقيادة ، وانتظم في سلك الجنود حتى وجه الانظار الى مهارته كقائد وأظهر نفسه وكبر من شأن عبقريته بفتح ايطاليا ثم عمد الى كل الطرق التي تجعله قنصلا فامبراطوراً

ومحمد على باشا عمل مثل هذا أيضا

---

(١) نعم إن البغاء كان فاشيا في الاماء وكن يشترين للاتجار باعراضهن وفي ذلك نزل النهي في القرآن (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) وقلما كانت تزني حرة

وكان أسهل طريق أمام سيدنا محمد ﷺ أن يستغل عبادة الاوثان ولم يكن فيها وفي مبدئهم شيء عن الربا ، فاذا جمع القلوب حوله وقبض على ناصية السلطة ضرب نفوذه على ما حوله واستغله في الاصلاح وأول ما يوجه نظره هو الحالة الاقتصادية والادبية من طريق مباشر ، فمنع كل ما كان يشكو منه الناس

والمطلع على تاريخ العرب في الجاهلية يرى أن الدعوة كانت ممهدة لمثل هذا الرأي ، وما كان عليه الا أن يستثير عواطف الناس في سوق من أسواق العرب ويدعوهم الى دعوة اقتصادية صرفة فيلتف حوله جماعة من أشداء السواعد ومفتولي العضل ويهاجم بها بيوت اليهود فيأخذ أموالهم ويطردهم ويحرر الناس من رقهم المادي . ويدلنا على صحة هذا الرأي ما نراه متجليا من روح الكراهية لاصحاب رؤوس الاموال . وانتشار الدعوة الى الرفق بالمظلوم فقد كانت الشعراء وخطباء مهدت فملا الطريق الى مثل هذه الدعوة وتألف فعلا أنصار لمن يقومون بمثل هذه الدعوة يدلك على ذلك أشتات من قصائد وأشعار جاهلية في وصف هذه الحالة كقول بشر بن المغيرة عن اليهود :

وكلهم قد نال شبعا لبطنه   وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

وقال الاعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

كما يدلك على ذلك عادة وأد البنات في طبقة الاشراف ضنا بهن ان يكن في يوم من الايام موضع استغلال للبغاء

فمن من عظماء الرجال يكون في مثل تلك الظروف ولا يقوم بحرب مباشرة ويستغل هذا الشعور الملتهب ويضرب في الصميم بنهب اليهود وقتلهم ، هذا هو الرأي الذي توحيه الظروف ، معاداة اليهود وكراهيتهم وطردهم ، ولكن جماعة المستشرقين يقلبون الحقائق ويقولون ان محمداً أراد استغلال اليهود وهذا هو المنطق المعكوس والكلام الهراء الذي لا يقوم عليه برهان ، فالملل التي كانت

تشكو منها الانسانية لم تكن متجهة الى العقيدة بل الى انواع المعاملات المدنية والاجتماعية .

اما أن يقوم محمد ﷺ ويفكر في طريق شاق ملتو ويبدأ بمعاداة أهله في عقائدهم ، ويسفه جيرانه وقومه في آرائهم ويهزأ بعقليتهم فأول ما يقابل به هذا النوع من التفكير في تلك الظروف هو تلك تهمة التي اتهموه بها أنه مجنون . لان هذا يثير الرأى العام عليه وما كان يقول به عاقل حكيم — لو كان عليه السلام مستسلما لنفسه وحدها من غير قوة عليا تؤيده وتوحي اليه وتدفعه دفعا الى هذا الطريق الشائك المملوء بالخطر .

كما أن مكة المبعدة السحيقة لم تكن أصلح مكان لمثل هذه الدعوة لان الشخص العادي الذي ينظر الى اصلاح العالم لا ينتخب أقل البلدان عمرانا لدعوته . وماذا يكون رأي العقلاء لو قام رجل في أقل قرى الصعيد شأنا ليدعو دعوة اصلاح سياسي أو عمراني في مصر كافة . أو في العالم أجمع ؟

ومن المدهش أن الدعوة من أولها انبنت على مبدأ واحد هو الدعوة لله وحده . أليست هذه طريقة ملتوية ؟ وما الذي جعله يتمسك بدعوته هذه بعد أن سعى اليه زعماء العرب وأهله يولونه رياستهم ويعرضون عليه السلطان المطلق في الامر والنهي فأبى ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره ؟

لقد كان في استغلال شعورهم هذا ملكا كبيرا ودولة يطرد بها مصادر ألم العرب وشقائهم . وكانت فرصة ذهبية لجمع القلوب حوله وضرب المرابين واصحاب رؤوس الاموال ومفسدي الاعراض

لنقف قليلا ولنتدبر . ألم يستغل كل عظماء الرجال مثل هذا الظرف ؟ ألم يخلق نابليون ومحمد علي وكرومول وغيرهم مثل هذا الظرف ؟ وان تاريخ عظماء الرجال يخبرنا أن أول عمل يقومون به هو استغلال عواطف الناس لامعاداتهم في عقائدهم وأخلاقهم .

أما ان يبدأ شخص ما بمعاداة الناس وتحديهم كلهم . وضرب كرامتهم وعزتهم وعقولهم . فضرب من السياسة لم يعرف قبل سيدنا محمد ولم يعرف بعده . وهذا تاريخ سيدنا موسى وسيدنا عيسى أمامنا وإنا لنري ان دعوتهما تخالف هذا كل المخالفة . ولكل نبي ظروف وآية

والخلاصة :

(١) ان قضية أي رجل عادي عاش في ذلك الزمن ما كانت لتتخذ من وسائل الاصلاح مثل هذا الطريق الشاذ

(٢) ان أسهل الطرق لاستغلال الشعور لم يكن قاعدة . بل كانت القاعدة تحدي الناس أجمعين وهذا ضرب من الاعجاز

(٣) ان الذين يعترفون بالالهامات العالية في قضية سيدنا محمد ﷺ يقتربون من الحقيقة لو عرفوا أن هذه الالهامات فوق مستوى البشرية

(٤) الذين يحكمون اليوم على السيرة الشريفة بأسبابها ونتائجها لو عاشوا في ذلك الزمن لكان لهم رأي آخر

❊❊❊❊❊❊❊❊

الفصل الخامس

التوحيد هو روح الحرية

كان بودي أن أجمل مقدمة البحث في التوحيد ملخصا لنشأة فكرة الاديان في العالم وأن أتناول بالتحليل كل دور من أدوار التفكير الانساني الاول على ثقافته الضئيلة ليعثر على سر الوجود ويتفهم تلك القوة المسيطرة على العالم فتسير به على هذا النمط المحكم الذي أدهش عقل الانسان منذ تكوينه إلى الآن

الا أن هذا البحث يعد من قبيل المعلومات العامة في التاريخ القديم وكثير منه معروف وفيه الدليل على أن فكرة الانسان في وجود قوة أكبر من قوته تكاد تكون في قدمها وعهدها كعهد الانسان على ظهر البسيطة وأن العقل أدرك بفطرته أن هذه القوة موجودة ولما أعيته الحيل في حسها ولمسها جهد أن يدركها من مظاهرها وآثارها في الحياة فعبد النيل لانه يقوت الشعب ويعود بالخير والبركات وعبد النار لانها مصدر قوة عظمى ويشعر بضررها فعبدها خوفا منها . وعبد الحيوانات القاتلة كالتماسيح لانه ظن أن الروح القوية أو روح القوة تحل فيها وقدس الاشجار لان في لبنها قوة له ، ثم عبد أشخاص الابطال في صور من تماثيلهم لانه رأى فيهم قوة انسانية فوق قوة الانسان العادي ، ثم فكر في أقوى المؤثرات فيه فعبد الشمس وحدها .

كان الانسان في كل هذه الظروف ينشد إيجاد سر الوجود والعثور على معرفة حقيقة روح الحياة

يقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة أن الانسان لم يبحث بغريزته عبثا عن مصدر تلك القوة إلا لانه ضعيف في كثير من أوقات حياته وقليل الحيلة فيما يس

من قوته . وقليل الادراك لظواهر الطبيعة التي تبهر نفسه فهو في حال المرض لايقوى بنفسه على محاربة الداء وفي حال الجدب لايقدر على انزال الماء من السماء . فلجأ من ضعفه أن يستمد العون من قوة أخرى تخيلها انها أكبر منه سلطاناً على الوجود ورمز لها بتماثيل يسجد بين يديها يستمد العون منها ولو عدنا قليلاً مع هذه النظرية والفرض لخرجنا منها بنتيجة لاتقبل الشك وهي اعتراف الانسان اعترافاً صريحاً بعجزه منذ القدم إلى يومنا هذا في حل سر الوجود منذ الطلق . وفكره الشخصي مهما علت ثقافته . ومهدت أمامه أسباب العلم .

وهذه نتيجة هامة فليتذكرها القارئ لاننا سنعود اليها فيما بعد . غير اننا نشير الآن الى أن اعتراف الانسان صراحة بعجزه وضعفه جعله ينظر الى العالم نظرة فلسفية من غير أن يشعر ، فقد اعتقد أنه لم يوجد لا ليكون ضعيفاً ذليلاً فتناهى في طلب الذل والتقشف والزهد والخنوع ، فاخذ يتلمس طرق ارضاء خياله عن القوة المسيرة للعالم من طريق اذلال النفس وقتلها بانواع شتى من التعذيب ترى صوراً منه في الاديان القديمة التي ما زالت آثارها باقية حتى اليوم كفقراء الهنود الذين يتعمدون بالجلوس على المسامير أو رفع ايديهم الى أعلى حتى تجف أو تتقدد أو غرس شص من الحديد في ظهورهم أو يلفون على الاشجار . وقد تمادى الانسان في زعمه هذا منذ القدم حتى قدم الدم الانساني قرباناً لاستجلاب الرضا .

وقد يقال إن العالم تطور كثيراً ووجد فيه من العلماء والفلاسفة من أرشدوه الى معرفة شيء عن النفس الانسانية ومع ذلك لا نشك أن فطرة الانسان قد جعلته يفكر في القوة التي أوجدت هذه الكائنات وكانت فكرة الدين جزءاً من عقيدة الانسان ، ونرى ذلك متجلياً عند استكشاف (كورتس)لامريكا الوسطى

وتوغله في بلاد المكسيك لاول مرة حيث حدثنا عن وجود ديانات فيها لا تختلف كثيراً عن ديانات العالم القديم ووصف لنا الذبائح البشرية قرباناً للآلهة مما يدل على ان فكرة الدين واحدة في العالم القديم والجديد متأصلة وجزء من تكوين الانسان ، وان كان الطريق للعبادة مرسوماً على قدر فهم الانسان معنى الحياة كما يوحيه اليه ضعفه وعجزه والتماس معرفة تلك القوة العظمى التي أوجدته وسيرت العالم بذلك النظام البديع الذي يحير نفسه

واذا تتبعت تاريخ هذا التطور وجدت أنه حتى بعد ظهور أديان سماوية استمر تعذيب النفس واحتمال الاذى وكانت منتشرة في أوربا في البلاد التي يحكم المسلمون حيث يحدثنا التاريخ عن بعض المتقشفين أخذوا يعذبون أنفسهم تقرباً لله بأنواع من العذاب كربط الساق حتى يتعفن ويفسد ويتساقط منه الدود ، وكعدم الاستحمام وعدم تغيير الملابس حتى تتساقط من نفسها ، وكالجوع المستمر حتى الاشراف على الموت أو غير ذلك من ضروب الاحتمال للآلام (١)

(١) جاء في صحيفة ٦٠٣ من كتاب ديانات الغريبة — أن المسيحية في القرون الاولين منها كانت تعد تعذيب الجسم أرقى صفات التقى فالقديس هيلاريون لم يحلق الا مرة في العام في عيد الفصح ، ولم يغتسل أبداً حتى صار جسده كالحجر الخفاف ولم يغير ملابسه حتى تساقط من نفسها

والقديس مكاريوس كان يحمل دائماً ما يزن رطلاً من الحديد وينام في مستنقع لكي تلدغه الهوام . والقديس يوزيبس عاش ثلاثين سنة في بئر جافة وكان يحمل مائة وخمسين رطلاً من الحديد . الى غير ذلك من أنواع التعذيب

The wonderful world p. 603

والحكيم العربي يقول اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وجاء في الآثر : ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى

وفي كل طرف من هذه الظروف نرى ظاهرة أخرى في تفكير الانسان وهي ان هناك واسطة بين الانسان وتلك القوة القادرة التي تخيلها فاستغل قديما جماعة الكهنة في مصر ذلك حتى نازعوا الملوك سلطانهم وفي البلاد التي ما زالت في الوحشية الاولى أقامت أمثالهم مقام السحرة أو غير ذلك مما يطول شرحه وفي الهند نرى سلطان كهنة المنبوذين يكاد يشاطر الرجل رزقه وانهم يعيشون عالة على الناس من قبيل الاستهواء الديني

***

بعد هذه المقدمة الوجيزة لتاريخ فكرة الدين نعتذر عن عدم الاطالة لان هذا الموضوع من المعلومات العامة التي يستطيع الباحث ان يجدها في الكتب المتعلقة بهذا الموضوع ولعله يستطيع اذا اطلع عليها ان يلم بها إلماما تاما وان يعرف أن التوحيد في الله كان معروفا حتى قبل ظهور الاسلام لان هناك اديانا سماوية سبقته ولكن كبار عقول الفلاسفة حتى بعد ظهور الاديان أخذوا يتلمسون اسبابا منطقية ليقنعوا انفسهم بوجود خالق

ويطول بنا أيضا شرح هذا . إلا أننا نشير إلى أنهم انقسموا ثلاث فرق

(١) فريق نظر إلى الاديان بفكره الفاحص فقط ثم اقتنع

(٢) وفريق فرض الشك وأراد أن يقنع نفسه من طريق التشكيك في كل ما أمامه من الاديان

(٣) وفريق ترك كل هذا واراد أن يبحث عن سر الوجود بنفسه . فاما الفريق الذي اقتنع بنفسه ببحث الاديان التي أمامه فلا مناقشة لنا معه

وأما الفريق الذي أخذ يتشكك ليقنع نفسه من طريق الشك فعلى رأسه [ديكارت] وهذا مذهبه أقل ما فيه أنه مبنى على زعزعة المنطق وأن الرجل يفرض نفسه مثلا أعلى في الكمال العقلى فيريد أن يقنع نفسه بنفسه لا من طريق

تفهم الشيء بذاته بل طريق التشكيك فيه . وهنا لابد أن تعرض شخص أمور أكثر تعقيدًا من أن يحلها بنفسه . ولنضرب لك مثلا ديكارت فهو لا يعرف شيئًا من العربية فلا يمكن أن يعرف إعجاز القرآن . وديكارت لا يعرف شيئًا من علم الفلك فلا يمكنه أن يفسر الآيات التي تعد إعجازًا في علم الفلك كما توجد آيات أخرى تعد إعجازًا في الطب لا يمكنه فهمها .

ومن عيوب العقل الانساني أنه كثيرًا ما يزهو بنفسه وأن الفيلسوف يظن نفسه بطلا في كل شيء مع أن دينًا كالدين الاسلامي تناول كل أنواع التفكير والتشريع وهذا أكثر من أن يحكم عليه انسان واحد .

أما فريق الثاني فليس من موضوعنا مناقشتهم لأننا نرى في القرآن اعجازًا بنفسه وأن الاسلام يتمشى مع العلم جنبًا الى جنب وأن في آيات «خلق الانسان من علق» و «خلقناكم من طين» و «خلقناكم أطوارًا» لأدلة اذا فهمها هؤلاء الناس لخروا ساجدين إلا أننا لا نتكلم في هذا البحث الآن . وانما نقتصر على الاعجاز النفسي في الاسلام . على أننا نرى من وجهة أخرى أن الموضوعات العلمية الفنية تتمشى جنبًا الى جنب مع الاسلام فأول آية من آيات القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »

فأنت ترى أن أول نداء للاسلام كان على دعامتين : الله والعلم . وترى كثيرًا من آيات القرآن أحالت على العلم فهم دقائق الحياة وعناصرها ، وتركت للعقل البشري حريته في البحث والاستقصاء . وتركت للفكر والسمع والبصر والافئدة سبيلا لمعرفة الله عن طريق العلم : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » وتقدمت الدعوة الاسلامية على مناقشة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان

والظاهرة الغريبة جدا أن الاسلام لم يجعل فاصلا بين المرء وربه وجعل الناس كلهم سواسية . ان أكرمكم عند الله اتقاكم . وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل وهو انسان كجميع الناس لولا انه نبي كريم وبهذا ترى أن التوحيد ضرب الحجر على العقول ضربة قاضية . وضرب استضعاف المرء لنفسه ضربة قاتلة . وساوى بين الناس جميعهم ، كما هدم كل أساس للافكار الخيالية في التقرب من الله بطريق تعذيب النفس — ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق كما ضرب الوساطة بين العبد وخالقه ضربة لا قيام لها

انظر وتأمل هذا النبي الكريم على جلاله وعظمته وعلى مكانته عند الله والناس لما رأى رجلا مقبلا يرتعد رهبة قال عليه السلام [خفض عليك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة)

في هذه الحادثة وحدها : وفي هذا الحديث وحده كل معاني الحرية وكل معانى المساواة وكل معاني حكمة الاسلام في الحرية الشخصية

ولنذكر لك أثر التوحيد في تكوين النفس ، وكيف تطور الفكر الانسانى بمبدأ التوحيد ، ونبتت عند الناس فكرة الحرية الشخصية والدينية منذ الساعة الاولى التى قرع سمع العالم هذا النداء الاسلامى

لقد كان طبيعيا أن تصادم هذه الدعوة الحرية بكل معانيها بالعقائد التقليدية التي سبقت الاسلام . وهي عبارة عن اعتراف الانسان بضعفه اعترافا صريحا — كما تقدم — واقراره بحدود ضيقة لعقله لفهم تلك القوة الهائلة المسيطرة على العالم وعبادة البطولة والابطال والقوة في رموز من التماثيل يستلهمها وقت الضيق ، ويتقرب منها عند الحاجة ، فقام نزاع شديد بين هذه التقاليد الموروثة فى الجمود الفكري

ورأى الناس الدعوة لله والامر عن طريق الفهم والحجة والبرهان والعقل فنشبت معركة هائلة بين العقل والقوة ، ومظاهر القوة مادية محضة فلجأ المكذبون إلى ايذاء النبي وصحبه وانزال العذاب بهم مما يشيب لهوله الولدان ، بالضرب وبالحرق ، وبالكي ، بكل انواع الوحشية

ذلك لان عقول هؤلاء الناس لم تكن في أدمغتهم ، ولكن في أيديهم وفي أدوات اعتداءاتهم ، كان راهم على ذلك هؤلاء الناس الذين استغلوا ضعفهم الفكري، فاستغلوا عواطفهم لاستدرار الاموال منهم

ولقد صبر محمد ﷺ وأصحابه على الاذى والعذاب ، وهذا الصبر والثبات في موضعها ضرب من ضروب تطور الفكر الانساني من حال إلى حال، فالناس قبل الاسلام كانوا يحتملون العذاب تقربا من الله ، ويحتملون الاذى الفكرى من غير فكرة معينة عن الله ولكن أصرار المسلمين على عقيدتهم ، واحتمالهم الآلام في سبيلها ، هو دفاع عن حرية الرأي والعقيدة دفاع عن حرية التفكير ، دفاع عن الحرية بكامل معانيها ، فصاروا يقبلون العذاب في مقاومة العادات والاخلاق الموروثة ، وفي سبيل تحرير الفكر

وهناك ظاهرة غريبة ، أغرب ما يتصوره العقل . فقد مضت ثلاثة أعوام على دعوته ﷺ ولم يتبعه الا ثلاثة عشر شخصاً وهذا يدلك على مقدار جمود الفكر في تلك الايام . وإذا قست ذلك بما يحصل في زمننا هذا لوجدت فرقا كبيراً . فان حرية التفكير الآن تجعل كثيراً من الناس يعتنقون المبادىء الحديثة أيا كانت . حتى المبشرين والمستشرقين تجد لهم أتباعا وأنصاراً

على ان الغريب في هذه الظاهرة في ثبات أصحاب النبي على الاذى انه لم يكن بيده شيء ما من حطام الدنيا ولم يكن لديه من المغريات ما يغريهم لهذا الاحتمال . ولو كان رجلا عظيما فقط كما يدعي المستشرقون لغير من خطته وحبب دعوته الى الناس بتغيير وجهتها لاقرب طريق الى عقولهم

ولكن هكذا كان ، فالاديان التي سبقت الاسلام كان لها زعماء من رجالاتها قد استغلوا العقول ، وقضوا على التفكير قضاء يكاد يكون مبرما ، ولذلك كانت رسالة محمد ﷺ شاقة في بناء التفكير الانساني من أساسه على مبادىء صحيحة هي توحيد الله ، وأما ما بقي من الدنيا فقد صار مباحا للعقل والفكر في حدود المنطق الحكيم

وقد رأيت فيما قدمنا من أحوال العالم وقت البعثة ان العالم كان في حالة جمود فكري وركود سياسي وأدبي وان المرأة كانت في الدرك الاسفل ، وان الرأسمالية كانت طغت على الامة وملكت أزمته ، ولم يكن هناك وسيلة لانهاض العالم من عثرته

فلما دوت كلمة التوحيد والعلم والتفكير ، عرف العقل مكانه ومقامه ومركزه في الوجود ، وعرف الناس أنهم كلهم سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وان لا سلطان على العقل ولا رياسة للعقائد ، وان الثواب والعقاب ليس بيد انسان كائنا من كان والجنة لا تباع ولا توهب ، وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة «اطلبوا العلم ولو بالصين»

وهكذا تحررت العقول وعرف الناس قدر أنفسهم ، وانه لا فارق بينهم ولا شيء يسيطر على افهامهم ، غير العلم ووحي الضمير عن طريق الفهم والحجة

هذه هي المبادىء التي لا توافق الاستعمار ، والتي يعمل المستشرقون منذ القدم على مقاومتها ، وهي التي قال عنها « سيكارد » ان الاسلام في روحها الخاصة ينافي مع لحنتنا فيجب التقليل منه بين الشعوب الخاضعة لنا

هـذه هي المبادىء التي حملت للاسلام أعداء من المسيطرين على البلاد الاسلامية فربوا فريق المستشرقين لكي يناهضوها

وهذه المبادىء هي الحرية والاخاء والمساواة التي تمخضت عنها الثورة الفرنسوية بعد عشرات السنين من الهول والمذابح البشرية وبعد اثنى عشر قرنا من ظهور الاسلام ، وبعد أن قررها القرآن حقا من حقوق الانسان، وجعلها أساس العقيدة ، وفرضها على الناس دينا وايمانا قبل ان تكون مبادىء

ثم انظر إلى قرارة الآلام البشرية التي ولدت في الثورة الفرنسوية ما سموه حقوق الانسان في الوجود والحرية الشخصية والفكرة

على أن هذه الثورة لم تكن إلا لانتزاع حرية الأمر من أيدي المستبدين بها ووازن بين ذلك وبين المبدأ الإسلامي الذي وضعه القرآن في الحرية الشخصية والمساواة بين الناس حتى النبي نفسه لم يدع سلطانا ولا سيطرة وهو لا يملك لنفسه شيئا إلا ما شاء الله (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)

أليست هذه هي مبادئ المساواة بأوسع معانيها وخصوصا إذا أضفنا إلى ذلك آية (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك)

فمنذ أن الإنسان الأول اعترف صراحة بضعفه وتمثل القوة الغيبية في الأشياء البارزة القوية والنافعة كالشمس وفي الأبطال فصورهم تماثيل يتذكرهم بها ويتقدم إلى هذه التماثيل بالقرابين والخشوع والابتهال وكان أول معجزات التوحيد هو هذا أيضا ليكون الفكر حرا من مؤثرات الأشباح التي تلوح دائما للأعين فتؤثر في العقيدة وحرية الفكر. ولئن كان في الأديان الأخرى شيء من ذلك فإن من قاموا بمقاومات التماثيل (١) سموا أبطال الإصلاح الفكري الديني وهذا جزء قليل من أجزاء التوحيد وعنصر من عناصره. أفلا ترى بعد ذلك التأثير النفسي للتوحيد وأثره في حرية الفكر والصراحة في تحرير الفكر من كل قيد يؤثر فيه؟

وهلا ترى معي أن أثر تكريم بعض الأشخاص بإقامة أضرحة وقباب عليها من قبيل الذكرى التاريخية فقط بين المسلمين قد جر إلى الذبح والإهلال من الناس إلى الاعتقاد بأمور تنافي دينهم؟

(١) مارتن لوثر صاحب مذهب البروتستانت

إذن فالتوحيد الصريح أساس المساواة بين الناس ، وجعلهم كلهم طبقة واحدة وهذا هو الإخاء الإنساني للشعوب جميعها ولم تتمخض الأجيال كلها عنه إلا بعد الحرب العظمى في جمعية الأمم وإن كانت هذه الفكرة لم تبد صريحة للآن . إلا أن التربية والتهذيب والرقي الفكري سيجر العالم إلى المبادىء الإسلامية على رغم من يتبجحون بإنكاره وعلى رغم أنف الجمود الفكري الذي طغى على العالم بتأثير قوم يستفيدون ويستمدون نفوذهم من تقييد العقل وتضليله وعدم تحريره

ويقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة — لماذا يعتمد الإنسان على الدين في فهم الفضيلة والإخاء ؟ ولماذا لا يبلغ ذلك بالتعليم وأن يعمل الخير لأنه عمل إنساني وأن يأنف من الشر لأنه عمل وحشي ؟

وهذا القول على ظاهره مسحة من العقل ولكن منطقه ناقص وغير سليم؛ لأن العقول البشرية تتفاوت في تقديرها للخير والشر . وما تراه بعض الأمم خيراً يراه غيرها شراً في العادات البسيطة، وقد مر بك أن الأمم التي لم تتمدن جعلت الذبائح البشرية قرباناً للآلهة عملاً خيراً . وقد تدهش إذا علمت أن الرقي والتعليم مهما كان تقدمهما لم يغيرا شيئاً من عقائد البوذيين في الهند . وإن أكبر الزعماء كغاندي على علمه وفضله يقول إن الزلازل غضبة من الله . ولا مانع من الاعتقاد بذلك وإن كان لها أسباب طبيعية معروفة ، وقد يكون ذلك من باب موافقة القدر للقدر . ولا زالت المرأة التي في حالة النفاس قذرة يعامل بالإهمال في أقذر مكان . ولا زالت القابلة التي تولدها تدخل عليها بأقذر الثياب ولا تزال للكهنة على كل شيء ضريبة حتى أصبح ربع السكان من الكهنة الذين يعيشون على هذه الأموال . وكذلك نرى في حياة المرأة حتى في اليابان أمراً لم تألفه النفوس في جميع أصقاع الأرض وهو تقديم صاحب البيت

زوجته هدية لضيفه اذا بات في منزله (١) . مع ان اليابان من أرقى البلاد مدنية وتعليماً ، وهذا يدلنا على انه لا يوجد ضابط للتعليم ولا حد للعادات

ومن هنا كان الدين الاسلامي عالمياً، يضع حدود الغرائز والعادات ويضع قوانين لمعنى الانسانية ومعنى البشرية ، وان العالم الآن مدين بنشاطه الحاضر الى تحرير الفكر الذي أوجده الاسلام ولو كره المبطلون

وهنا قد يعترضنا انسان فيقول لنا ان تحرير الفكر كان جزءاً من الفلسفة اليونانية ومن ضمن تعاليم سقراط و فلاطون وارسطو . ثم يكرر لنا الاقوال التي نقرأها دائماً في الكتب الغربية من ان العالم مدين بحرية الفكر لليونان .

وان فضل العرب لم يكن الا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها الى أوروبا الحديثة وان العرب أنفسهم مدينون للفلسفة اليونانية ونحن نعلم ذلك حق العلم ولكننا نقول ان حرية التفكير شيء ومبادىء العلوم الطبيعية والمنطقية شيء آخر ، وان دساتير اليونان القديمة ومناقشاتهم الجدلية كانت ضرباً من التجارب الاولى كان بعضها ناجحاً وكثير منها كان خطأ صريحاً كما ترى في علوم العناصر المكونة للعالم،والامزجة البشرية ، فالفلسفة اليونانية هي مبادىء العلوم ، ولكن حرية الفكر وتحديد الايمان على وجهة واحدة ، وجعل العلم مرتبطاً بالايمان ، وان لا حرج على العقل أن ينشط من عقاله ، وان تكون هناك شريعة بالقدر الذي يكفل الفضيلة ويمحو الضعف ويساوي بين الناس في حقوقهم المدنية والدينية — فهذه أمور لم تكن معروفة من قبل في أي شريعة أو دين .

أضف الى ذلك ان الفلسفة اليونانية قد خدمتها أوروبا ، وخدمها العرب

(١) وأبطلت هذه العادة حديثاً من كثرة نقد الاوروبيين « جولة في ربوع الشرق » لمحمد ثابت

قولهم خدمة جليلة فبحثوه مستفيضة وهذا الكتب الكثيرة المؤلفة بروح الانصاف والتضخيم والتكبير والشرح والتفسير فكانت هذه دعاية لتلك الفلسفة قد غطت على سمعة فلسفة أجل منها وسأعطيك مثلا ترى معه أثر هذه الدعاية

فأنت تعلم أن الاسلام وإن كان دينا تاما إلا أنه في الحقيقة تشريع يعامل الغرائز الطبيعية ونزعات النفس في حدود العقل والحكمة وترى أن مدارس الحقوق في العالم الغربي تدرس القوانين الرومانية ونظام التشريع الدستوري في اليونان والرومان درسا مستفيضا وأما التشريع الاسلامي على ما فيه من جلال فليس موضوع دراسة علمية فنية ولا يعرفه أحد من المشترعين الاجانب .

أفلا ترى معي الآن أن الدعاية للقانون الروماني والدستور اليوناني أكبر من قيمتهما بالقياس على القانون الاسلامي المدني والجنائي ودستور الشورى والحكومة الديمقراطية ؟

أليس هذا من قبيل تعصب أوروبا لاصلها اللاتيني حتى في الدراسات الحرة ؟ وقل لي كم مشترع في مقارنة القوانين يعرف ما في الاسلام من قانون مدني وجعله موضوع بحث في رسالة خاصة

ألست ترى معي أن دراسة حرية الفكر الاسلامية على مبادىء التوحيد موضوع جدير بالنظر والبحث المستفيض ؟ ألم يكن للتوحيد ذلك الفضل العظيم في جمع القلوب فكون وحدة بشرية بين الممالك المختلفة التي دخلها العرب ولا زالت هذه الوحدة باقية الى اليوم على رغم تلك الخلافات التي يوقد لظاها المستشرقون والمبشرون وخلق مسائل للفرق الدينية ؟ ولم يكن الفضل في كل ذلك إلا لفكرة التوحيد التي متى فتحت الافهام واستوعبتها الافئدة كانت كلها في اتجاه واحد نحو الوحدة الانسانية والنهضة العقلية التي لا تقوم رجعية

إن المستشرقين والمستعمرين يفهمون ذلك حق الفهم ولذلك هم يعملون على مقاومة الاسلام

وأتحدث اليك الآن عن طرق تضليلهم

الفصل السادس

أثر التوحيد الاجتماعي

لم يكن الفضل في مبادئ الاسلام لشخص معين . قد علمت أن محمداً عليه السلام كان يضع نفسه موضع الانسان ، لا موضع صاحب السلطان ، وكان هو وحده المثل الكامل في البذل ، وفي العدل ، فلم يستغل يوما مركزه ودعوته العظمى لنفسه ولا لشيء من حطام الدنيا بل كانت دعوته خالصة لله، وللتحرير الفكري ، فلم يأخذ نصيبا من غنيمة يزيد على نصيب سواه ، ولم يدع لنفسه شيئا خارقا ، ولم يقل ان صلته بالله تعالى تزيد على صلة العبد — وكلنا عبيد الله — ولم يفضل الناس الا بأنه رسول الله ، وهذه منزلة اختاره لها الله سبحانه وتعالى

وكان أصحابه عليه السلام ينظرون اليه هذه النظرة أيضا ولذلك قال أبو بكر حين توفي عليه السلام ودهش الناس للخبر : (من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت)

وفي حياته عليه السلام لم يكن مستبداً برأيه في أمور الدنيا بل كانت أمور المسلمين شورى . وكان أصحابه يختلفون معه في الرأي ، والتاريخ يدلنا على ان سيدنا عمر اختلف في الرأي مع سيدنا محمد ﷺ في نحو عشرين مسألة وعزز الوحي رأي عمر دون رأي رسول الله . أشهرها : مسائل قتل أسرى بدر ، ومسألة الحجاب ، ومسألة الخمر ، ومسألة الاستغفار للمنافقين ، الى غير ذلك

هذه الحقيقة ترشدنا الي مغزى كبير ، وغاية كبرى من مغازي التوحيد والنظر الى ان الاسلام لا يجعل سلطاناً على النفوس والعقول والافهام الا لله

وحده . وما دون ذلك فالجميع سواء وآراء الناس كلهم قابلة للشورى والفحص ولو كان رأي لرسول الله نفسه

وليس بعد ذلك وضوح لتقديس حرية الفكر ، التي هي دعامة من الدعامات الاصلية في الاسلام وهذا هو أظهر معنى من معاني الاسلام

ولكن جماعة المستشرقين يعمدون الى القاموس ويتفهمون منه معنى كلمة الاسلام ، ويقولون عنه ما قال مرجوليوث ان معناه (الذل والخضوع) ومع ذلك لا يقولون انه استسلام لله ، بل يقولون انه — الخضوع فقط —

ولقد رأيت في فصل التوحيد ان المعنى الذي تعبر عنه كلمة الاسلام هو معنى تضيق به صفحات الكتب الضخمة ، وان له معنى روحيا واجتماعيا كما سبق ذلك .

ولذلك كان أول أثر من آثار توحيد الله وترك المعتقدات القديمة هذا التوحيد بين الشعوب في قبائل العرب ، وهذا التوحيد في الاخاء بين الشعوب المتفرقة ، وهذه النهضة الكبرى التي جمعت الامم كلها تحت طابع واحد حين افتتح العرب الاقطار وورثوا ملك الفرس والرومان

وانك اذا تصفحت التاريخ لعلمت ان الامم الفاتحة الغازية لاتخرج عن واحدة من ثلاث

١ — أمة تتخذ الحرب صناعة وحرفة وموردا للرزق كالاتراك الاقدمين في فتوحاتهم فلا يعمرون ما يفتحون

٢ — أمة تجارية كالفينيقيين وانجلترا تغزو الممالك لفتح أسواق لتجارتها

٣ — أمة تطلب السعة من الارض لضيق اهلها بها فتغزو البلاد طلبا لمنفذ جديد يعيش أهلها فيه

وهناك من الامم من يفتتح الممالك حبا في الفتح ، كالاسكندر ونابليون

وأمثالهما وهؤلاء نموت فتوحاتهم بموتهم

ولم يحدثنا التاريخ ان أمة من الامم فتحت الممالك لاجل بث فكرة أو نشر مبدأ غير العرب بعد الاسلام ، فالعرب قاموا بفتوحاتهم لنشر المبدأ والفكرة وتعميم الوحدة البشرية

يتجلى لك ذلك من كتب رسول الله ﷺ للملوك والاكاسرة ، ولم يكن في هذه الدعوة غير نشر فكرة التوحيد ولم يكن عليه السلام من زخرف الدنيا بحيث يحاكي من كانهم في الارستقراطية والعظمة ولكنه كان يدعوهم دعوة ديمقراطية متواضعة

يقول مرجوليث — ان الاسلام هو الدين الحربي ، مشيرا بذلك الى الغزوات والى مبدأ القتال في الفتح الاسلامي والى تخيير الامم غير الاسلامية بين القتال والجزية

وليست المسألة في غموض يدعو الى كل هذا الغمز واللمز فالجزية هي نوع من الزكاة على غير المسلم (١) ، والاسلام دين فيه كل معاني الديمقراطية الاشتراكية والحرب وسيلة

ليس من ينكر ان للجهل عقوبة ، وليس من ينكر ان الجمود الفكري والاستسلام للتقاليد نوع من الرجعية العالمية وليس لمستشرق ان يلوم الاسلام على هذا وليس له ان يضع رأيه في كفة ميزان ورأي عقلاء العالم أجمع في الكفة الاخرى .

فها نحن أولاء قد عرفنا أن دعوة الاسلام لله ، وللعلم وليس في هذه الدعوة عار على الانسانية

---

(١) لاجل حمايته ومعاملته بما يعامل به المسلمون ـ له ما لهم ـ وعليه ما عليهم فان عجز المسلمون عن حماية الذمي لم يكن لهم الحق فى اخذ الجزية

وقد رأيت أن الزكاة فرض على كل مسلم . فكيف يعيش غير المسلم في هذا الوسط من غير زكاة .

وليس بيت مال المسلمين بمقصور على معاونة المسلم فحسب ، بل وغير المسلم بلا قيد ولا شرط

وليس أدل على تفسير هذا المعنى من مبادىء الاسلام التي شرحها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده ، وقد رأينا من أعمالهم المساواة المطلقة بين المسلم وغير المسلم ، وفي قصاص سيدنا عمر من ابنه لاجل حق امرأة مسيحية قبطية ألف دليل ودليل

وفي قوله رضي الله عنه « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » كل مبادىء الاسلام من الحرية والاخاء والمساواة

وفي وصايا سيدنا علي للاشتر النخعي الذي ولاه على مصر ما يزيد الشرح ويجلي البيان ، ولقد قال له :

« . . . اعلم يامالك أني وجهتك الى بلاد قدجرت عليها دول من قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ... ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فانهم صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق .

الى قوله : ثم الله الله في الطبقة السفلى ، من الذين لا حيلة لهم . والمساكين وأهل البؤس والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل ما للادنى - وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك بالنظر في الكثير المهم . »

ومن هذا نرى ان الجزية والخراج هما تنظيم الاحسان، بلا فرق بين الاديان. لانهم متساوون في نظر الاسلام من جهة الخلق وليس جعل الاحسان قانونا بمار على الانسانية. وقد أبنا ان استجداء الضمائر للاحسان أخفق ولم يثمر في كثير من البلاد المتمدنة. والارتكان على العاطفة الانسانية وحدها لم يكف منذ هجر الناس مبادىء الاسلام الى اليوم.

ولعمري انك لو اتخذت رسالة سيدنا علي هذه على حقيقتها لوجدتها تفسيراً واضحاً للسياسة الاسلامية ويكفي قوله له عنه « ان الناس إما أخ له في الدين أو نظير له في الخلق » أن يعرف الناس جميعا أن الاسلام لا يفرق بين الاديان في المعاملة والاخص في الاحسان والحق في بيت مال المسلمين.

والتفسير النفسي لكل ذلك هو أن الاسلام يعامل الغرائز البشرية بميزان العقل والحكمة والتشريع الاوروبي يعامل الناس بالتجارب والاختبار، ولم يهتد الى الآن الى أن الاسلام مبني على معرفة أدق بعلم النفس فالله الذي خلق النفوس حدد عقوباتها وحدد معرفتها. اذا علمت ذلك فلا اعتراض. ومن يقل ان هذا ليس من عند الله فنبأت ببرهانه المنطقي الذي لا شعوذة فيه او يكفي ان مبدأ تحريم الربا أخذ الآن يتطور في أوروبا الحديثة الى شكل الافلاس في الدفع بتغيير أسعار العملة وتخفيض قيمتها فلا يدفع المدين لدائنه شيئاً ويكفي ان ألمانيا قلبت من سعر عملتها الى الصفر لتجمع ذهب العالم ثم ألغت هذه العملة.

وليس من المجهول أن عقوبة الجحود لازمة.

فالتعليم الاجباري في كل بلاد أوروبا له قوانين تحميه وعقوبة الحبس توقع على من لا يعلم أولاده. وعقوبة السجن لمن يزور في ايراده حتى لايدفع ضريبة الدخل. وضرائب الدخل والربح أصبحت مبدأ أوروبيا بعد ان قررها الاسلام بشكل أدق منذ أربعة عشر قرنا. في ركن من أركان الاسلام وهو الزكاة.

فهذه المبادىء التي تتقدم اليها أوروبا نتيجة الاختبار والتجارب هي المقررة في الشريعة الاسلامية ؛ فطلب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة والنظام الاجتماعي في الشورى والسياسة العامة في الامن والعلاقات الشخصية كلها من تعاليم القرآن .

ولعل أبلغ رد على تعامل أوروبا بالربا وهي المعاملة التي حاربها الاسلام وحكم عليها بالموت هي تلك الظاهرة الغريبة التي تبدو في أوربا اليوم من قيام حكومات اشتراكية محضة تحرم الرأسمالية وجمع الثروة في أيدي فئة خاصة وهو سر تحريم الربا ، لعدم استئثار فئة من الناس بالسلطة المالية والاستبداد بالعالم .

فهناك ، لما وقعت أوروبا في الازمة المالية التي تنبأ بها الاسلام من التعامل بالربا ، لجأت أوروبا وامريكا الى طرق الحيلة بفصل العملة عن الذهب فهبط ثمن النقود وأخذت تراوغ في دفع الفوائد بعد أن نقصت رأس المال تخلصا من ذلك الكابوس الاقتصادي .

أفليست بهذه الطريقة تتلمس طريقها في الظلام لتهتدي الى طريق الخلاص وشعاع واحد من أشعة الاسلام يجلو عن العالم ذلك الظلام الدامس . وهو عدم التعامل بالربا . ثم أنظر الى الخراب الذي حل بمن استدانوا من المصارف المالية وبيعت أطيانهم بأبخس الاثمان . وما في ذلك من العبر

ان العالم يسير اليوم على نظام اقتصادي أصبح ثابتا وليس من السهل زعزعته بين يوم وليلة . ولكنه على أي حال نتيجة اعتماد الناس على تفكيرهم ، ولكنهم أيضا يلجئون الى التخلص منه من طريق التجارب وهم يقتربون نحو الحقيقة بخطوات وئيدة .

الفصل السابع

تمويهات المستشرقين في التوحيد ووحي محمد

قد رأيت في الفصول السابقة أثر التوحيد في تحرير الفكر، ومنع الوساطة بين الله وبين الإنسان، وأن من مبادئ الإسلام أن يشعر الإنسان بكرامته وقدرته العقلية على الفهم، والمساواة بين الناس أجمعين، وإقامة العلاقة بين الناس على واجب صاحب السلطان نحو رعيته، وواجب الرعية نحو الراعي، كما يتجلى في كتاب سيدنا علي كرم الله وجهه، وقد تقدمت نبذة منه.

هذه المبادئ لا ترضي المستشرقين، وليس من صالح الاستعمار أن يعرف المسلمون أمرها حتى لا يندفعوا إلى إحياء تلك المبادئ، ومن هنا كان عمل المستشرقين مزدوجاً في تشويه الإسلام، وتغيير صورته، وتحويلهم منه.

ولذلك رأينا من فلاسفة أوروبا آراء أقل ما يقال فيها إنها عداوة في ثوب مزخرف وجهل في ثوب منمق.

وانظر إلى رينان في كتابه عن ابن رشد ومذهبه إذ يقول: (إن خصائص النفس السامية (أي التي منها العرب) تتجلى في السبق بفطرتها إلى التوحيد من جهة الدين، وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية، أما النفس الآرية (أي منها أوروبا) فيميزها ميل فطري إلى التعدد والسعة والتركيب)

وكثير من المستشرقين على هذا النمط المضحك من الاستنتاج، ويحاولون بذلك أن يقولوا إن دين العرب على قدر عقولهم.

وليس أدل على عدم المنطق واختلال الحق في هذا القول من أن العرب قبل الإسلام كانوا مشركين غارقين في الشرك والأرباب، فهل ذلك من طبعهم؟ ولذا

قاوموا الدعوة الاسلامية في مبدئها وكيف وصفهم في القرآن بقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

وكان من شرك الجاهلية أن تلبيتهم في حجهم كانت الشرك المجسم فكانت قبيلة نزار تقول:

لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك

تملكه وما ملك

(راجع كتاب الاصنام)

ثم ارجع معنا إلى الفصل السابق من التوحيد وتدبر معنا سر الوحدة العربية وان الاسلام طبع الامم التي انتشر فيها بالطابع العربي وان لم يكونوا من المسلمين وليس أدل على العدل المطلق من أن يتكافأ الخصمان على تباين دينهم أمام الاسلام في القضاء. وأن لا يكون المسلم ميزة على غيره كما سبق

هذه المسألة وهي التوحيد في المعاملة والتوحيد في النظر الى الاجناس المختلفة في ظل الاسلام لا ترضي جماعة المستشرقين لانهم طلائع التفريق وتشتيت الوحدات العربية والبلاد الإسلامية

فاستغلوا علومهم في البحث والتنقيب واختراع النظريات الملفقة والدعاوى المشعوذة فهاجموا أسماء قواد المسلمين وعظماء الفاتحين وأخذوا ينسبونهم الى غير العرب وغير الاسلام

وبذلك أصبحنا نقرأ من نفثات أقلام المستشرقين مباحث علمية عريضة — اقرأ واعجب — أن أهالي مراكش من البربر ماعرفوا الاسلام وما آمنوا به في يوم من الايام وانهم ولا زالوا غير مسلمين وان العرب الذين فتحوا الاندلس وغزوا فرنسا وايطاليا كانوا مسيحيين وان طارق بن زياد القائد العظيم والذي رفع منار الاسلام في الاندلس لم يكن عربيا ولا مسلما ولكنه كان بربريا مسيحيا —

وقد استعار حبر هذه النظرية للإصلاح الديني في مراكش [illegible] التقرير لجنة العمل المغربي المقدم لمؤتمر الإسلامي بيت المقدس صفحة ٤)

وليس من غرضنا أن نتكلم في موضوع سياسة الاستعمار وبيان هذه المؤثرات ليس الغرض منها سوى تشتيت الأمم وتفرقتهم وخلق عصبيات متعددة فيهم حتى يصبح موحد كل من [illegible] و [illegible] الاستعمار وطرق سياسة الخلافات في الخفاء والعلن

أما وحدة اللغة العربية فقد عمل المستشرقون كل ما يمكن عمله لتشويهها وظهورها في مظهر أصعب لغات العالم ويدرسون اللغات واللهجات العامية بديلة منها استقلالاً .

وصار بعضهم كالمستشرق [illegible] يدعو اللغة اللاتينية للعربي ، ويقول عنها في مقدمة كتابه الذي يدرسه الطلبة الفرنسيون باللغة العربية

أتريد أن يصح أن تتعلم الكلام مع الأهالي الذين حولك ....

إلى أن يقول لا تظن أني سأعلمك لغة القرآن فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد فهي لاتينية العربي وهي اللغة المستعملة في جنة محمد فيجب البحث دراستها في المستقبل إذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين ،

وبهذه الطريقة أصبح المستشرقون يناصبون اللغة العربية الفصحى العداء فيشككون في النثر الجاهلي والشعر الجاهلي ويلقون الشك في كل شيء يتصل باللغة العربية وطه في ذلك [illegible] أقرب المستشرقين منه إلى العلم الصحيح وتراه في ذلك آراء منقوضة وأفكار مردودة (راجع كتاب النثر الفني)

بقيت مسألة القرآن الكريم الذي هو المعجزة الخالدة التي عجز [illegible] عن التحرش به وهو الصخرة العظيمة التي إذا أراد أكبر مستشرق أن ينطحها تكسرت جمجمته قبل أن يصل إلى حرمها ، ولذلك رأينا آراءهم في ذلك مهزومة [illegible]

هذا المستشرق مرجوليث أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد لم يترك نقيصة في إمكانه إلا نسبها لسيدنا محمد ولم يترك خطأ من القول إلا نسبه للقرآن وإليك أمثلة من ذلك

قال في صحيفة ٢٣٦ من تاريخ أمة الإسلام ما يأتي :

« وإن كان محمد لم يترك تاريخا مصطلحا به إلا أن في القرآن كل موضعه واجتماعه . والقرآن كسجل تاريخي ليس مرتبا حسب الحوادث والتاريخ ثم يقول

« وربما كان الكثير منه مما لم يتذكره الرواة تماما عند روايته وقد يكون بعضه دخيلا في عصر متأخر وبعضه مسلم به أنه في عصر الرسول ولو أنه نسب إليه خطأ »

ثم يستفرغ مرجوليث من فيه كل أنواع المطاعن فيقول من المشكوك فيه نسبه لا نعلم أمه ووالد النبي لأن لفظة عبد الله معناها في العهد الأخير الشخص المجهول وربما كان لها هذا المعنى عند إطلاقها على والد النبي وقصة يتمه التي وردت في القرآن لا يلزم أن نأخذ بها على معناها الأدبي .

والعلاقة المفروضة بين أمه وبين أهل يثرب مسألة مشكوك فيها كالقصص التي جمعت للإسكندر الأكبر فارسيا أو مصريا بالنسبة لوالده

إلى هذا الحد بلغ ذوقه وأدب المستشرقين عند كلامهم عن رسول الله ﷺ وإن الحياء ليمنعني أن أذكر المعنى العادي الذي قصده مرجوليث من قوله (ابن عبد الله) نسبه إلى الأب المجهول ومع ذلك يعجب بعض الناس بالمستشرقين وهم لا يعرفون من أمرهم شيئا

وانتقدنا طريقة مرجوليث هذا في هذا النوع من التهريج العلمي من غير سند أو دليل وإلقائه الكلام على عواهنه من غير تثبت فهذا — الخواجه — قال إن القرآن ملفق ، وقال إن سيدنا محمدا — على أبسط تعبير — لا يعرف له أب ولا أم

ونشرنا هذا الرد في مجلة المعرفة فأرسل مرجوليوث خطابا يعلق فيه على ماقلنا هذا نصه (١)

أما ما كتب الدكتور حسين الهراوي في ذم المستشرقين فلو كان ما أودع مقاله من الشخصيات تلق بالآداب لم يكن مايمنع من الخوض في الموضوع والتمييز بين الخطأ والصواب . أما المسائل التي ذكرها فلست أرى فائدة في مداخلتها ، لانها أقرب إلى منابر الخطباء منها إلى مجالس الادباء

د . س . مرجليوث

وردا على ذلك نقول إنما تناولنا من آراء مرجوليث مسألتين مما كتبه في تاريخ العالم العام في الفصل التاسع والثمانين

الاولى أنه ذكر عن سيدنا محمد انه مجهول الاب والام

والثانية قوله إن إعجاز أسلوب القرآن يفسر إما بأنه لايمكن تقليده، أو الاخبار بأمور يمكن التحقق منها — ولم يكن للنبي وسيلة لمعرفتها ونحن نعلم من القرآن أن كلا من هذين الادعائين — عندما أذيع — لم يسلم من النقد فالامر الاول أن الذوق الكتابي يختلف كباقي الاذواق وعن الامر الثاني لو أنه وجدت وسيلة للتحقق من صدق النبي فهذا يتهم منه أنه أمكنه بنفس هذه الوسيلة معرفة الامر الذي ذكره

وكذلك قال مرجوليث ، إن محمداً اعترف في مبدأ رسالته بمعرفة القراءة والكتابة :

ولنناقش مرجوليث الحساب في هذه المسائل التي يرى أن ردنا عليها فيه معنى أقرب إلى منابر الخطباء منه الى مجالس الادباء

---

(١) المعرفة فبراير سنة ١٩٣٣

أي بعبارة أخرى ليس له علاقة بالادب العربي ولا بعلم من العلوم فاما عن والد
سيدنا محمد فنحن ننكر على أدب أستاذ في جامعة اكسفورد ان يوجه مثل هذا
الطعن في نبي يدين بدينه ملايين المسلمين . وان يتفوه بتهمة تترفع ابسط قواعد
الآداب الاجتماعية العامة عن ان توجهها لاقل الناس مركزا - وثانيا - ان
مرجوليث لايعرف شيئا عن الادب ولا الادب العربي . والا لعلم ان العرب
كان فيهم نسابون ولو انه تكلم أولا عنهم — وعن مصادر الشك في أقوالهم
وتنسيبهم — لكان لنا ان نناقشه بالادلة العلمية أما وهو لم يذكر شيئا من هذا
فدليل على انه لايعرفه — وثالثا — لان جد محمد عليه السلام وعمه هما اللذان
كفلاه صغيرا ولو كان مجهول الاب ما عرف له عم ولا جد وهذا يدل على ان
مرجوليث لايعرف شيئا من تاريخ سيدنا محمد عليه السلام — ورابعا — ان عصبية
محمد عليه السلام حمته في مبدأ رسالته ولو كان مجهول الاب ما كانت له عصبية

فاذا كان مرجوليث لايصدق شيئا من ذلك ولا بد ان يكون قرأه. فليقل
لنا هو كيف يريد ان نصدق كلامه . وكيف امكن وجود أشخاص تربطهم
بالنبي الكريم صلات العصبية حتى بعد الاسلام . اذا كنا ننكر كل ذلك لان
مرجوليث قالها إذن فعلى العقول السلام .

ثم فليفسر لنا مرجوليث كيف مكنته نفسه وكيف مكنه ضميره ان يقول
هذا . وعلى أي المراجع الموثوق بها عول في بحثه فهو اما لا يعرف شيئا مطلقا
واما يريد التشهير والتشنيع ! وهذا مالا يشرف الباحثين .

ثم فليجبنا .. أليست الانساب والنسابون جزءا من صميم التاريخ والادب
العربي أم هي ضروب من خطب المنابر ؟!

واذا كانت ضروبا من خطب المنابر فكيف حفظ التاريخ انساب قوم لم يكن
لهم مرتبته عليه السلام من الوجهة الاجتماعية والاثر الخالد

وكيف امكن معرفة نسب والدته وزوجه خديجة ؟ ثم كيف امكن تنسيب
شعراء مشهورين مثل امرىء القيس وغيره . ؟

أما نقول في مسألة اعجاز اسلوب القرآن بأنها مسألة ذوق فاني أرى أن مرجوليث ـ كما يستدل من اسلوب خطابه ـ ذو اسلوب ملتو ركيك يجعله آخر شخص يؤخذ برأيه في مسألة الذوق الكتابي بعد أن تحدى القرآن الناس كلهم بل الانس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا. فلم يبق في نظر صاحبنا مرجوليث الا نقد الاسلوب بميزان الاذواق التي تختلف دقة ورقة

ونحن معه على أن يكون الشرط الاساسي ان تكون هذه الاذواق سليمة تفهم روح العربية. والمستشرقون هم ابعد الناس عن تفهم تلك الروح ولهذا فانهم ينشرون مؤلفاتهم باللغات الاجنبية، وإن كانت بعض مقدمات الكتب التي طبعوها قد كتبت باللغة العربية إلا أن الحكم على أساليبهم قد لا يرضيهم من الادب الكتابي الفني

واذا كان مرجوليث حصر اعجاز القرآن في الاسلوب والاخبار بالغيب فقد فاته ان ضروب الاعجاز في القرآن كثيرة ومتنوعة وليس من موضوعنا شرحها.

على أننا نسائل أستاذ الادب الاكبر!! ما قوله دام فضله في أنواع الاعجاز العلمي التي اثبت العلم الحديث مدى صدقها ونذكر منها على سبيل المثال (وجعلنا الرياح لواقح) و (خلق الانسان من علق)

أي دور الحيوانات المنوية - و (وقد خلقكم اطوارا) وهي تتمشى مع العلم جنبا الى جنب ؟

فهل كشف العلم عن اعجاز هذه الآيات إلا حديثاً ؟ وهل كان الميكروسكوب « المجهر » وعلم تكوين الاجنة معروفاً من قبل عند نزول القرآن الكريم ؟؟

ولا يفوتنا أن نتكلم عن نقده فنقده هو اسهل شيء في النقد وبابه أوسع

الابواب — فقد ينقد شخص ما خلقة البشرية بأن عيني الانسان في وجهه وليس له مثلهما في قفاه لينظر من خلف كما ينظر من الامام ؟؟

وقد ينتقد البهلوان طريقة السير على الاقدام ويستحسن ان يمشي الانسان على يديه رافعا قدميه في الهواء . كل هذه أنواع من النقد قد يراها هنها صحيحة ولكن الذوق السليم والعقل السليم بصفة خاصة يأبيانها على ناقد .

وهذا هو النقد الذي يوجه الى تجاهل نسب النبي العظيم وأسلوب القرآن لايقصد به إلا مجرد تشهير وتشنيع

وكيف يفسر قوله تعالى (اقرأ وربك الاكرم) بانها اعتراف من النبي الكريم بمعرفة القراءة وهل هذا يدل على انه يفهم روح القرآن ؟

وقد اطيل البحث اذا استقصيت آراء مرجوليث في مصادر القرآن التي يقول بها ويقول بها معه المستشرقون الذين ينحون نحوه فقد ادعوا ان النبي عليه السلام قد درس كل الفلسفة اليونانية ثم حفظ التاريخ الفارسي ثم عرف كل الاديان الهندية القديمة كما اطلع على كل حكم الصين واخرج من كل هؤلاء كتابا سماه القرآن .

ومعنى ذلك ان الدراسات التي استنفدت القرون الاولى حتى القرن العشرين وتخصص لها العلماء الذين عكفوا على دراسة لغاتها المتعددة والجولان بين آثارها البالية كل هذا قد تعلمه محمد عليه السلام في سياحته للشام

فاذا رجعت الى التاريخ وجدت ان هذه السياحة لم تكن إلا ثلاثة أشهر كما تقدم

فهل في هذا منطق يناقش ؟ وهل هذا اسلوب المنار ثم في صميم الادب العربي والتاريخ ؟

ولما نشرت المرقة هذه المقالة للرد على مرجوليث . قطع اشتراكه من المجلة ولم يعد يراسل صاحبها وكان هذا هو الجواب . فتأمل !!

الفصل الثامن

حكاية فنسنك والمجمع اللغوي الملكي

سنوك هرجورونيه(١) هو رئيس أكاديمية هولاندا ومكث سبعة عشر عاما في جاوه مستشارا للحكومة في الشؤون الاسلامية. وقيل لنا أنه اتقن العربية وأدعى الاسلام وسافر إلى مكة ومكث فيها خمسة أشهر. وكان يأتم به المسلمون في صلاتهم.

وفنسنك تلميذه. وساعده الايمن الآن في هولاندا. وفنسنك رئيس تحرير دائرة المعارف الاسلامية التي ملؤها الطعن الجارح في الاسلام والحشو بأقذر المثالب. يحررها جماعة المستشرقين ومنهم مبشرون وقسس وخصوصا الاب لامانس. وتصور قسيسا مبشرا يكتب عن حياة سيدنا محمد أو عن القرآن أو التاريخ الاسلامي. وأي روح على عليه وأي مبلغ من المال يأخذ أجراً ؟!

ونحن نعرف الشيء الكثير عن المبشرين وطرقهم وأساليبهم وطالما تمنيت هذا اليوم الذي أقابل فيه سنوك هذا وفنسنك لاقول لهم رأيي فيهم في صراحة وجرأة وليس الاسلام يخاف عن أحد. وليس القرآن بغريب في العالم وليست العقول التي تفهم بمعدومة.

ان عصابة فنسنك في تحرير دائرة المعارف الاسلامية تكتب على أسلوب القرون المتوسطة. وتفرض على الناس فرضا أن تعلمهم كل شيء ضد الاسلام. وأن تشعوذ في التاريخ وتخترع أساليب التهريج كما شرحناه لك في الفصول المتقدمة من هذا الكتاب

واسم فنسنك دائما يتردد على لساني وأعتقد أن هذا الرجل قضى الشطر الاكبر من عمره يعمل على السخرية من الاسلام. ولم يفضح عمله انسان ولم

---

(١) ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٥٧ وتوفي في ٤ يوليو سنة ١٩٣٦

يعتقدها سنوك هرجرونيه . والطائفة المستشرقين تلاميذ تعلموا في أوروبا وعرفوا مطاعنهم في الاسلام وروجوها باللغة العربية في أثواب مباحث علمية فكان مفتي لهذه الفئة أشد من مفتي الخواجة فنسنك .

وصدر المرسوم الملكي ووجدت فيه اسم فنسنك ، فنشرت في أهرام ١١ من اكتوبر سنة ١٩٣٣ المقال الآتي :

لما اشتدت وطأة المبشرين في الاغواء ، والتضليل ، وغزو عقل المسلمين بمختلف الطرق عكفنا على دراسة شيء غير قليل من طرقهم ومؤلفاتهم وخرجنا بنتيجة رسخت في عقيدتنا رسوخا قويا ، هي ان المستشرقين هم طلائع المبشرين وانهم هم الذين يمهدون السبيل لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، وانهم هم الذين يمهدون للمبشرين سبيل الطعن في الاسلام وفي نبيه الكريم وانهم هم الذين يزودونهم بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم الاستنتاج الصحيح ، والنقد الفني وحرية الفكر ، والمباحث العلمية الحرة .

وخرجنا من كل مباحثنا هذه الى ان المستشرقين يتعمدون عند البحث في كل ما يختص بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ان يلعموا استنتاجاتهم معيبة بآرائهم الشخصية على ما فيها من خطأ وما فيها من غرض يعلو عليه عليهم روح الاستعمار ومقاومة الاسلام في شخصية سيدنا محمد ﷺ أو في القرآن نفسه

وقد قسمنا المستشرقين ثلاث فرق ، قسم يختص بمباحث القرآن ، وقسم يختص بمباحث سيدنا محمد ، وقسم يختص بالتاريخ العربي الاسلامي

على ان من واجبنا ان ندرس كل مستشرق من جميع نواحيه وندرس كل مؤلفاته خصوصا اذا كان ممن يبحثون في القرآن أو حياة سيدنا محمد لان الخطأ اللفظي في كلمة عربية قد يجر الى البحث في العقائد الاسلامية وقد يكون له أثر شديد في الاسلام نفسه

ولقد فكرنا هذا التفكير عندما أردنا أن نباحث أحد المستشرقين أو اشباه المستشرقين ورأيناه يقلب قواعد اللغة العربية رأسا على عقب لكي يدخل شكا في الاسلام واليك مثلا من ذلك

كان أحدهم يدعي أن الاسماء لابد أن يكون لها معنى . فقلنا له أن الاسم ما دل على مسمى وليس من الضروري أن يكون له معنى يشتق منه . أو أصل معروف ، والمسألة بسيطة . هكذا تعلمنا في المدارس الابتدائية وهكذا قرأناها في القاموس فصمم على رأيه . ولكنه أعطانا مثلا غريبا هو أصل كلمة (حراء) وهو اسم الغار الذي تعبد فيه سيدنا محمد ﷺ فقلنا لم يرد في اللغة العربية ما يجعلني أعرف مصدره أو معناه فقال ان (حراء) أصلها (هيرا) وهولاتينى ومعناه المقدس قلت انني أعرف ما تريد أن تستنتج ، ان هيرا وهو الجبل المقدس هو اسم أطلقه الرومان على هذا الجبل الذي تعبدوا فيه فأنت تجعله في مكان (جبل الاولمب) في اليونان ، ويتأتى من هذا الاستنتاج أن محمداً عليه السلام اتبع الاديان الاخرى فاعطى الدليل المادي على استنتاجك لانك تتكلم بلسان حركة عواطف ضد الاسلام . فسكت

والحق أن عقلية هؤلاء المستشرقين وأشباههم مدهشة فأي لفظة عربية لها مشابه في اللغات الاخرى قالوا ان العربية استعارتها واذن فما قولهم في لفظة « بيل وبيل » التي توجد في كثير من اللغات والعربية أيضا بنفس المعنى

نقول هذا مقدمة للبحث الذي سنكتبه عن فنسنك وهو الاسم الذي ورد في ضمن أعضاء المجمع اللغوي . وسنناقش رأيه الحسب لان استنتاجاته ستؤخذ علينا وقد أصبح عضو رسميا علينا أن نحترم رأيه

قالت دائرة المعارف الاسلامية تحت لفظة ابراهيم :

كان سبرنجر أول من لاحظ أن شخصية ابراهيم كما وردت في القرآن

مرت بعده أطوار قبل أن تصبح في نهاية الامر مؤسسة الكعبة

وجاء سنوك هرجرونيه بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال ان ابراهيم في أقدم ما نزل من الوحي (في الذاريات آية ٢٤ وما بعدها ، الحجر آية ٥ وما بعدها ، الصافات آية ٨١ وما بعدها ، الانعام آية ٧٤ وما بعدها ، هود آية ٧٢ وما بعدها ، مريم آية ٤٢ وما بعدها ، الانبياء آية ٥٢ وما بعدها ، العنكبوت آية ١٥ وما بعدها) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل ولم تذكر لاسماعيل صلة به . والى جانب هذا يشار الى ان الله لم يرسل من قبل الى العرب نذيرا (السجدة آية ٢ ، سبأ آية ٤٣ ، يس آية ٥) ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين

أما السور المدنية فالامر فيها على غير ذلك . فابراهيم يدعى حنيفا مسلما . وهو واضع ملة ابراهيم رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم . البقرة آية ١١٨ وما بعدها ، آل عمران آية ٦٠ الخ)

وسر هذا الاختلاف أن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا ان اتخذوا حياله خطة عداء فلم يكن بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا . هنالك هداه ذكاه مسدد الى شأن جديد لابي العرب ابراهيم ، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليتصل بيهودية ابراهيم ، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للاسلام ، ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح ابراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس »

والذي يكون خالي الذهن عن المستشرقين واعمالهم يظن لاول وهلة أن هذا بحث جليل مستفيض استقصى اصحابه سبرنجر وسنوك وفنسنك كل آيات القرآن واستخرجوا منها مواضع الضعف ، ويخيل الى الناظر في هذا الموضوع أن الاسلام قد زعزعت اركانه وانهم اكتشفوا اكتشافا من

الخطورة، كان حين يدعون أن محمدا عليه السلام أراد استغلال اليهود ثم أخفق ثم هداه ذكاؤه المسدد لشأن جديد لا في العرب

اما اليهود فقد سبق ان شرحنا مركزهم في الكلام عن الوسط والبيئة التي سبقت الاسلام ، وأما هذه القائمة الكبيرة من الايات التي تخدع الناظر اليها فهي في نظرنا دليل على الضعف المطلق وهم بهذا أشبه بما يفعل الممثلون ، اذا وجدوا الرواية ضعيفة جعلوا المناظر أخاذة ، وأكثروا من أشخاص الرواية ودفعوا بين الجماهير قوما مأجورين للتصفيق

كل هذا فكرنا فيه قبل أن نتقدم لنقد هذا البحث لاننا نعرف طريقة المستشرقين الملتوية وشعوذتهم العلمية

وما علينا الا أن نراجع السور المكية جميعها والسور المدنية جميعها ونوازن بينها لنعرف اذا كانت السور المدنية هي وحدها التي انفردت بذكر نسب سيدنا محمد الى سيدنا ابراهيم بأبي البيت العتيق أولا ؟ وفيما اذا كانت الحقائق التاريخية التي في متناول يدنا تتفق مع استنباط فنسنك أم لا . وما غرضه في التعريض بسيدنا محمد الى هذه الدرجة ؟؟

علينا اذن أن نراجع كل ذلك لنتمشى معه في بحثه فان كان ما قاله حقيقيا كان لنا أن نبحث في استنباطه أيضا وعن السبب في عدم ذكر ملة الصلة في السور المكية اذ ربما كانت من المعترف بها ولا توجد مناسبة لتوكيدها في القرآن . أما اذا كان ما نقل من الآيات خطأ كان الرجل قد عثر من أول الطريق فلنتركه في تلك الحفرة التي وقع فيها ولننظر اليه كيف يجاهد في الخروج منها

ونحن لا يخامرنا شك في أن هذا الدين متين وان فنسنك وسبرنجر وسنوك أقل علما بفهم روح القرآن فضلا عن نقده

اذن فلنسر في البحث على بركة الله

قال فنسنك : — انه لم تذكر في السور المكية صلة لسيدنا اسماعيل بسيدنا ابراهيم . فهل هذا حقيق ؟ وذكرنا سورة الانعام بالنص فهل هذا حقيقي ؟ انه ذكر لآية الرابعة والسبعين بالنص أيضا فانظر الى الآية الخامسة والثمانين حيث ذكر اسماعيل صراحة « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » نعم ان أسماء الانبياء وردت جملة ولكن لكل واحد منهم نسبه المعروف . والمسألة الجديرة بالنظر هي لماذا حذف فنسنك رقم هذه الآية من تلك القائمة الطويلة التي استقصاها مع انها في نفس السورة التي ذكرها ؟ الجواب سهل وهو انها تهدم نظريته من أساسها . ولان هذه الآية نسبت هؤلاء الانبياء الى ابراهيم ثم الى نوح

ثم انظر الى سورة ابراهيم وهي مكية الآيتين ٢٨ و٢٩ وانظر الى الآية ٣٤ وما بعدها حيث يقول ابراهيم :

« ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم — الى قوله تعالى — الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل »

اذن فقد ورد في السور المكية التي اعتمد عليها فنسنك أن اسماعيل هو ابن ابراهيم وان ابراهيم دعا ربه عند بيت الله المحرم وقد ذكر هذا البيت في السور المكية التي أنكر وجودها فنسنك

نحن لا تدهش من اكتشاف الحقيقة فما كنا نشك فيها ولكننا ندهش أن قوما ينتسبون للعلم ويخدعون الناس جهلا أو تجاهلا

المسألة الثانية :

هل ورد في الآيات التي ذكرها فنسنك أن الاسلام دين قديم يمت الى ملة ابراهيم ؟ واذا كانت هذه الحقيقة قد وردت فلماذا لم يذكرها فنسنك ؟

ارجع الى نفس السور التي ذكرها فنسنك ففي الذاريات في الآية ٢٣ وما بعدها تجد حديث ضيف ابراهيم المكرمين يبشرونه بابنه ويقصون عليه قصة

لوط وبناته وفي الآية ٣٤ يقول « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين »

إذن ففي هذه الآية اعتراف صريح أن الاسلام دين قديم هو ملة ابراهيم حيث يحدثه ضيفه عن بيت المسلمين :

إذن فدعوى فنسنك كلها خطأ . واستنتاجه كله خطأ

المسألة الثالثة :

يقول فنسنك أن آيات السجدة وسبأ ويس تشير الى أن الله لم يرسل من قبل للعرب نذيرا . ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين :

يريد فنسنك أن يقول بعبارة أخرى أن التاريخ المأخوذ من الاناجيل هو الحقيقة . وأن ابراهيم لم يذهب الى مكة . وأن هذه الدعوى لم تذكر في القرآن الا بعد الهجرة الى المدينة

وسياق هذه السورة من الآية ٣٤ وما بعدها :

« وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ، رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني . ومن عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

هذا يدل دلالة واضحة على أن ابراهيم كان أول من أسس هذا المكان المنعزل السحيق في واد غير ذي زرع لا تهوي اليه أفئدة الناس . ولا رزق فيه فدعا ربه : فاستجاب له.

على انه يؤخذ من ذلك أيضا أن هذا كان أول عهد هذا المكان بالانبياء

وبتأسيس البيت ولم يذهب ابراهيم ليقيم دينا جديدا بين الناس في بلد أهل وهذا يستقيم مع معنى آية ٤٣ من سبأ في قوله تعالى « وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير »

يكفي أن نذكر لفتنتك أنه لم يذكر الحقائق ولم يستقص مبحثه . وانه يستنبط قبل أن يبحث

أما الغرض من ذلك . فواضح لان الاستشراق مهنة ضد الشرق . وضد الاسلام

تاريخ هذا العدد

وضع تاريخ العدد الثالث نفسه على هذا العدد وصحة التاريخ أنه : ٩ صفر سنة ١٣٥٥ — ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٦

فرصة لمشتركي المنار

رأينا أن نخفض لمشتركي المنار قيمة الاشتراك اذا سددوا اشتراك المجلد الخامس والثلاثين وذلك لنهاية رجب القادم فجعلناه خمسين قرشا للمشتركين في خارج القطر المصري وثلاثين للمشتركين في مصر فعلى الذين يحبون المنار أن يعملوا بالسداد انتهازا للفرصة ومساعدة لنا اذا أرادوا حياة المنار ولهم الشكر سلفا

الفصل التاسع

حكاية فنسنك "١"

(المقال الثاني)

اذا قرأت أي كتاب اجتماعي أو عمراني باللغات الغربية يتكلم عن مصر أو الشرق أو الاسلام وجدت أشياء كثيرة لا يقرها عقل ولا يستسيغها منطق وليست من الحقيقة في شيء

ويوجه نظرك بصفة خاصة ما يوصف به الاسلام من الصفات التي لا تنبو عن قواعد الذوق السليم والحقيقة فحسب ، بل ان الكتاب الاوروبيين يصورون الاسلام بصورة بشعة قبيحة لا تكاد تقرؤها حتى يقشعر بدنك من هول ما تقرأ

فاذا كنت شرقيا صميما أولت ما يكتب في تلك الكتب الاجتماعية بانه جهل من المؤلفين بأحوال الشرق وعاداته . واذا كنت مسلما أسفت كثيرا أن يوصف الاسلام بصورة بشعة بعيدة عن الواقع وأسفت على أن الاوروبيين لا يعرفون شيئا عن حقيقة الشرق بصفة عامة وعن الاسلام بصفة خاصة فليس حقيقيا ما ذكره مارشل في كتابه « الزواج » أن الام في مصر لا يباح لها أن ترى وجه ابنها بعد سن الرابعة عشرة من أثر الحجاب في الاسلام

وليس صحيحا ما جاء في هذا الكتاب أيضا من أن الفتاة الريفية المصرية يباح لها أن تعري جسمها كله أمام الرجال أما وجهها فلا يراه انسان

---

(١) ملخص مقال ٣١ اكتوبر في الاهرام وأول يناير سنة ١٩٣٦

وليس صحيحا ما وصف به الحجاب وما ذكره عن تعدد الزوجات . كما جاء في كتاب « نسبت عن الزواج والوراثة »

وليس صحيحا أن سيدنا محمدا كان رجلا شهوانيا محضا يشبع شهوات الشيخوخة بزواجه بالشابات « كما جاء فى هذا الكتاب »

فأول ما نلاحظه في تلك الآراء أنها مجرد تشنيع خال من الحق ومن العدل ويتجلى فيها سوء النية تجليا لا يقبل تأويلا أو تعليلا . ولا يمكن الدفاع عنه

ومن محاسن الكتب الافرنجية أنها تكتب المصادر التي اعتمدت عليها في ابداء رأيها وتشير الى المراجع التي استقت منها تلك المعلومات . وكنت أتتبع تلك المراجع فأجدها راجعة الى بيئة واحدة هي جماعة المستشرقين

وفي الادب الافرنجي الحي كتب قيمة جدا تبحث في التاريخ العام والخاص وتاريخ الامم والنهضات العلمية . وهذه الكتب محترمة عند الاوروبيين فكنت أطالع فأجد فرقا كبيرا فيما تكتب من التاريخ القديم أو الحديث بلباقة ودقة علمية كوصف مصر القديمة وآثارها وسوريا وتاريخها . بل رأيت في تلك الكتب تاريخ بلدان ورسوم أماكن لا تستطيع أن تعرف موقعها على الخريطة ما لم ترجع الى معجمات مطولة ، وبين ما تكتب عن الاسلام ونبيه

[illegible] وسمعين او عن حياة سيدنا محمد أجد تحريفا ظاهرا وكذبا واضحا . وتهريجا قبيحا

وانظر الى مرجوليوث حيث يقول : ربما كانت الطبيعة الجغرافية أو المناخ الاقليمي هو السبب في تأخر المسلمين ولكن نظرية وجود رجل واحد « أي سيدنا محمد » يكون هو وحده الرسول بين الله والناس ويكون هو وحده آخر طريق لهذه النظرية هى ثاني سبب لتأخر المسلمين »

فرجوليث لا يقول هذا لانهاض المسلمين ولكنه يقول هذا تشنيعا وهو

الذي لم يترك نقيصة إلا ألصقها بالاسلام من غير سبب وهو هو ذا كما ترى يتخيل نفسه على الأقل موزونا أو معقولا ويتكلم عن الاسلام . ولكي تقوم مقدار تحصيل مرجوليث هذا للغة العربية نأتي لك بالمثال الآتي الذي ساقه صديقنا الدكتور زكي مبارك

فقد تعرض مرجوليث لشرح هذه الابيات

يقول لي الواشون : كيف تحبها ؟ فقلت لهم : بين التقصير والغالي

ولولا حذاري منهم لصدقتهم وقلت هوى لم يهوه قط أمثالي

وكم من شفيق قال مالك واجما فقلت : أنا مالي وتسألني مالي

والشطرة الاخيرة من هذه الابيات فيها خطأ كتابي فقط وصحته (فقلت ترى ما بي وتسأل عن حالي) ولكن مرجوليث العلامة الضليع الذي ينتقد القرآن وأسلوبه ويتعرض للنبي ﷺ ويحقق تاريخ آبائه فيقول إنه ابن عبد الله رمي لرجل المجهول هذا العلامة الفهامة والحبر الفهامة يقول إن الشطر الاخير صحته :

(فقلت أنا مالي وان تسألني مالي)

وليس هذا التصحيح هو المضحك وحده وان كان اشنع من الغلط الاول ولكن المضحك حقاً أن يكون المصحح أستاذ لغة عربية ويتعرض لاسلوب القرآن أو يدعي نقده!!

ولسنا في مقام الرد على أسباب عوامل تأخر الامم الاسلامية فنترك المستشرقين أنفسهم الاسباب

***

والظاهر أن المستشرقين جمعية دولية حتى إذا ألف مستشرق كتاباً أو كتيباً ظهر في ثلاث لغات حية دفعة واحدة في فرنسا وانجلترا وألمانيا مع أن طبع هذه الكتب قد يستنفد كل ثروة المستشرق في الطبع والمدهش انك ترى في

مقدمة كل كتاب مستشرق قائمة بأسماء الذين عاونوه وساعدوه في البلدان الاخرى

واني لا أعلم أن المستشرقين تنقصهم في مباحثهم عن الاسلام الروح العلمية وأن لهم في الاستقصاء طريقة لا تشرف العلم . وهي أنهم يفرضون فرضا ثم يلتمسون الدليل عليه فاذا وجدوا في القرآن ما يهدم نظريتهم تجاهلوه والتمسوا الآيات التي تتناسب والمعنى المراد ولا مانع من بترها اذا اقتضى الحال أو تحريف معناها حسب الرغبة فيخرج القارىء من كلامهم وهو يتهم الاسلام بالتلفيق كما يقولون كما سبق شرحه في كلام مرجوليث .

بمثل تلك النواحي التي أسلفناها أصبحنا لا نقرأ لمستشرق شيئا إلا ونحن نحرص على تفكيرنا وان نمعن بتصرف الغرض الذي يرمي اليه قبل أن نثق بما يكتب وأن نقتفي أثره فيما يبحث وفي مستنداته لانه دائما يبتر الحقائق فيقول ان القرآن فيه آية (لا تقربوا الصلاة)

وسنعطيك مثلا آخر فيما قال فنسنك تحت كلمة كعبة في دائرة المعارف الاسلامية صفحة ٥٨٧ النسخة الانجليزية .

« نحن لا نعلم شيئا عن شعور محمد الشخصي في شبابه نحو الكعبة أو العبادات المكية ولكن المفروض انه لم يشذ عن الجماعة

« وان ما ذكر في سيرته عن هذه المسألة مدة وجوده في مكة لا يوثق من جهة القيمة التاريخية

« وان الآيات المكية لم تخبرنا شيئا عن هذه العلاقات في تلك المرحلة الهامة من حياة النبي . على انه لم يظهر حماسته في حادثة نحو الحرم المكي . وفي المرحلة الاولى بعد الهجرة كان محمد في شاغل بمسألة أخرى مختلفة عن هذه جد الاختلاف ولكن أخفقت العلاقات الطيبة المنتظرة مع اليهودية واليهود وهنالك حصل تغيير حيث أنه — بعد مضي عام ونصف عام على الهجرة ذكرت الكعبة

وذكر الحج في الوحي

« وأول مظهر من مظاهر التغيير كان وجهة القبلة . فلا يتجه المؤمنون في صلاتهم إلى القدس بل الى الكعبة — (قد نرى تقلب وجهك في السماء — الآيات) ومن الوجهة الامرية فان هـذا التغيير في القبلة برهان استئناف ملة ابراهيم — وهي — أي ملة ابراهيم — اخترعت خصيصا لهذا الظرف السورة ١٢٩ — آية — و٣ — ١٩ — كما بين سنوك هرجرونيه

« وقيل ان ملة ابراهيم هذه كان اليهود قد أخذوها ثم أظهرها محمد ومن ثم أدمجت فيها عبادات مكة »

وبعد . فقد انتهت الفقرة التي نقلها من دائرة المعارف الاسلامية بقلم فنسنك ؛ فلنتعرف أغراضها ومراميها وحقيقتها

وأول ما يعترضنا عند النظر الى هذه الفقرة أن فنسنك رجل مقلد في السب والشتم والهجاء ، وان تقليده أعمى يقوده عكاز ضعيف من الاطلاع السطحي والظاهر انه في هذه المسألة يتبع آراء سنوك هرجرونيه ويتلمس أدلة جديدة ليضيفها الى أدلة أستاذه السخيفة

والمدهش أن هؤلاء المستشرقين يختلفون في كل شيء الا في هجاء محمد عليه الصلاة والسلام

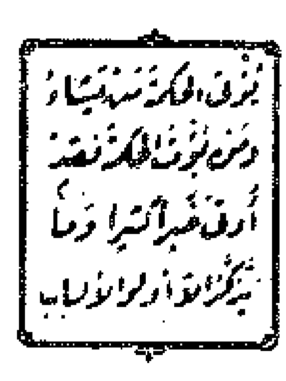
فهذا فنسنك يقول : انه لا يعرف شيئا من شعور محمد عليه الصلاة والسلام نحو الكعبة في شبابه و بعد رسالته إلا بعد الهجرة بعام ونصف عام وان ما لديه من تاريخ حياته عليه الصلاة والسلام لا يصح أن يؤخذ أساسا تاريخيا

وزميل له في الاستشراق هو اميل درمنجام يزعم أن محمدا كان يتعبد على مبادىء اليهودية أو النصرانية

ومرجوليث يقول ما قاله مالك في الخمر

(الجزء الخامس) (المجلد الخامس والثلاثون)





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ هـ ١٨ يوليه سنة ١٩٣٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــــدير

بقلم فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الازهر

كانت مجلة المنار مرجعاً من المراجع الاسلامية العالية تحل فيها مشاكل العقائد والفقه وتحيط بالمسائل الاجتماعية الاسلامية وأخبار العالم الاسلامي وما فيه من أحداث وأمراض وعلل وكان صاحبها السيد رشيد رضا رحمه الله رجلا عالما عاملا غيورا مخلصاً للاسلام محبا لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح . وقف حياته لخدمة دينه والأمم الاسلامية ، وكان شجاعا فى الحق لا يهاب أحداً ولا يجامل ولا يحابى

نشأ على هذا واستمر فيه إلى أن لقى ربه واحتجبت بعد ذلك مجلة المنار

فأحس العالم الاسلامي بفداحة الخطب وشـدة وقع المصاب فانه لا يوجد فيما أعلم الآن ذلك الرجـل الذي له من سعة الاطلاع وحسن التدبير وحكمـة الرأي وقوة الادراك في السياسة الشرعية الاسلامية مايضارع به المرحوم السيد رشيد ذلك ماض جليل نودعه مع الفخر به والأسى عليه والآن قد علمت أن الأستاذ حسن البنا يريد أن يبعث المنار ويعيده سيرته الأولى ، فسرني هذا فان الأستاذ البنا رجل مسـلم غيور على دينه يفهم الوسط الذي يعيش فيه ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الاسلامية ويفقه أسرار الاسلام ، وقد اتصل بالناس اتصالا وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالاصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة

(وبعد) فاني أرجو للأستاذ البنا أن يكون على سيرة السـيد رشيد رضا وأن يلازمه التوفيق كما صاحب السيد رشيد رضا والله هو المعين عليه نتوكل وبه نستعين .

« روائع »

من قطعة للرافعي رحمه الله في وصف الصحابة يفتحون مصر

إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع في العالم تمييزه بين الحق والباطل وإن نبيهم أطهر من السحابة في سمائها وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها وإذا سلوا السيف سلوه بقانون وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون . . . ولأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي فإنهم جميعاً في واجبات القلب وواجبات العقل الضمير الاسلامي في الرجل منهم يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته

« افتتاح »

فى الميدان من جديد

بعونك اللهم وفى رعايتك وتحت لواء دعوتك المطهرة وفى ظل شريعتك القدسية وعلى هدى نبيك الكريم العظيم سيدنا محمد ﷺ تستأنف هذه المجلة « المنار » جهادها وتظهر فى الميدان من جديد

رحمة الله ورضوانه ومغفرته « للسيد محمد رشيد رضا » منشىء المنار الأول ومشرق ضوئها فى الوجود ، فلقد كافح وجاهد فى سبيل الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه وجمع كلمة المسلمين وإصلاح شئونهم الروحية والمدنية والسياسية وهى الأغراض التى وضعها أهدافاً لجهاده الطويل حتى جاءه أمر ربه بعد أن قضت المنار أربعين عاماً كانت فيها منار هداية ومنهج سداد وإرشاد

ولقد ترك السيد رشيد فراغه واسعاً فسيحاً وقضى وفى نفسه آمال جسام وشاهد قبل وفاته تطوراً جديداً فى حياة الأمة الاسلامية فاستبشر بهذا التطور الجديد وشام منه خيراً وأمل فيه كثيراً وعزم على أن يساير هذا التطور بالمنار ودعوة المنار وأن يجعل منها فى عامها الجديد (الخامس والثلاثين) لسان صدق لجماعة جديرة « بالدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين » تخلف جماعة الدعوة والارشاد وتقوم على الاستفادة بالظروف الجديدة التى تهيأ لها المسلمون فى هذا العصر وقد كتب رحمه الله فى هذا المعنى فى فاتحة هذا المجلد ما نصه :

« سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد فى أعلى مقصديها أو فيما عدا التعليم الاسلامى المدرسى منه الذى ضاق زمان هذا العاجز عن السعى له وتولى النهوض به فقد كلمن يمده التوفيق الالهى له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوحيده ووحدة أهله وجماعته ، ولا يصلح له غيرهم .... ثم ذكر بعد ذلك طرفاً من تاريخ مدرسة

الدعوة والإرشاد وما لقيت من عقبات ومما كسات انتهت بالقضاء على فكرتها الجليلة ثم قال بعد ذلك ... وجملة القول إني على هذه التجارب وما هو أوجع منها وألذع من أمر مشتركي المنار وعلى ما أقر به من عجزي عن النهوض بالأعمال المالية الخاصة والعامة بالأولى وعلى دخولي في سن الشيخوخة وضعفها لم أزدد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعيي لأهم أصول الإصلاح الإسلامي وتجديد أمر الدين بما يظهره على الدين كله حتى تعم هدايته وحضارته جميع الأمم .. ولم أيأس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقاً لبشارة رسول الله ﷺ بأنه «لا يزال في أمته طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة» رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما بألفاظ من عدة طرق . وهذه الطائفة كانت في القرون الأخيرة قليلة متفرقة . إني منذ سنتين أكتب عناوين خيار الرجال المتفرقين في الأقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصفاتهم وأعمالهم لمخاطبتهم في الدعوة إلى العمل وأرجو من كل من يرى من نفسه ارتياحاً إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب إلينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم إلى أن تنشر دعوتهم الرسمية ـ وأهم ما يرجى من الخير لأمة محمد ﷺ في هذا العصر الذي تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو في تعارف هذه الطائفة القوامة على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الأمة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذي يرجى أن تثق به فهي لا ينقصها إلا هذا وقد طال تمكيري فيه وعسى أن أبشرها قريباً بما يسرها منه ـ وأعجل بحمد الله تعالى أن تجدد لي على رأس هذه السنة ما كان لي ولشيخنا الأستاذ الإمام (قدس الله روحه) من الرجاء في مركز الأزهر . وهو الذي يعبر عنه في عرف مصر بالمشيخة المنوية وهذا الرجاء الذي تجدد بتوسيد أمره إلى الشيخ محمد مصطفى المراغي عظيم .. كان الأزهر كنزاً دفيناً أو جوهراً مجهولا عند أهله وحكومته وعقلاء بلده لم يفطن أحد قبل الأستاذ الإمام لإمكان إصلاح العالم الإسلامي كله به والاستيلاء على زعامة الشعوب الإسلامية في الدين والأدب

والثقة بإصلاح التعليم العام فيه ولكن تعليم الاستاذ الامام رحمه الله وأفكاره هما اللذان أحدثا هذا الرجاء فى طائفة من شيوخه والاستمداد فى جمهور طلابه ولم يبق إلا الجد ولله الحمد ، انتهى

هكذا قضى السيد محمد رشيد حياته وفى نفسه هذه الآمال الجسام :

أن يكون المنار بعد سنته هذه لسان حال جماعة للدعوة إلى الاسلام وأن تتألف هذه الجماعة من ذوى العقل والدين والمكانة فى الشعوب الاسلامية وأن يشد الأزهر أزر هذه الجماعة وتشد أزره فيكون من تعاونهما الخير كله

ولقد كان السيد رحمه الله صادق العزم مخلص النية فى آماله هذه فاستجابها الله له وشاءت قدرته وتوفيقه أن تقوم على المنار « جماعة الاخوان المسلمين » وأن يصدره ويحرره نخبة من أعضائها وأن ينطق بلسانها ويحمل للناس دعوتها

يا سبحان الله . إن جماعة الاخوان المسلمين هى الجماعة التى كان يتمناها السيد رشيد رحمه الله ولقد كان يعرفها منذ نشأتها ولقد كان يثنى عليها فى مجالسه الخاصة ويرجو منها خيرا كثيرا ولقد كان يهدى اليها مؤلفاته فيكتب عليها بخطه «من المؤلف الى جماعة الاخوان المسلمين النافعه » ولكنه ما كان يعلم أن الله قد ادخر لهذه الجماعة أن تحمل عبئه وأن تتم ما بدأ به وأن تتحقق فيها أمنية من أمانيه الاصلاحية وأمل من آماله الاسلامية لقد تمنى السيد رشيد رضا فى الجماعة التى اشترطها أن تقوم بأعمال تصدى جماعة لدعوة والارشاد أى ماعدا التعليم المدرسى ثم رجا أن ترفق الجماعة الجديدة لهذا أيضا وستحقق جماعة الاخوان المسلمين هذا الرجاء بتوفيق الله فان إصلاح التعليم المدرسى الرسمى من أخص مقاصدها وإن أثرها فى طلاب الجامعة المصرية والمدارس المدنية من ثانوية وخصوصية لعظيم وسنواصل الجهد حتى نصل إلى الغاية إن شاء الله ويصبح التعليم كله مركزا على أصول سليمة مستمدة من روح الاسلام وسماحة الاسلام وتعاليم الاسلام وحضارته ومجده والله المستعان . ولقد أدرك الاخوان المسلمون منذ نشأت دعوتهم أهمية التواصل بين عقلاء المسلمين فأخذوا

يعملون لهذا وأصبح لهم بحمد الله عدد عظيم في كل قطر يعطف على فكرتهم ويؤيد دعوتهم ولقد اقترح علينا أخونا المفضال السيد أنيس أفندي الشيخ من وجهاء بيروت أن نعمل ما عمله السيد رشيد فنجمع عناوين ذوي المكانة من عقلاء العالم الاسلامي ونتصل بهم ونكتب في جرائدنا عنهم حتى يتعرف بعضهم إلى بعض والآن ننتهز هذه الفرصة فنوجه الرجاء الذي وجهه صاحب المنار من قبل إلى كل من يأنس من نفسه الغيرة على الاصلاح الاسلامي والاستعداد للعمل له من رجالات المسلمين أن يكتب الينا عن الناحية التي يؤمل أن يعمل فيها وحبذا لو تكرم فأضاف إلى ذلك إرسال صورته الشخصية وسنفرد لنشر هذه العنوانات والصور صحيفة خاصة بالمنار نسميها (صحيفة التعارف) بين أنصار الدعوة إلى الاسلام حتى إذا تكامل جمع يعتمد عليه فكرنا في الطريقة المثلى لتبادل الآراء والأفكار

ولقد أدرك الاخوان كذلك منذ نشأت دعوتهم ما للأزهر من شخصية ممتازة وأنه أعظم القوى أثرا في الاصلاح الاسلامي لو توجه اليه فاعتبروا أنفسهم من أنصاره في مهمته وتوثقت الروابط القوية بينهم وبين شيوخه وطلابه وكان من هؤلاء الفضلاء ما بين علماء وطلبة طائفة كريمة لها أبلغ الأثر في نشر دعوة الاخوان وخدمة فكرتهم التي هي في الحقيقة أمل كل مسلم غيور وواجب كل مؤمن عاقل

وإنا لنرجو أن نكون أسعد حظا من صاحب المنار رحمه الله في حسن معاملة المشتركين فيها فان مال الدعوة مهما كثر قليل بالنسبة لنواحي نشاطها وتشعب أعمالها فليقدروا هذه الحقيقة وسيجدون ما ينفقون في هذه السبيل عند الله هو خيرا وأعظم أجرا

ستعود المنار ان شاء الله إلى الميدان تناصر الحق في كل مكان وتقارع الباطل بالحجة والبرهان وشعارها الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه وجمع كلمة المسلمين والعمل للاصلاح الاسلامي في كل نواحيه الروحية والفكرية والسياسية والمدنية . ولقد كان للمنار خصوم وأصدقاء شأن كل دعوة إصلاحية فأما

أنصارها فنرجو أن يجدوا في مسلكها الجديد ما يعزز صداقتهم لها وصلتهم بها وأما خصومها فإن كانت خصومتهم للحق بالحق فإننا على استعداد تام للتفاهم معهم على أساس كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل لخدمة هذه الحنيفية السمحة

لم يكن الشيخ رشيد رحمه الله معصوما لا يجوز عليه الخطأ فهو بشر يخطىء ويصيب ولسنا ندعى لأنفسنا العصمة فنحن كذلك وما من أحد إلا ويؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا نريد أن نعرف الحق بالرجال ولكننا نريد أن نعرف الرجال بالحق ومتى كان ذلك رأينا جميعا ومتى كان شعارنا أن نرد التنازع الى الله ورسوله كما أمرنا فقد اهتدينا ووصلنا إلى الحقيقة متحابين وانقضت الخصومة وولى الباطل منهزما زهوقا

على هذه القواعد ندعو الأمة والهيئات الاسلامية جميعا إلى التعاون معنا سائلين الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه والله حسبنا ونعم الوكيل

حسن البنا

روائع

« إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الجرداء . طبيعة تعمل في طبيعة . فليس يمضي غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمي ظلالها . وهو بذلك فوق السياسات التي تشبه في عملها الظاهر الملفق ما يصبغ كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر . . . شتان بين عمل وعمل وإن كان لون يشبه لونا »

الرافعي في وحي القلم

« لا تكون خدمة الانسانية إلا بذات عالية لا تبالي غير سموها ـ الأمة التي تبذل كل شيء وتستمسك بالحياة جبنا وحرصا لا تأخذ شيئا ، والتي تبذل أرواحها فقط تأخذ كل شيء »

فتاوى المنار

يتقدم في هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله مع ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو بعض ما شاء من الالقاب ونجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

« بين طائفتين من المؤمنين »

(حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف)

سيدي الأستاذ محرر المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(وبعد) فلعلكم قرأتم مادار من الحوار بين كتاب مجلة الاسلام ومجلة الهدى النبوي حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف فما وجه الحق في هذا الخلاف؟ وهل يجوز شرعا أن يتقاذف الفضلاء من المسلمين بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة؟ وأن تذاع مثل هذه البحوث على العامة وهلا يمكن أن تعملوا على التوفيق بين الفريقين حتى تنصرف القوى الى مايعود على المسلمين بالخير أفيدوا مأجورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد حلمي نور الدين

بتفتيش ري الجيزة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

(١) قرأت مادار بين الكتاب الفضلاء على صفحات المجلتين المذكورتين وكثير من حضراتهم أصدقاء لنا وكلهم يعمل لخدمة الدعوة الاسلامية ويرجو للمسلمين النهوض من كبوتهم والاقالة من عثرتهم مخلصا من قلبه والحق أني أنا شخصيا لاأفهم معنى لاثارة هذا الموضوع في وقت نحن أحوج مانكون

فيه إلى الوحدة والتآزر على أحياء تعاليم الاسلام فى نفوس المسلمين

إن الفريقين مؤمنان أعمق الايمان بأن ماجاء من هذه الآيات وما صح من الاحاديث التى تعرضت لصفات البارى عز وجل كلها حق لا جدال فى صدقها ولاخلاف فقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) و(يد الله فوق أيديهم)(وكل شيء هالك إلا وجهه) (وهو القاهر فوق عباده)وكل مانحا هـذا المنحى من الآيات والاحاديث التى تثبت صحتها فيا كل ذلك موضع إيمان وتصديق وتسليم من الفريقـين كليهما

الفريقان كـذلك مؤمنان أعمق الايمان بأن قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقوله تعالى (ولم يكن له كـفوا أحد) كل ذلك حق لامرية فيه فلا يشبه البارى أحداً من خلقه فى شيء من صفاته ولا يشبهه أحـد من هؤلاء الخلق كـذلك . وحقيقة ثالثة يؤمن بها الفريقان أيضا وهى أن ذات البارى جل وعلا وصفاته فوق متناول إدراك العقل البشرى الصغير الذى يعجز عن معرفة حقائق ماحوله من عالم الحس فضلا عن عالم الروح فضلا عن الملأ الأعلى فضلا عن ذات الله جل وعلا وصفاته

وأسوق هنا قول شارل ريشيه المدرس بجامعة الطب فى فرنسا سابقاً فى مقدمة كتاب (الظواهر النفسيه)

(لماذا لا نصرخ بصوت جهورى أن كل العلم الذى نفخر به إلى هذا الحد ليس إلا إدراكا لظواهر الأشياء وأما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا ،
أن معارفنا من القصور والنقص على حال يكاد معها يفلت من شعورنا الوجود كل الافلات)

بل قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

هذه الحقائق المقررة والمسلم بها من الطرفين تجعل الخلاف لامعنى له فماذا على كل منهما لوقال (استوى الله على عرشه استواء تعجز عقولنا عن إدراك حقيقته مع علمنا بأنه لن يكون كاستواء الخلق) وبذلك نرد علم الحقائق لله تبارك وتعالى ونصيب بذلك الحق كل الحق لأن الحق هو أننا فى هذا جهلاء أتم الجهل وماذا علينا لو سلكنا هذه الطريقة فى كل ما ورد على هذا النحو (فيد

التي ذكرها في كتابه [illegible] من صفاته تعجز عقولنا عن إدراك حقيقتها
[illegible]

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى الواجب في [illegible] هذه [illegible]
لنا أساس النظر فيها فقال (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الالباب) فتأمل قوله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) لتعلم هل لنا أن نخوض ونفيض ، أم أن الرسوخ فى العلم أن نقول آمنا به كل من عند ربنا ، ؟

استطراد

لقد أتى على المسلمين حين من الدهر فى عصر الانتقال الاول حين نقلتهم حوادث السياسة والاجتماع من دور الجهاد العملى خلف رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين المهديين من بعده حيث كان هم المسلم إذ ذاك أن يؤدى فريضة ربه ويراقب دخيلة نفسه ويقيم من نفسه حارسا يحاسبه على كل عمله ثم يمضى فى البلاد مجاهدا فى سبيل الله يعرض روحه على الموت فى اليوم ألف مرة فلا يظفر إلا بالحياة العزيزة وينشر لواء الله فى العالمين حتى يدركه الاجل فيودع الدنيا شهيدا سعيدا حين انتقل المسلمون من هذا الدور إلى دور الاستمتاع بمظاهر دنياهم الجديدة والاقبال على تنظيم ملكهم الواسع والاستفادة من ثمار هذه الحضارات والمدنيات التى اتصلوا بها ودخلت عليهم آثارها من كل مكان عمرانية واجتماعية وثقافية وعلمية فترجموا العلوم الأجنبية وتوسعوا فى البحث فيها ومزجوا كثيرا منها بتعاليم الدين السمحة السهلة فسلكوا بدينهم مسلكا فلسفيا قياسيا وقد جاءهم فطريا وربانيا نبويا فوق العلوم والفلسفات يخاطب الفطرة من غير وساطة ويجذب القلوب بما فيه من جمال وروحانية وصدق توجيه فى هذا الدور وفى وسط هذه المعمعة انقسم علماء الاسلام الى معسكرين معسكر

يدعو إلى تطبيق نظريات الدين على نظريات الفلسفة والمزج بينهما وبذلك يصطبغ الدين بآراء الفلاسفة فيذهب عنه جلال النبوة وروعة الوحي وسماحة الفطرة . وتفقد الفلسفة بقداسة الدين وجلال العقيدة فتنزل بذلك عن أخص خصائصها وإنما الفلسفة تفكير دائم متواصل فيه الخطأ وفيه الصواب وفيه الشك وفيه اليقين والخطأ فيها سلم للاصابة والشك عندها باعث من بواعث الايمان وهذا المعسكر أطلق على نفسه أو أطلق الناس عليه ألقابا كثيرة فهم أهل الرأى وهم أهل القياس وهم النظار وهم المتكلمون على تفاوت بينهم فى هذه الالقاب وفى مدى تطبيق هذه الآراء ومعسكر يدعو الى أن يظل الدين بعيدا عن كل هذا، يؤخذ من منابعه الاولى كتاب الله وسنة رسوله ويرجع فى بيانه وتفصيله الى الطريقة التى فهمه عليها السلف الصالح رضوان الله عليه وليتناول العقل بعد ذلك ماشاء من البحوث ولتجر الفلسفة على أى غرار شاءت وليخطىء العلماء الكونيون أو يصيبوا ولكن فى ترب نظرى بحت قياسى بحت لا يتناول عقائد الناس ولا يمس مبادئهم ولا تقرب حقائق العقيدة المقررة المكفولة بسلامة النقل ودقتها وصدقها — وأطلق هذا المعسكر على نفسه أو أطلق الناس عليه أهل الحديث أو السلفيون أو أهل السنة أو أهل الأثر على تفاوت كذلك فى هذه الالقاب وفى مدى الأخذ بهذه الفكرة ولا شك أن الحق مع هؤلاء ولا شك أن المسلمين لو سلكوا هذا السبيل ولم يشتغلوا بهذا الجدل ولم يصبغوا فطرة دينهم بهذه الصبغة ودرجوا على ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه لكان لهم فى ذلك الخير كل الخير ولنجوا من انقسامات وفتن كانت من أهم الأسباب لزوال عظمتهم وانهزام ملكهم ومجدهم، ولا شك أن كل عاقل يهمه أن يعود للاسلام مجده وعظمته الآن يدعو المسلمين الى الأخذ بهذا الرأى وهو ما نعمل عليه وندعو اليه ونسأل الله المعونة فيه وفتح مغاليق القلوب لفهمه وفقهه

كان الأخذ والرد والجذب والشد قويا عنيفا بين الفريقين منذ نجم قرن هذا الخلاف وأنت خبير بأن خلافا كهذا فى صدر الاسلام أو قريبا منه ، ولما يمض على المسلمين بعد نبيهم ﷺ أكثر من قرن من الزمان وهو يتصل بالعقيدة

وهى أغلى مايدافع عنه الانسان لابد أن يصحبه من مظاهر العنف الشىء الكثير وذلك ما كان فقد تنابز الفريقان بالألقاب واشتد بينهما التخاصم حتى وصل إلى التكفير والزندقة ورمى بعضهم بعضاً بأعظم مايتصور من التهم ، واستخدمت فى ذلك الألفاظ المثيرة

فأهل الرأى والنظر — جهمية معطلة مؤولون حشوية زنادقة لايعرفون لهم ربا ولا يثبتون له صفة. وأهل الحديث والأثر — مشبهون مجسمون جامدون متعصبون لاينزهون الله ولا يقدرون عظمته قدرها ويضعونه فى صف خلقه

وألقيت إلى جانب ذلك عبارات شديدة وألفت كتب وانتصر كل فريق لرأيه وبدت الحدة فى كل ما قيل وما ألف ، لأن تلك طبيعة الوقف ومقتضيات الخلاف

كان ذلك فى هذا الدور الذى ذكرت لك ثم نقلت إلينا نحن الآن بعض هذه الآثار والحال غير الحال والموقف غير الموقف والفرق غير الفرق

ليس فينا أهل رأى وأهل حديث — وأنا أعلم أن هذا الحكم قد يكون محل خلاف بينى وبين بعض القارئين فهام يرون فرقين ينتصر كل منهما لفريق فما معنى هذا النفى ؟

ولكنى أؤكد لحضرات القراء أن طبيعة هذا العصر غير طبيعة العصر الذى شجر فيه هذا الخلاف بين المسلمين وأن المشاكل والأفكار التى تشغلنا الآن غير تلك المشاكل والأفكار — وأن الخلاف فى هذه المسائل محصور فى نطاق لا يكاد يذكر فى بعض المجالس وفى جدران بعض الهيئات ، حتى الأزهر نفسه وتلك مهمته مشغول عن هذا الخلاف

الأمة الآن معسكرات مختلفة لكل معسكر فكرته التى يدعو إليها وينادى بها فهناك المعسكر الذى يدعو إلى الاندفاع وراء الأفكار والمظاهر الغربية فى كل شىء ، وهناك المعسكر الذى يثير المعنى القوى وحده فى النفوس ويريد أن يجعله أساساً للنهوض وهناك المعسكر الذى يأخذ بأعناق الناس وجهودهم إلى المسائل السياسية البحتة التى يراد بها استقرار الحكم فى الداخل وحفظ الكرامة

فى الخارج ولا يمنيه إلا هذا وهناك معسكرات غير هذه ومن وراء ذلك كله معسكر محمدى قرآنى يهيب بكل هؤلاء إن الاسلام يكفل لكم من السعادة والقوة كل ماتريدون فهلموا إليه

أريد أن أصل من هذا الاستطراد إلى نتيجتين . الأولى . أننا ليس بيننا فى حقيقة الأمر خلاف كالذى كان بين الفلاسفة والسلفيين فى القديم فلا معنى لاحياء هذا الخلاف من جديد ، ولا معنى للاحتجاج كذلك بما قال هؤلاء وأولئك وأولى لنا جميعا أن نترك ذلك الدور بما كتب فيه وما كان من أهله فى ذمة التاريخ ونرجع جميعا فى ديننا إلى المعين الأصلى الذى مازال وسيظل صافياً نقيا لاتكدره الحوادث ولا ينال منه الزمن ولا يزعزعه الخلاف ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة صلى الله عليه وسلم

(والثانية) أن ننصرف فى صف مؤمن قوى موحد إلى معالجة مشاكل عصرنا ودعوة الناس إلى محاسن هذا الدين وجلاله وتقوية معسكرنا معشر المنادين بالاسلام فوق كل المعسكرات حتى يكون له النفوذ الفكرى والعملى ، فيعود للاسلام ما كان له من هيمنة على الأرواح والأعمال

وبعد — فذلك رأيى أيها السائل فى موضع الخلاف

٢ — أما هل يجوز للفريقين أن يتقاذفا بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة وأن تذاع هذه البحوث على العامة فذلك مالا أقرهما عليه ولا أوافقهما فيه ، وفى لين القول وحسن الخطاب مندوحة وهذه بحوث دقيقة أولى بها أن تكون بين أهل العلم فى حلقهم الخاصة ومجالسهم المحصورة ، وأذكر الفريقين بما رواه البخارى فى صحيحه عن على كرم الله وجهه « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله »

وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » فان كان ولا بد من الكلام فى هذه المباحث فليكن ذلك فى قول لين وفى بحث هادىء حتى لا تسرى عدوى الخلاف والتهاتر من الخاصة إلى العوام وفى ذلك فساد كبير كما هو مشاهد فى البلاد التى تشتد

فيها العصبية لبعض الآراء - أقول هذا وأنا أعلم ما سيقال حول هذا الكلام من أن العقيدة أساس كل إصلاح وأن دين الله تبارك وتعالى جلي واضح لاخفاء فيه ولايليق أن يكتم فيه شيء عن جميع الناس وبأن هذه خصومة في الحق وهي جائزة وهذا هو الغضب لله وهو فضيلة وهذا هو الدفاع عن دينه وهو واجب وهذا من الجهاد بالقول والقلم والقعود عنه إثم فكيف يراد منا بعد هذا أن ننصرف إلى إصلاح جزئي والعقيدة فاسدة وكيف يراد منا أن نجعل هذا الكلام خاصا ودين الله عام للناس جميعا

وأحب أن أقول لمن يدور بفكره أو على لسانه وقلبه مثل هذا القول: احترس أيها الأخ من خداع الألفاظ ومزالق الأسماء - فالعقيدة شيء والخلاف في بعض المسائل التي لا يمكن لانسان أن يعرف حقيقتها شيء آخر - وأحكام الدين التي هي عامة للناس جميعا شيء والأسلوب الذي تؤدى به وتقدم للناس شيء غيرها - والخصومة والغضب للدين شيء - وخلق هذه الخصومة وإثارة الفتنة بها شيء ثان ولم لا يكون هذا من الجدل المنهى عنه ومن المراء الذي أغضب رسول الله أشد الغضب على المتمارين حتى جعله يقول:

(١) « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ: « ماضربوه لك إلا جدلا » رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح

(٢) ويقول « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له في وسطها ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها » رواه أبوداود والترمذي والبيهقي وغيرهم وحسنه الترمذي

(٣) وروى الطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « كنا جلوسا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما تفقأ في وجهه حب الرمان فقال « ما هؤلاء بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »

« ٤ » وعن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنهم قالوا « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال مهلا يا أمة محمد

أنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان المؤمن لايمارى، ذروا المراء فان الممارى قد تمت خسارته، ذروا المراء فكفى انما ألا تزال مماريا، ذروا المراء فان الممارى لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فانا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فان أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء » رواه الطبرانى فى الكبير أيضاً وقد يقال: إن المراء شيء وما نحن فيه شيء آخر فاقول: إن لم يكنه فهو نوع منه ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه واتقاء الشبهات استبراء للدين والورع أن تدع مالا بأس به مخافة الوقوع فيما فيه بأس فهل بعد ذلك مذهب لذاهب أيها الاخوان

« ٣ » وأما العمل على التوفيق بين الفريقين فنعما هو وما أحبه الى النفس وما أعظم فائدته وإنا لحاولون ذلك ان شاء الله وأعتقد أن كثيرا من المختلفين لو التقى بعضهم ببعض وتركوا طريقة التحاور الكتابى الى طريقة التفاهم الشفهى لانتج هذا التعارف خيرا كثيرا ولأدى إلى حل كثير من الخلافات فى هدوء وفى توفير للوقت والمجهود وحينئذ يستطيع كل رئيس جماعة أن يتقدم إلى جماعته برأى موحد أو بفكرة عامة فيؤدى ذلك الى الوحدة المنشودة ان شاء الله وسنترقب الفرصة المناسبة لمثل هذا الاجتماع فنعمل على تحقيقه ان شاء الله والله حسبنا ونعم الوكيل .

حسن البنا

من هم الاخوان المسلمون ؟

وسائل من هم الاخوان؟ هم فئة ... باعوا النفوس لباريها عزيزات

هم غضبة ضرمت لله ثورتها ... فأرسلوها لظى للغاصب العاتى

هم ثورة حميت فى الحق جذوتها ... فجاهدت باطلا حم الكتيبات

هم فيلق من جنود الله قد حملوا ... لواءه فغدوا نور الدجنات

عزت أخوتهم فى الله فانقطعت ... من السرائر أسباب الخلافات

يوحدون قلوب المؤمنين لكى ... تزداد أمتهم بالله قوات

حتى إذا استمسكت أوصالها وغدا ... بنيانها محكما صلب العلاقات

تقدموها إلى اليوم الرهيب ولقد ... آن فى يدهم لمع المضيئات

عن ديوان البواكير لعابدين

نشأة المنـار والحاجة اليه

للأستاذ عبد الله أمين

المدرس بمدرسة المعلمين بعبد العزيز بالقاهرة

(١) حال العالم الاسلامي قبيل ظهور المنار (٢) حال الدين الاسلامي قبيل ظهور المنار (٣) دعاة الاصلاح قبيل ظهور المنار (٤) صاحب المنار قبيل ظهور المنار (٥) البواعث التي بعثت صاحبه على اصداره (٦) وجهة صاحب المنار في تحريره للمنار (٧) بقاء البواعث على اصدار المنار (٨) الحوادث الدينية التي [illegible] المنار وعلاجها (٩) حياة المنار وموت صاحبه حياة خير من موته (١٠) محاولة لاحياء المنار (١١) محاولة جديدة لاحيائه مرة أخرى

(١) حال العالم الاسلامى قبيل ظهور المنار

كان العالم الاسلامى قبيل ظهور المنار لأربعين سنة هجرية خلت يهيم فى ليل دامس وظلام طامس من الضعف والاضمحلال فى حياته العلمية والفنية والادبية وفى مرافقه الزراعية والصناعية والتجارية وفى نظمه الاجتماعية والمنزلية والحكومية وفى تقاليده وعاداته وآدابه وفى أخلاقه وعقائده وشعائره الدينية وكان يرسف فى قيود الاستبداد وأغلال الاستعباد وقد قطعت السياسة والمذاهب الدينية أواصر شعوبه فتفرقوا طرائق وتمزقوا حدائق وبسط الأجانب عليهم سلطانهم الاقتصادى والأدبى والعلمى والفنى والسياسى ، وأصبحوا عبيداً أرقاء بعد أن كانوا سادة أعزاء .

(٢) حال الدين الاسلامى قبيل ظهور المنار

وكان الدين الاسلامى نفسه مبتلى بشر المحن وأسواها (١) منها البدع والخرافات والاوهام والضلالات التى ابتدعها المسلمون بالاستحسان والاستقباح

على مثال ماورثوه عن آبائهم السابقين الأقدمين فغيرت مظاهره وحجبت أنواره وكانت شراً عليه من كل شر إذ نفرت منه كثيراً من أنصاره وأعانت عليه كثيراً من أعدائه (٢) ومنها مطاعن خصومه من السياسيين الذين حكموا عليه ظلماً وعدواناً بأنه دين تأخر وانحطاط لتأخر المسلمين واضمحلالهم ، والحقيقة أنه دين قوة ورفعة وعزة وما ابتلى المسلمون بالضعف و لاضمحلال إلا لانحرافهم عنه وتنكبهم سبيله القويم وصراطه المستقيم (٣) ومنها حرب المبشرين بالمسيحية الذين تؤيدهم دول الاستعمار العاتية القوية بساستها وبجنودها وبأموالها لأن الاسلام وهو دين سيادة وعزة أكبر عائق لهم عن الاستعمار (٤) ومنها قعود علمائه حينئذ عن رد المطاعن والشبهات عنه وعن تحريره من البدع والخرافات بل ومشاركتهم العامة فى كثير منها (٥) ومنها شبهات الملحدين الخارجين على الأديان وهؤلاء منهم الجاهل الذى غلبته شهوته وشقوته وسئم قيود الدين وتكاليفه فأخذ يحاربه ليتخلص منه ومنهم المفتون بأمور ظنية فى العلوم يخيل اليه أنها لاتجتمع هى والدين على حين أنها لو صارت يقينية ما زعزعت أركان الدين .

(٣) دعاة الاصلاح قبل ظهور المنار

وفى هذا الظلام الحالك وفى إبان هذا النوم العميق الذى يشبه الموت تألق فى سماء العالم الاسلامى قمر الاسلام المنير حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغانى ثم مالبث أن تلألأ بجانبه نجم الاسلام الثاقب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصرى وأخذا يجاهدان أعظم جهاد فى حرب الاستبداد والمستبدين والاستعمار والمستعمرين والضلالات والمضلين والغفلة والغافلين ويهزان العالم بصوتيهما على المنابر وفى مجلة العروة الوثقى حتى انقشع الظلام واستيقظ النيام وذعر المستعمرون والمستبدون وأيقنوا أن للاسلام نوراً لايطفأ وحمى لايوطأ وحماة غلابين لاتلين لهم قناة ولا تهزم لهم كتيبة :

فان نغلب فغلابون قدما وإن نغلب فغير مغلبينا

(٤) صاحب المنار قبيل ظهور المنار

وكان السيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه حينئذ عالماً ناشئاً تقياً غيوراً متحمساً شجاعاً حاد الذهن كثير العلم والأدب سليم الفطرة لم يبتل بما ابتلى به أمثاله من التورط فى الضلال والجهل ، بل نشأ محباً للاصلاح بصيراً به وبالحاجة اليه ، وأخذ يجول ويصول فى ميدانه بسوريا جولات صادقات وما بلغته دعوة الامامين الحكيمين الاصلاحية إلا ملكت عليه قلبه وعقله جميعاً إذ كانت هى ضالته المنشودة فما أطاق بعدها صبراً على السكوت وأخذ ينظر يميناً وشمالا فلا يجد للعالم الاسلامى كله صحيفة إسلامية إصلاحية بعد مجلة العروة الوثقى .

(٥) البواعث التى بعثت صاحبه على اصداره

فكانت كل هذه الأمور مجتمعة وهى ماانتاب العالم الاسلامى من اضمحلال وما أصاب الاسلام من عدوان خصومه وخذلان أنصاره ، وقيام الامامين الحكيمين بالدعوة إلى الاصلاح ومافطر عليه السيد الأمام صاحب المنار من الغيرة على الاسلام وماتعلق به من حب الاصلاح كانت هذه الأمور هى البواعث التى دفعت صاحب المنار إلى القدوم الى مصر وكانت تزدان حينئذ بالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه ونور ضريحه ، وكانت أكفل للحرية وأخصب للدعوة وأرحب صدراً من سوريا وإلى انشاء المنار فيها ومواظبته وجده واجتهاده فى تحريره ونشره حوالى أربعين سنة هجرية لم تفتر له فيها همة ولم تلن له فيها قناة ولم ينثن له عزم حتى اتى ربه راضياً مرضياً

(٦) وجهة صاحب المنار فى تحريره المنار .

ولما كان الاضمحلال الذى أحاط بالمسلمين من كل جانب وليد فساد أخلاقهم وعقائدهم وكان فساد أخلاقهم وعقائدهم وليد انحرافهم عن أصل دينهم وكان

الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . فما كان كل ذلك ما أثبت جهد أستاذنا الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه أن انصرف كله إلى رد المسلمين إلى أصل دينهم لتصلح بذلك عقائدهم وأخلاقهم وبصلاح عقائدهم وأخلاقهم تصلح كل أمورهم الدينية والدنيوية .

وذلك الاصلاح لا يكون إلا باشهار حرب عوان على الفساد والمفسدين والبدع والمبتدعين والالحاد والملحدين والمتشبهات والمتشبه عليهم وسد أبوابها على المسلمين بالاعتماد فى بيان أحكام الدين وفضائله على الكتاب والسنة وعلى تأويل الأئمة المجتهدين وعلى نقد ما خالف الكتاب والسنة من تأويلهم وتأويل غيرهم وبما فتح الله له من أبواب الفهم السديد الصائب المنقطع النظير فأبلى فى هذه الحرب بلاء عظيما واستمر يجاهد فيها كل هذا الزمن الطويل واتقيها عنتاً وأذى كثيرين فما وهن ولا استكان حتى استشهد فى ميدان الجهاد بعد أن أصدر من المنار أربعاً وثلاثين مجلدة وجزءاً من مجلدة الخامسة والثلاثين . وليس بجانبه صحيفة واحدة إسلامية إصلاحية تشد أزره وتشركه في أمره وبعد أن انتصر على أعيان الابتداع والالحاد والهدم وبعد أن أصبح المنار أداة لاغنى عنها للدفاع عن الاسلام والمسلمين وحمايتهما من عدوان المعتدين .

(٧) بقاء البواعث على إصدار المنار

فاذا كان الامام السيد محمد رشيد صاحب المنار رضى الله عنه وأرضاه قد مات فهل ماتت بموته الحاجة إلى المنار ؟ هل ماتت البدع ومات المبتدعون ؟ هل مات الالحاد والملحدون ؟ وهل ماتت المشتبهات ومات المشتبه عليهم ؟ وهل ماتت الرذائل والمنكرات ومات أنصارها ؟ كلا . ما مات هؤلاء ولا هؤلاء بل لا يزالون أحياء يحاربون الله ورسوله والاسلام والمسلمين وما ماتت البدع والمنكرات وغيرها بل لاتزال فى تناسل وتكاثر ونماء وقوة فلم يكن لدولة المنكر فى أى عصر مضى من الاعوان الاقوياء الاعزاء المسخرين مثل ما لها الآن .

أكان للخمر والملاهى من الأنصار ومن الموائد والاندية والحفلات والمنازل

والدعاية الطويلة المريضة فى الصحف على اختلاف ألوانها ومنازعها ـ الا القليل النادر منها ـ مثل ما لها الآن ؟ أكان تهتك النساء وفجورهن من مظاهر الخيالة والمسارح والشواطىء وغيرها مثل ما لها الآن أكانت الصحف ـ إلا القليل منها ـ لا تصدر إلا إذا فخرت وتاهت بتحلية صدورها بصور العاريات الخليعات من النساء الفواجر ؟ أكانت دور الخيالة تملأ الرحب من الارض وتعرض فيها مثل ما يعرض الآن ؟ من مناظر مغرية بالفسق والفجور وارتكاب عظائم الامور كما انتشرت الآن ؟ أكانت الصحف تتبارى وتتنافس فى الدعاية الطويلة العريضة للممثلات كما تفعل الآن ؟ ألم يكن كل ذلك وما هو شر من ذلك آلاف المرات فى حاجة إلى صحيفة كصحيفة المنار

(٨) المجلات الدينية التى يظن أنها تحل محل المنار ومنزلتها منه .

ليس فى العالم الاسلامى كله مجلة إصلاحية يظن أنها تحل محل مجلة المنار إلا مجلة الأزهر وهذه لسوء الحظ ـ قبل عهد مولانا الاستاذ الامام المصلح الشيخ محمد مصطفى المراغى ـ كانت حرباً على المنار لا عوناً له ثم هى الآن لا تغنى عنه لانها مرآة صادقة لمعهد لا يزال فى طور انتقال من عهد اضمحلال مضى عليه قرون الى عهد قوة ورفعة يسمى مولانا الاستاذ الامام المصلح الشيخ المراغى فهى مجلة رسمية وفى عهد انتقال لاقبل لها بالحرية المطلقة التى لمجلة المنار المطلقة من كل قيد إلا قيود الكتاب والسنة ، ولو قدر لمجلة الازهر والمنار فى عهدهما الحديث أن تكونا فرسى رهان فى نصرة الاصلاح الدينى والاجتماعى ما كانتا كبيرتين على العالم الاسلامى بل ولا عشرات المجلات من نوعهما فأهلا وسهلا بهما .

(٩) المسئولون عن إصدار المنار

وإذن لم يكن العالم الاسلامى ولا الاسلام نفسه فى غنى عن المنار فإن المسئول عن إصداره واحيائه هم أنصاره وأحباؤه فقد أصبح أمانة فى أعناقهم دون غيرهم من المسلمين لا تبرأ ذمتهم منه إلا إذا أحسنوا القيام عليه وأصدروه فاذا قام

بذلك ولو واحد منهم فقد سقط عن الباقين لانه من فروض الكفاية . وإن صاحب المنار ومناره فينا كرجل قوى البنية مفتول الساعدين حفر لنا بئراً عذبا ماؤها وليس لنا ما نستق منه غيرها وبقى طوال حياته يخرج لنا ماءها بسواعده أفإن مات طمسنا البئر وحطمنا الدلاء وأمسكنا عن الاستقاء حتى نموت عطشا لأننا لا نجد فينا رجلا مثله قوة جسم وقوة إرادة وعزيمة أم يجب علينا حفظا لحياتنا أن نحرص كل الحرص علي سلامة البئر وأن نتعاون على إخراج مائها والارتواء به

١٠ حياة المنار ولو نصف حياة خير من موته

يقول بعض الأنصار إن المنار مجلة ذاتية حيث بحياة صاحبها الذى استقل بتحريرها حوالى أربعين سنة هجرية نسجها فيها على منواله وصبغها بصبغته وقدها على مثاله فأصبحت لا تصلح لغيره ولا يصلح لها أحد من بعده فلابد أن تموت بموته ويجب أن ندعها تموت . وهذا ليس من المنطق السليم فى شيء إذ أن الحياة ولو كانت ناقصة خير من الموت فأن الأطباء لا يمكن أن يدعوا إنسانا فقد بعض أعضائه أو كسرها يموت وفى إنقاذه أمل حتى ينقذوه ولو كانت حياته بعد ذلك شرا له ولآله من موته فكيف ندع المنار صحيفة العالم الاسلامى يموت ونحن موقنون أن فى حياته خيرا محققا لا لشيء إلا لأن هذا الخير دون ما كان له من الخير فى حياة منشئه رضى الله عنه وأرضاه ؟ كيف ندعه يموت على مرأى ومسمع من العالم الاسلامى وفيه من يستطيع أن يحييه ولو بعض الحياة كيف ندعه يموت وقد سن له صاحبه طريق الحياة من بعده إذ فتح فى العدد الاخير من المجلدة الرابعة والثلاثين وهى آخر المجلدات أبوابا جديدة له ودعا إلى الكتابة فيها أنصاره ؟ وفى مصر وحدها مئات القادرين على الكتابة فى هذه الأبواب باتقان وإجادة

١١ محاولة لاحياء المنار

لن يموت المنار ولن يندثر إن شاء الله تعالى ما دام وراءه أنصاره ومحبوه ، ولقد حاولت دار المنار جاهدة إحياء المنار وعهدت بذلك إلى حضرة السيد محي الدين رضا ابن أخى الفقيد العزيز والمحرر فى القطر الأغر غير أن هذه المحاولة كانت عسيرة لأن المنار أصعب من أن ينهض به إنسان واحد كالسيد محي الدين أفندى ليس فى جهده ولا فى ماله ولا فى أوقاته فضل ينفقه فى إحياء المنار وإصداره ، ولذلك لم يلبث أن مات مرة أخرى

١٢ محاولة جديدة لاحياء المنار مرة أخرى

ولقد سرت الدار سرورا عظيما حينما تقدمت جماعة الاخوان المسلمين وعلى رأسها الأستاذ الكبير حسن البنا طالبة منها أن تتولى إصدار المنار وذلك لما تعهده فى هذه الجماعة من الاخلاص والجد فى خدمة الدين والفضيلة وما تتوسمه فيها من القدرة على إصدار المنار إن شاء الله تعالى فى ثوب قشيب نافع وما تؤمله من استمرار صدوره

وإنى لأرجو وقد حيّ المنار ومات ثم حيّ ومات — أن يحيا إن شاء الله تعالى هذه المرة وألا يموت بعدها أبدا وأن يثبت الله سبحانه وتعالى أقدام جماعة الاخوان المسلمين ويهديهم وإيانا سبل الرشاد وأن يوفقهم لأصلح الأعمال ويقدرهم على إصدار المنار ونشره وعلى إبقائه حيا أبد الدهر إنه سميع مجيب —

عبد الله أمين

موقف العالم الاسلامى السياسى اليوم

وواجب أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وحكوماتهم

نشبت الحرب الماضية والعالم الاسلامى كله منضو تحت اللواء التركى مستظل بظل الخلافة العثمانية إلا بعض أجزاء اقتطعتها يد المطامع السياسية الغربية من قبل

كانت مصر تحت الاحتلال البريطانى ثم صارت باعلان الحرب تحت الحماية وخاضت البلاد العربية ميادين القتال إلى جانب الحلفاء تصديقا لوعودهم وانخداعا بالأمانى المعسولة التى وضعوها أمام الأمة العربية

ولسنا بصدد اللوم أو العتاب أو تحديد مسئولية المخطىء والمصيب فى هذا كله فقد ذهبت تلك الأيام بما كان فيها وصارت مواقف الرجال والأمم فى ذمة التاريخ يحكم لها أو عليها

وانجلت تلك الحرب وويل للمغلوب وغلبت تركيا على أمرها وسلبت حق سيادتها على الولايات التابعة لها

وهنا نهضت الشعوب الاسلامية تجاهد وتكافح وتناضل وتطالب بحقها فى الحياة العزيزة الحرة الكريمة

كانت ثورة الكماليين على أرض الأناضول وانتهت بتكوين تركيا الحديثة هداها الله وألهمها الرشد

وكانت الثورة المصرية فى وادى النيل وانتهت بمعاهدة أغسطس ١٩٣٦ التى حققت جزءاً ضئيلا جداً من الأمانى المصرية ولا زالت مصر تكافح لاستكمال الباقى .

وكانت الثورة العراقية وانتهت بالمعاهدة العراقية الانجليزية التى حققت كذلك جزءا من الأمانى العراقية ومكنت العراق من السير سريعاً إلى استكمال مابقى

واستولى الملك عبد العزيز آل سعود على الحجاز وضمه إلى نجد وكون منهما المملكة العربية السعودية

وكافحت سورية وناضلت وكادتم بينها وبين فرنسا عهد وميثاق كالذى تم فى مصر والعراق مثلا لولا أن فرنسا نكثت عهدها بعد أن ونقته وقلبت للسوريين ظهر المجن ولا زالت فى موقفها هذا إلى الآن

وتعقدت قضية فلسطين ونشبت فيها الثورات تباعا ولم يفلح ذهب اليهود ولا خداع الانكليز فى تضليل الشعب الفلسطينى الباسل وصرفه عن أهدافه الحقة وعن المطالبة باستقلاله الكامل فى أرض الآباء والأجداد التى رواها دم الصحابة الطاهر فأبت أولئك الأحفاد البررة

واستمرت طرابلس ثائرة على الحكم الايطالى الظالم حتى قبض على المجاهد المؤمن السيد عمر المختار وضيق الخناق على المجاهدين فقتل من قتل ونفى من نفى ، وانتهى كل ذلك بأن أعلنت إيطاليا تجنيس طرابلس بالجنسية الطليانية وقذفتها بسيول من المهاجرين الطليان يلتهم الأخضر واليابس

وقامت ثورات فى بعض جهات من هذا الوطن المتمرد على الظلم والجور كان من أظهرها ثورة الريف المغربى بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم ، وانتهت كلها بتشديد الضغط على خناق الأحرار والعاملين

هذا بسط موجز لموقف العالم الاسلامى من نفسه ومن غيره من الامم التى ظلمته وتدخلت فى شأنه واستبدت بأمره واغتصبت حقوقه إلى الآن

***

اختل التوازن الأوربى وجرت الأحداث سراعا تسابق الدقائق والساعات وتغير الأفكار والآراء والمواقف والاتجاهات . وانجلت تلك الغمرة عن وجود معسكرين قويين فى أوربا معسكر المحور ويضم ألمانيا وإيطاليا ومن لف لفهما من دويلات أوروبا ومن وراءهما اليابان فى الشرق ، ومعسكر الدول الديمقراطية ويضم انجلترا وفرنسا ومن تبعهما من دول أوروبا ومن ورائها أمريكا فى القارة الجديدة

وحرب الدعاية والكتابة والتربص والأعصاب كما يقولون قائمة على أشدها بين الفريقين ، وكل منهما يتودد إلى العالم العربي والاسلامي ويود أن يكسبه إلى جانبه فذلك هو الذي يرجح إحدى الكفتين على الأخرى في آسيا وإفريقية على الأقل ، وإذا رجحت الكفة في هاتين فقد رجحت في أوربة كذلك

إن دول الشرق الاسلامي قضت عليها الحوادث والظروف الماضية والحاضرة أن تتصل بالدول الديمقراطية وأن تكون إلى جانبها وأن يرتبط مستقبلها بمستقبل هذه إلى حد كبير ـ هذا الوضع إلى جانب الخصومة القائمة بين المعسكرين في أوربا كان يجب أن يجعل الدول الديمقراطية تسارع إلى اكتساب مودة العرب والمسلمين اكتساباً نهائيا وأن تسد الطريق على غيرها إلى ذلك الود ، وذلك في وسعها ولا يكلفها عناء ولا عنتا بل لا يكلفها إلا أن تحق الحق وتعترف به لأهله ، وتبطل الباطل وتقاوم الذين يريدونها عليه فهل فعلت هذا ؟

العجب أن الدولتين الديمقراطيتين انجلترا وفرنسا فعلتا عكسه تماماً كأنهما تتحديان بذلك شعور العرب والمسلمين في كل أنحاء الأرض ، فأما فرنسا فقد أساءت إلى سورية أبلغ الاساءة ففصلت عنها الاسكندرونة وقدمتها إلى تركيا رغم الصرخات العالية والاحتجاجات الكثيرة والأغلبية العربية في هذا اللواء . وتنكرت لسورية مرة أخرى فعدلت عن إبرام المعاهدة واستبدت بالأمر في داخلية البلاد استبدادا أدى إلى استعفاء الوزارة عدة مرات ، وتعذر قيامها بمهمة الحكم ثم أدى أخيراً إلى استقالة رئيس الجمهورية ، وهذا نص استقالته التي رفعها لمجلس النواب السوري

« إلى رياسة المجلس النيابي السوري الفخيمة »

« منحني مجلسكم الكريم ثقته وانتخبني . في أول جلسة عقدها ، لرياسة الجمهورية على أثر عقد المعاهدة وإقامة الصلات بين فرنسا وسوريا على قواعد التحالف والودة ، وذلك لادراك هذه الأمة الغالية الشريفة التي تسعى إليها من الاستقلال والسيادة القومية . وقد تعاقبت حكومات في سوريا وأخذت تبذل

قصارى جهدها فى سبيل إبرام العهد المقطوع والميثاق المعقود واثقة بأنه ينطوى على الخطة الوحيدة التى تعزز جانب الوطن السورى وترفع من شأنه كما توثق الروابط بينه وبين الجمهورية الفرنسية حتى يسود علاقتهما جو من الصفاء والاخلاص وحتى تقوى هذه البلاد على مقابلة الاحداث وصد الاطماع . غير أن الجهود التى بذلت لم تسفر عن نتيجة برغم الوعود الرسمية الصادرة من رجال الوزارات التى تعاقبت فى فرنسا منذ سنة ١٩٣٦ إلى الآن فذهبت ضياعاً تلك الآمال التى توجهنا بها إلى سياسة التحالف والتضامن وشهدنا المودة إلى أساليب قديمة وتجارب جديدة تناقض ما تعاهدنا عليه ودخلنا الحكم على أساسه . على أن حوادث الماضى وقرائن الحاضر لا تترك مجالا للشك فى أن هذه الخطط التى يراد اتباعها واستئناف العمل بها تؤدى إلى استمرار المشاكل والخلافات، كما أنها تضعف كيان هذه البلاد وتوهن قواها وتهدد استقلالها

ولذلك لا أرى بداً من الاستقالة من المنصب الذى عهدت إلى الآن فى القيام به وتحمل أعبائه راجيا أن يكون فى الأيام المقبلة ما يخفف عنها الآلام والعناء ويحقق ما تصبو اليه من الكرامة والمجد »

وقد عرضت الاستقالة على المجلس فأقرها ودعا الوزارة إلى الاجتماع فاجتمعت وقررت القيام بأعباء الحكم ولكن المندوب السامى تحداها فى هذا فأصدر قراراً بتدخل السلطة الفرنسية فوراً وتعطيل الدستور ومجلس الوزراء وعين مجلساً يتولى السلطة باسم فرنسا وهذا نص قراره

«قد نشأ عن استقالة مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية فى سوريا فقدان تام للسلطة التنفيذية . مما يجعل تدخل الدولة المنتدبة تدخلا فوريا أمراً لابد منه ، وفى هذه الحالة ترى الدولة المنتدبة نفسها مضطرة الى وقف تنفيذ الدستور فيما يتعلق بالسلطتين التنفيذية والتشريعية . والنظر فى نظام مؤقت يمكن من إدارة البلاد ادارة منظمة طبيعية .

بناء على ذلك قرر المفوض السامى أن يعهد فى السلطة التنفيذية ــ تحت مراقبته ــ الى مجلس مؤلف من مديرى مختلف المصالح الوطنية برئاسة مدير الداخلية ، ويؤلف مجلس المديرين بقرار من المندوب السامى ويجوز له أن يتخذ

قرارات بتعيين الوظفين الملكيين ، ويجوز له بناء على رأى المجلس أن يصدر مراسيم لها مفعول القوانين ولاسيما في الشئون المتعلقة بالمزانية . وتتخذ المراسيم التشريعية بعد موافقة المندوب السامي التي تجعلها نافذة » .

هذا هو موقف فرنسا في سورية فما موقفها في بقية مستعمراتها الاسلامية فعلى ما كان عليه من عسف وجور ونفي للاحرار وتعذيب للوطنيين وهؤلاء شباب المغرب وعلى رأسهم الآن محمد بن عبد الكريم لازالوا في أعماق المنافي والسجون

وأما انجلترا فقد أخذت تتلون كالحرباء في حل قضية فلسطين وانتهى مجهودها وخداعها باصدار الكتاب الأبيض الذي لم يرض أحداً من الأمم الاسلامية حتى ان واحدة من الحكومات لم تشأ أن تتورط في التوسط لدى عرب فلسطين البائسين لقبوله

ولم تكتف بهذا بل أخذت جنودها تهاجم اليمن وتحتل أرضا يمانية بحتة كالقلم شبوه وتدعي من لسان محطات الاذاعة فيها أنها ضمن منطقة عدن المحتلة مما أدى الى احتجاج جلالة الامام يحيى لدى ملك انجلترا احتجاجا صارخا هذا نصه :

« من ملك اليمن الامام يحيى الى صاحب الجلالة الملك الامبراطور جورج السادس المعظم بلندن .

بعد تقديم وتأكيد الاخلاص والتعظيمات لذات عظمتكم أعرض لجلالتكم تأثراتي العظيمة من اذاعات راديو لندن باللسان الرسمي الحكومي وادعائها أن شبوه ومناطقها داخلة في الأراضي العدنية المحتلة مستندة في ذلك الى معاهدة سنة ١٩٤٠ (كذا من أصل البرقية)

وقد كنت خاطبت جلالتكم سابقا بشأن شبوه ومناطقها كلها وأنه لم يكن لاحد شأن فيها في أي وقت كان لا من قبل ولا من بعد . وكنت رجوت من عدالة جلالتكم طلب أوراق المخابرة الواقعة بشأنها من عدن للاطلاع على ما حدث من الوقائع بهذا الخصوص بين عدن واليمن فان ادعاء عدن بشبوه ومنطقتها مخالف لكل الوقائع وعار عن كل اثبات . فحكومتي مجبورة للاحتجاج ولا يمكن لليمن السكوت عن عمل مغاير للحق ومخالف للصداقة بكل معنى .

ومعلوم لجلالتكم أن شبوه ومنطقتها يمانيـة منذ خلق العالم الى اليوم ، وسيطرة اليمن لم تزل عليها ولاهي افترقت يوما واحداً عن أمها اليمن . وكل قرار غير شرعي بشأنها نرده بلا شك . ولم تتعهد اليمن لدولة ولا لشخص بان تسلمه حقوقها وملكها وهل يمكن ، ياصاحب الجلالة ، بيع أو اهداء أي أرض أو زراعة ممن لايصح تصرفه فيها ؟ ومن المعلوم أن العثمانيين وغيرهم لم يدخلوا شبوه ومنطقتها فلم يتصرفوا بشيء فيها ومنها . وهل من المعقول والمقبول المطالبة بهدية تقدم من مالكها ؟ ومن المعلوم أن جدنا الامام الهادي هو الذي عمر الحصون قبل ألف سنة وأن سلفنا الامام أقام في شبوه . فنحن متسلسلون في شبوه ، ومسكانها متعلقون بحكومتنا مع جملة اخوانهم بني جابر .

وفي سنة ١٩١٤ ابتدأت الحرب العامة وتحاربت انجلترا مع العثمانيين . ولم يبق للدولة العثمانية وجود في العالم . وأما تركيا الحاضرة فلم تصل الى اليمن ولم تعمل لليمن شيئاً فهل يمكن ، ياصاحب الجلالة ، أن تجيز القوانين الشرعية والمدنية العالمية الاعتداء على بلاد دولة مستقلة واغتصابها ؟ .

وهل يستطيع أي حي كان أن يرضى بتسليم أرض أجـداده التي حافظوا عليها الى هذا اليوم بدمائهم وجهودهم . فارجو من عدالتكم ، ياصاحب الجلالة ، أن تنظروا الى الأمر بعين العدل . ومعلوم جلالتكم أن عرشكم العالي وحكومتكم الجليلة عقدا برضائها وطلبهما معاهدة الوداد والصداقة مع اليمن .

وتصرح المادة الثالثة من هذه المعاهدة بانه لايجوز أن يتبدل أي حال بين عدن وبين اليمن الا بالاتفاق بين الطرفين ورضائهما وموافقتهما بالطرق الودية ، وأن تبقى الحالة التي كانت قائمة في تاريخ عقد المعاهدة نافذة المفعول فهل ، ياصاحب الجـلالة ، يرضى عدلـكم وهل ترضى القوانين الدوليـة والحقوق السياسيـة والانسانيـة بعد تلك المعاهدة والشروحات المذكورة الودية وبعد مرور ست سنوات من عهدها أن يعتدى على شيء من أرضنا وحقوقنا الطبيعية وهل يمكن موافقتكم على هذه الاعتداءات والتجاوزات ؛

واني بكامل احترامي وتعظيمي لذات جلالتكم المعظمة وبتمام تقديري لحكومة

جلالتكم السنية ولشعبكم المنصف الكريم أرجو من جلالتكم تحقيق وتدقيق هذه المعاملة واصدار أوامركم العادلة الى من يلزم بأن يتفضلوا باحترام حقوقنا وشعبنا بلا جرح قلوب أمتنا وبلا استحقار أصدقائكم اليمنيين الذين هم ثابتون حالاً ومستقبلاً فى صداقتكم ، وبأن لا يكون أى اجحاف بحقوق بلادنا ولا مخاصمة بين الدولتين المتضامنتين المتحابتين المتعاهدتين ان شاء الله

وتفضلوا يا صاحب الجلالة بقبول عواطف حسن نيتى وصداقتى وتقديراتى الخالصة الفائقة ؟ فى ١١ جماد الأول ١٣٥٨ ـ ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٩

فهل بمثل هذا الاستفزاز تريد الدول الديمقراطية أن تحصل على صداقة المسلمين والعرب .

ان الموقف الحالى يستدعى من العالم الاسلامى أشد الاهتمام وان الفرصة سانحة للمسلمين والعرب لو أرادوا أن ينتهزوا

وحضرات أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وبخاصة جلالة الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الاله الوصى على عرش العراق وجلالة الامام يحيي حميد الدين هم موضع الرجاء فى إفادة شعوبهم من مثل هذه الحوادث والله تبارك وتعالى سيسألهم عما استرعاهم وكل راع مسئول عن رعيته

ومن واجب الحكومات الاسلامية أن تتفق جميعا على خطة حازمة تعلن بها انجلترا وفرنسا فى اجماع وفى حزم وإصرار أن تبرم المعاهدة السورية على غرار معاهدة العراق وأن يكون بين انجلترا وفلسطين معاهدة تستقل بها الأرض المقدسة وتظل عربية مسلمة وأن يكفل استقلال الأوطان الاسلامية الحالية ولا يتعدى على أى جزء من أرضها

وأن يكون بين فرنسا وتونس والمغرب معاهدات سياسية كذلك تكفل لهذه الشعوب المسلمة العريقة أن تصل إلى استقلالها وحريتها فان وافقت الحكومات الديموقراطية على ذلك فهو الخير لها وللناس وإن أبت إلا الاصرار على هذا الموقف الظالم فليعمل المسلمون لأنفسهم وحسبهم ما فات

لقد بدأت العراق والحجاز العمل وقامت مفاوضات بين الحكومتين

الهاشمية والسعودية أغلب الظن أنها تناولت فيما تناولته هذه النواحي الحيوية المهمة الاسلامية ولكن كل ذلك لا يكفي فانا نريد أن يكون الصوت إجماعيا من الحكومات الاسلامية جمعاء أو من معظمها على الأقل وأن تكون الخطوات واضحة بينة والوسائل صريحة حازمة وفق الله العرب والمسلمين لما فيه خيرهم وسعادتهم .

حسن البنا

بين الشرق والغرب

أيها الغرب إن للشرق شأنا ... وعلى غابر الزمان العفاء

هب من نومه وكان خليقاً ... أن يجافي جفونه الاغفاء

تلك صحف التاريخ تشهد أنا ... خير نسل أقلت الغبراء

كم عمرنا الديار وهي خراب ... وملأنا القفار وهي خلاء

وركبنا البحار وهي طوام ... وألفنا الأسفار وهي عناء

يوم لا دق بالحديد تراب ... لا ولا شق بالبخار الماء

وملكنا بالسيف ملكا جساما ... لم يشد قبل ركنه بناء

أيها الشرق حدث الغرب عما ... أيقظت من سباتك الأرزاء

وإليك الأبصار من كل قطر ... شاخصات وللامور انتهاء

أتسام الهوان دون المنايا ؟ ... إنما الموت والهوان سواء

ليس دار الهوان للحر دارا ... إنما الحر داره الجوزاء

قد تلوت يا زمان علينا ... فحنانيك أيها الحرباء

قرع الدهر نابنا وقرعنا ... نحن والدهر لو درى أكفاء

من تفانى في المجد نال بقاء ... وطريق البقاء هذا الفناء

ولقد آن أن يلم شتات ... وتسوى أرض ويعلو بناء

« بتصرف »

محمد حبيب العبيدي

ما أحوجنا فى هـــذا الزمان

إلى هداية القرآن

(بقلم الاستاذ الكبير محمد أحمد جاد المولى بك كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف المصرية)

قد وضح للمنصفين من العلماء والباحثين أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا، ولم يتخذه لهوا ولعبا،

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » . « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق » . « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » . « أيحسب الانسان أن يترك سدى » : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون »

وسواء أريد بالعبادة ظاهرها أم معرفة الله كما ذهب ابن عباس رضى الله عنهما فالمعرفة لاتكون بدون عبادة والعبادة لاتكون بدون معرفة .

لذلك كانت حاجة الناس إلى الاهتداء بشريعة الذى فطرهم ضرورية وفوق حاجتهم إلى كل شيء . ، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب مثلا فأهل البدو كلهم . وأهل الكفور جميعهم وعامة بنى آدم لايحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبدانا وأقوى طباعا ممن هو متقيد بالطبيب من أهل المدن الجامعة .

ولقد فطر الله بنى آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم ، وجعل لكل قوم عادة وعرفا فى معالجة ما يهجم عليهم من الادواء حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت من عادات الناس وعرفهم وتجاربهم

أما الشريعة فقائمة على معرفة الانسان مواقع رضا الله وسخطه فى أعماله

الاختيارية ، ولا طريق لهذه المعرفة إلا الوحي المحض بخلاف الطب فمبناه على تعرف المنافع والمضار التي للبدن وعليه. وأساسها التجارب والاختبار وغاية مايقدر في جهل تلك المنافع والمضار موت البدن وتعطيل الروح عنه ، وأما مايقدر عند فقدان الشريعة ففساد النفس وتنكبها الصراط السوى وانغماسها في حمأة الرذائل مما يودى بها وبالمجتمع الذى تعيش فيه وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت .

فالناس أحوج ما يكونون إلى معرفة ماجاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه . وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر ، وتاريخ الامم الاسلامية أيام اعتصامها بحبل الدين وتهاونها به ، وما نراه فى الامم الغربية من الامراض الاجتماعية والخلقية المستعصية مع سبقها وعلو كعبها فى شئون المادة شاهد على ذلك

وما جاء به الرسول هو الكتاب الكريم والسنة الصحيحة وذلك هو الاسلام وهو دين الله وشريعته في جميع الامم منذ بدء الخلق حتى تقوم الساعة . وقد أخبر الله بذلك في غير موضع من القرآن « إن الدين عند الله الاسلام » فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » عام في كل زمان ومكان . فنوح وإبراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام . وهو عبادة الله وحده لاشريك له والاستسلام له ظاهرا وباطنا وعلم الاستسلام لمحمد كما تقدم من ذلك القرآن فدينهم كلهم واحد وإن تنوعت شرائعهم . قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »

وقال تعالى لنبيه ﷺ « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض »

ولقد جاء القرآن الكريم والسنة الصحيحة بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الإيمان الباطنة . ففى مسلم عن عمر رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي

[illegible]
أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان وتحج البيت ، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . والاحسان أن تعبد الله كأنك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

فمن لم يقم بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع أن يحصل له حقائق الايمان
الباطنة . ومن حصلت له حقائق الايمان الباطنة فلابد أن يحصل له حقائق
شرائع الاسلام الظاهرة . فان القلب ملك والأعضاء جنوده . ومتى استقام
الملك وصلح استقامت جنوده وصلحت . ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه
قال « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت
فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب »

وإن أصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله أجمعين ، وملاك ذلك الايمان
بخاتم الرسل ﷺ فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله .

وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به وذلك يستوجب
العذاب الأكبر . وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه لا يعذب أحداً إلا بعد
بلوغ الرسالة قال تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » « وما كان ربك
مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا »

فالقانون السماوي سبب السعادة ومن الخطأ الاعتياض عنه بالقانون الأرضي
الانساني الذي لا يخلو — وإن توافقت عليه الآراء — من أغلاط وأخطاء لاسيما
إذا كان ممن لا علم عندهم بمعاني كتاب الله وسنة نبيه الداعي إلى الله على
بصيرة .

حقا إن الاعتياض عن القانون السماوي بالقانون الأرضي من أعظم
أسباب المقت والحرمان وأكبر موجبات العقوبة والخذلان إذ هو
إتخاذ لدين الله هزوا ولهوا ولعبا وتبديل النعمة بنعمة الله والكفران
بالشكران . وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين

مشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ورسوله وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض وعنه إلى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التى لاتدخل تحت الحساب ولا تضبطها أقلام الكتاب قال تعالى « وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا »

« ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار »

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله »

« ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »

« ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم »

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

فإذا كان هذا حكم الباغين المحاربين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عربا وعجما مؤمنهم وكافرهم إلى قانون اخترعه هو أو غيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة الرسوله وحاربهما وحادهما وشاقهما بمخالفته أمرها ؟ بلى وربك فانه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله إلا العالمون

وقد وسم الله من خالف أحكامه وتبع غيرها فى أحكامه وأعماله بالظلم والكفر والفسق قال تعالى

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

« ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك

يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »

قال أهل التحقيق من المفسرين . الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله .

فالقرآن يدعو إلى تحكيم ما أنزل الله وعدم تحكيم ماعداه إما تصريحا وإما تلويحا وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله المتقين من لدن بعث سيدنا محمد ﷺ إلى يوم تقوم الساعة . فقد صح عنه أنه قال « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتى أمر الله » فبتحكيم ما أنزل الله يقوم العدل ويؤيد الملك ويستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل لهم الراحة والأمن والحرية التامة .

ومن شك فيما تقدم فلينظر الفرق بين حال الاسلام فى هذه القرون المتأخرة التى عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله فى القرون المتقدمة التى ما كانت على شىء أحفظ منها على أحكام الشريعة وأرعى لها فانه واجد الفرق كما بين الثرى والثريا . وكما بين الأرض والسماء

ألا ترى أن الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة نبيهم ﷺ فتحوا ما فتحوا من الأقاليم والمدائن ونشروا الاسلام والايمان والقرآن فى نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعددهم وضيق ذات يدهم . ونحن مع كثرة عددنا ووفرة عددنا وعظم ثروتنا لا نزداد إلا ضعفا وتقهقرا وذلا وحقارة فى عيون الأعداء وذلك لأن من ينصر الله يمكن له فى الأرض ويمده بنصر من عنده قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقد بين الذين ينصرون دينه بقوله تعالى : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

تطور الاسلام

لأديب غير معروف

كان نشاط الاسلام الغريب مدعاة دهشة لعقول البشر ، منذ تلك الأيام الممتدة فى الزمن ، التى حملت لواءه من فرنسا إلى الصين . ولكن هذه الشعلة الروحية المتقدة مالبثت أن أخذت تخمد على الأيام ، حتى ظهر الاسلام فى القرن الثامن عشر فى حال من الاحتضار . فأخذ العلماء يلتمسون المعرفة فى آفاق محدودة من الدين ـ لا كما نزل به القرآن وجاء به النبي ﷺ ، مشرقاً بالنور ، ممتداً إلى أبعد الحدود ـ بل كما فهموه ، هزيلا ضيقاً ، بل على أكثر مايكون عليه الدين من الهزال والضيق حين يبدأ فيسمح لظل آدمي أن يقوم بين العقل البشري والله . إن الاسلام ، دين الفكرة المتحرر ، الذى استطاع أن يطرد الخرافات الكهنوتية من البلدان التى استظلت بظله ، انتهى إلى أن يكون هو نفسه مثقلا بأنواع العبودية والخرافات .

فرض الاسلام على معتنقه أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد ، ونقل عن النبي ﷺ أنه قال « فضل العلم أفضل من العبادة » . ولكن هذا الفرض أهمل فى عصور انحلال الثقافة العربية إهمالا مخجلا اطرحت معه دراسة العلوم الطبيعية من زمان . فكان ذلك من أهم الأسباب لتأخر الاسلام فى العصر الأخير . قال المستعرب الفرنسى الشهير ، « كارادوفا » :

منذ أن خبت شعلة الثقافة العربية زمن الغزو العثماني . ومنذ أن أخذ الاسلام الأول تثقله ربقة « أرثوذكسية » متحرجة ، ونحن ننظر إلى عقل العرب الحديث كشيء يختلف عن عقولنا ، ونعتقد أن المسلمين ليسوا بقادرين على أن يفهموا فكرنا ويتمثلوه ، ناسين كلمة نبيهم الرائعة ، التى كانت مصدر الهدى لحضارتهم الأولى ، والتى تقول « فضل العلم أفضل من العبادة » ، إلى لانتساءل : أى رئيس ديني ، أو أى مبشر عظيم جرؤ فى يوم أن يتلفظ هذا الكلام الجسور ، الذي يكون « دستور الايمان » لعالمنا الثقافى اليوم ، فى حين

أن كلاما كهذا كان يعد — لزمن غير بعيد — كفراً عند الجمهرة الكبرى من العقول المثقفة . بل أستطيع أن أتساءل أي أوربي في عصر محمد استطاع أن يفكر بامكانية فظاعة كهذه ! . . وعلى هذه ، فأصح البديهيات عن حرية الفكر ، هذه البديهيات التي تدع وراءها أجرأ آراء « لوثر » و « كالفن » وأمثالها ، إنما فاه بها عربي من أهل القرن السابع ، هو مؤسس ذلك الدين الذي يزعم كثير منا أنه منحط انحطاطاً لا يرجى له علاج . وفي الحق ، ان تذوق العلم ، والتأملات الفكرية في شتى الميادين ، وان حب الفكر الاغريقي والاعجاب بمآثره ، وهذا الفضول الملح لمعرفة ماقي الطبيعة ، والرغبة الحادة في رفع النقاب عن هذه الطبيعة — كل أولئك كان يمثل المزايا الصحيحة للروح العربية . إن هؤلاء العرب العظام الذين فقناهم في الأربعة القرون الخالية ، كانوا الأساتذة الكبار للفكر الحديث قبل عصر النهضة » .

بيد أن العلماء الذين كان عليهم أن يرعوا تعاليم الاسلام الصحيحة مالبثوا مع الزمن ، أن وقفوا كل اهتمامهم على الفرعيات الصغرى من العبادات ، فكانت ، بذلك مفارقة خطرة لعمود الشرع الاول ، وكانت أن نشأت في البلدان الاسلامية رجعية متحرجة ، وتعصب مخالف لروح الاسلام ، وطغت على مراكز الثقافة العربية مدرسية متطرفة كالتي عرفت في القرون الوسطى ، تشوبها طائفة من الخرافات الفارغة . فمد الجهل رواقه على الطبقات الدنيا ، فرغبت عن كل تجديد وأصبح المجتمع الاسلامي فاسداً على الجملة .

إن روح الاسلام لا تعني — على أي حال — الاطمئنان إلى هذا الوضع الذي يسود العالم الاسلامي ، أو القناعة به . لأن الجبر (أي الاعتقاد بالقضاء والقدر على أنهما اجبار) لا يؤلف شيئاً من العقيدة الدينية . أما العامة ، فقد تملكتها بسبب الجهل والعبودية السياسية فيما بعد روح قناعة وتسليم تكفي لاحداث ركود عام فكان بذلك سبب رئيسي من الأسباب التي عاقت التقدم السياسي والاقتصادي للدول الاسلامية .

لقد تقدمت دول النصرانية في ميدان الحياة المادية ، كما تقدم المسلمون

زمان كانوا يخضعون لتعاليم الشرع التى نادت بحرية الفكر ، وحضت على طلب العلم ، ودرس ماخلق الله . لقد اطرح الأوروبيون الأصفاد الاكليركية والمدرسية الضيقة : فكان تقدمهم فى الحقل المادى مدعاة لدهشة . بقدرما كانت الفتوح — المادية والروحية — التى قام بها المسلمون الاولون .

وضعف آخر عانى منه الاسلام كثيراً فى تاريخه . هو تفرد الاوتوقراطية السياسية السيء . فان قيام الاوتوقراطية المستبدة على رأس الاسلام قد أضر به كثيراً فى الحقبة التى سبقت الحروب الصليبية بقليل . إذ كان جو الفساد الذى خلقته هذه الاوتوقراطية المستبدة عائقا لنمو الاسلام . فتفسخت الأمصار الاسلامية إلى وحدات يسيطر عليها طغاة منهمكون فى منازعاتهم وحروبهم التى يستغل فيها الدين ويسخر لأغراض غريبة عنه . فما طال الزمن حتى كان الشرق المسلم غارقا فى ظلام عميق ، ضيق من أفقه الثقافى . وانتهى به إلى عقم أدبى عام

وعامل هام آخر ساعد على تأخر المسلمين . هو نشوء شعور بالتسامى مزور قام على التبجح بالفتوح العظيمة . والتغنى بمآثر الاسلام فى العصور الأولى . وحمل المسلمين على أن ينظروا إلى المخترعات الحديثة التى ولدها العقل الغربى نظرة استحقار واستخفاف .

إن المسلمين فى عصور انحطاطهم لا يشبهون المسلمين الأول إلا قليلا . فلم يعملوا بما قضته شريعتهم . ولاعنوا بتتبع سنن نبيهم . لقد قطع المسلمون شوطا بعيداً فى الحقول العقلية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية أيام استمسكوا بأصول دينهم ونهجه . ولكنهم لما رغبوا عن حبلهم هـذا المتين . فقدوا روح البطولة . وأسقط فى يدهم . فأهملوا تثقيف أولادهم . كما أهملوا تثقيف بناتهم بخاصة . لقد باءوا بهذه الحضارة وهذه الثقافة التى بناها أسلافهم بتأثير القرآن . والتأسى الشريف بالنبى ﷺ . فمااستطاعوا الحاصونا . وضعفت روح التكافل وأخذ التفسخ يظهر واضحا .

وكان الغزو المغولى فى القرن الثالث عشر ضربة أخرى شديدة على الثقافة

الاسلامية إذ عطلت جيوش جنكيزخان أعظم مراكز العلم، وأودت بمعظم العلماء. كان كل ذلك فى يوم كانت فيه الحدود الشرقية للامبراطورية الاسلامية غير مصونة إلا قليلا. وهنا نلاحظ أن فرضا من فروض الشريعة قد نسى أو أهمل: هو الجهاد. فانتهى الأمر أخيراً إلى سقوط بقايا الامبراطورية الاسلامية فى أيدى دول الاستعمار الأوروبية.

لقد عاقت الحروب الصليبية نمو الاسلام. فى حين أن اكتشاف طريق الهند التجارية الشرقيـة. واكتشاف أميركا مع مادعا إليه من اتجاه التجارة العالمية ناحية الغرب الى جانب ازدهار الحركة الصناعية والمواصلات عبر المحيط كل ذلك كسف أخيراً عالم الاسلام. فما آذن الزمن بالقرن الثامن عشر. حتى كان العالم الاسلامى غارقا فى سبات بينا شهد القرن التاسع عشر سقوط الدول الاسلامية. الواحدة بعد الأخرى. فى قبضة الدول الغربية المغيرة.

ولـكن السبات والركود ليسا من مبادىء الاسلام: إن هما إلا نتيجة لاحداث سياسية واقتصادية. وهكذا أخذت تقوم فى ذلك الحين محاولات فى الاصلاح الدينى. أظهرت واضحا أن خلف الرماد حياة للاسلام صحيحة فذة. هذه الحركات الاصلاحية نشطت لاحياء مجد الاسلام الأول. وطمحت إلى إعادة الدين إلى شكله الصافى الخالص قبل أن تثقله المعتقدات الدخيلة والبدع المفسدة.

وكان ابن تيمية فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) العدو الأول لهذه البدع. ولكن أربعة قرون انصرمت قبل أن تؤتى آثاره أكلها يانعا. ففى القرن الثامن عشر تأثر محمد بن عبدالوهاب من أهل نجد. بدراسة مؤلفات ابن تيمية فحاول كما حاول أستاذه من قبله أن يرجع الاسلام حيويته الاولى وصفاءه الأول. وأن يجتث الرذائل. ويبطل البدع المخالفة لتعاليم الدين الفطرية مجرداً حملته فى سبيل هـذا الاصلاح الدينى حوالى سنة ١٧٤٠ بعد أن حز فى نفسه ما رآه من التفسخ الأخلاقى وذيوع الخرافات بين المسلمين. وفى سبيل هذا بشر محمد بن عبد الوهاب بالرجوع إلى مصدرى الاسلام الأولين. كتاب الله وسنة رسوله.

وقد عمل هـذا المصلح الطهرى . مؤسس الوهابية كل ما فى وسعه ليعيد للاسـلام بساطته الشديدة الأولى . فـكانت الحركة الوهابية فى الواقع بشير الانتعاش للاسلام الحديث . ولا نستطيع هنا . بداعى ضيق المجال أن نعرض بكلام مسهب لنمو هذه الحركة . إنما يكفى الذكر أنها نشأت فى جزيرة العرب فى ظل البيت السعودى وانتشرت فى نجد . ثم فى الحجاز زمنا قصيراً تقلصت عنه بعده إلى أن قام عبد العزيز بن سعود ببضع حملات ناجحات استعاد بها الحجاز وضرب بسلطانه على القسم الأعظم من بلاد العرب .

امتدت الحركة الوهابيـة إلى ما وراء الجزيرة . وعملت على إثارة حركات مشابهة . مستوحاة منها فى الهند وافريقيا وجزر الملاى . بل إن حركة السنوسى الشهيرة نفسها مدينة فى منشئها للايحاء الوهابى .

فى منتصف القرن التاسع عشر حمل السير سيد أحمد خان لواء حركة تحررية إصلاحية فى الهند . كان من ثمارها تأسيس جامعة إسلامية فى عليكره يتلقى فيها الطلاب إلى جانب التربية الدينية . ثقافة عصرية عميقة . ولقد اتجه السير سيد على فى المسائل الفقهية اتجاها حديثا محاولا أن يلائم بين حياة الشعوب الاسلامية وبين العصر الجديد وأن يؤلف بين الثقافة والتقاليد الاسلامية . وبين الآراء الحديثة والعلم الحديث .

وبعد وفاة السير سيد تعهد الحركة مولاى شيراغ على ومن بعده سيد أمير على الذى عبر عن آراء المجددين فى كتابه المعروف : « روح الاسلام » وتطورت الحركة من بعـده ، جامعة بين « العقلية » والتحرر ، وكان لها ممثلها فى شخص : « س خودا بخش » صاحب كتاب « رسائل هندية وإسلامية »

ويجب أن نذكر بصدد هذه الحركة العمل الذى قام به حكيم أجمل خان ، من دلهى ، إذ وقف نفسه على تدريب الطلبة المتأخرين من الجامعة فى عليكرة ، وبعثهم إلى الخارج مبشرين ، لينشروا بين شباب الطبقات المثقفة . ثقافة إسلامية حديثة مؤسسة قبل كل شىء على القرآن .

أما أعظم مصلح فى الهند الاسلامية غير مدافع فهو المرحوم السير محمد اقبال

الفيلسوف الشاعر الكبير ، الذي ألهمت آراؤه ومؤلفاته « مدرسة » من المفكرين الدينيين والسياسيين في الهند . ومن أبرز آثاره كتابه الممتع عن « تجديد التفكير الديني في الاسلام » الذي كان يريد فيه كما يقول ، ان يلبي ولو جزئيا هذه الرغبة الملحة في إيجاد شكل علمي للمعرفة الدينية عن تجديد طريق الفلسفة الدينية الاسلامية على أساس من تقاليد الاسلام والتطورات الأخيرة في مختلف ميادين المعرفة الانسانية . » ولكي نقدم فكرة صادقة عن قيمة مؤلف السير محمد إقبال هذا لانجد أفضل من أن نقتبس ههنا الفقرة التالية من مراجعة له بقلم عالم « غربي » ممتاز لما فيها من « إشارة » الى العلاقات الغربية الاسلامية :

« إن العالم الغربي لا يعرف السير محمد اقبال ـ اذا استثنينا طبقة من الخاصة صغيرة — المعرفة التي يستحقها . قد لا يكون محمد اقبال مؤرخاً ولكنه فيلسوف لاهوتي ديني من الطبقة الأولى بعقل مفكر جبار . ولذلك فهذه الحقيقة تكون بالنسبة الى الغرب بسبب [illegible] الاسلامية إغفال كما كان في شأن طاغور الشاعر الغامض وغاندي المفكر الغريب . إن من الجميل أن يكتشف الغرب مسلما مجدداً حقا هو في الأفق صنو لأعظم مفكري الغرب في كل ناحية .

كم يكون من المؤسف أن نسلب القارىء الغربي لذة الاكتشاف الشخصي بتقديمنا هذا الرجل اليه ملخصا . فليس هناك رجل في العالم المسيحي يحق أن يدعي عصريا — أو ما شئت من النعوت — اذ لم يكن قد « اكتشف » بعد محمد اقبال وليس هناك كتاب للسير محمد أجدر من هذا كأداة وصل في هذا التعرف » .

واذ انتقلنا الى تركية ، كان علينا أن نشير الى حركة اصلاحية سابقة لثورة سنة ١٩٠٨ ، قربت تركية الفتاة ، تنادي بالاخوة والمساواة بين رعايا السلطان جميعا . وكان أحد مقتدي زعمائها في جمعية الاتحاد والترقي المصلح والسياسي الأمير سعيد حليم باشا الذي كان يعتقد أن الاصلاح لا يكون في اقتباس ما هو غربي ، بل بالعودة الى الاسلام . وكان يعمل للأمر ضرورة إسلامية مستقلة ،

ويؤيد الخلافة فمل الكثرة المطلقة من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، مسترشداً بغايته الأولى وهى بناء الدولة الاسلامية الصحيحة على قواعد حديثة . ولكن مؤثرات مغايرة كل المغايرة لأهداف الأمير سعيد حليم باشا ما لبثت أن ذرت قرنها، فقامت فكرة الوحدة الطورانية . رامية إلى خلق ثقافة تركية قومية حديثة

بيد أن أبرز المصلحين في القرن التاسع عشر كان السيد جمال الدين الأفغانى الذى كان له الأثر الأعمق على الحركات الاصلاحية فى شتى الأقطار الاسلامية . ومصر بخاصة حيث قضى ثمانى سنوات (١٨٧١ — ١٨٧٩) وحيث تتلمذ عليه الشيخ محمد عبده . مفتى الديار المصرية الذى توفى سنة ١٩٠٥

لقد شملت أعمال هذا الرجل العظيم جميع أمصار الاسلام على التقريب . نخضعت أفغانستان وإيران وتركية ومصر والهند جميعاً . وفى فترات متباينة لأثره البعيد .

إن غاية جمال الدين القصوى كانت توحيد الشعوب الاسلامية فى ظل دولة إسلامية واحدة يمارس فيها الخليفة سلطة مطلقة كالتى كانت للخلفاء فى أيام الاسلام الغرر قبل أن تنهك من قواه الفتن والتفسخات . وقبل أن تغرق البلدان الاسلامية فى ظلام من الجهل والسكنة . فتصبح فريسة الاعتداء الغربى. كان يعتقد أن هذه الدول الاسلامية اذا تخلصت يوما من وباء الاستعمار الغربى والتدخلات الغربية . وجددت نظرتها الى الدين بحسب مقتضيات العصر ، استطاعت أن تخلق لنفسها أوضاعا جديدة باهرة دون تقليد للدول الغربية أو اعتماد عليها . وعنده أن الدين الاسلامى فى جوهره دين دنيا . وأنه قادر إلى أبعد حد لما له من قوة روحيه على أن يساير اختلاف أحوال الحياة . ويرى أن الثورات السياسية هى أسرع وأضمن سبيل يوفر الشعوب الاسلامية الحرية التى لا تستطيع هذه الشعوب أن تنظم أمورها الداخلية بدونها . وقد وصف مؤرخ مصرى احتكاك جمال الدين بالشئون المصرية بهذه الكلمات . « لقد

ولدت بنزول جمال الدين مصر حركة جديدة قالت بوجوب تحديد التدخل الاجنبي والحكم الاوتوقراطي . وحاولت تحضير عقول الشعب لانشاء نظام قومي متحرر كما بذلت جهود لاصلاح الحالة الاجتماعية للجماعات عن طريق تفسير جديد لتعاليم الدين التي أفسدت من روحها الخرافات والتقاليد والتفصيلات الفقهية في عصور الظلام

قادت هذه الحركة إلى يقظة صحيحة تظهرت في الاسلام الديني . كما ظهرت في البعث الثقافي والأدبي . وفي التطورات السياسية التي دلت على نمو في الروح القومي . لقد كان جمال الدين أعظم شارح لفكرة الجامعة الاسلامية .

وأخذت الحركة الاصلاحية والتجديدية في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر شكلا محدداً على يد الشيخ محمد عبده قاصدة إلى تحرير الاسلام من القيود التي كبله بها التقليد المتحجر . وإلى الاصلاح الذي يجعل هذا الدين قادراً على مسايرة الحياة المصرية . وهكذا نشر محمد عبده في مصر روح أستاذه جمال الدين ومثله العليا . وعمرت هذه الحركة في مصر إلى وقتنا الحاضر تاركة آثارها في شتى الميادين كما لاقت آراء الشيخ محمد عبده أذنا صاغية بين الطبقات المثقفة في مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية فتقبلوها بقبول حسن .

وكان السيد محمد رشيد رضا السوري الأصل . مقدم تلاميذ الشيخ محمد عبده . فلما قبض الشيخ الامام ظل رشيد رضا الأمين على رسالته . والشارح لتعاليمه . وهو مؤسس مجلة « المنار » المشهورة التي أصبحت بعد لسان الدعوة لآراء الشيخ محمد عبده . ومعقل الكفاح لتحقيق إصلاحاته . وهناك مدرسة ثانية من المجددين تأثرت بعيداً بحركة الشيخ محمد عبده بين رجالها أمثال قاسم أمين وفريد وجدي وعلي عبد الرزاق (مؤلف كتاب «الاسلام وأصول الحكم» وغيرهم من كبار الرجال .

وانا لنلمس آثار جمال الدين الافغاني في الأجزاء القاصية من العالم الاسلامي . كروسيا مثلا حيث هب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مصلح مشهور هو اسماعيل جاسبرنسكي محرر جريدة « ترجمان » الصادرة في

من بلاد القرم ، والذى دعا إلى عقد مؤتمر اسلامى عالمى لبحث المسائل المتعلقة بالحركة الاصلاحية الاسلامية .

إذا نظرنا إلى الحال اليوم ، رأينا الاسلام يواجه إزمة اختلف فى تأويلها المفكرون المسلمون والغربيون . قال السير محمد إقبال :

« إن الملاحظ السطحى للعالم الاسلامى الحديث هو وحده الذى يعتقد أن الأزمة الحالية فى هذا العالم الاسلامى إنما ترجع إلى أيدى القوى الأجنبية .

« إن مسألة ما اذا كان الفرد مسلما ، هى من وجهة النظر الاسلامية مسألة شرعية صرفة يحكم فيها على أساس المبادىء الرئيسية للاسلام . وما دام الفرد مؤمنا بالمبدئين الرئيسيين : وحدانية الله ورسالة نبيه فلا يستطيع أحد حتى أكثر المتزمتين تحرجا أن يخرجه من حظيرة الاسلام على الرغم من فهمه للشريعة أو لنص القرآن فهما يعتقد فيه الخطأ . لقد عانى الاسلام جموداً كبيراً وآن للمسلمين أن ينظروا إلى الحقائق . ان المادية سلاح خطير ضد الدين ولكنه ناجح مستحب إذا جرد على الطرق المتزمتة والطرق الصوفية التى تشعوذ على الرعاع مستغلة جهلهم وسرعة تصديقهم . أن روح الاسلام لاتخشى شيئاً من احتكاكها بالمادة . وفى الحق إن القرآن يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا »

« إن من الصعب على غير المسلم ـ إذا اعتبرنا تاريخ العالم الاسلامى خلال القرون الأخيرة ـ أن يدرك أن التقدم فى النظرة المادية لا يبدو أن يكون ضربا من تحقيق الذاتية . »

ومن ناحية أخرى نجد روم لاندو يصف تأثراته حيال الروح الحية التى تسرى فى مصر اليوم :

« انمصر الحديثة تقتبس اليوم عن أوروبا بسرعة تواقة طامحة إلى أن تلحق بالغرب فى مظاهر المدنية الحديثة . وترى فى الوقت عينه وعند الشباب بخاصة ، قومية متطرفة تتخذ فى بعض الأحيان شكل العداء لكل ما هوأجنبى . ومهما كان هذا النوع من القومية داعيا الى الأسف فذلك شىء طبيعى عند شعب حاد

الزاخ يطمح أن يرى بلاده مستقلة بعد مئات السنوات من السيطرة الأجنبية .

« ان معضلة الطالب المصرى تكاد تكون عين معضلة الروح المصرية الحديثة كلاهما يجتاز الآن مرحلة انتقال وفى كليهما اللهفة والنزق وغرور الشباب وحساسيته إن العناصر الروحية والمادية والدينية والقومية تختلط جميعاً الى درجة لا يرجى معها حل المعضلة عن طريق نوع بعينه من هذه الاصلاحات . ورجال السياسة المصرية لم يعتمدوا فى يوم على معاونة زعماء الدين والفكر معاونة فعالة اعتمادهم فى يومنا هذا لأنه ليس من ناقد نزيه يعتقد أن معضلة الشباب المصرى يمكن حلها دون اصلاح روحى عميق يشمل تأثيره الشبان ويعدوهم الى الزعماء والسياسيين . »

فاذا عرفنا أن التطور فى البلدان الاسلامية كان دائما على أساس الدين (ولا يمكن أن يكون إلا كذلك) اتضح أن إصلاحا روحيا كالذى يتكلم عليه روم لاندو لايتوفر إلا عن طريق تثقيف شباب الاسلام تثقيفا دينيا صحيحا

إن نشوة القومية فى البلدان الاسلامية يجب أن ينظر اليه « كرد فعل » دفاعى ضد الاستيلاء الغربى وكنتيجة للاعتقاد بأن التحرر الكامل من الغرب ـ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ـ شرط أساسى لنهوض الاسلام . وهكذا كان من الطبيعى للاقطار الاسلامية فى هذا الدور من نشوئها أن ترى فى القومية مصدر قوة وسلطان . ومهما كان فان هذا المظهر الانتقالى من القومية لابد أن يفسح المجال يوما لضرب من « جامعة أمم » اسلامية مؤسسة البنيان على قواعد روحية . ان المسلمين لا يستطيعون أن يفرطوا بتراث ثقافتهم الروحية العظيمة لمجرد تقليد القومية الأجنبية فى مظهرها الحالى . فالنتائج المضرة لهذا النوع المتطرف من القومية أوضح من أن تؤكد .

بيد أن بلدان الاسلام بالرغم من هذه القومية التى تطغى عليها تظل فى الحق أكثر تجانسا وأبعد وحدة ثقافية من دول أوروبا ففى شطر كبير من العالم الاسلامى أعنى فى الشرق العربى . تسود لغة واحدة للتخاطب والكتابة ذات تراث أدبى وفلسفى غنى جدا . ويستطيع أن يدرسها بسهولة المثقفون فى العالم

الاسلامي كله تلك هي اللغة العربية اللغة المشتركة لستين أو سبعين مليونا من الناس من مراكش إلى الخليج الفارسي وهي تحتل اليوم في الأهمية المرتبة الرابعة بين لغات العالم كما أنها اللغة الدينية للعالم الاسلامي قاطبة — على حين أن اللاتينية — وقد كانت في العصور الوسطى لغة مشتركة بين العلماء الأوروبيين لم تعد منذ زمان واسطة التعبير . وليس بين اللغات الحية واحدة لها حظ في أن تصبح اللغة المشتركة أوفي أوروبا . بيد أننا لا يجب أن ننسى أن الدعاية القومية مع تأكيدها على الفروقات اللغوية تجعل هذا التطور بعيد الاحتمال في الوقت الحاضر

أما الفروق في النواحي الأخرى . أعني في نسيج المجتمع والمثل العليا السياسية . فالفروق بين مختلف أجزاء أوروبا أكبر بكثير منها بين مختلف أجزاء العالم الاسلامي . فالعالم الاسلامي أقرب إلى أن يكون وحدة وبخاصة في مزاياه الاجتماعية والثقافية ومؤسساته من أوروبا كلها .

إن من الخطأ أن نزعم أن المثقفين من المسلمين ، والطبقات الرفيعة في المجتمع الاسلامي قد أخذت في الابتعاد عن الدين أو عدم الاكتراث به ، بداعي الاقبال على الحضارة الأوروبية والنسج على منوالها . بل أننا لا يمكننا أن نذكر دليلا واحداً يؤيد العكس ، وذلك في مصر حيث تزدهر حركة عظيمة للاحياء الديني إلى جانب حركة اقتباس الحضارة الغربية فمجلة « الرسالة » وهي مظهر التقدم للفكر العربي الحديث والثقافة العربية الحديثة . تنشر في كل عام عدداً خاصا بذكرى العام الهجري الجديد يعده زعماء الفكر . ومنهم رجال المدرسة الجديدة بمقالات في الموضوعات الاسلامية . تظهر بوضوح روح احترامهم لشخص النبي وللقرآن . وهكذا فالتوفيق الظاهر بين الحركة الاصلاحية الدينية وبين النظريات القومية . هذا التوفيق الذي يكون اليوم عاملا قويا في نهوض الأقطار الاسلامية . يجب أن ينظر إليه — كما لمحنا — كظاهرة زائلة لا تتعارض مع النزعة إلى إحياء ديني خالص . وفي الحق أن في العالم الاسلامي اليوم جهوداً فردية تحاول أن تنظر إلى الدين نظراً صحيحاً . ولكن أصحاب هذه الجهود جميعاً يدركون ضرورة الاخلاص للقرآن والحديث . وليس هناك مسألة إصلاح

ديني على أساس مذاهب أو « كنائس » مستقلة كما كان الحال فى الغرب لأنه ليس فى الاسلام مكان لعقيدة « الكنيسة » هذه. إن الاسلام اليوم وغداً لن يقف فى وجه التطور الاسلامي فحسب بل سيكون هو ملهم هذا التطور وبكلمة ثانية . فان الصبغة الدينية تطبع التطورات السياسية والثقافية والاجتماعية كلها . إن الرابط الدينى . وهو أعمق ما يشد بين الشعوب الاسلامية على رغم الفروقات العنصرية واللغوية سيظل الأساس لتطور البلدان الاسلامية الاجتماعى . وهكذا تزداد المعتقدات الدينيـة قوة على قوة لدى الأفراد . ولدى الأمة كمجموع .

« المحرر » ننشر هـذا المقال وندع للكاتب رأيه الخاص فى الأشخاص والحوادث التى ورد ذكرها فيه ولكنا نستخلص منه هذه الحقائق التى نريد أن ينعم النظر فيها دعاة النهوض والاصلاح .

«١» إن المسلمين الآن قد خالفوا تعاليم الاسلام الصحيحة

«٢» إنهم بذلك ليسوا على نهج أسلافهم

«٣» إن طبيعة الاسلام تأبى السبات والركود فلا يأس من الاصلاح

«٤» إن فكرة القوميات فى بلاد الاسلام أنى كانت رد فعل للتعصب الأجنبي

«٥» إن التطور فى البلاد الاسلامية كان دائماً على أساس من الدين (ولا يكون إلا كذلك)

(٦) إن الاتجاه الدينى اليوم قوى حتى بين من تثقفوا ثقافة أوربية بحتة

«٧» ان الرابط الدينى سيظل دائماً هو الأساس والملهم للنهضـة الحديثة

نقلا عن مجلة (الايمان) البيروتية

من خطبة لمستر ماكدونالد وزير المستعمرات الانجليزية

« إن العالم الاسلامى دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الاسلامى العظيم من قوة مضافا إلى التعاليم الحديثة إن تطوراً جديداً قد طرأ على العالم الاسلامى وهو تطور يجب أن نحسب له حسابا دقيقاً »

صاحب المنار

السيد محمد رشيد رضا

(إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) سورة يس

مات السيد رشيد رضا ، فمات بموته المنار ، ونعاه الناعون مع نعيه ، وأبنه المؤبنون في حفلة تأبينه ، واقترن الأسى على حرمان المسلمين من المنار ، بالأسى على منشيء المنار ، وقد مضى أربع سنين خفت فيها ذلك الصوت المدوي الذي كان يملأ طباق الأرض ، وخبا النور الذي كان يشع في الشرق والغرب ، أربع سنين عسعس ليلها ، وحار دليلها ، ومل حداؤها ، حتى إذا استيئس الركب ، وظنوا أنهم قد أحيط بهم ، لمع لهم نور (المنار) من مشرق جديد ، يبدد الظلم ، ويكشف الغمم ، ويشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم .

ولقد طالما قال القائلون ، إن أعمال المسلمين يقضى عليها بالفشل : تموت بموت أصحابها فلا تحس لها وجودا ، ولا تسمع لها ركزا ، مات (المؤيد) بموت الشيخ على يوسف ، ومات أمين الرافعي فمات (الأخبار) بموته ، ومات السيد رشيد فودع المنار يوم وداعه ومات صاحب (الأهرام) فهل أثر موته في انتشار الأهرام ؟ ومات جورجي زيدان منشيء (الهلال) فلم يحل موته دون ذيوعه واطراد نموه ، ومات الدكتور صروف أحد أصحاب المقطم والمقتطف فلم يفت الوهن في عضد شريكه ، وظل في مده وفرانه .

ألا فليطمئن هؤلاء بالا ، فقد شذت القاعدة ، وانخرقت العادة ، وانبعث (المنار) من مرقده ، وعاد إلى الظهور وضاح المحيا باسم الثغر ، يستأنف جهاده ، ويتمم رسالته ، ويحتضنه جماعة الاخوان المسلمين ، المبثين في العالم الاسلامي ، بحرارة إيمانهم ، ودافع غيرتهم ، متكئين على ماضي (المنار) المجيد

وجمته القرآء مترسمين خطا منشئه العظيم فى إخلاصه وبلائه ، وصبره وأناته ، مغترفين من فيض حكمته ، مقتبسين من أنوار معارفه . فلقد كان — رحمة الله عليه — أمة وحده وكان حجة من حجج الله على عباده حتى لقد أتعب من بعده ، وظل الفراغ شاغرا فلم نجد من يسد مسده ، وأحجم كل من تقدمنا إليهم فى المعاونة عن استمرار (المنار) معتذرين بعظم المسئولية وعدم استكمال الأدوات ، يستوى فى ذلك علماء مصر الأعلام ، وغيرهم من علماء الاسلام وأذكر هنا كلمة المرحوم الشيخ حسين والى من كبار الأزهر المشهورين التى قالها لنا أيام المأتم ونحن نتذاكر الأمر : إيتونى برجل اجتمع فيه علم السيد رشيد وصلاحه ، وإخلاصه ، وصبره، وثقة العالم الاسلامى به ، وأنا أضمن لكم إستمرار (المنار) وقال نحو ذلك الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار وكان الذين يتمنون هذه الأمنية ، إنما قصارى أمنيتهم أن يكون المنار الجديد صدى للمنار القديم ، حتى لا يترك ذلك الصوت أهل وحي ، ولا تخلو الأرض من قائم لله بحجة .

ولاشك أن المؤمنين سيفرحون بنصر الفكرة ، وتحقيق الأمنية ، وسيتقبلون المنار بقبول حسن ، وسيرحبون بمبادىء الاسلام الصحيحة ، قبل أن تتناولها أيدى التحريف ، وتلعب بها رياح التضليل ، وسيحملهم ذلك الحرص على الرجوع الى مجلدات المنار القديمة ، بل الرياض النضيرة ، يتفيئون ظلالها ، ويقطفون ثمرها وإزهارها الدانى ، وإنه لمستساغ فى آلائها

ولما كان المنار الجديد سيعرف قراء جديدين ، وستتناوله أيد جديدة ، وسينضم له أعضاء جدد ، كان من المستحسن أن نقدم لهم ترجمة مختصرة عن صاحب المنار : نشأته وإصلاحه وآثاره وسائر ما يتصل بذلك ، لتكون نورا بين يدى القراء ، على اللقاء

عبد السميع البطل

فلسفة النفاق

المنافقون فى فلسطين وحكمهم

بقلم أحد علماء الأزهر الفضلاء

« بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فإن العزة لله جميعا » سورة النساء

تنادى الناس فى فلسطين إلى الدفاع عن أنفسهم و لذود عن بلادهم والجهاد فى سبيل الله . فنفر فريق بنفسه ، وأعان فريق بماله ، وساهم فريق بجهده ، وقعد المخلفون .

والمخلفون عن الأمة فى كل زمان هم المنافقون فيها ، يتخلفون عن جماعتها ، ويخرجون على أمرها ، ويقعدون عن نصرتها ، ويعملون على خذلانها . ويتولون أعداءها . ذلك أن الإيمان لم يدخل قلوبهم . والاخلاص لا يجد سبيلا إلى نفوسهم . والخير بعيد عنهم . والشر قريب منهم . فهم أعداء الله والناس وأعداء أنفسهم لو كانوا يعلمون . ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾

هؤلاء المخلفون المنافقون هم الثلمة التى ينفذ منها أعداء الأمة فى صفوفها المتراصة ، يبصرون منها عوراتها . ويستطلعون أخبارها ويستكشفون أسرارها ، وينفذون منها إلى معاقلها الحصينة وحصونها الأمينة ، و هم مطايا الاستعباد ، ونذر السوء ، وأبواق الشر ، وعون العدو ينال بهم ما لا يقدر على نيله بقضه وقضيضه وعدته وعديده

لقد هب الناس جميعا فى فلسطين لدفع كارثة التهويد والاستعمار عن بلادهم

ورفع الظلم النازل بهم ، ونفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولم يبق منهم من لم يساهم في هذا السبيل بنصيب كثير أو قليل ، إلا أولئك المتخلفون الخائنون الذين طبع الله على قلوبهم ، واستحوذ الشيطان على عقولهم، فانحازوا إلى العدو ، وقعدوا عن نصرة بلادهم ، وفرحوا بقعودهم وراء العاملين المجاهدين من أمتهم ، يتربصون بهم الدوائر ، ويترقبون بهم النوائب ، وإن تمسسهم حسنة تسؤهم وإن تصبهم سيئة يفرحوا بها ، تقر أعينهم بما تفيض له أعين الناس بالدمع ، وتمر أنفسهم بما تذهب أنفس المؤمنين عليه حسرات ، يرون وقد أعمى الله بصائرهم ، وأمات الفسق ضمائرهم في ضعف أمتهم قوتهم، وفي ذلها عزهم . فهم دوما يسلكون سبيلا غير سبيلها ، وهم أبداً يعملون مع عدوها

هذا هو حال أولئك المختلفين المدفونين في فلسطين اليوم ، وكذلك حالهم في كل زمان . وكذلك يكونون في كل أمة : يدخلون في عدادها وهم أعداؤها ، وينتمون اليها وليسوا منها . وكما في الحيوان والنبات طفيليات تماثل جسمه وتلصق به فتأكل غذاءه وتتنفس هواءه وتترحه في معايشه وتعوق نموه فيؤدي ذلك إلى ضعفه فنائه

كذلك في البشر طفيليون هم هؤلاء المنافقون ، يعملون في الانسان عمل ذلك الحيوان والنبات ، حذوك النعل بالنعل

وكما يعمد صاحب البستان في تعهد نباته إلى المبادرة بإزالة هذه الطفيليات عنه والمسارعة في إفنائها استبقاء له وحفظاً لثمره ، كذلك يفعل الناس بالمنافقين الخائنين منهم يعمدون إلى إزالتهم ويعملون على إبادتهم كيما يحفظوا أممهم ، وتسلم لهم نفوسهم وجهودهم

ولئن كان الناس منذ القديم يرون في أعمال هؤلاء أعظم الضرر وأسوأ الجريمة ، ويعدون فعلتهم خيانة عظمى لا تعدلها أية خيانة ويجعلون جزاءها الموت . فكذلك كان حكم الله عليهم ، وكذلك كان قوله فيهم إذ يخاطب رسوله بشأنهم فيقول ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين . أينما ثقفوا أخذوا

وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .
فالله سبحانه حين ينذر هؤلاء بإغراء رسوله بهم ، وبإخراجهم من البلاد فلا يجاورونه فيها ولعنهم وطردهم من رحمته ، فهو يطالب بتعقبهم داخل البلد وخارجها وأخذهم أينما وجدوا وأن يقتلوا تقتيلا . ذلك أنهم حيث ما كانوا لا يدخرون وسعاً فى أذية أمتهم والكيد لقومهم وموالاة أعدائهم .

وتلك سنة الله فى الخائنين من خلقه من قبل ومن بعد ، وذلك حكمه فى كل زمان على المنافقين ، وعلى الذين فى قلوبهم مرض من فجور وفسق يصدهم عن رضاء الله وصالح قومهم حباً لذاتهم واتباعاً لشهواتهم ، وذلك حكمه أيضا على الذين يرجفون حول المؤمنين فيشيعون أخباراً سيئة عنهم ويقومون بالدعايات المضللة ضدهم لإضعاف شأنهم وتوهين قواهم وتثبيط عزائمهم كما يفعل الخائنون المنافقون فى فلسطين اليوم .

وما أشبه حال المنافقين اليوم حين أدلى كبيرهم بحديث لبعض الصحف المصرية يقول فيه « لو كنا نعلم أن هذه الثورة تقوم ضد الانكليز واليهود لساهمنا فيها ولكنها تقوم ضد العرب أنفسهم » . ما أشبه ذلك بحال المنافقين فى عهد رسول الله فيهم ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾

بل ما أشبه هؤلاء الخائنين فى فلسطين إذ تخلفوا عن المؤمنين فى قتالهم وجهادهم وقعدوا من ورائهم يعوقون الناس عن الجهاد بشتى الوسائل ويخوفونهم بأس العدو وقوته ـ ما أشبههم بأسلافهم المنافقين الأولين الذين يقول الله فيهم حين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله والمؤمنين ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ إلى أن يقول تعالى فى الحكم عليهم ﴿ ولا

لاتصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾

وكما أصدر أحد أئمة النفاق بيانا أسماه الناس « الورقة الصفراء » لما فيه من صفرة الخيانة . تودد فيه إلى اليهود وتغنى بمحاسنهم ورحب بهم أن يكونوا أصحاب البلاد فى حين يريد المؤمنون إخراجهم منها . ومناهم بانتصار حزبه حزب الشيطان لهم . وأغراهم بأن يكون عونهم ليشبع جشعه من أموالهم . فكذلك قال أسلافه المنافقون لليهود السالفين حين عمل المؤمنون على إخراجهم من المدينة وكذلك وعدوهم ومنوهم فقال الله فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً . وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لايخرجون معهم . ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ﴾

ذلكم بعض مايقوم به فى فلسطين المنافقون الخائنون الذين يتولى زعمائهم بأنفسهم أكبر أعمال الخيانة لقومهم والتجسس للعدو عليهم والاغراء بالمجاهدين العاملين . والدلالة على معاقلهم ومواطنهم والارشاد إلى أماكن أسلحتهم وذخيرتهم . والمساعدة على قتلهم وتعذيبهم مع أولادهم ونسائهم وهدم مساكنهم وإتلاف مؤنهم وأموالهم كما صنعوا فى قرى بيت لجار وكفر مالك وحلحول والمزرعة الشرقية وبيت ريما وغيرها من القرى والمدن العربية يبتغون بذلك العزة عند العدو ويطلبون الرفعة لديه « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا»

إن مايقوم به هؤلاء المنافقون من فساد فى الارض وحرب لله ورسوله فليأذنوا أذن بحرب من الله والمؤمنين « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب أليم »

ذلك حكم الله على المنافقين المخلفين الخائنين وذلك قوله فيهم ومن أصدق من الله قولا ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

فليحذر المؤمنون فى فلسطين هؤلاء المنافقين ولينفذا حكم الله فيهم . من غير أن تأخذهم بهم رأفة أو تعصمهم منهم صلة وقربى « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز . لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »

كلمة الاستاذ الامام فى المنار

وقد شكا المغفور له صاحبه

من قلة الاقبال عليه

الناس فى عماية عن النافع ، وفى انكباب على الضار ، فلا تعجب إذا لم يشرعوا بالاشتراك فى المنار ، فإن الرغبة فى المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر بما هو أصلح للآجل وأعونه على الخلاص من شر المصاير ، ولا يزال ذلك الميل فى الأغنياء قليلا والفقراء لا يستطيعون إلى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الأمل فى نجاح العمل .

المنار والاصلاح

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي

كانت مجلة المنار مجلة إصلاح اسلامي لا يجاريها في مضمارها مجار ولا يسبقها في حلبتها سابق كانت تعنى بتفسير القرآن الكريم وشرحه من السنة المحمدية على طريقة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله فهي تقرر المعنى تقريرا في الآيات من العبر مقارنة بين ما كان عليه المسلمون الأولون وتمسكهم بالقرآن وعملهم به وما عليه مسلمو هذا الزمان مهيبة بهم منذرة لهم مبينة ما يحدثه المبتدعون في الدين من البدع مجلية شبه الضلال والملحدين من الأمة بالأدلة الواضحة والحجج الساطعة وكان صاحبها أستاذنا العلامة السيد رشيد رحمه الله لا يخشى في الحق لومة لائم ولا سطوة حاكم ولا يجامل صديقا ولا يصانع عدوا ولا يرعى غنيا لغناه ولا فقيرا لفقره وكانت خاتمته الحسنى ما لهج الخاص والعام بها انتهى إليه تفسيره (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) يالها من خاتمة حسنى وموقف جميل لم يكن إلا بتوفيق من الله لعبد رضي الله عنه وتولاه وأدخله في عباده الصالحين وأوليائه ولما توفي السيد رحمه الله قلت وقال الناس معي:

شمس أظلت وشمس توارت وكأن الحياة لم سرب

ووقف المنار وتوارى عن الظهور وخلا الكرسي ولم نجد من يخلفه بعده ولا من يسد مسده ذبا عن الاسلام ودرءا للشبهات وبيانا لحقيقة الاسلام حتى مضت ثلاث سنين أو أكثر ونحن ندعو الله أن يهب الاسلام مرشدا رشيدا يضيء النهج وليل الجهالات قاتم وكأن الله سمع دعاءنا فقيض لمجلة المنار من يبعثها بعثا جديدا مصقعا إذا خطب مدرها إذا كتب ذكي الفؤاد قادرا على حمل الاعباء

عالما ألميا وشجاعا عبقريا ذلك هو الأستاذ المرشد الجليل الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين حفظه الله فنهنئه بهذا التوفيق ونهنئ مجلة المنار وقراءها بتولي حضرته رياسة تحريرها ونسأل الله له التوفيق والسداد والعون على القيام بها

وقد انتدبني حضرته للكتابة فيها بحسن ظنه وما كنت لأجيبه لولا أشغال كثيرة وأعمال متواصلة تستنفذ الوقت كله ولكن لابد من تلبية الطلب كلما وجدت الى ذلك سبيلا بحول الله وقوته وإن كنت مزجى البضاعة عاجز البراعة والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولا قوة إلا بالله

وسيكون موضوع كتابتي ان شاء الله الكتاب والسنة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وكتبه أبو السمح

لماذا تأخر المسلمون

ولماذا تقدم غيرهم ؟

هذا سؤال طالما ردده المصلحون وكثر ما حاولوا في الاجابة عنه . وعظمت دهشتهم حين رأوا المسلمين ينحدرون إلى هوة الضعف والاستكانة مع كثرة عددهم وخصب أرضهم وتعدد وسائل النجاح عندهم .

وقد أجاب على هذا السؤال عطوفة الأمير شكيب أرسلان في كتابه « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » إجابة شافية جامعة مانعة وأبان بأنصع برهان وأقوى دليل أسباب نجاح المسلمين الاولين وفشل المسلمين الآخرين وكشف عن سر تقدم الغربيين واليابانيين . والكتاب في بابه حجة دامغة وصفحة مجيدة وليس لمسلم غناء عنه . فنشكر لعطوفة الأمير عمله العظيم ونحض جميع المسلمين على قراءة كتابه النافع وهو يباع بمكتبة الحلبي بجوار المشهد الحسيني وثمنه خمسة قروش

اتجاه محمود فى الشرق العربي

بقلم الاستاذ عيسى عبده المدرس بمدارس التجارة المصرية

وعضو بعثة المعارف بمنشستر

أرى فى أيامنا هذه اتجاهاً طيباً يتخذه بعض إخواننا فى مصر وغيرها من البلاد العربية . وسيلتهم فيه البحث العلمى المستنير وغايتهم خدمة السواد من أممنا العربية . وهذا السواد هو من غير شك أولى الناس بجهودنا نبذلها فى سبيل التخفيف عنهم اليوم وإسعاد أبنائهم فى الغد القريب — على أننا لا نزال فى أول الطريق . فقد بدأنا بدراسة شئون العامة دراسة تمهد للاصلاح المرتجى، من ذلك ما يقوم به الأستاذ عمار بجامعة منشستر والدكتور الشافعى بجامعة فؤاد بالقاهرة والبروفسور تود بجامعة بيروت والمستر بتلر رئيس المكتب الدولى للعمل بجنيف . وكلهم تناول شئوناً شرقية أو مصرية بحتة . ولكن الناظر فى الشئون الشرقية والعربية من نواحيها الاجتماعية يجد ظواهر مشتركة بين الأقطار جميعاً . وهذا أمر طبيعى فى بلاد جمع بينها منذ ثلاثة عشر قرناً أو تزيد وشائج لا تهن ولا تضعف أساسها وحدة الدين واللغة وبعض آثارها هذا الذى نرى من وحدة الألم والأمل — فمن وصف بعض هذه الأقطار فقد عرف عن بعض ما دام وصفه يتصل بالنظم الاجتماعية :

وحديث اليوم يتناول فريقاً كبيراً من سكان مصر ولى منه غرضان :

أولها أن يكون دعوة إلى الشباب المثقف فى الأقطار العربية كافة أن يقوم بعض القادرين منهم بمثل البحوث التى قام بها الغرب من زمن والتى بدأتها مصر مؤخراً .

وثانى الغرضين أن أبين ما ينتظر منا نحن المتعلمين من مساهمة فى حركة الاصلاح .

حين درست أحوال العمال منذ عامين تقريبا تكشفت أمور قد تغيب عن بعضنا وقد يتجاهلها بعض آخر سأذكر بعضها تزكية للدعوة التى أوجهها إلى كل عربى فالحال فى بلادنا كما قدمت واحدة .

طبقة الأجراء فى مصر تشمل العامل الصناعى والعامل الزراعى ومن عداهما من الأجراء . وتكون الغالبية العظمى من الشعب . ولئن كانت البيانات التى اعتمدنا عليها فى كلمتنا هذه قد جمعت من نحو (٨٠٠) ثمانى مائة أسرة من أسر العمال المقيمين فى القاهرة فانها تعين على تكوين صورة صحيحة عن حال الأجير بوجه عام مع تحفظ واحد هو أنها أشبه بالحال فى المدائن دون القرى . فاذا أردنا أن نرى خلالها بيت العامل الزراعى وعيشه وجب أن نزيد من ألوانها القاتمة

حياة العامل

يبدأ الكثير من العمال فى سن مبكرة هى الخامسة عشرة . هذا إذا تجاوزنا عما هو سائد فى القرى من استغلال لأحداث فى أعمال لا تتطلب جهداً كبيراً ولكنها رغم بساطتها تعوق نموهم وتفوت عليهم فرصة تحصيل المبادىء الأولية التى لاغنى عنها لأبسط طبقات الشعب . على أن هذه الحال تتبدل اليوم إلى ماهو خير منها فلنتركها جانبا ولنحصر القول فيمن تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر عاما وستين عاما . هؤلاء موزعون كما يلى :

نسبة من لاتبلغ أعمارهم ٢٠ عاما . من العمال ٨ فى المائة ومن السكان ١٦ فى المائة

ونسبة من لاتتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٣٩ : من العمال ٢١ فى المائة ومن السكان ٥٦ فى المائة

ومن تتراوح » بين ٤٠ و ٤٩ : » ١٦ » » ١٨ فى المائة

ومن » » بين ٥٠ و ٥٩ : » » » » ١٠ فى المائة

أما الذين يتخطون الستين من بين العمال فلا يزيدون على اثنين من كل ألف. ونظيرهم من السكان خمسة من كل ألف : ولقد حسبت هذه النسب على عدد الذكور دون الاناث فما يزال العرف فى مصر والشرق يجرى على أن كسب

الجيش من وظائف الرجال .

ولبعض هذه الأرقام دلالة قوية جدا . فنسبة الشباب الذى تتراوح سنه بين العشرين والأربعين والذى يستأثر به العمل أكبر من نظيرتها فى سائر نواحى النشاط الاقتصادى كوظائف الدولة والمهن الحرة . من أجل ذلك جاز لنا أن نقول إن ما يصيبه هؤلاء من نقص صحى له أسوأ الأثر فى القوى المنتجة للشعب كله

أنظروا إلى الباقين منهم بعد سن الخمسين فى معترك الحياة تجدوهم خمسة من كل مائة . إذن هذا العدد الضخم من الشبان الأجراء البالغين واحداً وسبعين فى المائة من عدد العمال والذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين عاما يخرجون من ميدان العمل خلال الحلقة الخامسة من أعمارهم إلا عددا منهم قليلا . ولقد أثبت البحث أن عدد من يخرج منهم بالترقى إلى مصاف أرباب الأعمال أو مستند إلى ثروة جمعها أو إلى رزق قدر يكفيه مشقة العمل فى سن متأخرة قليل جدا وأنه أولى بالإغفال . وهكذا تبقى أسباب الخروج من العمل منحصرة فى الموت والعجز . وهذه الظاهرة الخطيرة إنما هى نتيجة طبيعية لظروف العامل فى حياته الخاصة . ومنها نرى أنه فى حياته القصيرة يرزح تحت عبئين مرهقين من إجهاد وحرمان .

تزايد السكان

ربما بدا غريبا بعد هذا الذى قدمنا أن يتزايد عدد الطبقات العاملة رغم نحو من الشقاء المحيطة بهم . ولكن لتزايد أسبابا قوية منها أن نسبة الزواج بين العمال تبلغ ٧٦ فى المائة وهى لسكان عامة ٦٦ فى المائة ويبكر العامل بالزواج حتى أن نسبة المتزوجين قبل سن الخامسة والعشرين تبلغ ١٠ فى المائة وهى نسبة عالية لسن مبكرة فى طبقات أجورها لا تقى الفرد فضلا عن الأسرة وهنا يجدر أن نلاحظ ظاهرة تميز الشرق بصفة عامة عما عداه . تلك أن الزواج فى معظم الحالات لا يكون نتيجة لحاجة الرجل إلى من يدبر شأنه أو يهيىء له حياة

منزلية هادئة فبين المتزوجين من العمال ستون فى المائة يعولون قريبات لهم كوالدة أو عذارى وأرامل من ذوى القربى . وقد كان لهؤلاء العمال من قريباتهم غنى من ناحية الخدمة ودافع من ناحية النفقة على ألا يفكروا فى الزواج فى سن مبكرة . ولكنهم يفعلون بدافع دينى . وهذه حال لا يمكن أن تستتبع اللوم وإنما تستحق العطف والتهذيب .

أما عدد الأطفال فكثير . ولما كان الزواج مبكرا فالعمال تبعا لذلك آباء فى سن مبكرة كذلك . فمثلا بين العمال من سن العشرين نجد اثنين فى المائة لكل منهم ولد أو ولدان . فاذا بلغ الوالد سن الخامسة والثلاثين كان عدد الأبناء كما يلى —

من كل مائة من الآباء :

عشرون	لكل منهم	ولد واحد
وستة وعشرون	«	ولدان
وسبعة عشر	«	ثلاثة أبناء
وثمانية	«	أربعة أبناء
وواحد	«	خمسة أبناء
وواحد	«	ستة أبناء أو أكثر

أما إذا مشينا معهم إلى آخر العمر فطبيعى أن تتزايد النسب الأخيرة فتصبح من كل مائة والد

أربعة وأربعون	لكل منهم	ثلاثة أبناء
وأربعة وعشرون		أربعة أبناء
وعشرة		خمسة أبناء أو أكثر

كل هذا رغم ارتفاع نسبة الوفيات بينهم واستئثارها بموتى المواليد . ولولا هذان العاملان لتزايدوا بأسرع مما نرى رغم الظروف القاسية التى تحيط بهم .

أشرنا فيما تقدم إلى أن ٦٠ فى المائة من أرباب الأسر يعولون إلى جانب

أبنائهم وزوجاتهم أقارب لهم عاجزين عن الكسب . هؤلاء من طرحتهم أمواج الحياة صرعى جهاد ظالم يبعثون فيه بغير سلاح . آباء قضوا ربيع الحياة فى خدمات لا تعود عليهم إلا بما يمسك الحياة فاذا أقبلت سنو الشيب . وهذه تبكر لأمثالهم أقعدهم العجز عن كل كسب . ونساء فقدن العائل بالموت أو بدواه وورثن عنه البنين دون المال . وهكذا ينشأ الجيل الجديد مرهقاً بتبعات ثقال تنوء بالعصبة أولى القوة . فيلتمس السلوى فيما يحط من قواه ولا يصلح له شأنا . ثم يدفع بولده جاهلا هزيلا الى معترك الحياة وهو يمد فى مقتبل العمر عساه يلتقط بعض الفتات فيمين أسرته . وكذلك ينشأ نشأة أبيه . وإذا بالمأساة تتصل وتتسق فصولا من جديد وقد تبدل اللاعب وما أسدل الستار

ساعات العمل .

يندر أن تقل عن ثمانى ساعات فى كل يوم ونسبة ذلك ١ على ٣ فى المائة من مجموع الحالات وهى .

ثمانى ساعات	فى ١٥ فى المائة من الحالات
وعشر ساعات	فى ٧٠ فى المائة
وأربع عشرة ساعة	فى ٥ فى المائة
وست عشرة ساعة	فى ١٠ « « على أن من هذه الحالات

الأخيرة ما يبلغ ١٧ وأكثر

الاجور .

منخفضة جدا تبدأ بقرش واحد فى اليوم للأحداث فى بعض الصناعات وتزيد كلما تقدمت السن بنسبة لا تكاد تبلغ الثلث مما يجب أن تكون عليه الحال . ونتيجة ذلك أن تتزايد التبعات ولا تنمو الموارد بالدرجة الكافية .

ولا يمنح العامل أجرا عن يوم راحته ولا مرضه وأكثر الفئات شيوعا هى فئة العشرة القروش والخمسة عشر إذ يتقاضى أجورا تقع بين هذين الحدين ٣٠ فى المائة من العمال . وعقود الاستخدام كلها رهينة الظروف وأكثرها عقد يومى يتجدد كلما تجددت الحاجة . ولهذا أثر سيء

فالعامل لا يرتبط بجهة معينة وكل خدماته موزعة بين الناس ومجهوده السابق نهب الظروف المتقلبة من حوله . فاذا ما بلغ القمة من حياته وأتقن عمله وشارف أجره رقما عاليا يبلغ ثلاثين قرشا فى ثلاث حالات من كل ألف ويبلغ ٢٥ قرشا فى ٢٢ حالة من كل ألف لم يستطع أن يحافظ على ما وصل اليه من أجر عال نسبيا لأن رب العمل يتبدل وقوى العامل تهبط مع الزمن وله فى كل يوم سوق أسعارها متبدلة . ولذلك نرى الأجور العالية التى ذكرناها لا تكون إلا ما بين العشرين والخامسة والأربعين من العمر ثم تنحدر بعد ذلك حتى إن أعلى الأجور لمن تبلغ أعمارهم ٥٥ عاما أو يتخطونها عشرون قرشا

ولقد يلقى العامل من عنت رب العمل ضمنا آخر فيؤخر أجره ضمانا لمواظبته أو يؤخره حتى يتوافر لديه مال حاضر .

المساكن

هذه الأنقاض التى يزدحم فيها العمال إنما تسمى مساكن من باب التجوز .

ومن كانت حاله ما قدمت فأنى له المسكن الصحى ؟ يحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد أن إيجار المسكن يتراوح بين ٣٠ قرشا و ٦٠ فى معظم الحالات وأن ٣٥ فى المائة من الأسر تسكن كل منها غرفة واحدة أو أقل من غرفة إذ تشترك أسرتان أو أكثر فى واحدة . وأن ٦٥ فى المائة من الأسر تسكن كل منها غرفتين أو أقل . أما الشمس والهواء والماء وسعة المسكن وأثاثه فلا محل لذكرها فضلا عن بحثها

آثار هذه الحال

هى الآثار الطبيعية لمثلها . حياة قصيرة مملة وموت مبكر يخلف الأحياء أعباء تعجز بدورها . وإنتاج يدوى ضعيف . ومقدرة فكرية أضعف

وأما المستوى الخلقى فتؤذيه هذه الحال أشد الايذاء . وكيف تستقيم الحال فى أسر تسكن منها مخدع واحد يضم الزوجين وخمسة أبناء أو سبعة منهم شباب وفتيات ؟ وكيف نرجو طيب الخصال إذا انعدمت أسباب الثقافة

والتربية والتهذيب وتقلت أعباء الحياة فى وقت معا ؟

الذى أراه أن هذه الحال التى نعالج أخطر من أن نتناولها بالبحث النظرى لنقف عند حد البحث . وربما جاز هذا إذا كان الباحث لا تربطه بهؤلاء الناس أواصر الأخوة وروابط أخرى لا تنفصم . أما وهم قومنا وإخواننا وأبناؤنا وآباؤنا فعلينا ما هو أجدى من القول والبحث . علينا ألا نكتفى باقتراح رفع الأجور والموارد باقية على حالها . . . أو إدخال نظم التأمين والعامل لا يملك أسباب العيش الخشن فضلا عن نفقات هذه النظم . علينا نحن معاشر المتعلمين واجبان أحب أن ننهض بهما اليوم راغبين فهذا خير وأبقى . وهو أولى بنا من أن يضطر اليهما أبناؤنا فى غد كارهين . فأما الأول فهو أن ننزل عن بعض نعيمنا الشخصى فى سبيل هؤلاء الذين طال حرمانهم صابرين .

فلا إذا زيدت الضرائب على دخلنا من أجلهم دفعنا مغتبطين . وإن لم ترد دعونا إلى هذا بما أوتينا من علم وبيان . وإن قلت روابتنا من أجلهم كذلك قبلنا فى غير ضيق ولا حرج . وأما واجبنا الثانى فهو أن ينبث بينهم القادرون منا على معالجة الشئون الاجتماعية ينظمون صفوفهم ويرشدونهم إلى ما فيه خيرهم وهذا يتطلب تضحية بالوقت والمال فى سبيل الدعاوة والمعونة الادبية والمادية

ولنذكر جيدا أن منا نحن المتعلمين من سينتظم فى هذه الصفوف إن عاجلا أو آجلا وهذه بعض آيات الرقى فى الأمم فلنهيىء إذن الجو لصغار إخواننا ولأبنائنا . وهذا دافع شخصى يضاف إلى ما تقدم من إيثار كريم

كذلك فلنذكر أن هذه الجموع التى بدأنا اليوم نذكر فيها . . . هى التى تمد الدولة بأكبر عدد من الرجال فتنتظم بهم صفوف الدفاع . وفى السلم كلما زادت كفايتهم زاد الانتاج الأهلى وارتفع المستوى للخاصة والعامة . غير أن الخطوات الأولى تتطلب كثيرا من جهاد النفس وشجاعة الرأى . ولقد تخطت الحركة طور البحث وتجاوزت أصداء الدعوات . . . فلنكن ممن يبادرون بتلبية النداء ؟

شيمى عبده

ظهور المنار ودلالته

لما توفى المغفور له السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار خشى المصلحون أن يذهب المنار بذهاب صاحبه ويخبو ضياؤه الذى لبث ثلث قرن يشع على العالم الإسلامى علما وثقافة وفضلا وخيرا و بركة ويضع العلامات فى طريق الجهاد الاسلامى ليسلك المجاهدون على بصيرة وعلم ونور .

وقد حدث ما خشى المصلحون فانه صدر من المنار بعد وفاة صاحبه بضعة أعداد ثم توقف عن الصدور وخفت صوته المعروف الذى كان يملأ آفاق الأرض وخلا مكانه من الصف وطويت أعلامه وظن الناس أن لن يعود

وكنا نخاطب عنه محبي الاصلاح ليتعاونوا على إصداره ويجتمعوا على إرجاعه سيرته الأولى ، ولكنهم كانوا يعتذرون بأن هذا الأمر فوق طاقتهم وأن وقتهم وحالهم لا يسمحان بتحقيق هذه الأمنية العزيزة المرجاة .

وبينما الفضلاء فى يأس من عودته إذ تقدم رجل شاكى السلاح مدرع قد جمع فى نفسه المؤهلات الكافية لخدمة الاسلام والحق والاصلاح . تقدم هذا الرجل ورفع راية الاصلاح الدارى ونادى بأعلى صوته قائلا :

أيها الناس . إنى على بركة الله وبتوفيق من الله أخذت على عاتقى إصدار المنار الأغر حتى لا يحرم المسلمون منه ولا تنقطع عنهم فيوضاته ولا ينضب معين إصلاحه .

فالتفت الناس إلى المتكلم فاذا هم يجدون الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين والمصلح الذى وقف نفسه على نصرة الاسلام والمسلمين فاطمأنت نفوسهم وانشرحت صدورهم وحمدوا الله عز وجل على فضله ونعمته وآلائه

وهكذا ظهر المنار بعد اختفاء وأسفر بعد احتجاب وكتب الله له الحياة على يد من لا يريد لقومه إلا الحياة .

وإن لظهور المنار دلالة يجب أن نسجلها هنا بايجاز حتى يعرف القراء الحقائق

ويكونوا على بينة من الأمر ولا تأخذهم الحيرة مما يشاهدون أو يقرءون أو يسمعون .

لما توفى صاحب المنار رحمه الله تعالى حزن محبو الاصلاح وأصابتهم الحسرة على إغماد سيف كان يجاهد فى سبيل الله ولا تأخذه فى الحق لومة لائم ولكن فريقا آخر طرب وصفق وتبادل التهانى والتبريكات لزوال من كانوا يظنونه عدوا لهم لأنه يحارب تخريفهم ودجلهم وجمودهم وقد جهروا فيما بينهم بانقطاع المنار إلى الأبد وأقاموا الحفلات لضعف أخلاقهم فرجوع المنار يسر المصلحين المخلصين ويكبت الشامتين الضعفاء اليقين . ومن المشهور عندنا أن العمل العظيم إذا يقوم به فرد فإذ أفلت منه ذهب فى طى النسيان . وهذا صحيح إلى حد ما . ولكن حظ المنار كان طيبا فكتب الله له البقاء . ولما هوت رايته كان هويها استنادا وارتكازا للراحة والاستجمام ، وتقدم فضيلة الأستاذ حسن البنا إلى تسلم الراية ورفعها على القمة ليراها الغادى والرائح فيعلم الجمهور أن عمل الفرد الخالص لا يضيع أبدا بل يقيض الله له من يحييه ويعده بما يمده اليه الشباب وبقويه .

وكنا نسمع من كثير من الناس أن دعوة صاحب المنار لا تتعدى أفرادا معينين ولا تصل الى مدى يصح معه أن نقول بوجود الاصلاح فى الامة . ولكن الرغبة الملحة فى إصدار المنار وقيام رئيس الاخوان المسلمين بهذا الاصدار يدل دلالة قوية على أن الاخوان وهم ألوف كثيرة يؤمنون بهذا الاصلاح ويفدونه بالأرواح وإذا عرف القراء أن الاخوان جمهرتهم من الشباب المثقف علم علم اليقين مقدار تغلغل الاصلاح الاسلامى العتيد فى النفوس التى يرجيها لرفع شأن الأمة والدفاع عن ذمارها وإعلاء مكانها .

هذه بعض أوجه الدلالة فى ظهور المنار يعلم منها أهمية العمل الذى أخذه على عاتقه الاستاذ الكبير رئيس الاخوان المسلمين .

ونحن نقترح هنا ما يجب على القراء وعلماء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ليؤدى المنار مهمته العليا النقية ولينجح النجاح المرتقب له من كافة المؤمنين المخلصين

أما القراء فالواجب عليهم أن يعاضدوه حسا ومعنى ويعاونوه بما فى جهدهم ليصول فى ميدان الجهاد ويجول ويشتد عوده فى مقاومة كل ما يلحق الأذى بالاسلام والمسلمين ويرسل الجنود تلو الجنود تصرع أعداء الله وتخذل الذين يريدون الاسلام بسوء .

وأما العلماء العاملون المخلصون الذين أحبوا المنار وأشربوا فى قلوبهم مبادئه السامية وطريقته المثلى فعليهم أن يحبوا المنار بعطفهم ويمدوه بآرائهم الصائبة وأفكارهم النيرة ويستخدموا علمهم النافع فى تقويته وإنجاحه وإكثار أركان حربه .

ونحن نعلم أن محبي المنار الفضلاء الكثيرين منبثون فى أنحاء العالم الاسلامى من الصين شرقا الى مراكش غربا ومن التركستان شمالا إلى جنوب افريقية جنوبا وهم بتوفيق الله فى مكنتهم خدمة المنار الخدمة الجلى ليكون صحيفة الاسلام العالية فى الدين والاجتماع وشتى ما يحتاج اليه المسلمون

ونعود فنهنىء فضيلة المرشد العام بما ندب نفسه اليه من خير وإصلاح كتب الله له النجاح وأمده بروح من عنده وأعانه على الجهاد فى سبيل الله والله قوى عزيز .

القاهرة . مصطفى أحمد الرفاعى اللبان

كتاب الفتح الربانى

لترتيب مسند الامام أحمد الشيبانى

و

كتاب بلوغ الأماني

من أسرار الفتح الربانى

الامام أحمد رحمه الله تعالى إمام أئمة السنة حفظاً ورواية ودراية وفقهاً، وجرحا وتعديلا .

ومسنده أوسع الأصول فى الحديث وأعمها فائدة ، والمسانيد موضوعة لحفاظ الحديث يشق على غيرهم الاستفادة منها ، وقد كان الناس فى حاجة إلى من رتب أحاديثه على أبواب كتب السنن : فوفق الله خادم السنة السنية الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى) . فرتبه وسلك فيه سبيلا لم يسبق إلى مثله .

وقد جعله أربعين جزءا ، كل جزء أربعة أقسام ، وعد أحاديث كل كتاب بالأرقام ، واقتصر فى السنة على اسم الصحابى . وقد صدر من الكتاب أحد عشر جزءاً فى أربعة وأربعين قسما ، بحرف مشكول . وذيل بشرح وجيز يبدأ فيه بذكر السند ، فتفسير غريب الحديث ، فالضرورى من معناه ، فتخريجه .

فنحث المهتدين بالسنة على المبادرة إلى اقتنائه وثمن الجزء منه ١٢ قرشاً

الدين والعقل (أو) برهان القرآن

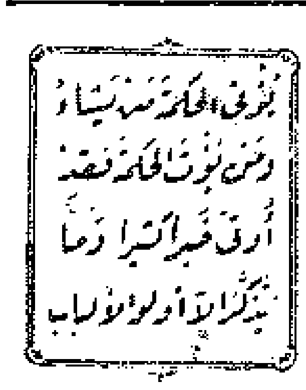
« تأليف الأستاذ أحمد حافظ هدايه »

فى استنباط براهين عقائد الاسلام من القرآن الكريم مثبتة بأحدث النظريات والعلمية يحتوى على مقدمة وسبعة أجزاء فيها نحو أربعمائة فصل ، وقد قرظه كبار علماء العصر . فنحث الجميع على قنيانه . وهو ثلاثة مجلدات . قيمة الاشتراك فى المجلد الواحد ١٠ قروش قبل الطبع . وفى الكتاب جميعه ٢٥ قرشا . والثمن بعد الطبع ٤٥ قرشاً وترسل الاشتراكات باسم المؤلف بدار الرسالة شارع البدولى رقم ٣٤ بعابدين بمصر

(الجزء السادس) (المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام إن للإسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

غرة رجب سنة ١٣٥٨ هـ — أغسطس سنة ١٩٣٩ م

فتاوى المنار

تقدم في هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

الأحمدية (القاديانية واللاهورية)

سيدي الاستاذ محرر المنار الأغر حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فقد طالعنا في بعض الجرائد الاسلامية مقالات حول طائفة القاديانية وحول وجود بعض من ينتسبون اليها بالأزهر الشريف لطلب العلم وأن فضيلة شيخ الازهر قد ألف لجنة من بعض كبار العلماء للتحري عن مذهب هذه الطائفة ولم نعلم نتيجة هذا التحقيق بعد فنرجو التكرم ببيان موجز عن عقائد هذه الجماعة وعن الفرق بين القاديانية والأحمدية وعن نشأتهم وعن واجب المسلمين إزائهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد فهمي أبو غدير
كلية الحقوق

الحمد لله وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) رأس هؤلاء الجماعة رجل هندي اسمه غلام أحمد ولد عام ١٨٣٩ م

ومات عام ١٩٠٨م بقاديان من أعمال بنجاب الهند ادعى أنه المسيح الموعود به وأن روح الله قد حلت فيه وأنه المهدى المنتظر وأنه أوحي اليـه بكثير من اللغـات ومنها الانكليزية وخلط ذلك بكثير من الدعاوى الفارغة التى تتناقض مع أصول الاسلام كل المناقضة وقد وجدت السياسة الانكليزية فيه مطية من مطاياها فى التفريق بين الشعوب وأغرته وأمدته بالمال والجاه حتى كان قضـاة المحاكم الانكليز يتساهلون معه فى الاحكام فى القضايا التى رفعت عليه وعلى أتباعه فى جرائم كثيرة وفى نظير هذه المساعدات من الدولة الانكليزية أصدر هذا المدعى فتاوى صريحة بسقوط أحكام الجهـاد بل وصرح بأن من يرفع السيف فى وجه انجلترا آثم مرتكب لاكبر الجرائم وقد وقعت بينه وبين علماء الهند الفضلاء مناظرات ومجادلات عدة ووقعت بينـه وبين صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا رحمه الله محـاورات وتناول السيد هذا الموضوع فى كثير من أعداد المنار وترى بعض هذه المقالات في الاجزاء الخامس والسادس والسابع من المجلد الحادي والثلاثين وقد كان من عادات هذا المسيح المدعى أن يدعو مناظريه إلى المباهلة وأن يجعل موت خصمه قبله دليلا على انتصاره وبالعكس وقد مات سـنة ١٩٠٠ بعد أن زعم قبل ذلك أن أجله قد انتهي فمكث بعد هذا الزعم ثلاث سنوات وقد بني مقبرة بقاديان وادعى أن من دفن بها سيدخل الجنة بشرط أن يتبرع بربع ماله. وأبقى الله فضلاء العلماء الذين قاموا ببيـان زيفه

وغلطه فما كانت هذه التمويهات لتكون دليـــلا على حق أو هادمة لباطل ولكنه الافلاس من الدليل وقد قام برياسه جماعته من بعده ابنه بشير محمود ومقره الآن قاديان من البلاد الهندية وتنسب الطائفة إلى أبيه فتسمى الطائفة الاحمدية

(٢) وقد انقسمت هذه الطائفة الاحمديه الى فريقين فريق اعتقد النبوة لغلام احمد وصدق بكل ماقاله وهؤلاء هم أحمدية قاديان ورئيسهم ابنه بشير وفريق اعتقد فيه أنه مصلح مجدد وأخذ ببعض مزاعمه دون البعض على حد اعترافهم وقولهم والله أعلم بحقيقة مايضمرون وإن كانت كل أعمالهم تدل على أنه لا فرق بينهم وبين اخوانهم السابقين وهؤلاء هم أحمدية لاهور ولسانهم الناطق السيد محمد على صاحب ترجمة القرآن وهو غير مولانا محمد على رحمه الله — وكلام الفريقين بعيد عن أصول الدين فانه إذا كان غلام أحمد قد صرح بأنه نبي وأنه يوحي إليه وصرح بغير ذلك من الطوام والفظائع فهل يغني شيئا عن اللاهوريين أن يقولوا إننا نعتقد أنه مجدد ؟ وأي القولين يصدق الناس قول المتبوع الذي يصرح بنبوة نفسه أم قول التابعين الذين لا يبلغون به هذه المرتبة ؟ لو كان هؤلاء صادقين لرجعوا إلى الحق ولوافقوا جمهور أئمة المسلمين ولبرءوا الى الله من هذا الرجل براءة الذئب من دم ابن يعقوب

(٣) والغريب في أمر هذه الجملة أنها تلبس على المسلمين بأمرين

اولهما نشاطها فى الدعوة إلى نحلتها بزعم أنها دعوة الى الاسلام وتشجيع الانكليز وإغراؤهم من وراء ذلك والا فلما لايبرز هذا النشاط قويا الا فى بلاد الانكليز وما يلحق بها ؟ والثانى مجادلتهم المبشرين وهدم لمزاعم دعاة النصرانية وهم فى هذا مهرة مجيدون وهدم الباطل سهل ميسور وهم يستغلون هذا الانتصار ليقولوا للمسلمين انا أخلص الناس للاسلام وها أنتم ترون كيف نهزم دعاة النصرانية ويخفون عنهم أنهم ان هدموا عقائد النصرانية فهم لا يبنون عقائد اسلامية ولكن عقائد خيالية لعل النصرانية خير منها وفيما يلى نموذج من أقوال رئيس هذه الطائفة فى كثير من المسائل وفى اسقاط الجهاد وتحريم رفع السيف فى وجه الانكليز

(١) قال غلام أحمد فى رده على صاحب المنار بكتاب أسماه (الهدى والتبصرة لمن يرى) يذم العلماء لانهم لم يؤمنوا بمسيحيته الموعودة ويعلن أن رفع السيف على الانكليز جرم عظيم

« وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذى هو نازل من السماء ، ولا يتصدوا له بالمراد فما أطاعوا أمر الله الودود ، بل إذا ظهر فيهم المسيح الموعود.. فكفروا به كأنهم اليهود . وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصليب وعند تقليب الاسلام كل التقليب فهل اتبع العلماء هذا المسيح كلا بل أكفروه واظهروا الكفر القبيح وأصروا على الاباطيل وخدموا القسوس فأخذهم القسوس وشجوا الرءوس وأذاقوهم مايذيقون

المحبوس فرأوا اليوم المنحوس ـ سيقول العلماء ان الدولة البريطانية أعانت القسوس ونصرتهم بحيل تشابه الجبل الركين لينصروا المسلمين في جميع العالمين

والامر ليس كذلك والعلماء ليسوا بمعذورين فان الدولة ما نصرت القسوس بأموالها ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حربة أكثر منكم ليرتاب من كان من المرتابين بل أنشأت قانونا سواء بيننا وبينهم ولها حق عليكم لو كنتم شاكرين

أتريدون أن تسيئوا الى قوم أحسنوا اليكم والله لا يحب الكفارين الغامطين ومن إحسانهم أنكم تعيشون بالامن والامان وقد كنتم تخطفون من قبل هذه الدولة في هذه البلدان ـ وأما اليوم فلا يؤذيكم ذباب ولا بقة ولا أحد من الجيران وإن ليلكم أقرب الى الامن من نهار قوم خلت قبل هذا الزمان ومن الدولة حفظة عليكم لتعتصموا من اللصوص وأهل العدوان وهل جزاء الاحسان الا الاحسان. وإنا رأينا من قبلها زمانا موحشا من دونه الحطمة واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة نقطف من ثمارها ونأوي إلى أشجارها ولذلك قلت غير مرة إن الجهاد ورفع السيف عليهم ذنب عظيم وكيف يؤذى المحسن من هو كريم ومن آذى محسنه فهو لئيم »

هذا كلام المسيح الموعود عن طغاة الاستعمار المنكود فهل يدافع الانجليز عن أنفسهم في كل مكان بأكثر من هذا الهذيان اللهم ان

هذا هو البهتان وانظر إليه كيف ينفي عن الانجليز مساعدة المبشرين وهم أعضادهم فى كل وقت لاينكرون ذلك ولايخفون ما هنالك بل يساعدونهم فى كل حين بأوقاف المسلمين وما أنباء التبشير فى السودان الآن وفى غير السودان من قبل ببعيد عن هذا المسيح الموعود ولكن الغرض يعمي ويصم

وقد نشرت مجلة الفتح الغراء فى العدد ٦٦٤ بتاريخ ١٠ جمادى الاخره سنة ١٣٥٨ استفتاء لعلماء الهند جاء به كثير من أقوال هذا المدعي المكفرة مثل قوله (انى نبي وأنا المخصوص بالنبوة فى هذه الامة) من كتاب حقيقة الوحي ص ٣٩١ له

وقوله (خاطبني الله بقوله اسمع ياولدى) من كتاب البشرى ص ٩٤ له

وقوله (كان المسيح متعودا على الكذب والافتراء) من كتاب ضميمة أنجام آتهم ص ١٧

وهكذا من هذه التخريفات وقد أفتى علماء الهند الفضلاء بكفره لهذه الاقوال الشائنة وذيلت هذه الفتيا بتوقيعات كثير من الافراد والطبقات العلمية فى جميع بلاد الهند تقريبا وفى كثير من بلدان الاسلام

(٤) أما حادثة الازهر فخلاصتها أن طالبين البانيين ممن ينتسبون الى هذه الطائفة اندرجا فى سلك طلبه القسم العام وتنبة لهما بعض اليقظين من الطلبة فأبلغوا أمرهما الى الجهات المختصة فى الازهر فأجرى

تحقيق بمعرفة شيخ القسم العام لم ألفت لجنة للكشف عن حقيقة هذا المذهب وقد أمد بعض الغيورين هذه اللجنة بكثير من كتب هذه الطائفة التي تصرح بضلالها ومحالها.

وكلمتنا لحضرات أصحاب الفضيلة علماء الازهر الاجلاء وعلى رأسهم فضيلة الاستاذ الاكبر أن الامر أهون من ذلك كله والحق واضح بين. ووجود هذين الطالبين بين الطلبة فيه خطر محقق ذلك إلى أنهما سيستخدمان نسبتهما للازهر وحملهما لاسم طالب العلم فيه استخداما خبيثا في تأييد نحلتهما الضالة الهدامة. وقد ذاع الامر الآن في مصر وفي غير مصر من بلاد الاسلام وعلى يد هذين الطالبين وامثالها ممن يشايعهما في البانيا ذاع السفور والتحلل من عقدة الاسلام ورأى الأزهر رأي رسمي يتخذه الناس حجة في كل أقطار العالم فتبعة فتواه في هذا كبيرة عظيمة ومسئوليته في هذا لايعلم مداها إلا الله

نرجو أن تضع اللجنة نصب عينها هذه الحقائق وأن تقذف هذه الفتنة بالحق الواضح فتدمغها فاذا هي زاهقة وان تأخذ بالحزم فتقصي عن حرم الازهر كل طالب لاخير فيه للاسلام والله الهادى إلى سوء السبيل ؟

« في العدد القادم »

ورد علينا سؤالان أحدهما خاص باستحضار الارواح والثاني خاص بما قيل في خطيئة آدم عليه السلام نرجى الكلام فيها إلى العدد القادم

(المنار منذ عشرين سنة)

رجب سنة ١٣٣٨ هـ

عاقبة حرب المدنية الأوروبية

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

كتبنا فى أثناء هذه الحرب مقالات بينا فيها أسبابها وعللها وحكمة الخالق فيها وفظائعها وشرورها والمقابلة بينها وبين الحروب الاسلامية التى امتازت بالرحمة وبجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها وبتحريم القسوة والفظائع فيها، والمقابلة والمقارنة بين الدول المتحاربة فى الاستعداد والمزايا، وصرحنا فيها بأن عاقبتها ستكون انفراد احدى الدولتين الرئيسيتين فى الحلفين الكبيرين الجرمانى والانكليزى — وهما المانية وانكلترة — بالسيادة والعظمة فى العالم وفاقا لقول الفيلسوف هربرت سبنسر الشهير للأستاذ الامام : إن ضعف الفضيلة وتغلب الأفكار المادية فى أوربة سيدفعان دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم

ومما بيناه فى بعض تلك المقالات أن المانية أتقنت الاستعداد للحرب اتقانا يمكنها من محاربة أوروبة كلها وأنها فاقت جميع الدول فى السلاح

والنظام وان اعداءها يفوقونها بالكثرة التي تعد من أعظم أسباب الغلبة كما قال الشاعر العربي

ولست بالاكثر منهم حصا   وانما العزة للكاثر

وقد كان من أمر هذه المكاثرة أن انكلترة ألبت على المانية أكثر دول الأرض في الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد ، وإنما كان ذلك بعلو كعبها على الألمان وغيرهم في الدهاء السياسي الذي هو أدق علوم البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا، وقد قلت مرة لصاحب لي من الألمان المستشرقين كان يحاورني وأحاوره في المقارنة بين قومه وبين الانكليز وما بينهما من المناظرات . إني مقتنع بأنكم فقتم الانكليز في جميع العلوم والفنون والأعمال حتى التجارة إلا ما هو أهم من ذلك كله وأعظم — وهو السياسة — فاني أرى أن الانكليز يفوقونكم فيها . فقال صدقت

وقد ذكرتني هذه الكلمة التي قلتها منذ بضع سنين بكلمة في معناها قلتها منذ بضع عشرة سنة في مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم وجرجي بك زيدان وبقي صاحب الدار وأحد الباشوات قال صاحب الدار في ذلك المجلس انه بلغه أن المانية عقدت مع روسية محالفة سرية على انكلترة وسيترتب على هذه المحالفة اخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا فقلت له لا تغتر بهذا الخبر فان انكلترة كانت ولا تزال تضرب بعض الأمم

بعض وتكون هي الراجحة فهي كما قال مسلم بن الوليد كالسيل يحذف جلمودا بجلمود

انني لم أصدق هذا الخبر في ذلك الوقت ثم تبين في أثناء هذه الحرب مما اكتشف من أسرار القيصرية الروسية أن له أصلا وأن مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون اتمامها فان كان هذا وقع بعد ذلك الزمن الذي أخبرنا فيه ذلك المخبر به فمن الجائز أن تكون مقدماته ووسائله قد سبقته بسنين ، والذي نقصده من العبرة في هذه السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانيا على روسية فحالفوها على الترك والفرس ثم جعلوها باتفاقهم مع حليفتهم فرنسة فدية لهما في هذه الحرب فكانت مصب نقمة المانية الحربية في ريعان قوتها ، وعنفوان سورتها وكذلك تعبث الأمم العلمية الحكيمة بالأمم الجاهلة الخرقاء فتجعلها فدية لها كما فعل الحلفاء بأمم أخرى وكما فعل الألمان بالترك

وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكلترا السياسية تسخير دولة الولايات المتحدة الامريكية لانقاذها وإنقاذ حلفائها من جحيم الالمان العسكري بعد أن عجزت أوروبا كلها ومن ظاهرها من أمم آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية عن فل حدهم ، وإيقاف طغيان مدهم ، وهي الدولة التي جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لاهله وعدم مشاركتهم في شيء منه . رقتها انكلترا رقيتين استخرجت بهما حيتها من جحرها . وزحزحتها عن قاعدة سياستها . إحداهما دعوتها

إلى انقاذ حرية الامم والشعوب من السيطرة الالمانية التي تهدد العالم بالاستعباد ، والثانية دهاء اليهود ونفوذهم المالى فى تلك البلاد ، وقد وعدتهم انكلترا بان يكون جزاؤهم إعادة ملك اسرائيل الى مملكة سليمان فى الارض المقدسة بالرغم من أنوف العرب أصحاب البلاد . ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وسكت لها على هذا الوعد أشد ذوى التحمس الديني من البروتستنت والكاثوليك حتى الجزويت منهم ، وأما المسلمون فلم يصدهم ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيوش التي جهزوها باسم شريف مكة سليل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض أبنائه فهل كان باستطاعة أحد من دول الارض أن يفعل مثل هذا أو يفكر فى إمكانه ؟ لا ! ولكن الانجليز فعلوا مالم يكن يخطر فى بال بشر فاستردوا هذه البلاد وماحولها من المسلمين الذين غلبوا قلب الاسد ملك الانجليز وسائر ملوك أوروبا فى الحرب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية

طوح المستر لويد جورج وزير انجلترا الاكبر هذه الدولة بالرقيتين اللتين ذكرنا فجعلت ثروتها الكبيرة ومواردها الغزيرة وجنودها الكبيرة وقفا على انقاذ الحلفاء من ألمانيا بل هاجمت المانيا بقوة أكبر وأعظم من كل هذه القوى — قوة الدعوة الى الصلح المبني على اتفاق الامم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ، وإبطال ماجرت عليه الدول القوية فى العصور الخالية من المحالفات السرية

على هضم حقوق الامم المستضعفة وغير ذلك من أصول الحق والعدل التي مازال الاقوياء يهدمونها بمعاول القوة ؛ ومنها وجوب حرية البحار وجعل الانجليز وغيرهم فيها سواء ، قام الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات يحارب المانيا بهذه القوة الادبية المعززة لتلك القوى الحربية والمالية . ففاه بتلك الخطب الطنانة الرنانة ، ووضع للصلح تلك القواعد الجذابة الخلابة . ففعلت في زمر الاشتراكيين والعمال الالمانيين فعل السحر ، ولاسيما قاعدة حرية البحار في زمني الحرب والسلم فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا في وجه قوتهم العسكرية وهي في أوج انتصارها وذروة فخارها : أمرت أسطولها بان يهاجم الاسطول البريطاني فاعتصب بحارته وأبو الامتثال ، وهدد زعماء الاشتراكيين قواد الحرب باعتصاب جميع العمال ، أو يطلب عقد الصلح على قواعد الرئيس « ولسن » العادلة اذ هي أفضل من نصر عسكري يورث الاحقاد ويورث السياسة الجائرة ، وانما أسست جمعياتهم وتحزبت أحزابهم لمقاومتها ، وقد سنحت لهم الفرصة فقالوا لانضيعها . ولم يقنعهم القول بأن هذا خداع ؛ لان الامريكيين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستمهلتهم الحكومة ريثما تسحب جيوشها وكراعها وذخائرها من قلب فرنسا فامهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشتراط الحلفاء فيها إضعاف جميع قوى الالمان الحربية في البر والبحر والجو حتى لايستطيعوا العود . فمن المنتصر ؟ أميركا في الظاهر وانجلترا في الباطن . بل المنتصر إنما هم

رجال السياسة الانجليزية وحدهم . فهم الذين أقنعوا الولايات المتحدة بوجوب مؤازرة القضية المشتركة فسقطت على يدها المانيا وساعدهم على ذلك صلف الالمان وغرورهم واحتقارهم الولايات المتحدة . وهم الذين والوا شريف مكة فكان عاملا قويا بسقوط الترك ، وهم المتصدرون لادارة دفة سياسة العالم بعد التمهيد لها واقتحام مايقوم أمام هذه الادارة من العقبات . ومن ذلك اقناع الولايات المتحدة باسم خدمة الانسانية وتأييد المدنية بالاشراف على تركيا ، والنهوض بالجمهورية الارمنيـة . ويتولون هم إدارة البلاد العربية من برقة الى العراق فعمان ـ ماخـلا سوريا الشمالية فان ادارتها جعلت لفرنسا تنفيذا لمعاهدة سايكس ـ بيكو من جهــة وحتى لاتؤوب فرنسا بصفقة المغبون وترضى من الغنيمة بالأياب من جهه أخرى . . والبلاد الفارسية المتصلة ببلوخستان فالهند فالتبت . .

الانكليز يحتلون سورية الجنوبية (فلسطين) ويعملون فيها عمل الحاكم المطلق ويمهدون السبيل لمهاجرة الصهيونيين اليها ليكونوا حكاما فيها تحت حمايتهم ويحتلون العراق ويعملون فيه عمل المالك بلا معارض وقد أسسوا للسواحل الحجازية واليمنية محافظة سموها (محافظة البحر الاحمر) وأرسلوا بعثة الى الامام يحيى ولكنها أسرت قبل الوصول اليه ـ وأرسلوا بعثة أخرى الى السيد الادريسى للاتفاق معه . وعقدوا اتفاقا مع حكومة ايران نشر في الجرائد فشكت منه الصحافيون ورجال

السياسة واحتجوا بأنه مخالف لمهد (عصبه الامم) إذ كانت المسألة السورية معلقة بأنواط تلك الوسائل المشار اليها ، كما تحدث أولئك الرجال وتلك الجرائد بالمسألة المصرية وبما للمصريين من الحق فى المطالبة باستقلالهم وحريتهم ولم تفتر تلك الشقشقة حتى تم الاتفاق على العود إلى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦

وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية فى البلاد التى كانت تظن فرنسه أن سياستها فيها أرجح لما لها فيها من الصنائع والوسائل . فقد كان طلاب المساعدة الامريكية فالانجليزية من أهالى البلاد أضعاف طلاب المساعدة الفرنسية ، فلم يبق لفرنسا بد من اللجأ الى ارضاء انجلترا والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة تصرفها المطلق في مصر وسائر بلاد العرب والعجم . جرى كل ماذكر على طريقة السياسة الاوروبية المعروفة المألوفه من تصرف الاقوياء فى الضعفاء والعلماء فى الجهلاء ، بعد أن ذهبت جعجعه خطب الرئيس « ولسون » فى الهواء وهو ما كنا نتوقعه من وراء هذا النصر ونحدث به من كلمناه فى عواقب الحرب ، وخاصة اخواننا العرب المغرورين من السوريين والعراقيين ، ولا غرابة فى غرور أطفال أغرار فى مهد السياسه والحركة العربيه الحجازيه في بدء ظهورها تكبرها فى أعينهم بعض الجرائد .

فان قال قائل . ان كتاب الله قد أثبت أن العاقبه للمتقين وقد فسر

علماؤنا التقوى بانها عبارة عن أداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز — بهذا المعنى — هم المتقون ، حتى كانت عاقبة هذه الحرب لهم بنفوذ الكلمة وعلو المنزلة والتصرف فى أرض الله الواسعة ؟ نقول إن قول الله تعالى لاريب فيه ، وإن كلام العلماء فى تفسير التقوى صحيح ولكنه مجمل فمن فهم منه أن المراد بفعل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذى شرعه الله تعالى ، وأن ترك المنهيات خاص بترك الخمر والزنا والسرقة وماأشبه ذلك — فهو قصير النظر ضعيف الفهم . التقوى أعم من ذلك وهى تختلف باختلاف ماتطلب فيه كما بيناه فى مواضع من تفسير المنار ونبهنا أهل العصر الى تقصير المفسرين وغيرهم من علمائنا فى بيان مافى الكتاب والسنة من الاصول الاجتماعية ومسائل السياسة والعمران

فالتقوى المكررة فى قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا مااتقوا) الآية غير التقوى فى معاشرة النساء المكررة فى سورة الطلاق ، وغير التقوى فى قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فلكل مقام خصوصية هى المقصود الاول من المعنى العام والتقوى فى قوله تعالى (إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) غير ماذكر كله . فالاولى والثانية فى أحكام الطعام والصيد وهما من الاحكام الشخصية الفردية ، والثالثة فى أحكام الزوجية وهي منزلية

(أو عائلية) والرابعة في شؤون الامم والعمران وهي ما يعبر عنه في عرف هذا العصر بالاجتماعية وكلامنا فيها . والثابت عندنا أن الانكليز أشد الأقوام عناية باتقاء الخيبة والفشل في هذه الأمور . والالمان كذلك إلا أن المان فاقوا الانكليز بالقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها إلا وأحكموه . ولذلك كانت العاقبة لهم في المعارك الحربية . ولكنهم لم يتقنوا كالانكليز إتقاء التنازع الداخلي فوقعت الثورة الاشتراكية في أمتهم . وصدق عليهم قوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يتقنوا كالانكليز اتقاء سخط الامم والشعوب عليهم فأسخطوا الامة الامريكية على حين صارت أعظم الامم ثروة واشتدت حاجة جميع الامم اليها . فكان ذلك عونا للانكليز على تسخيرها لهم . ولم يتقوا خروج العرب على الترك باستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم وبين الترك وتحذيرهم من خطر انتصار الانكليز عليهم بل سمحوا لاوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الاتحاديين) — الدم والذهب — بارهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلا وتصليبا وتذليلا وتغريبا ومصادرة وتعذيبا وهتكا للأعراض وإفسادا للاخلاق . على حين كان الانكليز يجدون في استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضروب الاستمالة فمال اليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشايعهم مشايعة فعلية أو سلبية الامير عبد العزيز ابن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق . ووالاهم شريف

مكة (الملك حسين) وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سوريا والعراق بقيادة أبرع أبنائه فى الغزو والقتال الامير فيصل (ملك سوريا)وقد اعترفوا له ببلائه واخلاصه فى اعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى ايقاع الفشل والخذلان فى جيش الترك المدافع عن سوريا حتى انهزم وتركها غنيمة باردة لهم وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الامير فيصل سل حسامه فى نصر الحلفاء من غير أن يحصل على أى وعد منهم بشىء ولكنه أعطى بعض الوعود بعد ما أخذ فى النجاح . وقالت ان الامير فيصل كان يرغب فى الاستقلال التام للحجاز وحـــده ، وأما لسائر الشعوب العربية فانه يرغب لها فى الاستقلال عن الترك فقط. وأن تطلب كل البلاد العربية وصاية دولة واحدة عليها وتعنى دولتها انجلترا (اه ملخصا من عددها الاسبوعى المؤرخ فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاة الشريف أكبر مما ذكر فى فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا . ولو كان الالمان مثـل دهائهم لسبقوهم الى استمالة العرب وكانوا على ذلك أقدر . واذا لاستطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندى ولا أبالغ اذا زدت على ذلك ولاسيما اذا شملت هذه الاستمالة اليمن وعسير ووصلوا الى شواطىء البحر الاحمر وبحر العرب ولم يكن ذلك عليهم بعسير

فان قال ذلك القائل . فهمنا معنى التقوى فى السياسة والحرب

ومعنى كونها من سنن الله تعالى فى النجاح ، ولكن خفى علينا ما بينت فى تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلهى عادل من الدول والشعوب الظالمة لنفسها والظالمة لغيرها الباغية على عباد الله التى لم تشكر نعمه الله تعالى باستعمالها فيما يرضيه من إقامة الحق والعدل ، وانما نرى ألوف الالوف من البشر تئن من سلطة تلك الدول وحكمها وإذا كانت مصيبه صادقة فى شكواها — لانها مهضومة الحقوق بضعفها — فلماذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ورفع العقاب عن أولئك الباغين وتحكيمهم فى بلاد قوم آخرين

إن قال ذاك القائل هذا القول وأورد علينا هذا الاشكال فاننا نجيبه بان مايراه هو مشكلا لانراه نحن كذلك . فاننا نرى أن الامم المستضعفة الظالمة لنفسها المظلومة من قبول الاقوياء المسلطين عليها بما كان من تفريطها . لم يمحصها ماحل بها ويرجعها الى رشدها ، وإن الدول الباغية الظالمة قد ذاقت من الشدائد التي تعامل المستضعفين بها ، ولم تتب وترجع الى ربها ، وكذلك شأن الدول والامم التى غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهى لكل أمة ودولة لم ينته بهذه الحرب ولا هى انتهت بما وضع من معاهـــــدة الصلح مع بعض المتقاتلين دون بعض

وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلو كلمته بما بيناه من سببه . لادليل على ثباته ودوامه ، واذا طال العهد عليه بحثنا عما اقتضى ذلك من أسبابه

وسنن الاجتماع فيه ، وإنما نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يجر وراءه أسباب خسار وخذلان ، أهمها خسران الانجليز ذلك الصيت الحسن الذي غرسوا فسيله ، وزرعوا بذوره ، وتعاهدوا زرعه بما ينميه عدة أجيال ، حتى كانت الشعوب المتململة من سلبهم استقلالها تفضلهم على غيرهم ، والشعوب المتألمة من غيرهم تتمنى لو تتفيأ ظل حكمهم ، ولكن لايزال فى الشعب الانجليزى ذى العرق الراسخ فى مكارم الاخلاق وبعد الروية وطول الاناة وحب العدل والانصاف رجال يرجى أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ويراعوا الانقلاب الاجتماعى الجديد الذى فجرت هذه الحرب قواه التى جمعت فى عهد بعيد ، كما تتفجر البراكين من الارض بأخر نقطة أو دفعة من الغازات المولدة للضغط فاذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاستعمارية ووضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب بيقائها على مراعاة ما أشرنا اليه من الانقلاب الاجتماعى الاكبر . إذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ماذكرنا . وتركوا لهذه الشعوب استقلالها فى ادارة بلادها وسياستها وحالفوها على أن يكونوا هم المقدمون على جميع أمم المدنية فى مساعدتها العلمية والفنية التى تقرر استقلالها وتعمر بلادها ورضوا من المكافأة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والادبية التى تكون بالتراضي لابالقوة الاحتلالية فانهم يؤسسون

لشعبهم السكسونى المجيد . مجداً طريفاً إلى مجده التليد بحيث يرجي أن يكون خالداً لا يبلى ولا يبيد . ما لم يرجع عن هذه الطريقة أو يحيد وحينئذ تكون له العاقبة المحمودة ويسترجع أضعاف ما فقد من ثروته المالكة من غير نفقات كبيرة . كالنفقات التى لا يزال يتكبدها باحتلال البلاد المغلوبة . ويكون سبباً لاصلاح الكون وعمران الارض

أكتب هذا باملاء العقيدة الثابتة المؤيدة بالدلائل الاجتماعية الناهضة لا بباعث الاغراض القومية . أو قصد الايهامات السياسية تاركا تصديقه للزمان وتفسيره لحوادث الايام وسنن الله فى الانام لا مبدل لسنته ولا معقب لحكمه ولا راد لمشيئته

(المنار) من تأمل هذا المقال رأى كيف أن التاريخ يعيد نفسه وكيف أن ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية فى أوربا الآن سيدفعان بل قد دفعا فعلا دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم كما وقع ذلك من قبل . وكيف أن انجلترا كانت ولا تزال تضرب بعض الامم ببعض وتكون هي الرابحة . وكيف أن دهاء اليهود ونفوذهم المالى يعمل عمله دائما وراء الستار فى كل فتنة وكيف أن جمجمة خطب الرئيس ولسن قد ذهبت فى الهواء بعد انتصار الحلفاء وجرف السياسة الاوربية على سنتها من الاستغلال والاستبداد وكيف أن انجلترا لم تأخذ بهذه النصيحة الذهبية التى أسداها اليها صاحب المنار منذ عشرين سنة ولم يوجد فيها بعد أولئك الرجال الذين يقاومون الاطماع الاستعمارية ويضعون لدولتهم سياسة جديدة أساسها العدل والانصاف

دعوي علم الغيب

ومنافيتها لأصول الاسلام

لاريب أنه قد جاءت آيات وأحاديث فى أفراد الله تعالى وحده بعلم الغيب وهى كثيرة ونقتصر هنا فى الآيات على مافى سورة الانعام والنمل والجن قال تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها الا هو) (قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله) (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) ومن الأحاديث حديثى ابن عمر فى البخارى وعائشة فى مسلم فالذى فى البخارى قوله « ﷺ » « مفاتيح الغيب خمس لايعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » والذى فى مسلم هوقول عائشة «رض» « ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية إلى أن قالت فى بيان الثالثة ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » وقد بسط ابن العربى فى أحكام القرآن القول فى هذه المسئلة أول سورة الانعام وحكم بكفر من دعى علم واحدة من الثلاث المذكورة فى كلام عائشة « رض » وحكى ابن الحجاج فى حاشيته على « صغير ميارة » الاتفاق على كفر من يقول ان الأنبياء يعلمون ما كان ومايكون إلى يوم القيامة ونقل ابن حجر فى الاعلام بقواطع الاسلام وابن عابدين فى حاشية الدر المختار وغيرهما من الفقهاء فى المذاهب الاربعة كفر من ادعى علم الغيب قال الشاطبي فى الموافقات جزء ٤ صحيفة ٨٤ «وقد تعاضدت الايات والأخبار وتكررت فى أنه لايعلم الغيب الا الله وهو يفيد

صحة العموم من تلك الظواهر حسب مامر في باب العموم من هذا الكتاب فاذا كان كذلك خرج من سوى الانبياء من أن يشتركوا مع الانبياء صلوات الله عليهم في العلم بالمغيبات قال بعض العلماء ويراد بعلم الانبياء بالغيب ما كان عن طريق الوحي كما لايخفى وقد ذكر ابن قتيبة مبتدعي علم الغيب للمخلوق مع الحكم بكفرهم فقال في رسالته الاختلاف في اللفظ غلت الرافضة في حب علي وفي علم الغيب للائمة من ولده وتلك الأقاويل التي جمعت الى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة انتهى صحيفة ٤٧ باختصار على موضوع البحث قلت وقد سرت هذه البدعة في الرافضة الى متأخري الصوفية وقد ظهر شيخ جديد من الاكراد اسمه الشيخ نوري الوفكاني أخذ يدعو الناس منذ خمسين سنة بلسانه وبكتب ألفها الى قواعد وأصول تتنافى مع الروايات والأحاديث بدعوى أنها كرامات وسلك بذلك مسلك الغلاة من متفلسفة الصوفية حيث جعلوا دعوى علم الغيب وماهو أفظع منها من قبيل الكرامة وجهلوا أن شرط الكرامة ألا تصادم أساس الدين ولذلك قيد النووي في بستان العارفين الكرامة بألا تؤدي الى رفع أصل من أصول الدين نقله ابن علان في شرح رياض الصالحين جلد ٧ ص ٣٦١ وهو قول أبي اسحاق الشاطبي في الموافقات حيث قال « لايصح أن تراعى وتعتبر » أي الكرامة « إلا بشرط ألا تصدم حكما شرعياً فان مايصدم قاعدة شرعية أو حكما شرعياً ليس بحق في نفسه بل هو إما خيال أو وهم من القاء الشيطان » ذكره في الجزء الثاني ص٢٦٦

وقد كثرت الكتب التي تقرر هذه الدعاوى وتذيعها في الناس من مؤلفات المحدثين والقدامى من غلاة الرافضة ومتفلسفة الصوفية وعم خطرها وزاد شرها وضررها

وقد تداولتها الايدي أكثر من تداول صحيح البخاري وعمل بها الكثير من الناس في أكثر البلاد على رغم مافيها من الاحداث المبتدعة الهادمة للدين أصولا وفروعا فمحت آثار الايمان من قلوب العاملين بها الا قليلا ممن صانه الله وحماه وأبعده

عنها وذلك لغلبة الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسله

فالله الله يا أمة الاسلام ويا علماء الدين أن تدعوا هذه الكتب من غير انكار وتحذير منها وبيان لما فيها من الضلال البعيد فضلا عن ان تدافعوا عنها وتروموا بقاءها مندمجة فى كتب الدين الاسلامى الحقيق فانكم والذى لا رب غيره إن تفعلوا ذلك لابد أن تستوجبوا مقت الله وغضبه وأن تلاقوا الصغار والهوان فى هذه الدار وتلك الدار فنحن نطالب كافة العلماء أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من انكار تلك الكتب ونحوها من كل كتاب فيه مصادمة لكتاب الله فى دعوى علم الغيب لغير الله وأنبيائه ونحو ذلك من الامور المبتدعة التى هدموا بها عماد الدين وقوامه فاذا فعلوا ذلك ونصروا الله ودينه واغتاروا لله ولانبيائه مما وقع فى تلك الكتب من الالحاد العظيم رجوا حينئذ نصر الله لهم قال تعالى «وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم» وقال سبحانه وتعالى إن تنصروا الله ينصركم فاما أنهم يرجون النصر من غير نصر الله والغيرة على دينه بل بمجرد المحافظة على الوحدة والوفاق مما يوجب خذلان الله ومقته وتسليطه الاعداء على المسلمين فذلك غرور وأمانى باطلة لأن الله تعالى قد علق نصره بنصر العباد لدينه وأكد ذلك فى غير ما آية ومعلوم أن ما ربط الله به حصول المسببات عند تعاطى أسبابها لا يمكن تخلفها فضلا عن أن يوجد عكسها وهو أن ينصر سبحانه وتعالى من يخذل دينه فان مفهوم مخالفة آية إن تنصروا الله ينصركم إلا تنصروه لا ينصركم وقد أشار الى هذا المفهوم منطوق آية وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وهذه الآية تدل على أن ما عدا نصر الله لا يكون سببا لنصره هو سبحانه لعباده وعلينا أن نتأمل فى حالة النبي ﷺ فى أول مبعثه وما شجر بينه وبين قومه من الحروب والخلاف لأجل اقامة الدين وازاحة البدع وكيف جعل الله عاقبة ذلك النصر المبين ثم من بعد ذلك لما حدث هجر العمل بما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد لاعلاء كلمة الدين كيف أن المسلمين من ذلك الحين

لازالوا فى انحطاط ورجوع الى الوراء وماذلك الا لأنهم وضعوا أسبابا اخترعوها من قبل أنفسهم وهى أن الوفاق وترك الجهاد وعدم إقامة أحكام الدين واستبدالها بالقانون الوضعى كل ذلك يوجب لهم الراحة والاتحاد والوفاق وعدم الاضطراب وهب أن ذلك يحصل لهم الراحة ونحوها مدة من الزمان استدراجا ومكرا فى حياتهم الدنيا فأنى لهم الخلاص والنجاة من يوم يجعل الولدان شيبا هذا ما رأيت إبداءه لاخوانى المسلمين لما رأيته من كثرة تطلبهم للوحدة والوفاق ونفرتهم مما يوجب التفرق والشقاق ولو بانكار أعظم المنكرات التى يترتب على انكارها نصر الله نصرا عزيزا وماذلك إلامن عدم تمسكهم بالكتاب العزيز مشيا منهم مع مبادىء النظر وعدم التفاتهم الى وعد الله عباده المؤمنين فان كنت غالطا فيما أبديته نصيحة لعامة المسلمين فالمرجو من الاخوان ارجاعى إلى الصواب والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه والسلام عليكم أيها المسلمون ورحمة الله وبركاته

العراق		محمد على بن حسين

وصف الدنيا

وأحذركم الدنيا فانها منزل قلعة ، وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها . غرت بزينتها ، هانت على ربها . فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها . وحلوها بمرها لم يصفها الله تعالى لأوليائه ولم يضن بها على أعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد . وجمعها ينفد . وملكها يسلب . وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فيها فناء الزاد . ومدة تنقطع انقطاع السير؟ اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم واسألوه من أداء حقه ما سألكم وأسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم . إن الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم وان ضحكوا . ويشتد حزنهم وان فرحوا

الامام على فى نهج البلاغة

تراجم اسلامية

الشيخ محمد عبده

(١)

الآن تعود (المنار) إلى الميدان . بعد ما اختار الله مؤسسها السيد رشيد رضا إلى جواره . فى عنفوان جهاده ، وفورة نتاجه مع ما كان عليه من كبر السن ، وتقدم العمر — أحوج من نكون اليه فى عصر اختلفت فيه المقاييس ، وقلبت فيه الأوضاع — تعود قوية نشيطة . تزخر بالحياة وتنبض بالحرارة ، وتتدفق حيوية ، وتفيض إيمانا . على أيدي فتية الشباب من خيرة المسلمين متبعى السلف الصالح . قد وهبوا لله أنفسهم . وأرواحهم خالصة لوجهه . مستبسلين فى ميدان الجهاد . غير هيابين ولا وجلين . مولين وجوههم شطر كتابه العزيز يذيعون تعاليمه ودعوته . دعوة القرآن الكريم . دعوة القوة والمجد ، والعز الاسلامى الذى لا يعرف الذل ، ولا يلتقى والخور فى قرن . وينشرون قواعده التى عرفها الناس صالحة نافعة وأسسه التى جربها العالم ، وعرف أن فيها سعادته التى لا تعرف الشقاء . وهناءته التى لا يشوبها الألم .

أجل تعود (المنار) إلى الميدان جادة لتواصل السعي ، وتداوم الجهاد والكفاح الذى من أجله أنشئت ، وفى سبيله عملت ، وتحقق الغرض الذى طالما استشرف اليه المخلصون المؤمنون . حتى كانت مثلا أعلى فى الدفاع عن بيضة الدين ، والذود عن حياضه . وفى أسلوب يساير المدنية ولا يتعارض والعلم ، ولا يضعف بجانبه فينزل على تعاليمه ونظرياته الدائمة التحول والتبديل والاضطراب . بل

يجعل من نظرياته وآثار حضارته دليلا على حكمة الله من خلق السموات والارض الذي هو أكبر من خلق الناس لو تفكروا وتحررت منهم العقول . !

تعود لترفع الراية وتحمل اللواء ، وتتقدم الصفوف حيث التضحية التي لا تعرف جبنا ، والشجاعة التي لا تقل من صلابتها في الحق شدة ، ولا يضعف من عزمها كارثة مهما تأزمت حلقاتها .

وأعتقد أنه من الوفاء لرجل كان له أكبر نصيب في تأسيس (المنار) وهو الامام الشيخ محمد عبده . أن نخصه ببضع مقالات نتناول فيها بالتحليل شخصيته مع بعض النواحي التي تعني قراء (المنار) ونتتبع دعوته بالنظر الدقيق . لننظر كيف أثرت هذه الدعوة في العالم الاسلامي ، وكيف هزت صلد القلوب فألانتها وغزت جامد الافئدة فحركتها ، وطرقت مقفل الاذان ففتحتها ؛ وكيف وقف التاريخ يسجل لهذا الرجل في انصاف واعجاب .

واليك من تاريخ الامام ما يحدثك عن نشأة المنار .

جاء السيد رشيد رضا الى مصر وقد وضع نصب عينيه صحبة الامام . ثم إنشاء صحيفة اصلاحية ينشر فيها حكمته وخبرته ، فوصل الى الاسكندرية مساء الجمعة ٨ رجب ١٣١٥ ﻫ فاقام فيها أياما ثم انتقل منها الى طنطا فالمنصورة فدمياط ثم عاد الى طنطا ومنها الى القاهرة قبل الظهر من يوم ٢٣ رجب وفي ضحوة اليوم الثاني ذهب الى زيارة الاستاذ الشيخ محمد عبده في داره بالناصرية ، واستشار السيد أستاذه في إنشاء الصحيفة التي يريدها ، وشاوره في تسميتها وذكر له اسم (المنار) مع أسماء أخرى . فاختار الاستاذ الامام اسم « المنار » ثم شرع السيد في تحريره وكتب فاتحة العدد الاول بالقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي المجاور لدار الاستاذ بالناصرية . وكان ذلك في منتصف شوال ١٣١٥ ﻫ وذهب بها الى داره وعرضها عليه فأعجب بها كل الاعجاب ورمى كل ماذكر

فيها من المقاصد والأغراض إلا كلة واحدة هي تعريف الأمة بحق الامام وتعريف الامام بحق الأمة . قال ماممناه « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلا القرآن . وأن الكلام في الامامة منار فتنة يخشى ضرره . ولا يرجى نفعه الان » فحذف السيد هذه الكلمة عن رأى أستاذه وإشارته .

فهذا الرجل الذي عرف قيمة جهاده الخاص والعام وسادت آراؤه بعد محاربة . وفشت نظرياته بعد مدافعة وإنكار . وطعن في دينه وإيمانه ويقينه وحورب في غير هوادة وتسمم الجو حوله حتى سرت كراهيته في النفوس بفضل ما كان يذاع عنه . ويلفق ضده . واليك الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق يحدثك عن صورة من هذه الكراهية في مقدمته لكتاب (الاسلام والتجديد في مصر) .

« في بعض سنوات الحرب . شهدت الجامعة المصرية . قبل ضمها إلى وزارة المعارف . حفلة جمعت جمهرة من شباب العلم . وخطب فيها طائفة من كبار الأدباء وكبار الأساتذة .

وكان يجرى على ألسنة الخطباء ذكر أئمة النهضة الحديثة في مصر في فروعها المختلفة من سياسية واجتماعيه وعلمية . فتهتف الجموع . ويبلغ حماس الشباب أقصاه . حتى إذا جرى ذكر الشيخ محمد عبده خفت هنالك صوت الشباب وفترت حدة الهاتفين .

انصرفت يومئذ حسيرا محزونا . أكاد أتهم بقلة الوفاء بلدا ينسى فيه فضل الشيخ محمد عبده بعد سنين . لكن عتبي على شبابنا كان ممزوجا برحمة . لأنهم لم يعرفوا من أمر الرجل شيئا يغريهم بان يحبوه ويقدروه حق قدره .

ولعل قصارى ما كان يعرف طلاب العلم في ذلك العهد من أمر الامام أنه كان شيخا مكروها هو وآراؤه من الشيوخ . كما يكره الشيوخ المنار وصاحب

المنار تلميذ الامام . »

واكتفي بهذه الصورة الآن لأن يسط هـذا العنصر له مكانه في الكلمات المقبلة إن شاء الله . وكل ماأريد أن أخلص اليه . اننا في حاجة قصوى الى دراسة هؤلاء الذين استشهدوا في ميادين الجهاد . وراحوا ضحية ربثة لشهوات متضاربة وأغراض متناحرة تفتك بالامم . وتقوض الشعوب .

ومحمد عبده علم من أعلام هؤلاء المجاهدين . لجدير بنا أن نعني بآثاره . وأن نعرف قراء (المنار) حقيقة هذا الرجل حتى يغيروا تلك الصور القديمة عنه . ويأخذوا عنه صورة صحيحة واضحة المعالم . بينة التقاطيع . صورة أعاهد الله ألا يكون للشهوة فيها أصبع . ولا لحظ النفس منها نصيب . وستكون صورة هذا الرجل أول صورة من صور كثيرة اعتزمت بمشيئة الله رسمها على صفحات (المنار) في عهده الجديد . وكل غايتي من هذه التراجم الاسلامية إنما هي القدوة الحسنة ورسم خطى العاملين الذين لم يألوا جهدا في سبيل الدعوة إلى الله ورفعة دينه واعلاء كلمته . ليجد النشء غذاءه النافع . جعل الله عملنا خالصا لوجهه انه سميع مجيب ؟

يتبع عبد الحفيظ أبو السعود

من كلام الامام على رضى الله عنه

لوتعلمون ماأعلم مما طوى عنكم غيبه إذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على أعمالكم . ولتلتدمون على أنفسكم . ولتركتم أموالكم لاحارس لها . ولا خالف عليها . ولهمت كل امرىء نفسه لايلتفت الى غيرها . ولكنكم نسيتم ماذكرتم وأمنتم ماحذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم .

نهج البلاغة

انتقاد المنـــار

حول فتوى آيات الصفات وأحاديثها

جاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع الخطاب التالي ننشره مع رده فيما يلي

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن احتجاب المنار بموت صاحبه عليه رحمة الله تعالى كان من دواعي أسف المسلمين جميعا بل حزنهم العميق ، ولم يكن ذلك طبعاً لأنها مجلة اسلامية فقط . بل كان ذلك لما علمه قراء المنار من الميل مع الحق أينما كان وعدم المبالاة بكائن من كان في سبيل كلمة الحق وبيانها وإيضاحها ولا أظنك تجهل مواقف صاحب المنار عليه رحمة الله مع كثير من أخص أصدقائه فانه لم يكن يعرف الا الحق ولو أغضب الحق صديقه أو جميع الناس ولم نعهد فيه رحمة الله عليه مداهنة ولا محاباة ، وبذلك كان للمنار وصاحبه تلك المنزلة التي تعرفونها في نفوس جميع أهل الملة المحمدية . . فاذا كنتم تريدون السير بالمنار سيرته هذه فلاشك أنها إن شاء الله تعالى ستحيي حياتها الاولى وإلا فاسم المنار وحده لا يغني شيئا .

لقد استفتاكم مستفت فيما شجر من الخلاف بين مجلتي الهدى النبوى والاسلام فماذا افتيتم ؟ إن رأى المنار في موضوع الخلاف بين المجلتين معروف مسطور في أعداد المنار السابقة ،فهل نفهم من فتواكم هذه أن المنار يتنكر لماضيه ، وينسى برنامجه؟لقد قلتم ياسيدى الاستاذ إن كلتا المجلتين على الحق !!! ولا يعقل فيما نعلم

أن يختلف اثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الاخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق ، لا . . ليس هذا شأن المنار الذي عرفناه وبكيناه لما احتجب . نرجو أن تصارحونا بالحق في أي الجانبين هو كما عودنا صاحب المنار ان كنتم تنصرون الحق لله وفي سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله . 　　قارىء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه ومن والاه

« وبعد » فعلى حضرة القارىء المحترم السلام ورحمة الله عليكم وبركاته وكنت أود أن يتكرم باظهار اسمه حتى نتعارف في سبيل البحث من الحقيقة ولعله — وفقنا الله وإياه — رأى في ستر اسمه معاونة على خدمة الحق للحق بدون نظر إلى الصلات الخاصة بين المتباحثين فنحن نحسن الظن ونشكر للاخ الفاضل خطابه مؤكدين دعوتنا الاولى بجميع اخواننا في انتقاد ما يرونه مستحقا للانتقاد في المنار حتى تتعاون الجهود على الوصول للحقيقة ويسرنا أن نعلن أننا ننتهز مثل هذه الفرصة لنسلك بالنقد الأدبي مسلكا نبيلا لا هجر فيه ولا إقذاف ولا تجهيل ولا تضليل ولنكمل به أنفسنا فان الكمال لله وحده والعصمة لانبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ومن ادعى لنفسه الكمال أوظن بها ذلك فهذا عين النقص ونسأل الله ألا يحرمنا من يبصرنا بعيوبنا ويحملنا على الصواب والسداد والى الكاتب والى حضرات القراء الفضلاء رأينا فيما ورد في هذا الخطاب .

(١) نسب الينا الاستاذ الكاتب أننا صرحنا بأن كلتا المجلتين على حق وبنى على هذا أنه من غير المعقول أن يختلف إثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الاخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق وحضرته لهذا يرجو أن نصارح بالحق في أي الجهتين هو ؟

ولا أدرى من أين جاء حضرته بهذا التصريح الذى نسبه إلينا إن كان قد جاء به من تصريحنا بأن كلا الفريقين فى نظرنا أصدقاء لنا وممن يتصدون للدعوة إلى الخير فليس معنى هذا تصويب رأى أحد منهما ولا كليهما فى موضوع نزاع بعينه والذى صرحنا به فى موضوع الخلاف أن كلا الفريقين غير محق وأن موضوع الخلاف من أساسه لا يصح أن يكون خلافا وليس بلازم أن يكون كل مختلفين أحدهما محق والآخر مبطل بل قد يكونان مخطئين جميعا وهو ماصرحنا به بوضوح فان فريقا تغالى فى التأويل وفريقا تغالى فى الجمود. ورأى السلف فى ذلك وهو رأى المنار الذى يشير إليه حضرة الكاتب وهو رأينا الذى أوضحناه فى مقالنا أن مذهب السلف . ترك الخوض فى هذه المعانى مع اعتقاد تنزيه الله تبارك وتعالى عن أمثالها المنسوبة لخلقه وإمرارها كما جاءت وتفويض علم حقائقها إلى الله فمن فسر الاستواء بالاستيلاء فقد تورط فى التأويل وألزم نفسه غير ماألزمه الله به ومن فسره بالاستقرار فقد تورط فى التشبيه وأوهم سامعه جواز نسبة صفات المخلوقين إلى الخالق فان قال (هو استقرار يليق بجلاله) فهو إذن لم يأت بشىء والأولى أن يقف عند النص، والحق فى هذا وأمثاله أن يقال استوى استواء يليق بجلاله مع اعتقاد عدم المشابهة وتفويض الحقيقة إلى الله إلا أن تقوم قرينة لا تدفع تصرف اللفظ عن ظاهره فنقف عند حدود هذا الصرف ولا نتجاوزه كما ذهب إليه السلف فى معية الحق تبارك وتعالى بعلمه لا بذاته

تلك أمور فصلناها وقررناها ولمنا الفريقين على أنها طرقا نحونا كهذه يمثل الأسلوب الذى خاضوا به فيها وبذلك حققنا رجاء الكاتب وصارحناه بأن الحق ليس فى احدا الجانبين فأين القصور إذن؟

(٢) هذا من حيث موضوع النزاع ورأى المنار فيه بالذات وأظن أن فيما نقلناه فى باب التفسير فى هذه المعانى كفاية ومن أراد الاستزادة زدناه حتى يعلم

أن المنار لايتنكر لماضيه في الحق ولا ينسى برنامجه من الصدع به ولا يناقض نفسه في الصواب وبقى بعد هذا أن نذكر حضرة الكاتب ببعض مافاته معرفته من برنامج المنار الذى سارت عليه في ماضيها ونريدأن نسير بها عليه في حاضرها

صرح صاحب المنار بقاعدة وأسماها قاعدة المنار الذهبية فقال (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) فمواطن الخلاف ياسيدى يقدم فيها العذر على التجريح وسوء الظن وذلك ماسنسير عليه إن شاء الله وقد قضى صاحب المنار حياته وهو يصدع بالتحرر من الجمود وينعى على أهل التقليد الاعمى الذين يقدمون أقوال الناس التى لم يقم عليها دليل على الأدلة الواضحة بغير برهان بين أيديهم إلا أن هذا قول فلان وفلان فهل يريدنا حضرة الكاتب على هذا التقليد الذى نعاه صاحب المنار على أهله؟ أم يريدنا متبعين للدليل والحق ندور معه كيفما دار وان خالفنا صاحب المنار؟ وأظن أن حضرة الكاتب يذكر أن الشافعى كان من خلصاء تلاميذ مالك رضى الله عنهما وكلاهما في جلالة قدره ورسوخه في علمه وتقواه لله بالمنزلة التى لاتتسامى اليها القوادح ومع هذا فلم يمنع هذا الشافعى أن يخالف مالكا وأن يكون له رأيه ومذهبه

فنحن مع المنار وصاحبه عليه رحمة الله ورضوانه في الاصول الاسلامية التى لاخلاف فيها في منهاج الاصلاح العام وخطته وفيما وضح الحق فيه واستبان وجه عليه الدليل في الشئون التى فيها مجال للتفكير والنظر ولا يمنعنا هذا من أن نخالف صاحب المنار رحمه الله في الأمور التى لم يقم عليها الدليل القيم في نظرنا على أن ندلى برأينا وحجتنا وندع لكل من أراد التنبيه أن ينبهنا لما فاتنا والله الموفق للصواب ؟

حسن البنا

موقف العالم الاسلامى السياسى

انتهت حرب الكلام بين الدول الأوربية المتناحرة وتغيرت الاوضاع الدولية فى اوروبا فاخفق اتفاق انجلترا وفرنسا مع روسيا وحل محله ميثاق روسى الماني وكانت مفاجأة غير منتظرة وأمر أدهش له العالم. أن يتفق الهر هتلر — وهو الذى بنى دعوته الاولى على مكافحة الشيوعية الروسية وانطوى لها على أشد حالات الخصومة والبغض مع زعماء هذه الشيوعية التى ندد بها ونال منها ولكن القوم فى أوروبا لايعرفون إلا المصلحة المادية وسرعان ماينسون المبادىء والعقائد والافكار مهما كانت سامية نبيلة — وتبع ذلك أن تشددت عزيمة ألمانيا فأقدمت على غزو بولونيا واجتياحها بالقوة المسلحة وردت انجلترا وفرنسا على ذلك باعلان الحرب على ألمانيا وسوق الجيوش إلى الميدان الغربى حيث رابطت أمام خط سيجفريد الالمانى — وكانت مفاجأة أخرى أن تقدمت روسيا بجيوشها تجتاح القسم المجاور لها من الأرض البولونية وبذلك تم للجيوش الالمانية والروسية أن تقضى على استقلال بولونيا وتتوزع فيما بينها أرضها وتضطر حكومتها إلى الفرار حيث تألفت فى باريس من جديد ومهما كان من خلاف بين الروس والالمان على خط الحدود فان الامر الواقع الآن أن بولونيا قد قسمت مرة أخرى بين روسيا وألمانيا والذى نحب أن نلفت اليه أنظار الشعوب الاسلامية أن

بولونيا تضم ستين الفا من المسلمين غالبيتهم فى أنحاء فيلنو ونوجرديك وقد أقاموا فى بولونيا منذ القرن الخامس عشر الميلادي وكانت الجمهورية البولندية تسمح لهم باقامة شعائر دينهم بتمام الحرية فأخلصوا لها كل الاخلاص وحاربوا فى صفوفها واشترك عدد كبير من ضباطهم وهم معروفون بالشجاعة والاقدام ـ شأن المسلم المجاهد ـ فى الحرب الاخيرة ودافعوا كثيرا عن المدينة المحدودة مركز الاسلام في بولندا وفيها يقيم المفتى الحاج الدكتور يعقوب سليمان شينكيفتش . والآن وقد صار هذا القسم تحت حكم البلشفية الروسية فهل تدع حكومة السوفيات المسلمين فيه يتمتعون بشعائر دينهم وحريتهم كما كانوا فى عهد الحكومة البولونيه؟ أم أنهم سيعملون على بلشفتهم ويحاربونهم فى عقائدهم ويهدمون ما بقى لهم من مساجد ومعابد كما فعلوا بهم ذلك من قبل حين اقتسمت روسيا والمانيا بولنـــدا فى أواخر القرن الثامن عشر ؟ من واجب الحكومات الاسلامية وبخاصة الحكومة التركية التى هى على صلة بالروس والتى هى أقرب حكومات المسلمين الى بولندا أن تتحرى ذلك وأن تعمل على حماية هذه الجالية الاسلامية الشديدة المتمسكة بدينها القديم ولا ندرى هل تصغى حكومة تركيا إلى هذا النداء أم تعتبره شأنا إسلاميا خاصا يتنافى مع ما اختارته لنفسها من أن تكون حكومة «لادينية » ؟..

كان اجتياح بولندا سببا فى تخوف دول البلقان وفى تردد تركيا

بين المعسكرين المتخاصمين محور موسكو برلين تارة ومحور فرنسا وانجلترا تارة أخرى ووقفت ايطاليا موقف المترقب المنتظر ولم تحدد موقفها تحديدا صريحا بعد وأخذت اليابان ترقب هي الاخرى مجرى الحوادث وأعلنت أمريكا سخطها على عمل المانيا ولم تعترف بالحالة الواقعة في بولندا الان واعتبرت الحكومة البولونية القائمة في فرنسا حكومة شرعية واعترفت بها وارتفعت صيحات بوجوب الصلح ووضع الحسام والاتفاق على ما يريح العالم من عناء الحرب ولا ندري ماذا ستلقاه هذه الدعوة من الاصغاء وما سيكون لها من النجاح وان كان أغلب الظن أن هذه النفوس الظماء الداوية بالاطماع والاهواء سوف لا يرويها إلا الدم المتفجر من البشرية الذبيحة

ذلك هو الموقف الدولي عامة فما موقف العالم الاسلامي خاصة؟!.

لقد قدمنا أن العالم الاسلامي قضت عليه ظروف وأوضاع أن يرتبط بالدول التي تسمى نفسها ديمقراطية وهي انجلترا وفرنسا ارتباطا وثيقا وأن تشتبك مصالحه بمصالحها اشتباكا قويا وقد برهنت الحكومات والشعوب الاسلامية من جانبها أنها وفية لهذه المصالح مقدرة الموقف تمام التقدير منزهة عن العبث والكيد الرخيص والاستغلال الذي لا يتفق مع الشرف العلي والنزاهة النبيلة وأخذت الحكومات المتعاهدة مع انجلترا كمصر والعراق تنفذ تعهداتها بكل إخلاص

..مع هذا كله فالى الان لم تقدم الدول الديمقراطية دليلا واحدا على

تقديرها لهذا الموقف النبيل من الشعوب الاسلامية واكتفت بأن تتناولها ببعض كلمات المديح والاطراء فى الخطب والمقالات التى لاتقدم ولا تؤخر. فسوريا الجنوبية (فلسطين) لاتزال قضيتها حيث هى لم يؤثر فيها تصريح المفتى الاكبر بالثناء على فرنسا ولا كتابه للحاكم البريطاني ولا تصريح المجاهدين أنفسهم بأنهم لن يطعنوا انجلترا من الخلف ولن يستغلوا اشتغالها بالحرب الاوربية فى الاتفاق مع خصومها أو التقرب اليهم. وكان أقل مقتضيات رد الجميل فى مثل هذا الموقف أن تأمر الحكومة الانجليزية حالا بالافراج عن المعتقلين والتصريح بالعودة للمبعدين والعفو الشامل عن المسجونين واعادة النظر فى سياستها بالنسبة للحقوق العربية الواضحة

وسوريا الشمالية لايزال الامر فيها على ماكان عليه ولم تظفر إلى الان من فرنسا حتى بوعد منها أنها ستعود إلى الانصاف والعدل بل حوكم كثير من رجالاتها وحكم عليهم بأحكام قاسية شديدة تقبلوها راضين هادئين .

وسوريا الوسطى (لبنان) تغير فيها نظام الحكم تغيرا تاما ولو أنه حين كما يقول المندوب الفرنسى وأوقف دستورها وحكمت حكما أجنبيا مباشرا أومايقرب منه

وكان من واجب الدول الديمقراطية أن تنتهز هذه الفرصة فتعدل سياستها مع هذا القطر الشقيق وبخاصة فرنسا التى شهدت أن أول دم

أهدر على ارضها وللدفاع عن حدودها أمام خط ماجينو إنما كان دم المسلمين العرب من المغاربة الجزائرين والسينغاليين

إن شعوب العالم الاسلامي قسمان قسم تحت سلطان الحكم الاجنبي المباشر وهذا لا يملك أمر نفسه ولا يستطيع أن يختط لنفسه طريقا خاصة فهو تحت رحمة الاقدار ونسأل الله أن يتداركه بلطفه ورحمته

وقسم قد تحرر ولو بعض الحرية فمن واجبه في هذه الظروف المصيبة حكومات وشعوبا أن يكون دائم اليقظة والتنبه للحوادث والمفاجآت فلا يتورط في خطوات وخصومات هو في غنى عنها ولا تعود عليه بشيء وليلتزم الحدود التي رسمتها له الاتفاقات والمعاهدات. وعليه أن ينتهز هذه الفرصة للاسراع في أعداد العدة وتقوية نفسه تقوية تنفعه في المستقبل وتحفظ عليه كيانه واستقلاله بعد أن تضع الحرب أوزارها وعليه كذلك أن يكون مطمئنا هادئا فاننا إن لم نستفد من هذه الحرب القائمة فلن نخسر فيها أكثر مما يخسر غيرنا والصلح خير لنا والحرب ليست بضارة بنا وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

«حسن البنا»

تعليق

تحدث إلينا الأخ الفضال السيد عبد الرحمن عاصم وكيل المنار السابق ببعض ملاحظات حول العدد الماضي وقد ضاق عنها هذا العدد وسنتحدث عنها في العدد القادم إن شاء الله

السيد محمد رشيد رضا

بقلم وكيله وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم

ولد السيد محمد رشيد رضا فى ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وتوفى فى ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤

وتربى تربية عالية لم تتحكم فى نفسه عادة من العادات السيئة المضرة كالتدخين وادمان شرب القهوة والشاى وأخذ إخذ الامام الغزالى بكتابه الاحياء من أول بدئه بطلب العلم .

وراض نفسه عليه واتخذ له خلوة بالغرفة المشرفة على البحر من جامع جده فى قرية القلمون لدرس العلوم والتعبد بالصلاة بتدبر القرآن الحكيم .

وتصدى من ذلك الحين للوعظ والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة فالسيد رشيد طلب العلم بالاخلاص وتوجيه الارادة ليكمل به نفسه ويؤهلها للاصلاح الدينى الاجتماعى فكان من أشجع دعاة الاصلاح وأشدهم جرأة فى مواطن الحق على الحكام والعلماء غير هياب ولا وجل . ولولا أنه كان راسخا فى إيمانه واثقا بصحة علمه ومخلصا فى وعظه وإرشاده لما تجرأ على نقد حكام الدولة العلية فى العصر الحميدى والاتحادى . وقد أصابه أذى كثير منهم فى والده وأسرته من بعد ما عرضوا عليه أوفى وأحسن ما تصبو اليه نفوس طلاب الدنيا من رتب ومناصب وغيرها ليسكت عنهم ويسخر قلمه فى خدمتهم .

هذا ولم يتهيب بريطانيا العظمى وطعن فى تعسفها فى حكم قومه وأهل ملته

وألبهم على مخالفتها بوسائل مختلفة وحذرهم من مصادقتها لأنها خداعة مكارة وهو مقيم في مصر تحت سلطانها

ومن الأدلة على ذلك خطبته المشهورة أمام المرحوم أبي الثورة العربية الملك حسين في جموع «منى» سأذكر خبرها وخطبته في داروجيه من وجهاء «بيروت» في القاهرة في حفلة جمعت رجال السياسة العربية من أقطارها تحت ستار الترحيب بضباط عراقيين وسوريين قدموا إلى مصر – ليتقابل المجتمعون ويروجوا اتفاق سايكس بيكو على تقسيم بلاد العرب فيما بينهم . ولكن السيد رشيد عارض ذلك معارضة عنيفة حملت مستركلايتن باشا فيما بعد . وكان الحاكم بأمره بمصر على معاتبة السيد رشيد على قوله في الانجليز ومما أجابه به السيد : هل من العدل أن تمنع أمة ضعيفة من الدفاع عن نفسها إذا اعتدت عليها أمة قوية ؛ كفوا عن الهجوم علينا لنكف عن الدفاع عن أنفسنا .

وكم حاول سمو الخديو السابق أن يفرق بين السيد رشيد والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بالترغيب والترهيب هذا مرة ولذاك مرة ولم تنجح محاولاته عندهما وكان جواب الاستاذ الامام لبطرس باشا غالي الموفد من الخديو أحب أن تعلم ويعلم الخديو انى أفضل أن أعيش أنا والسيد رشيد ههنا في رمل عين شمس على البقاء في منصب الافتاء وعضوية مجلس ادارة الأزهر لأن هذا الرجل متحد معي في العقيدة والفكر والرأى والخلق والعمل . . وأجاب الاستاذ الامام أيضا فضيلة المرحوم الشيخ محمد شاكر وكيل الازهر على رسالته من الخديو (كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار وهو ترجمان أفكاري)

ومن كلام السيد رشيد للشيخ على يوسف صاحب المؤيد جوابا عن رسالته الخديوية . . ولكن لي غرضا من تعظيم قدر (الشيخ محمد عبده) وتفضيله هو

فوق فائدة انتشار المنار بكثير . وهو أن الاصلاح الاسلامى الذي أدعو اليه لا ينهض الا بزعيم تثق به الأمة ولا أعرف أحداً أجدر منه أو يساويه فى استحقاق هذه الزعامة ولما لم تلن قناة السيد لسمو الخديو أراد إخراجه من مصر وبلغ ذلك رياض باشا الشهير وخاطب السيد فى هذا الشأن بقوله هل تغير شيئاً من خطة المنار ؟ قال السيد حاشا لله . ما كنت لأغير عملى التابع لعقيدتى وخلقى وكل فضيلة لمصر عندى أنى أستطيع فيها خدمة ملتى وأمتى بما أعتقد أنه الحق النافع فاذا زالت هذه الحرية منها فلا يحزننى الخروج منها وأنا لا أملك فيها شيئاً قال الباشا للسيد : « كده أريدك »

هذا وقد ألف السيد كتابا فى نقد بعض أكابر علماء الأزهر سماه المنار والأزهر . والمال والرتب والوظائف ، عند الشيخ أبى الهدى والاتحاديين فى الدولة العثمانية وعند الأزهر والخديوى والانجليز بمصر وقد حاولوا صرف السيد عن خطته الاصلاحية بشتى طرق الاغراء بالمال والمناصب وبترهيبه أيضاً بفنون الترهيب وصبر على أذاهم ولم يفتن بالمال ولم يغتر بالرتب ولم يرهبه الوعيد لأنه كان مخلصاً فى توجيه لخدمة أمته وملته

ومما عرف من صلابته وإخلاصه لقومه أن الانجليز لما عرضوا عليه أن يكتب مقالات أسبوعية فى صحيفة « الكوكب » التى أنشئت بالقاهرة لخداع العرب اعتذر فى كتاب الى نائب الملك ونجت باشا جاء فيه .

لو بذلتم لى المال أو استللتم لسانى أو قطعتم أناملى على أن أقول أو أكتب ما يخالف دينى وكرامة قومى العرب فانى لا أفعل . وجاءه رد بالاعفاء من ذلك التكليف واعتذر بأنه كان بخطأه كنتكليف رئيس تحرير التيمس الكتابة لجريدة هزلية

ولما عزم السيد على أداء فريضة الحج فى أثناء الثورة العربية دعى إلى قصر عابدين وقدم اليه رئيس الديوان شكرى باشا صرة نقود قائلا . بلغ مولاى السلطان عزمكم على السفر الى الحجاز وأمرنى أن أقدم هذه النقود اليكم . أجاب

السيد . الحج على المستطيع وقد تهيأت لادائه بصحبة سيدتى الوالدة والشقيقة قال الباشا : خذها من دعاه . أجاب السيد الدعاء لا يقوم بثمن وسأدعو لمولاى السلطان ولخاصة المسلمين وعامتهم بما يلهمنى الله عز وجل . قال الباشا : خذها وتصدق بها فان الصدقة فى الحجاز بعشرة أضعافها أجاب السيد . ذلك صحيح ولكنى أختار فيمن أعطى القليل الذى أتصدق به وقصور الملوك والسلاطين مفتحة الابواب للقصاد والوراد . قال الباشا . بما أعتذر إلى مولاى السلطان وعطايا الملوك لا ترد . أجاب السيد أرجو أن تذكروا لمولاى السلطان ما عرفه به الاستاذ الامام من أنى لا أقبل عطاء بدون مقابل .

ولما كان السيد على عرفات تحققت عنده صحة الاشاعة بأن الحجاج سيدعون فى « منى » لمبايعة (الشريف) بالخلافة فذهب الى مخيم الشريف وذكر له ما بلغه وذكره بو عيد الحديث « اذا بويع خليفتان » فقال (الشريف) رحمه الله إن تلك المساعى من رغبات أحد أنجاله والاتباع . ولما اجتمع الحجيج فى « منى » وتهيأ العلماء والخطباء والشعراء لتهنئة (الشريف) بالعيد ، جاء الشريف عبدالله والشيخ عبد الملك الخطيب باشا إلى السيد وطلبا منه أن يقول كلمته .

وكان (الشريف) يقف فى المناسبات فى أثناء الخطبة ويقول للسيد . صدقت . وبعد ذلك حضر الى السيد من يقول له إن الخطبة ينقصها أن تكون مقدمة لدعوة الناس لمبايعة سيد الجميع بالخلافة . ولكن السيد حول الحديث من سياسى الى أدبى وأجاب . أخشى أن يقال لى عندئذ ما قيل لذلك الشاعر الذى وهب الكرى الى المشاق . وهبت ما لا تملك إلى من لا يقبل

وسأقص على القارىء الكريم نبذا أخرى من رسائل السيد الى بعض ملوك العرب ليقف منها على مقدار صراحته فى الحق وإخلاصه فى النصح غير مداج ولا مراء فن ذلك قوله فى كتاب الى جلالة الملك عبد العزيز (ولا أزال كذلك

أجاهد معكم مادمتم تجاهدون في سبيل الله وإعزاز دينه) وفي آخر « وموضع العبرة أن الله تعالى قد استخلفكم في الأرض التي فضلها على كل أرض لينظر كيف تعملون » ؟

ومن كتاب آخر (وقد عاهدناكم على أن نؤيدكم ونخدمكم في إقامة السنة وهدم البدع وإحياء الاسلام على منهاج السلف في أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية في أمور الحرب والعمران

ومن أحسن ما كتب السيد الامام إلى امامي الجزيرة العربية صراحة وإخلاصا في النصيحة لما وقع الشقاق بين الحكومتين اليمنية والسعودية . قال رحمه الله ورضي عنه (مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية من حق سياسي أو جغرافي فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين فكل منهما واسع الأطراف قابل لأضعاف ما هو عليه من العمران . فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للحرب لأجل توسيع حدوده بحق أو باطل »

ثم قال يخاطب كلا من الامامين . إن جزيرة العرب هي تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين الاسلام والمسلمين لا لعبد العزيز السعودي ولا ليحيى حميد الدين . فاختلافكما وتماديكما يضيع الاسلام ولئن ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة في غيرها فيجب أن تتذكرا هذه التبعة وتتقيا الله وتحرصا على حسن الخاتمة)

وقد كان للاخلاص بهذه النصيحة وللوفد الذي أرسله السيد رشيد إلى الامامين أثر طيب لديهما وكان مولاي السيد يطلعني على رسائله تربية لي وتعليما ولعلي أجد فيها حرفا ناقصاً أو زائدا لأصلحه وإذا وجدت فيها ما يستحق المراجعة فانه رحمه الله كان يسمعها ويمضيها إذا أقرها . وإن أنس لا أنسى أني

وجدت شدة فى خطاب منه إلى جلالة الملك عبدالعزيز وراجعته فيها فغضب وقال لى . يا عاصم . أتريد أن تعلمنى المداجاة والجبن ؟ ! اقفل المكتوب وأرسله الى البريد . واعلم أن مزيتى عند الملك إخلاصى وصراحتى فى النصيحة ومزيته عندى انه يقبل النصيحة

والسيد الامام ما كان ليترك فرصة تفوته بدون تذكير طيب نافع ومن ذلك ما جاء فى كتاب منه الى المرحوم الملك غازى (. . . معتصمين بحبل الهداية الاسلامية التى اشتدت اليها فى هذا العصر حاجة شعوب المدنية كلها . إذ هددت الافكار المادية دولها بالانحلال والاباحة الالحادية حضارتها بالزوال ولم يبق لها منقذ إلا الهداية الروحية الجامعة بين المصالح الدينية والمدنية . . وقال فان تحرص على هداية دينك القويم ولغة قومك وحضارة أمتك وشرف بيتك وتضم إليها الفنون العصرية المرقية للزراعة والصناعة والتجارة والنظم المالية والقوى العسكرية تكن ان شاء الله من الملوك المجددين الجامعين بين سيادة الدنيا وسعادة الدين)

كان رحمه الله مضيافا مواسيا عاله القليل أهل الحاج من الأسر المستورة مساعدا العاملين فى سبيل أمته وقومه فكم ساهم فى نفقات الوفود والجمعيات والمؤتمرات العربية السياسية . ولو لا الأزمة المالية التى أصابته مؤخرا لكان رزقه كفافا كافيا لنفقاته . ولكن توفى رحمه الله وعليه أكثر من الفى جنيه مصرى خلافا لما كان يحسب كثير من الناس .

نعم خلف مؤلفاته ومطبوعاته وهى أكثر من دينه ، بل هى ثروة علمية اصلاحية عظيمة تركها السيد الامام ذكرا وشرفا له ولقومه وأمته .

كان السيد مشغول البال دائما بأمته يفرح بما ينفعها ويحزن لما يضرها وكانت السيدة والدته تسأله اذا رأته مكتئبا . هل أحد من مسلمى الصين يشتكى

من شيء؟ . تريد أنه يكتئب اذا أصاب مكروه أحدا من اخوته فى الدين مهما بعدت داره ولو فى الصين

كان هم السيد المستولى على شعوره إصلاح شأن العرب والمسلمين بالتأليف والتعليم . وقد كتب فى التفسير والفتاوى وسائر ضروب الاصلاح ما لم يسبق اليه فى المقدار والفائدة وكان رحمه الله يقول لى . أخشى أن يحاسبنى الله عز وجل على عمرى فيما أنفقته وأكون مقصرا فيما وجب عليَّ بيانه من أسرار الشريعة وحكمها وكان يأمرنى أن أغنيه بقدر الامكان عن مقابلة الزائرين ليبقى منصرفا الى التأليف . وقد فرح فرحا عظيما حين أتم أنفس كتبه تأليفا وطبعا أعنى به كتاب «الوحى المحمدى»

وأنشأ منذ ثلاثين سنة مدرسة دار الدعوة والارشاد عملا برأى الاستاذ الامام فى تعليم طائفة من مختلفى الأقطار العلوم الدينية مصفاة من الآراء والاهواء وكذلك العلوم الأخرى القديمة والحديثة بقدر ما يكفى لتثقيفهم وإعدادهم للدعوة والارشاد (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقد نجح فى ذلك جماعة من الطلاب وفى مقدمتهم السيد أمين الحسينى الذى انتهت اليه الزعامة الدينية والسياسية فى فلسطين والشيخ يوسف ياسين أمين سر جلالة ملك المملكة العربية السعودية . والشيخ عبد الرازق المليح آبادى صاحب المؤلفات والصحاف المشهور فى الهند وقد سجن مع مولانا أبى الكلام الزعيم الهندى الكبير لمشاركته إياه فى جهاده . والشيخ محمد بسيونى عمران فى جاوة ومواقفه مشهورة بالتعليم والارشاد . والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والاستاذ عبد السميع البطل وهما من خيرة العلماء المصريين فى الاخلاق والوعظ والتعليم تلك نبذ من كلام السيد فى رسائله الخاصة والعامة وطائفة من أخباره تدل على تمركز كبه همها الاصلاح باخلاص ولذا كان عزيزا كريما لم تدنسه الاطماع ولم تمله الاهواء . ولا يخاف إلا من الله عز وجل

كان السيد رشيد مدرسة فى كل وقت من أوقاته فى الدار وخارج الدار وقد أقمت معه فى داره ستا وعشرين سنة تلميذا وأمينا اسره وقلما يخلو مجلس من

مجالسه من الجد . أتم الثانية والسبعين من عمره المبارك وهمته همة الشباب وقلما يضيع وقتا من أوقاته بدون عمل أو تفكير مهيء للعمل الطيب .

كان السيد رشيد رضا يستيقظ مبكرا قبل الفجر ويتوضأ ويتنفل بالصلاة و يتلو القرآن ثم يؤذن أذان الفجر من شرفة الدار ، ويؤم أهله للصلاة وكان يغلبه البكاء حينما يجهر بالقرآن ، ثم إن كان عنده ما تدعو الضرورة لانجازه من كتابته انصرف اليه أو يخرج للرياضة مشيا على الاقدام يسير بقوة ونشاط ويعود الى الدار بعد طلوع الشمس فان كان صائما أخذ بعمله الكتابي ويتقيل غالبا وينام مبكرا . وهو على كثرة تفكيره وكثرة سمنه فان نومه كان خفيفا وقلما يصيبه الارق .

بلغ مران السيد على التأليف والتصحيح أن يكتب فى أثناء محادثته مع الناس ولا تقطع المحادثة عند سلسلة فكره . وقد زاره مرة هندى من المتعلمين فى جامعة كمبردج وقدم اليه عشرة أسئلة مكتوبة وسأله عن موعد العودة إلى دار المنار لاخذ الجواب عنها . فقال له السيد أذكر أسئلتك سؤالا سؤالا وكان العالم الهندي يذكر السؤال والسيد يجيبه حتى أتى على آخرها . والسيد لم يترك عمله تركا كان السيد لا يراجع مايكتب فى التفسير الا من بعد أن يكتب فهمه فى الآية حذرا من تأثير أقوال المفسرين فى نفسه .

وكان يكتب أصول المنار فى أثناء اسفاره إلى الشام والاستانة والهند والجزيرة العربية وأوروبة من تفسير وغيره ويرسلها الى المطبعة فى مصر . وليس لديه مرجع من الكتب غالبا الا «المفردات» فى غريب القرآن للراغب . واذا آتاه الله فهما فى القرآن لم يسبق اليه أو لم يطلع عليه الا بعد كتابته من عنده فانه يتحدث به إلى اخوانه حامدا شاكرا . وقد يقصه على أهل بيته مغتبطا مسرورا .

كان السيد يدرك من أسرار السياسة وغوامضها مايقصر عنه كثيرون من

المشتغلين بها . وآراؤه المنشورة فى عهد السلطان عبد الحميد والاتحاديين وفى أيام غيرهم مؤيدة لذلك . وقد تحمل الأذى فى سبيل نصحه إياهم وطعن فيه رجال من اخوانه ، ثم تبين لهم بعد سنين ان رأيه هو الصواب وكتبوا منتقدين الذين كانوا يدافعون عنهم ، فالسيد لغلبة الصدق و لاخلاص والصراحة عليه كان يصلح أن يستشار فى السياسة

إن انصراف السيد كل الانصراف الى التفكير والعمل فيما ينفع الناس صرفه عن استيفاء أساليب المجاملة فى التحية والتسليم عند المتحببين المتشوقين فالذين لا يقدرون حياة الاختصاصيين الدائبين على التفكير فيما انصرفوا اليه كانوا يرمون السيد بما هو براء منه . ولو أن السيد جرى على سننهم واتبع أهواءهم لما وفق أن يخرج للناس تلك المؤلفات الممتازة بما انفرد به من التحقيق والتحرير وقد غبطه عليها أناس وحسده آخرون وجمعوا جموعهم مرات لنقدها وكان السيد يقول حينما بلغه اجتماع العلماء لنقد المنار أرجوا أن يكون هذا تسخيرا من الله عز وجل لتبرأ به المنار مما عسى أن يكون فيه من خطاء

فان اصاب النقاد نشرت لهم نقدهم وشكرت لهم صنيعهم

وللسيد قاعدة دعا اليها وجرى عليها وهى : أن نتعاون على ما نتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه ، وكان يسميها قاعدة المنار الذهبية

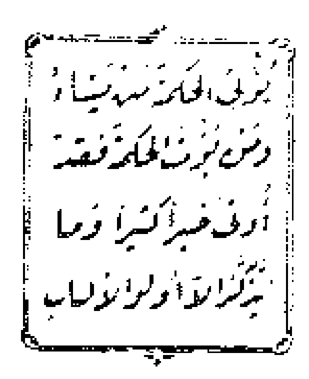
هذا ما وفقت لتسطيره ونشره من سيرة السيد الامام بمناسبة مرور أربعة أعوام على وفاته رحمه الله ورضى عنه — لعلها تشحذ أذهان الخاملين وتنبه أفكار الغافلين وتهدى الى الاخلاص أولئك العاملين وما التوفيق إلا بالله رب العالمين

القلمون   عبد الرحمن عاصم

(الجـزء السابع) (المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوى «ومنارًا» كمنار الطريق

ربيع الأول سنة ١٣٥٩ — ابريل سنة ١٣٤٠

فتاوى المنار

تقدم في هذا الباب الاجابة أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين إسمه ولقبه وبلده وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بماشاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

(٤) استحضار الأرواح

جاءنا من الدكتور محمد سليمان المدرس بكلية الطب ما يأتي :

حضرة الاستاذ الجليل رئيس تحرير المنار الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فقد أكثر الناس القول في موضوع الارواح ما بين ناف له ومثبت اياه فما القول الحق في ذلك ؟ وهل الارواح التي تستحضر هي أرواح الموتى أنفسهم ؟ وهل يصدق ما يأتي على لسانها من أقوال أفيدونا مشكورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

القاهرة المخلص

دكتور محمد احمد سليمان

الجـواب

يتطلب الجواب على ماتقدم الكلام في عدة مباحث نلخصها فيما يلي:

أولا — كيف نشأت مباحث الاستحضار في الغرب

حدث في ســـــنة ١٨٤٦ الميلادية في قرية هيدسفيل من ولاية نيويورك بأمريكا أن أسرة رجل اسمه جون فوكس أزعجتها عدة طرقات كانت تحدث في البيت الذي تسكنه فتجرأت مدام فوكس ذات يوم وسألت ذلك الفاعل المستتر قائلة هل أنت روح ؟ واتفقت معه على أن يكون علامة الايجاب بطرقتين وعلامة السلب طرقة واحدة فأجابها بطرقتين ثم ما زالت تسأله وهو يجيب بواسطة الطرق حتى علمت منه أنه روح ساكن كان بهذا البيت فقام جار له ودفنه فيه ثم سلبه ماله ولم تهتد الحكومة اليه . فأسرعت المرأة الى إنذار (البوليس) والنيابة فحضر رجالها وأخذوا كل حيطة وتسمعوا الطرقات على طريقة صاحبة البيت وفهموا منها ما فهمته وعمدوا الى الحفر في المكان الذي دلت عليه الروح فوجدوا جثة القتيل وكان من أثر ذلك اهتداؤهم الى القاتل . وظلت الروح بعد ذلك تزور بنتي جون فوكس هذا حتى استمالتهما وحضرت أرواح أخرى ادعت أنها أرواح موتى آخرين وتحسنت طريقة التفاهم بينهما وبين هذه الكائنات فصارت بالحروف الهجائية وذلك بأن تقرأ احدى الفتاتين الحروف الهجائية فتطرق الروح عند الحرف المراد كتابته طرقة فتكتب الفتاة الاخرى ذلك الحرف وهكذا ثم تجمع الحروف المكتوبة وتقرأ .

وقد رجت الروح الاختين في أن تعلنا أنها على استعداد لاشهاد

الناس خوارق تثبت لهم وجود الارواح في أكبر مكان المحاضرات فى نيويورك فأبت البنتان ذلك خشية ســـوء القالة والاتهام بالشعوذة . وأصرت الروح على ذلك لانها تريد أن تنتهز هذه الفرصة لتثبت للناس صحة خلود النفس وقالت إنها ما تجشمت الاستئناس بهما إلى هذا الحد الا لهذه الغاية وأنذرتهما بأنها لن تعود اليهما ان بقيتا على اصرارهما فلم يسعهما أخيرا الا القبول ولــكنهما اشترطا أن يكون بدء العمل فى (الصالونات) الكبيرة لبعض البيوت ثم تتدرجان من ذلك إلى قاعة المحاضرات الـكبرى . وتم ذلك فأخذت البنتان تحضران في بعض تلك الصالونات أمام جمهور من العلماء والمفكرين فتحدث خوارق عديدة رغماً عن كل ما يتخذ من الاحتياطات ثم أعلنتا التحضير فى قاعة المحاضرات الكبرى فشهد هذه الخوارق جمع غفير من الناس وكثر التحدث بها في كل مكان.

وكان القاضي أدموندس رئيس مجلس الاعيان بأمريكا من أسرع الناس إلى بحث هذه الخوارق فاعتقد صحتها وكتب فيها بحثا مستفيضا فحملت عليه الجرائد حملة عنيفة ففضل أن يستقيل ويخدم البحث على أن يبقى في وظيفته مقيدا بتقاليدها وكان من أكبر العاملين على نشر هذه المباحث .

وتلاه الاستاذ (مابس) معلم علم الـكيمياء بالمجمع العلمى فانتهي أمره بتصديقها ونشر مباحثه على رءوس الاشهاد وحذا حذوه الاستاذ (روبيرت هير) وأطال البحث والتنقيب فظهر له صدق صاحبيه المتقدمين

فوضع كتابا حافلا أسماه « الابحاث التجريبية على الظواهر النفسيه »
وكان من أثر هذه الكتابات أن انتشرت الفكرة ونفذت أمريكا الى
غيرها من بلدان العالم الغربي .

ثانيا — اختلاف الآراء فى صحة هذه البحوث

كان طبيعيا أن تختلف آراء الناس فى نتائج هذه البحوث وأن يكون
هناك المصدقون المتشيعون والمنكرون المتشككون وكان طبيعيا أن تثير
هذه الناحية حربا كتابية وعلمية وذلك ما حدث فعلا وكان من المصدقين
بصحة هذه البحوث وصدق نتائجها كثير من أعلام العلم الكونى فى
بلدان أمريكا وأوروبا المختلفة وكثير منهم كتب كتابات فى غاية من القوة
والدقة التحليلية مما يدل على اقتناع تام بما يقول وكثير منهم ألف فيها
الرسالات والكتب القيمة ولم يبالوا بما يتعرضون له من هزء المتقدمين
وسخريتهم وكثيراً منهم كان ملحداً صميما فعاد مؤمنا بالحياة الروحية
كل الايمان وهذه نماذج من كتابات هذا الفريق .

(١) العالم الكيماوى « وليم كروكس » وقد ألف كتابا دعاه
« مباحث على الظواهر النفسانية » قال فيه : « بما أنى متحقق من صحة
هذه الحوادث فمن الجبن الادبى أن أرفض شهادتي لها بحجة أن كتاباتى
قد استهزء بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيئا فى هذا الشأن
ولا يستطيعون بما علق بهم من الاوهام أن يحكموا عليها بأنفسهم أما
أنا فسأسرد بغاية الصراحة ما رأيته بعينى وحققته بالتجارب المتكررة »

(٢) العالم الكبير « الفرد روسل » وقد وضع فى هذه المباحث كتابين أحدهما « خوارق العصر الحاضر » والثانى « الدفاع عن الاسبرتزم » وقد قال فى الاول ما نصه « لقد كنت ماحداً بحتا مقتنعاً بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن فى ذهنى محل للتصديق بحياة روحية ولا يوجد عامل فى هذا الكون كله غير المادة وقوتها ولكنى رأيت أن المشاهدات الحية لا تغالب فانها قهرتنى وأجبرتنى على اعتبارها حقائق مثبتة قبل أن أعتقد نسبتها إلى الأرواح بمدة طويلة ثم أخذت هذه المشاهدات مكاناً من عقلى شيئاً فشيئاً ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضاً على صورة لا يمكن تعليلها بوسيلة أخرى »

(٣) العالم الايطالى الكبير « سيزار لومبروز » وقد رمى المصدقين بهذه المباحث بالجنون وكتب عنهم فصولا انتقادية فى مؤلفاته ثم عاد فبحث هذه الخوارق مع الاستاذ « كاميل فلامريون » الفرنسى والاستاذ « شارل ريشيه » مدير الجريدة العلمية والمدرس بجامعة الطب البارزية ثم انتهى به الأمر إلى أن ألف كتاباً قال فى مقدمته . (لم يكن أحد أشدمنى عداءً للاسبرتزم بحكم تربيتى العلمية وميولى النفسية وكنت أعتبر من البديهيات العلمية أن كل قوة ليست إلا خاصة من الخواص المادية وأن كل فكر وظيفة من الوظائف المخية وكنت أهزأ دائما من الاخونة المتكلمة ولكن غرامى باظهار الحقيقة وتجلية الحوادث

المشاهدة قد تغلب على عقيدتى العلمية)

وكثير غير هؤلاء لا يحصيهم العد درسوا هذه المباحث وتشيعوا لها من الانجليز والفرنسيين والالمان والامريكان وغيرهم وشايعهم على ذلك كثير من الكتاب والادباء وأصحاب الصحف والمجلات التى اقتنعت بفكرتهم وتأسست للدفاع عن هذا الرأى الصحف والمجلات الكثيرة فى كل بلد من بلدان أوروبا وأمريكا . وقد انتدبت الجمعية الملكية بانجلترا لجنة من ثلاثين عالما فى الفنون المختلفة عهد اليها بحث هذا الامر فعكفت على ذلك ثمانية عشر شهرا . وعقدت للبحث والتجربة أربعين جلسة ورفعت تقريراً مطولا فى مجلد ضخم ترجم الى أكثر اللغـات وقد جاء فيـــــه :

« عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها فى البيوت الخاصة بالاعضاء لاجل نفى كل احتمال فى اعداد آلات لاحداث هـذه الظواهر أو أية وسيلة من أى نوع كانت . وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهمة أو الذين يأخذون أجراً على عملهم هـذا لان واسطتنا كان أحد أعضاء اللجنة وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئـة الاجتماعية ومتصف بالنزاهة التامة . وليس له غرض مادى يرمى اليه ولا أى مصلحة فى غش اللجنة . كل تجربة من التجارب التى عملناها ما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله من التحوطات عملت بصبر وثبات . وقد دبرت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة

الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وإبعاد كل احتمال لغش أو توهم . وقد اكتفت اللجنة فى تقريرها بذكر المشاهدات التى كانت مدركة بالحواس وحقيقتها مستندة إلى الدليل القاطع ، وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة تجاربهم وهم فى أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها كانت إما نتيجة التدليس أو التوهم أو أنها تحدث بحركة غير اعتيادية للعضلات ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم هذه إلا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا تمكن مقاومته فى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة وبعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة فاقتنعوا رغماً منهم بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لا غبار عليها)

ولقد سرى أثر هذه المباحث الغريبة إلى مصر فتناولها كثير من الكتاب المعنيين بهذه الناحية بالبحث والكتابة والتجربة وفى مقدمة هؤلاء الكاتب الاستاذ محمد فريد وجدى الذى تحمس لفكرة أشد التحمس ولا زالت كتبه أهم المراجع العربية للباحثين فى هذا الشأن فيما نعلم ومنهم كذلك الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله والاستاذ أحمد فهمى أبو الخير الذى ما زال يوالى تجاربه الروحية بحماسة شديدة

ولقد كتب الاستاذ محمد فريد وجدى منذ شهر تقريباً فى جريدة الاهرام اليومية يسوق إلى القراء نبأ عناية جامعة كمبردج بهذه المباحث

واعتبارها علما رسميا مقرراً يدرس في الجامعة وإنشاء قسم خاص بهذه المباحث يتقدم إليه من يشاء من الطلاب إلى شهر مايو من هذا العام ١٩٤٠ الميلادية .

وإلى جانب هـذا الفريق المتحمس قام فريق ينكر صحة هـذه الظواهر ويحملها على خداع الوسطاء أو تدايس المجرمين أو انخـداع المشاهدين أو غلبة الوهم والخيال وقد نقـل المقتطف في بعض مجلداته كلاما فى هذا عن بعض العلماء الاوربيين الكونيين كذلك ومن هؤلاء

(١) الدكتور مرسيير من أطباء الامراض العقلية بمستشفى تشريج كروس ببلاد الانكليز وقد ألف كتابا فى الرد على السير أوليفرلودج فيما ذكره عن المباحث النفسية وقال ان الاشتغال بهذه المباحث يؤدى إلى اختلال العقل ويعرض أصحابه للجنون

(٢) والدكتور « روبرتصن » مدير المستشفى الملكى بادنبرج الذى رمى المشتغلين بهذه المباحث بأن فيهم ضعفاً خلقيا فى الارادة يجعلهم مستعدين للتصديق بالاسبرتزم ومناجاة الارواح وما كان من هذا القبيـــــل

ولكن المتتبع لهذه الحركة العلمية وخصوصاً بعد مضى هذا الزمن الطويل عليها وهى لاتزال تضم إلى جانبها كثيراً من أساطين رجال العلم المادى حتى انتهى الامر باعتبارها علما رسميا يدرس فى جامعة محترمه كجامعة كمبردج لا يسعه إلا أن يصدق بكثير من نتائج هـذه البحوث

ويؤمن بوجود قوى روحية تظهر حقيقة للذين يزاولون هذه التجارب ويتعرفون عليها وليس هنالك من حرج عقلي أو ديني على المسلم أن يؤمن بوجود هذه القوة الروحية وظهورها للناس وتخاطبها معهم فان هذا الكون لازال مملوءا بالاسرار المادية والروحية التي لم يصل العقل الانساني بعد إلى معرفة كنهها وحقيقة أمرها وهذه الكشوف التي وصلنا اليها من أعجب العجائب التي لو ذكرت للناس من قبل لخيل اليهم أنها فوق المستحيل وقد أصبحت الان فيما بينهم أمورا عادية صرفة

ولكن الذي يحتاج الى انعام النظر حقا هو الحكم على شخصية هذه القوى التي تدعى أنها أرواح الموتى أهي حقا أرواح الموتى ؟ أم هي قوى روحية أخرى تنتحل هذه الصفات هذا هو الامر الذي يعنينا نحن المسلمين أن نتعرف خلاصة القول فيه وهو ما سنتناوله بايجاز

(٢) شخصيه الارواح

يذهب معظم الباحثين فى هذه النواحى النفسية والمؤمنين بها الى أن هذه القوى الروحيـــة التى تخاطبهم هى بنفسها أرواح الموتى ويستدلون لذلك بأمور منها

(١) تكلم الروح بلغة المتوفى واستخدامها عباراته المألوفة وتذكير أهله بحوادث قديمه كانوا نسوها لبعد العهد بها ولايدري بها أحد سواهم

(٢) دلالتها على أوراق ومستندات ضائعة وضعها المتوفى في تلك الاماكن قبل موته بدون إطلاع أحد عليها

(٣) كتابتها بخطه والتوقيع بتوقيعه والتعبير بأسلوبه حتى ولو كان من كبار الكاتبين بحيث عرض ذلك على الخبيرين فى الخطوط فحكموا بتشابه الخطين والانشاءين

(٤) ظهورها متجسدة على صورته التي كان بها على الارض وتكلمها بصوته ولهجته .

(٥) اجماعها فى كافة بقاع الارض على التأكيد بأنها أرواح الموتى وأنها ليست من الملائكة ولا من الجن ولا هى أرواح أخرى ذات طبيعة مجهولة

(٦) حبها الاهلها وتوصيتها الحضور بهم وتكليفهم البحث عنهم ومساعدتهم

ومع هذه الادلة فان كثيراً من المؤمنين باستحضار الارواح يرى أنها لم تصل بعد الى حد اليقين وليست ملزمة أو محدودة لشخصية الروح وان كانت ترجح ذلك

أما نحن فننظر الى هذه المسألة على ضوء التعاليم الاسلامية الروحية وذلك يدعونا الى أن نلخص موقف الاسلام من عالم الارواح

موقف الاسلام من الروح

نستطيع أن نوجز الكلام في هذا البحث الخطير فى عدة نقط

(١) الروح مجهولة حقيقتها فهى من أمر الله ولم يتعرض القرآن ولا السنة لبيان هذه الحقيقة

(٢) الروح هي أصل الحياة والتفكير والادراك فى الانسان

وانفصالها عن هذا الجسد هو الموت

(٣) الروح بعد الموت « في مستقر يعلمه الله تبارك وتعالى » وهي في مستقرها هذا اما منعمة ان كانت ممن عمل الصالحات في حياته الدنيا واما معذبة ان كانت ممن ارتكب المعاصي والآثام أو لم يعرض بالرسل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بعد بعثهم

(٤) يجوز أن تتصل الروح وهي في مستقرها هذا بالاحياء من أهل هذا الكون اتصالا جزئيا فهي تعلم كثيراً من شئونهم ويزيدها سروراً في حياتها البرزخية هذه أن تعلم من أهلها خيراً ويؤلمها أن تعلم عنهم غير ذلك كما أنها ترد السلام على من سلم عليها ان كانت من أهل النعيم والصلاح كما أنها قد تراءى لهم في بعض الرؤى والحالات وقد ورد ذلك في الاحاديث الصحيحة النبوية

(٥) ان الروح هي في العالم البرزخي وبعد أن تجردت من ظلمات هذا الجسد لا سلطان لاحد عليها الا الله وهي لا تخبر بغير الحق ولا تقول الا الصدق وخروجها عن قوانين هذه الحياة الارضية وبعدها عما فيها من آثام ولا أعلم أنه ورد في ذلك نص صريح من كتاب أو سنة بل هو مقتضى الخروج من هذه الدار الى تلك الدار

(٦) ان كثيراً من القوى الروحية « أعني الخفية » الاولى تتصل بهذه الروح في هذه الحياة الدنيا وقد تسلط عليها بالوسوسة والايحاء وقد تشكل بها بعد هذا الانتقال الى حياة البرزخ وقد ورد شيء من هذا

فى الاحاديث الصحاح

هذا مجمل ما يمكن أن يقال فى نظرة الاسلام الى عالم الروح

فاذا نظرنا على ضوئه الى شخصية القوى التى تظهر فى الاستحضار وعرفنا أن هذه القوى تخبر بأنها فى نعيم وقد يكون أصحابها معروفين بالكفر أو الاثم فى الدنيا وهى مع هـذا تسوق كثيراً من الاراء التى تناقض تعاليم الاديان رجحنا أن تكون هذه القوى الروحية عوالم أخرى من عوالم الكون غير المـادى تقدر على التشكل بما تشاء من الصور وتتصل بالانسان فى حال الحياة فتعلم كثيراً من شئونه وما يحيط به ثم تخبر بذلك حين الاستحضار وليست هى أرواح الموتى حقيقة والى هذا القول تطمئن النفس

وبذلك نجمع بين التسليم بوجود عالم وراء عالم المـادة وهو ما يهدم بوجوده مذهب الماديين من أساسه ونخلص من الحرج الاعتقادى الذى نقع فيه اذا سلمنا بأنها أرواح الموتى وحقائق الامور عند الله

(وبعد) فلا شك أن هذا البحث من أدق البحوث وأولاها بالعنـاية وطول التفكير وقد اشتجرت فيه الاقلام جيلين من الزمان الى الان ومن واجب العلماء فى الامم الاسلامية أن يسابقوا علماء الغرب فى هذا المضمار وأن يكثروا من التجارب الدقيقة لمعرفة حقيقة هذه الامور بأنفسهم لأنهم حراس أضخم ميراث روحى عرفتـــه الانسانية وهم أولى الناس بتعرف حقائق هذه البحوث والله يتولى الحق وهو يهدى السبيل

ماذا فى أندونســيا

فى أقصى الشرق، بين أمواج البحار المتلاطمة والجو المملوء بالأعاصير يسكن اخوان لكم ومنكم مسلمون يوحدون بالله وبرسوله وبالكتاب المبين .

هؤلاء هم اخوانكم الاندونيسيون الذين يبلغ عددهم فى احصاء سنة ١٩٣٠ ٥٩٫١٤٣٫٧٧٥ نفس منهم ٨٥ ٪ من المسلمين . وهناك أيضا عدد من العرب يبلغ ٥٢٠٠٠ .

من ثلاثة قرون مضت من يوم أن دخل الهولنديون تلك البلاد وأمسكوا أزمة أمورها واستولوا على جميع منابع حياتها الاقتصادية وأخذوا يدسون سم الدسائس فى تشتيت شمل الاهالى بوساطة الظلم والاستبداد والاستعانة بالمبشرين

نتائج جهود المبشرين

للمبشرين سلاح قوى وطرق عديدة فى القيام بدعوتهم ومن طرقهم فتح المدارس وإنشاء الجمعيات والكنائس والمستشفيات والملاجىء وتأليف كتب تدخل فى مناهج التعليم فى المدارس الحكومية .

ذكر فى البيان السنوى لسنة ١٩٣٨ أن النصارى الكاثوليكيين قد نشروا دعوتهم واستولوا على معظم بقاع اندونسيا ولهم نفوذ فى أربع عشرة مدينة كبيرة ولهم من الاعضاء ٤٨٩٫٤٠٠ نفس ومن المدارس ١٫٤٠٤ وتلاميذها ١٢٩٫٢٠٨ ولهم قسس والقائمون بأمر الدين يقدرون بنحو ٢٫٥٩٢ ولهم جمعيات من كل طراز يبلغ عددها ٢٣ جمعية ومجلات عددها ٤٧ مجلة بلغات مختلفة

وللبروتوستانت حركة عنيفة أيضا فقد ذكروا فى بيانهم بعد مرور ٤٠ عاما من تاريخ حركتهم ، أن عدد المنتمين اليوم قد زاد فى جزيرة جاوة بعد أن كان ١٥٫٠٠٠ صار ٦٠٫٠٠٠ وفى باتك من ٤٠٫٠٠٠ إلى ٤٠٠٫٠٠٠ وفى نياس

من ٥٠٠٠ الى ١٢٠٠٠٠ وفى تهاما ٦٠٠٠٠ وفى الغانة الجديدة ٧٠٠٠٠ وفى جزيرة تيمور من ٣٠٠٠ الى ١٥٠٠٠٠ فبلغ عددهم الآن ٨٦٠٠٠٠ نفسا بينما هى لا تساعد بل عاقت الطريق لكل مسلم يريد الخروج من وطنه لطلب العلم فلكم لاقى طلبة العلم الاندونسيون المتاعب والويلات فى سبيل الدين حينما أراد النزوح إلى مصر أو الحجاز .

كيف يضطهد الاسلام ! ؟

تزرف الاعين دماً إذا رأت تلك الحوادث الجسام التى تتمثل فى نفوس طاهرة آمنة لا تؤذى أحداً بل هى لربها خالصة ولقانون الشريعة خاضعة .

فهناك المسلمون أيها السادة مع أغلبيتهم مضطهدون لا تزال حقوقهم مهضومة ضائعة . إذا ما جاءت أوقات الصلاة يحال بينهم وبين المساجد وإذا ما تفوهوا بآيات الذكر الحكيم يحاسبون عليها ولم يسمح لهم أن يقرأوا باب الجهاد فى الفقه ولا الآيات الحاثة على ذلك . وما أكثر عدد الذين ذهبوا ضحية قضية الاسلام ومنهم طالبان من مصر وهما الحاجان مختار لطفى والياس يعقوب ولا تزال أسماؤهما مقيدة فى سجل الأزهر كطالبين .

هذا إلى أنهم يسدون الطريق فى وجه كل مسلم يريد الخروج من وطنه لطلب العلم ، فكم لاقى طلبة العلم الأندونسيون المتاعب والويلات فى سبيل الدين حينما أرادوا النزوح إلى مصر أو الحجاز .

هناك جزيرة كبيرة وهى الغانة الجديدة قد ملئت بالمجاهدين المنفيين من الأبرار الأطهار ، أدامهم الله للاسلام خيرا وجعلهم مثالا يحتذى . وهذا المنفى هو مثال حى لتلك المظالم ألا ساء ما يعملون ؟

نظـــام الضرائب

أنواع الضرائب فى أندونسيا كثيرة جدا فهى حوالى خمسة عشر نوعا .

١ — ضريبة الرأس . تفرض على كل شخص حى غنيا كان أو معدما بلغ

السن القانونية سواء أكان يكتسب أم لا سيما من ينضم الى الحكومة فى خدمة و السعى لمصالحها . هذه الضريبة فى غاية من الشدة تجبى رغم الأنوف فمن لم يستطع دفعها يحبس مدة مع الأعمال الشاقة . فاذا ما نازع الحكومة أو وقف أمامها وقفة المستفهم يطرد من الرحمة وينفى إلى احدى الجزر البعيدة التى يسكنها آكارا لحوم البشر ويباع فى سبيل الضريبة كل ما يملكه المرء من منزل وأثاث حتى أحيانا يجرد من ثوبه الكمالى

٢ — ضريبة المشى . هى ضريبة لم يسمع ما يضارعها فى أى أمة مضت فهى تجبى من كل شخص بحجة اصلاح الطرق حتى لا توجد فيها وعور تعطل حركة المشى والسير !!

٣ — ضريبة الأطيان والأملاك . هذه مثلها كمثل الضريبة المفروضة على عامة الشعب فى فرنسا قبل الثورة ولكنها أسوأ حالا من تلك خصوصا بعد تأسيس بنك التسليف كالذى وجد فى مصر فى هذه الايام وعلى طريقته أيضا

٤ — ضريبة المواصلات . ضريبة لا بأس بها ولو أنها ثقيلة العبء جدا لكثرة قيمتها وقد تضايق منها العمال الذين يستعملون الدراجات فى القيام بأعمالهم

٥ — ضريبة الذبائح تفرض على كل ذبيحة تذبح سواء كانت للاضحية أو العقيقة وقدم المسلمون احتجاجا طالبين اعفاءهم من ضريبة العقيقة فقط وإلى الآن لم نسمع من أمرها شيئا

إدارة البـــلاد

ومن جهة الادارة فيرأس اندونسيا حاكم هولندى من طرف الحكومة العليا بهولندة ليمثلها فى تلك البلاد أما من جهة نظام الحكم السياسى فهى مقسمة إلى قسمين قسم مستقل استقلالا داخليا وهو سبع بلاد جكيا كرتا وسورا كرتا فى جزيرة جاوه ودلى ولنجكت وسرواتج وأساهن فى سومطرة وكوتاى فى بورنو وتحكم هذه البلاد سلاطين وطنيون ولكن نفوذهم يسلب شيئا فشيئا

وينمحى بالتدريج حتى أصبحوا كصور متحركة ، والقسم الاخر أكبر مساحة من سابقة وهو يقدر ٩٠ فى المائة من مساحة البلاد وهومستعمر استعمارا ثنائيا

هؤلاء السلاطين وان كانوا من الوطنيين إلا إنهم قد تشبعو بروح العصاة فخرجوا من ارادة الشعب بل عسكروا ضد ذويهم . بمناكستهم إياهم فى جميع منافذ الحياة العامة لأنهم يخافون أن تضيع مراكزهم لو تحققت رغبة الوطنيين فى الاستقلال ولاسيما إذا ما صارت أندونسيا جمهورية كما ينبغى أن تكون

المجلس النيابى

فى سنة ١٩١٨ لما طلب الاندونسيين البرلمان فى أثناء الحرب العظمى أنشىء مجلس نيابى ارضاء لخاطرهم فى هذا المجلس ٦٠ عضوا منهم ٣٠ من أبناء الجنس الأهلى ٢٠ منهم بالانتخاب و ١٠ بالتعيين و ٢٥ من الهولنديين و ٥ من الاقطار الشرقية كالعرب والصين .

طريقة الوصول إلى عضوية هذا المجلس هو طريقة الانتخاب بوساطة المجالس البلدية التى تستعين بها الحكومة وبعد هذا الانتخاب تختار منهم الحكومة نصيرها . ومنهم أيضا من تعينهم الحكومة بمطلق إرادتها .

وليس لهذا المجلس تصرف وإن قل بل هو عبارة عن مجلس استشارى لا أكثر .

طلب البرلمان

لما تحرك العالم فى هذه الأيام الأخيرة وبدا فى سماء السياسة الدولية ارتباك شديد وخافت كل دولة على نفسها من الضياع وخصوصا الصغيرة منها ، فلذلك طلب الاندونسيون من الحكومة الهولندية أن تمنحهم نوعا جديدا من الحكم فيه شىء من الحرية حتى يتنفسوا الصعداء بعد تلك القرون العديدة التى لاقوا فى أثنائها متاعب كثيرة بدون رحمة ولا شفقة ..

وجد الاندونسيون انهم بهذا البرلمان يمكنهم حل المشاكل الدينية التى طالما سكت عنها فتكبر وتترعرع فتزيد الطين بلة . فاتحدت الآراء وكون أعضاء المجلس النيابى من أنفسهم كتلة توجهوا جميعا بها لتحقيق هذا الغرض السامى .

فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٩ طلبت الجبهة الوطنية الاندونسية المكونة من ٢٤ حزبا من الحكومة الهولندية عن طريق مجلس النواب الهولندى بمدينة لاهاى أن تمنح الاندونسيين « برلمان » فيه يتشاورون على أساس النظام الديمقراطى ويسهرون فيه على مصلحة البلاد ولا سيما فى الحالة الحاضرة مع محافظتهم على الصداقة الودية للحكومة الهولندية .

مثل هذا الطلب البسيط الذى يرجوه ذلك الشعب الاسلامى أن يتحصل عليه لا تهتم به الحكومة الهولندية فجاء على لسان وزير المستعمرات الرفض التام بدون حجة مقبولة .

علمنا أن مصر زعيمة الاسلام ومنبع المدنية الشرقية وسادتكم أكبر ممثلى الدين فيها قد دافعتم عن الاسلام كثيرا فى مواقف مشرفة ، فلذلك لا نحكم على شىء بل أنتم أدرى بما يجب أن تعملوه فى مثل هذا الوقت ولهذه الامة الشرقية المسلمة

ليس لنا غير أن نقدم لحضراتكم بعض مطالب ذلك توافقون عليها وتحبذونها

أولا — تكوين جبهة اسلامية من جميع الجمعيات الاسلامية بمصر ولو مؤقتة

ثانيا — ارسال عريضة إلى البرلمان الهولندى وعريضة أخرى لعصبة الأمم يطلب فيها النظر فى تحقيق رغبة الاندونسيين فى البرلمان وطلب محو منفى الغابة الجديدة وارجاع المنفيين من منفاهم

ثالثا — طلب تحرير العقول الاسلامية بفك القيود من مناهج التعليم فى المدارس التى ما زالت الحكومة الهولندية تسيطر عليها السيطرة الكاملة

* * *

هذه المطالب مبنية على رغبة الشعب الاندونسى فى الايام الاخيرة ونحن أبناء أندونسيا فى مصر كبير والأمل فى أن يوفقكم الله فى العمل لقضيتنا حتى يوفقنا جميعا لخير الاسلام والمسلمين

اليكم هذا مع شكر دائم ودعاء مستمر

جمعية الشبان الاندونسيين والملايويين بالقاهرة

(المنار منذ عشرين سنة)

ربيع الأول سنة ١٣٣٩

الاتحاد والاقتصاد

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، ميزان سياسة الامم ونظام الاجتماع ، كثر فى هذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما وشرح الكتاب لفوائدهما ، ولما يفقه الدهماء حقيقة معناهما ، بل لما يحط أكثر العلماء والزعماء منا خبرا بهما لان فقه الحقائق وإحاطة الخبر لا يحصلان الا بطول التجارب فى الحوادث ، والاصطلاء بنيران الكوارث ، بعد تلقى الحكمة بالتعليم ، والتربية على سلوك الصراط المستقيم

كنا منذ أنشأنا المنار فى أواخر سنة ١٣١٥ الهجرة قد جعلنا أهم ما ندعو إليه القراء فى مصر وسائر البلاد أن يجعلوا جل عنايتهم فى إصلاح شئونهم بالتربية الملية التى تكون أمة متحدة والاقتصاد الذى تكون به الامة غنيــة تتصرف بثروتها فى القيام بمصالحها كما تشاء . بثثنا هذه الدعوة فى (المؤيد) فى ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م . ر) وبغير إمضاء . ثم أعدنا بثها فى (الجريدة) فى أول العهد بظهورها فى مقالة عنوانها (الى أى شيء أنت يامصر أحوج) نشرناها

أيضا في الجزء الثاني للمجلد العاشر من المنار الذي صدر في صفر سنة ٣٢٠ ونحمد الله تعالى أن رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد العزيزة ورأينا من نتائجه قرب الحصول على الاستقلال الذي نعتقد أنه لا ينال الا به . بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتي بالاستقلال المفقود ، وفقده يذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع منه على نيل الاستقلال الذي يرجى به ويتوقع ؛ فان الاتحاد اذا تم وانفصمت عروته قبل بدو صلاح ثمرته نفضت الشجرة أو حرمت الثمرة شيئا لا غناء فيها واذا انتكث فتله بعده زال أثره [illegible] . فاذا لا استقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد [illegible] لا دوام لاستقلال الأمم وحريتها الا بالثروة و[illegible] ثروة [illegible] بأن الاستقلال السياسي متوقف على الاستقلال الاقتصادي ، ونحن مقصرون في سبيل هذا الاستقلال تقصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كنا من الهالكين

ان للكسب والانفاق علوما وفنونا اتسع نطاقها في هذا العصر اتساعا عظيما لأنها قطب الرحى لمدنية الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسيادتها . وقد برزت بها الامم الشمالية الغربية فاستعمرت أو استعبدت بها الامم الشرقية والجنوبية ، حتى ظن كثير من القاصرين أن الشعوب والاجناس أو الاقاليم الغربية أعظم استعدادا بطبيعة العرق وخاصية

الجنس من الشعوب الشرقية ، ويبطل هذا القول ما هو معلوم من أن اليهود أرقى أهل الارض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المترتبة عليها أينما وجدوا وحيثما حلوا من أقطار الارض ، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه . وكذلك الشعب الياباني في الشرق الاقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب .

ولكن الامر الغريب أن المسلمين في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يزالون مقصرين في هذا المضمار . وبهذا التقصير أضاعت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها بين براثن الخطر . ويضيع أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي يزاحمهم فيها غيرهم فان كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال بيدهم فما ذلك من كسبهم بعلومهم وفنونهم وانما ذلك ارث رقبة الارض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها . فهذه مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها نفقة عليها نراها مقصرة في هذا الاقتباس فجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية واليونانيين والسوريين يفوقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ الثروة من التبذير والضياع بل القبط من المصريين يفوقون المسلمين في ذلك عملا وثروتهم النسبية تفوق ثروة المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم وأيدي الاوربيين والسوريين بل أكثر المسلمين يعتمدون على كتابهم في ادارة ثروتهم

على أن المسلمين أشد إسرافا فى الانفاق وتبذيرا للاموال منهم ومن سائر الشعوب التى نعرف أحوالها .

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يعلله بادى الرأى بأن الدين الاسلامى هو السبب فى الأمرين . وهذا التعليل يضاهى فى البطلان تعليل من عساه يقول إن الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى الغرب وسعة عيشهم وشدة سطوتهم وجبروتهم . والحق أن كلا من النصارى والمسلمين مخالف لهدى دينه ونصوص كتابه فى الأمرين . فالانجيل يهدى الى المبالغة فى الزهد والقناعة والتواضع والخضوع لكل سلطان . وينص على أن الغنى لايدخل ملكوت السموات . والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين مطالب الروح والجسد كما بينا ذلك وفصلناه مرارا كثيرة .

ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله تعالى فى أوائل سورة النساء : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما) أى جعل عليها مدار قيام مصالحكم ومرافقكم وحفظها وثباتها وقوله فى صفات المؤمنين من أواخر سورة الفرقان (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ونهى فى وصايا سورة الاسراء عن المبالغة فى قبض اليد وبسطها فى الانفاق وعن التبذير . وسمى المبذرين إخوان الشياطين وهذه الوصايا هى مهمات أصول الدين وفضائله وآدابه وهى تشمل الوصايا العشر التى فى التوراة ما عدا [illegible] يوم السبت وتزيد عليها وفى السنة وصايا وأحكام كثيرة فى ذلك

فالمسلمون مخالفون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات . وهذا إذا كانت فيما أبيح لهم من الزينة والطيبات فكيف إذا كانت في المحرمات . ولا سيما الفواحش الثلاث المفسدات للفطرة المخربات للديار السكر والزنا والقمار . وهم على هدمهم بذلك لدينهم . يهدمون كل ما يبنى من صرح استقلالهم ، واني لم أر ولم أسمع من أخبار البشر أن شعبا منهم يعادي النقد الذي هو ميزان الاعمال والقوة في الاجتماع البشري كالشعب المصري . فالمصري أسرع الناس بذلا لما يصل إلى يده من النقد فالمتمتعون بالزينة واللذات ينفقون في سبيلها ما تصل اليه أيديهم من كسب وقرض ولو بالربا الفاحش ، وغير المتمتعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب وقرض بالربا أرضا أو عقاراً . ولا يبالي أكثر الفريقين أن يشتري الشيء بأضعاف ثمنه وإن استدان الثمن بالربا الفاحش لأن النقد أحقر الاشياء في نظره ولذلك نرى أكثر المصريين على سعة ثروتهم الزراعية مرهقين بالدين . فيجب على الزعماء والعلماء والخطباء وكتاب الصحف أن يتعاونوا على درء الخطر بوسائل العلم والعمل . وإلا ظل المنتجون منهم كالاجراء للاجانب لأن جل ما ينتجون يتسرب الى صناديق المسارب المالية وسائر المرابين وجيوب أصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار وتجار عروض الزينة والترف وبعبارة أخرى أن جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجنبية .

ومن الضروري أن يبادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون

من أعمالها إرسال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد العلم في أوربه لأجل الاخصاء في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم جعلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها ، والاستقلال المنتظر يزيل إن شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا ، وإني رأيت في الهند معامل عظيمة للمنسوجات الاوربيه — دع المنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد — وجميع عمال هذه المعامل من الوطنيين إلا أنني رأيت في معمل كبير في بمباي رجلين من الانكليز وظيفتهما اختيار نقوش النسيج .

ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تعميم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات للمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامناً لاستقلالها بنفسها وحريتها في التصرف بثروتها .

أسرار البلاغة في علم البيان

أصدرت « دار المنار » في هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الامام « عبد القاهر الجرجاني » مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل . والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف . وقد وضع في وقت تحكمت دولة الألفاظ . واستبدت على المعاني . وهو خير ما كتب في موضوعه عبارة وأسلوباً . وإيضاحاً للمسائل . وبسطاً للدلائل . وقد امتاز بارجاع الاصطلاحات الفنية إلى علم النفس . وتأثير الكلام البليغ في العقل والقلب . وقد عني بتصحيحه علامتا المعقول والمنقول المرحومان الشيخ « محمد عبده » والشيخ محمد محمود الشنقيطي . وعلق حواشيه المرحوم « السيد محمد رشيد رضا »

وثمن النسخة ٢٥ قرشا

فى محيط الدعوات

تحليـــــل ومقارنة

ـ العقل الباطن ـ حقيقة التدين الزائف ـ الصابئة قديماً وحديثاً ـ

فى نفوس البشر ركام كثيف من الغرائز المرسلة والنزعات المشبوبة والشهوات الجامحة تأتلف جميعاً لتصوغ العمل الانسانى فيما تشاء له من قوالب، ولتلونه بما تحب له من صبغة.

وليست النفس حين تتحرك لادراك غاية قصدت إلى تحقيقها باذلة جهداً يكلفها العنت أو يشعرها ألم السعى. ما دامت حرارة الرغبة عندها بالوقود فتدفعها. وطلاب اللذة يحدوها مزخرفاً لها الغرض البعيد حتى تظفر به وتطمئن إلى مناله.

ذلك هـدى العقل الباطن وحده ـ كما اصطلح علماء النفس ـ حين لا جديد فى فطرة الانسان المتيدة على ما ذرأها الله وقبلما تدركها قيود الدين فتكبح من جماحها، وتعاليمه فتهذب من ميولها، وأنظمته فتمحق من أوضارها وتكفكف تأبيها على الخير.. ثم تسير بها فى وجهة أخرى، أو ذلك عمـــــل الانسان لذاته وتفانيه فى عبادة هواه ونسيانه المطلق لله الكريم، وانغماسه فى الدنيا كائنا طياشاً أحمق صغيراً ن كل غاية يجد الاتجاه اليها والاكمال فى جوارها « أفرأيت من

اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون »

هذا النفاذ البالغ الى كل شيء والذى تضمحل أمامه الحواجز وتذوب الأسيجة، وهذا الاندفاع العنيف الدائب الذى يتعجل النهاية ويتجشم إدراكها هو مرد السلوك كله عند كثير من علماء النفس حتى قال (فرويد) مكتشف العقل الباطن - إن العقل المفكر لا يقوم الا بخدمة اللاشعور ولا يمكن أن يستجيب لغير ندائه ولا أن يستمع لغير أوامره - قد يكون هذا القول صحيحا على إطلاقه فى كل نفس لم يزكها الاسلام . ولم تسم بها رسالة محمد ﷺ « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » .

ولكنه قلما يصدق على النفس المسلمة التى يحرق إيمانها خبث العقل الباطن حتى إذا أتى عليه استقام مع طبيعة النفس فى مظهر دينى بحت ألم يكن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) غضوبا فى جاهليته ثم فى إسلامه ولكن شتان ما بين غضب تستخفه الحمية الطائشة لأوهى الاسباب وبين غضب غال يثور لحق الله وإعلاء دينه وليامن الكفر ويستذل أهله والواقع أن جوهر النفس الاصيل يبقي كما ويبقى كذلك كيفا إن لم يحسب تغير البواعث وتغير الاهداف وهو ما يتناوله الدين من أساسه وتجهد الرسالات كلها فى تحقيقه

وقبل أن نقرر نصيب النفس المسلمة من هذا التغيير المنشود

تقف لحظة لنلمح خلالها النفس اليهوديه والنفس المسيحية ولنرى مقدار تأثر النفسين فى حياتهما بالدين .

« ✿ »

لأمر ما كانت « النفس اليهودية » مرتعاً للدعوات المشينة والدسائس الساقطة وكانت حياتهم بين الأمم التى رماها القدر بهم تشبه — حياة الطفيليات التى تعيش على حساب الجسم لتسرق منه غذاءه وتنعم عنه بماءه — ويبدو أن نقمة الله التى حاقت بشعوب إسرائيل حرمتهم الا من عناصر الحياة الانسانية المالية رغم ما تزعمه هذه النفوس وتدعيه من علائق وثيقة بالله .

ذكرت إحدى الصحف اليومية منذ شهور نبأ مظاهرة قام بها العمال اليهود فى القدس كانوا يهتفون فى أثنائها طالبين الخبز ويهددون إن لم تجب مطالبهم بترك اليهودية . . . قد يدعو إلى العجب أن يهون دين على أتباعه حتى يبيعونه برغيف . ولكن الامر لا يستدعي دهشة فاليهودى لا يحس بأنه منقاد لعقيدة مقدسة لها حرمتها ولها جلالها وليس ثمة إلا لقب يورث يحمله وهو على أهبة تركه إن عارض شيئاً من متاع الدنيا الذى يجتذبه كل حين وإذا كان الدين قد هزمه انفعال الجوع هنا فقد انهزم من قبل أمام سورة الحقد المضطرم فى نفوس آبائهم لما سألهم الاميون من العرب عن دين محمد . فزعم الأحبار المؤمنون ! أن الوثنية خير منه « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا » ولما جحدوا الرسالة الكريمة وقد استيقنتها أنفسهم « حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

كيف يستقيم سلطان الدين على نفوس من يعتنقونه إذا كانت هذه النفوس صريعة لكل نزوات الهوى وأعراض الحياة ومفاتن الرياسات الفارغه وأي شيء مما يطلبه العقل الباطن قد منع عنه بل اقتصد في إجابته . وأين مكان التغيير الذي يفرضه الدين حتما على دوافع العمل وغاياته ليكون عملا دينيا ؟ لاشيء قط .

« ☆ »

ولنهبط الى أغوار النفس المسيحية لنسبرها . إنني في شبرا أشهد كثيرا من حفلات الصلاة أيام الآحاد وكيف يثير القسيس انفعال المصلين بالترنيمات الحزينة والاناشيد الحنون على حين ينعكس اللهب الخافت المتراقص لمئات الشموع على صدور التماثيل الخرساء الجامدة وتردد جدران الكنيسة أصداء جرسه الثائر الذي يطغى أحيانا على هينمة الشمامسه وترجيع الجمهور المسحور . . . . هذا النوع من السيطرة على النفس غير جديد ولم تزل الغابات منذ آلاف السنين تدوي بطبول الكهنة وتعاويذ السحرة ممن يتلون المديح بين الزنوج الاغبياء ولا تزال معابد الهنود حافلة بهذه المظاهر الأخاذة التى نقلها المسيحيون بأمانة بالغة الى مذابحهم ومحاريبهم ولكن ما جدوى هذا

كله ومتى كان الدين جوقة موسيقى وبضعة ألحان يندس بينها قليل أو كثير من التعاليم والوصايا التافهة ؟

لذلك كانت النفس المسيحية في ساعات الكنائس غيرها في مواجهة شئون الحياة عند ما تبرز في حقيقتها المجردة وطبيعتها الاصيلة وقد طاش سحر النواقيس والشموع وارتدت إنسانا ضعيفا تستبد به نوازعه القاسية . وهل يظن أن المرأة المسيحية جاهدت عواطفها كثيرا عندما عرضت في مباريات الجمال وكانت تود ألا تعرض ؛ أو أن الرجل المسيحي جاهد شهواته كثيرا قبل أن يحتضن امرأة غيره في صالات الرقص وكان يود أن يبتعد .

إنما تحيا النفس المسيحية في جو طليق مما تريده من حرية تستبيح كل شيء لا ظل فيها لرهبة ولا سلطان وليست شهادة « كارل ماركس » للاسلام الا ضربا من التفكير الحر ولا تخرصات « فولتير » الا مثلا للتقليد الاحمق ولا كتابات « جبران » عن نبي العرب الا فنا من الخيال السمح ولا عدد (الشرق والاسلام) الذي أصدرته ادارة الهلال الا مظهراً للثقافة التي يتاجر بها الادباء وهؤلاء المسيحيون أبعد ما يكونون عن التقيد بغير حاجات نفوسهم ورغائبها المادية والمعنوية وقد رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وغفلوا عما بعد ذلك من حقائق لو أنهم التفتوا إلى شيء منها لا ثار في نفوسهم على الاقل ميلا الى النظام والاكتشاف .

فماذا يقول الانسان مثلا في بابا روما الذي زعموا أنه يعرف تقريبا

سبع لغات ليس بينها العربية ! ماهذا النكوص عن البحث وراء الحقيقة وأي معنى تردد في نفس الرجل فقعد به عن تعلم دين كان له مع دينه تاريخ رائع . وهو الذي لم يكسل عن تعلم أدنى اللغات ولكن لله سراً في تكوين بعض النفوس .

.. لعل فيما سبق ما يفسر حكم القرآن الصارم على أهل الكتاب حيث لم يعترف بهذه المراسيم التي تنسب النفس الى الايمان وهي منه خواء فتحت أودية الكهنوت الفضفاضة وما تشمر به من زهد وعزوف تتوارى نفوس خطرة « إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » ولما كان لزاماً على المسلمين أن لا يتركوا دين الله يلتبس بأهواء الناس حتى لا يختلط كذب الارض بوحي السماء وفي هذا ما لا يخفى من الاساءة إلى الدعوة الحقة وما يوقف انتشارها أمر المسلمين باعـــلان الحرب عليها حتى يكشفوا زيفها « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وكذلك طرحت الفوارق الشكلية التي تميز الكتابيين عن الوثنيين وأطلق اسم الكفر الصريح عليهم ليشمل الجميع على السواء « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيهـا أولئك هم شر البرية » على أنها قلة من الناس تلك التي لا تزال تخلص للكنائس المسيحية

على تفاوت مذاهبها وليس بين مئات الملايين من سكان أوربا وأمريكا الا عدد يسير من المسيحيين الاقحاح يتعارفون على دينهم كما يتعارف اللصوص على كلمة السر أما الكثرة العظمى منهم فقد ثارت على هذا « النفاق الديني » وآثرت أن تبقى بعيدة عنه ولم تر أي حرج في أن تعيش مجاهرة بإلحادها معلنة حقيقة طواياها ـ والحياة التي تجاهر بعداوتها للأديان صحيحها وزائفها ليست وليدة هذا العصر بل هي متغلغلة في القدم « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » ولكننا لا نظن هذا النوع السافل من الحياة صادف الشيوع الذي وجده في القرنين المسيحيين . وجدير بنا أن نطلق اسم « الصابئة » على هؤلاء الذين ارتضوا الحياة الدنيا فحسب أقصى نهايات آلامهم وآمالهم ونظموا شؤونهم وصلاتهم ومشروعاتهم على ذلك الاساس . وفي الوضع اللغوي والاستعمال العرفي ما يبرر هذا الاطلاق . . ولقد شهدت أوربا معركة عنيفة بين المسيحيين والصابئة منذ قرون تحت ستار النزاع بين العلم والدين وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للمسيحية كانت بدء تقوض النظام الكنسي وانهيار سلطانه . ومن يومئذ لبس "صابئون ثياب العلماء وتقدموا في ميادين العلوم الطبيعية تقدما مشهوداً وقبع القساوسة في الاديار لا يستطيعون مطلقا المساهمة في الحياة العامة بنصيب طائل ذلك أن العالم أنكر عليهم أكثر من معيشة الانزواء والوحدة والاعتزال ولا ريب أن الصابئة هم رسل الحضارة الحديثة ومناصروها وقادة العالم

بها إلى سوء المصير تلك الحضارة الغربية التي لم يعرف الدنيا شراً منها فلقد كان خيراً للناس أن يعيشوا في أكواخ تضاء بمشاعل الزيت وهم أطهار أبرار من أن تغرقهم أضواء الكهرباء بين المسارح الضخمة والمراقص الفخمة. ولكان خيراً للناس أن يسيروا على الارض وهم أشراف من أن يطيروا في الهواء وهم لصوص ولكان خيراً للناس أن تستغرق أسفارهم الشهور الطويلة يقطعون مراحلها على أرجلهم أو على دوابهم وهم قانعون راضون من أن يستخدموا هذه السيارات وغيرها من وسائل النقل وهم على اتصالهم الميسور تقطعهم المطامع وتباعد بينهم شر بعد

تلك لمحة عن حال الصابئة وهم - كما ينبغي أن نعتقد - أخطر أعداء الاسلام وأشدهم شكيمة وليس بنافع في تطهير الارض منهم الا جهاد تتمثل فيه عظمة الثورة الاسلامية الاولى وبطولاتها وجراءتها وإذا كانت النفوس غير المسلمة كما وصفنا مهما تقطع أمرها شيعا ومهما تفرقت سبلها شروداً لا تزال آصرة تربط بين شيعها وسمة تجمع بين طرائقها هي آصرة الضلال المشترك وسمة البطلان البعيد أو هي كما قدمنا أول البحث هذا الركام الكثيف من الغرائز المرسلة والنزعات المشبوبة والشهوات الجامحة فان في هذا خير تفسير للاضطراب الاجتماعي والسياسي الذي نشهد انقلاباته في أوربا دائما والثورات البيضاء والسوداء والحمراء التي تهز كيانها حينا بعد حين.

كلية أصول الدين محمد الغزالي

مشكلة المرأة في مصر

ورد علينا هذا الخطاب من حضرة كاتبه الفاضل . ولأهمية الموضوع سنعود الى الكتابة فيه ابتداء من العدد القادم ان شا الله

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — أما بعد

فلقد سرّنا وسر المسلمين كثيراً أن توليتم اصدار مجلة المنار بعد أن توقفت حيناً بوفاة منشئها المرحوم السيد محمد رشيد رضا . ولا مشاحة فى أنه لا غنى للمسلمين عن هذه المجلة التي ناضلت أعظم نضال عن دين الله تعالى وأزاحت عن وجهه المنير حجبا كثيفة من بدع وخرافات وأوهام وجهالات وتقاليد وعادات لا تمت له بصلة قريبة أو بعيدة . واعادة اصدارها على يد فضيلتكم جعلنا نرقب عودة ذلك العهد الذي ازدهرت فيه أيما ازدهار ، فجزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

والآن أوجه نظر فضيلتكم الى مسألة اجتماعية خطيرة أصاب منها المسلمين شر عظيم ، تلك هي : علاقة الرجل بالمرأة . فلقد ترتب على جهل الكثيرين من كل من الجنسين حقوقه وواجباته قبل الآخر أن وقعنا فى هذه الفوضى التي كادت تقضي على كيان الاسر وتوقع البلاد فى شر مستطير . ومن لا يبكى ويتحسر عند ما يرى بوجه عام الرجال يقضون أوقات فراغهم فى المقاهي وفى غشيان أمكنة اللهو والفجور

وقد هجروا منازلهم فلا يكادون يعودون اليها الا للنوم ، والنساء وقد أطلقن لأنفسهن العنان فى ابداء زينتهن للرجال الاجانب فلا حجاب ولا حياء وقد نسين واجباتهن نحو أزواجهن وأولادهن وبيوتهن وصار القول قولهن في كل شيء والامر أمرهن ، قد يكون لكثير من الرجال والنساء بعض العذر لجهلهم أو أمر دينهم خصوصا وقد انتشرت بين الناس آراء وأفكار فى علاقة الرجل بالمرأة صادرة عن الملحدين ينكرها الدين ويمجها العقل السليم .

فأنا أدعوكم باسم الدين أن تبينوا للناس فى أول عدد يصدر من مجلة المنار الغراء واجبات كل من الرجل والمرأة قبل الاخر وحقوق كل منها بيانا تفصيليا لا لبس فيه ولا خفاء ، وبذلك تكونون أصبتم غرضين . أحدهما وضع حد للملحدين من هذه الناحية الدقيقة والوقوف فى تيار دعايتهم الذى كاد يجرف الاخلاق والدين ، وثانيهما تعريف المستعدين للاصلاح بواجبات دينهم واقامة الحجة على الاخرين .

إن الامر جد خطير ، ومن أحق من فضيلتكم وقد تصديتم للدعوة الى الدين من بيان أوامر الله ورسوله فى علاقة كل من الرجل والمرأة بالاخر فقد ضج العقلاء بالشكوى من هذه الحال ولا مجيب واستفحل الداء ولا طبيب ، وعسى أن يساعد هذا البيان العقول والقلوب على حل مشكلة احجام الشبان عن الزواج والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

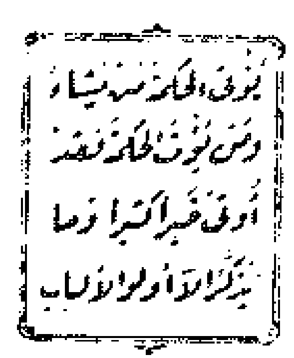
والسلام عليكم ورحمة الله .　　　محمد الهدى

موظف متقاعد ـ شارع مدرسة ولى العهد بالعباسية

(الجـــزء الثامن) (المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للإسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

ربيع الثاني سنة ١٣٥٩هـ مايو سنة ١٩٤٠ م

فتاوى المنار

نقدم في هذا الباب الأجوبة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف و يعبر بما شاء من الألقاب ونجيب بحسب ترتيب الأسئلة في الورود إن شاء الله والله المستعان

حضرة المحترم رئيس تحرير المنار . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعد » فأرجو التكرم بإيضاح معنى خطيئة آدم عليه السلام وكيف يوسوس إليه الشيطان ؟ وكيف يتفق ذلك مع العصمة مع بيان توبته ، وهل ما يقال من أنه أمر في الباطن ونهى في الظاهر صحيح ؟ وهل جاءت هذه القصة في القرءان على سبيل التمثيل كما قال بعض المصريين وما معنى التمثيل عند من قال به؟ أفيدونا أثابكم الله وغفر لنا ولكم .

محمود عسكر

معلم بلعجا بنها قليوبية

والجـــــواب والله أعلم

قص الله علينا في القرآن الكريم قصة ادم عليه السلام ، وأنه خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه وأسكنه هو وزوجه الجنة ، ثم أمره ألا يأكل من الشجرة « وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فوسوس لهما الشيطان وخدعهما وأقسم لهما إنه لمن الناصحين. فاغترا بنصيحته ، ونسي آدم ما عهد به إليه ربه ، فأكلا من الشجرة مع تحذير الله إياه من إبليس وجنوده ، ثم علما ما كان من أمرهما فندما وألهمهما الله تبارك وتعالى صيغة التوبة فقالا : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » فقبل الله توبتهما ولم يؤاخذهما على هذا العصيان إلا بأن أنزلهما إلى الأرض حيث استعمراها ونسلا فيها ، واستمرت الحرب سجالا

بين ذريتهما وبين الشيطان إلى يوم يبعثون . فمن تبع الشيطان فهو من الآثمين المعذبين . ومن حذره وخالفه فهو من المهتدين الناجين وسيبرأ هذا الشيطان من أتباعه يوم الدين ، ويكون بينه وبينهم ما قصه الله علينا من نبأه فى سورة إبراهيم « وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم . وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام » هذا مجمل ما قصه الله علينا فى القرآن الكريم فى مواضع عدة ومنه تعلم

(١) أن خطيئة آدم عليه السلام هى حسن ظنه بوسوسة إبليس حتى أكل من الشجرة

(٢) وأن توبته إنما كانت بإلهام الله تبارك وتعالى إياه أن يدعوه بما جاء فى الآية الكريمة فى سورة الاعراف « قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وقد كان عن هذه التوبة أن غفر الله له وتاب عليه كما قال تبارك وتعالى « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » سورة طه

أما كيف يوسوس له إبليس فذلك لأن قبول النفس البشرية للوسوسة أمر جبلى خلقى فيها والوسوسة تصل إلى النفس الانسانية وإن كان الشيطان بعيداً عنها كما يصل الصوت البعيد على تموجات الهواء أو ما هو أرق منه ولهذا لا تقدح الوسوسة نفسها فى العصمة فكل بنى آدم قابلون لها معرضون اليها بأصل الخلقة وإنما يعصم عن ذلك من عصمهم منهم برعاية إلهية وحفظ ربانى من الله تبارك وتعالى مع حسن الاحتراز ودوام اليقظة والبصر وسد مداخل الشيطان إلى القلب وتضييق مجاريه وشغل القلب بذكر الله تبارك وتعالى « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » على أنه قد ورد أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

ولا مانع من أن يكون إبليس قد دخل الجنة بعد أن طرد منها مخالفا بهذا الدخول أمر الله تبارك وتعالى عاصياً له وما زال يزين له الأكل من الشجرة « ويفتله في الذروة والغارب ويمنيه بمعسول الأماني ويرفقه بالقول اللين حتى تمكن من نفسه وأنساه أنه عدوه الذي حذره الله منه أشد الحذر »

وأما كيف يعصى آدم وهو نبي والأنبياء معصومون من الوقوع في الذنوب فقد أجاب كثير من الناس عن ذلك بوجوه :

الأول — أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان وسمي خطيئة أو معصية وغواية لعلو منزلته وعظيم تقريب الله إياه وكبير فضله عليه وكلما قرب العبد من ربه وعلت منزلته كلما كان ذلك أدعى إلى اليقظة وتمام التذكر والانتباه

وقد صرحت الآية بلفظ النسيان ويؤيد هذا قراءة « فنُسِّي » بالتشديد على أن المراد فأنساه إبليس أمر الله تبارك وتعالى . وبهذا قال بعض المفسرين وإن كان الجمهور على أن نسي هنا بمعنى ترك لا بمعنى سها

والثاني — أنه تأول فيما فعل بأنه فهم أن المراد بالأمر والنهي الارشاد فقط لا الالزام كما حمل الفقهاء الأمر بكتابة الدين على أنه أمر إرشاد لا أمر إيجاب ولا إثم في تركه ويرد على هذا تصريح القرآن بالظلم المترتب على قربان الشجرة في الآية الكريمة « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »

والثالث — أن ما حصل من الذنب صغيرة . ويرد على هذا أن القول بعدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصغائر قول مرجوح . ويرد عليه كذلك تصريح القرآن الكريم بأن هذه المخالفة عصيان وغواية ترتب عليها عقاب وتوبة وإخراج من الجنة

والرابع — أن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية . وإلى هذا ذهب أبو بكر بن فورك قال بدليل ما في آيات طه من ذكر المعصية قبل ذكر الاجتباء والهداية وهو كلام حسن لولا أن ورود الأمر والنهي من الله

تبارك وتعالى لآدم بدون واسطة من أمارات النبوة ودلائلها وقد كان ذلك قبل الأكل قطعا ، ومن جهة أخرى فإن النفس أميل إلى أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من المعصية على كل حال وإن لم يكن ذلك رأى جمهور علماء العقائد وإن لم ينعقد الاجماع إلا على العصمة بعد النبوة

والخامس — أن الله تبارك وتعالى أمر آدم بعدم الأكل من شجرة وأراه إياها فظن آدم أنه منهي عن هذه الشجرة بعينها لا جنسها فأكل من شجرة أخرى من جنسها ولم يأكل من التي انصب عليها النهي بالذات ، وهذا تأويل حسن وإن كان عليه مسحة التحايل

وهناك تصوير تطمئن اليه النفس وذلك أن يقال إن حقيقة المعصية مخالفة أمر الله تبارك وتعالى قصدا وحقيقة الطاعة هي امتثال أمر الله تبارك وتعالى قصدا كذلك ، فمناط المؤاخذة أو المثوبة في الطاعة والمعصية النية والقصد مصداق قوله تبارك وتعالى « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »

ولا شك أن آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة لم يكن يضمر معنى المخالفة ولم يكن يضمر نية العصيان بل لعله كان يتحرى بذلك المبالغة في طاعة الله تبارك وتعالى بأنه سيصير ملكا خالدا دائم الطاعة والعبادة لربه ، وقد خدعه قسم ابليس له ، فآخذه الله بهذا الانخداع مع سابق التحذير وإلى هذا المعنى أشار ابن قتيبة فقال أكل ابليس من الشجرة التي نهى عنها باستزلال ابليس وخداعه اياه والقسم له بالله إنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ، ولم يكن ذلك عن اعتقاد متقدم ونية صحيحة . ويؤيد ذلك أن آدم لم يتفطن إلى أنه أخطأ إلا بعد أن عاتبه ربه كما قالت الآية الكريمة « وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » وحينئذ ألهمهما التوبة فجأرا إلى الله تبارك وتعالى « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وهذا المعنى واضح مفهوم في سياق الآيات كلها تقريبا .

وقد آخذه الله على هذا التأثر بوسوسة الشيطان وخدعه مؤاخذة شديدة حتى تاب عليه على حد القاعدة المعروفة حسنات الأبرار سيئات المقربين

وما يقال من أنه أمر فى الباطن ونهى فى الظاهر كلام مردود ولا دليل عليه والأخذ به هدم للتكاليف فى الحقيقة ، وقد جاء فى كلام بعض الصوفية شىء من هذا فى التفريق بين معصية الولى والفاسق ، وأفضل ما قالوه فى ذلك إن الولى لا يقصد المعصية ولا يفرح بها ولا يصر عليها ، وهذا كلام لا غبار عليه وأما ما زاد عليه فغلو لم يقم عليه دليل .

وأما القول بأن هذه القصة وردت فى القرآن الكريم على سبيل التمثيل فهو قول مردود كذلك – والآيات الكريمة صريحة فيما وردت له لا تحتمل التأويل ، وإذا جاز لنا أن نتأول هذه الآيات مع صراحتها ووضوحها ، فقد صار ذلك ذريعة للخروج بالقرآن كله عن معانيه الواضحة ، وهذا مذهب لا يدع من نحلة الباطنية شيئاً – وليس هناك ما يقتضى العدول عن الظاهر

وقد ادعى بعض المتعلمين الذين تشربت نفوسهم المعارف والعلوم الفرنجية أن ظاهر هذه الآيات يصطدم بالنظريات العلمية الحديثة التى جاء بها « داروين » وأمثاله من علماء الحيوان والبحث فى أصل الأنواع ، وهذا كلام لا تدقيق فيه ودعوى لا صحة لها فان داروين نفسه لم يدع أن الانسان فرع عن غيره من الحيوان سواء أكان هذا الحيوان قردا أم غيره –

كان داروين يدرك تمام الادراك أن نظريته لا تفسر وجود الأنواع تفسيرا نهائيا يثلج الصدر ويعترف بأن هناك عوامل خفية لا يعرفها اشتركت مع ناموس الانتخاب الطبيعى فى تنويع الاحياء فقد قال فى كتابه أصل الأنواع « أنا مقتنع بأن ناموس الانتخاب الطبيعى كان العامل الرئيسى لحدوث التنوعات فى الأنواع ولكنه لم يكن العامل الوحيد فى احداث ذلك التغير » فهو هنا يشير إلى أمرين

هامين الأول أن ناموس الانتخاب الطبيعي في رأيه السبب الرئيسي لحدوث التنوعات في الأنواع لا في حدوث الأنواع نفسها ، والثاني أنه ليس الناموس الوحيد في ذلك . وقد كتب داروين إلى الستريهيات يقول له « اسمح لى بأن أضيف الى هذا بأنى لست من قلة العقل بحيث أتصور بأن تجاحي يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع » فأين هذا من غلو قليلي العقول من جامدي مقلدة الفرنجة ؛ على أن هذا ليس كل ما في الأمر ، فقد هب كثير من العلماء الغربيين يخطئون نظرية داروين تخطئة تامة وينقضونها من أساسها ويؤلفون في ذلك الكتب الضافية ويدلون على ذلك بأدلة عليه يعتقدون صحتها كل الاعتقاد واليك بعض الشواهد من كلام هؤلاء الناس أنفسهم .

(١) قال الاستاذفون بار الالماني وهو من أقطاب الفزيولوجيين والحفريين والبيولوجيين وأستاذ علم الأمبر يولوجيا «علم الاجنة » في كتاب أسماه «دحض المذهب الداروني » بالنص « إن الرأي القائل بأن النوع الانساني متولد من القردة السيماتية هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان وجدير بأن ينقل إلى أخلافنا جميع الحماقات الانسانية مطبوعة بطابع جديد . يستحيل أن يقوم دليل هذا الرأي »

(٢) وقال الاستاذ فيركو الالماني موافقا الاستاذ دوكاتر فاج الفرنسي في كتابه النوع الانساني بالنص « يجب علي أن أعلن أن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الانترو بولوجيا « علم التاريخ الطبيعي للانسان » السابقة على التاريخ تجعل القرابة المزعومة بين الانسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئاً فشيئاً فاذا درسنا الانسان الحفري في العهد الرابع وهو الذي يجب أن يكون الانسان فيه أقرب إلى أسلافه نجد إنسانا مشابها لنا كل الشبه فان جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا قوما يكونون مجتمعا محترما

للغاية وكان حجم الرأس فيهم على درجة يعتبر الكثير من معاصرينا أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثله . وإذا قابلنا مجموع الرجال الحفريين الذين نعرفهم للآن بما نراه في أيامنا هذه استطعنا أن نؤكد بكل جرأة بأن الأشخاص ناقصي الخلقة هم بين الرجال المصريين أكثر منهم بين الرجال الحفريين ولا أتجاسر أن أفترض بأننا في اكتشافاتنا الحفرية لم نصادف غير أصحاب القرائح السامية من أهل العهد الرابع والعادة أننا نستنتج من تركيب هيكل عظمي حضري تركيب معاصريه الذين عاشوا معه في وقت واحد ، ومهما كان الأمر فيجب على أن أقول بأنه لم توجد قط جمجمة قرد تقرب حقيقة من جمجمة الانسان . . على أنه يوجد بين الانسان والقرد خط انفصال نهائي آخر . فاننا لا نستطيع فقط أن نعلم الناس بأن الانسان يتولد من القرد أو من أي حيوان آخر بل لا نستطيع أن نعتبر ذلك من الأمور العلمية »

(٣) وقال الأستاذ ايلي دوسيون من العلماء الفزيولوجيين عن مذهب دارون في كتابه « الله والعلم » ما يأتي « بعد أن قاوم المذهب الداروني عشرين سنة تلك المكافحات الحقة التي قصده بها خصومه قضى عليه قضاء غريبا بأن يهلك تحت ضربات أشد أشياعه غيرة عليه . . ثم ذكر بعد ذلك ما كتبه هربرت سبنسر في هدم ناموس الانتخاب الطبيعي وما كتبه « ويسمان » في هدم ناموس انتقال الصفات والخصائص المكتسبة وقد كانا عماد مذهب دارون

هذا قليل من كثير جدا جدا من أقوال العلماء الأوربيين في كتبهم ومجلاتهم في نقض رأى يعتقده جامدو مقلدة الأوربيين عندنا كل شيء في العلم الحديث ويتشدقون في الكلام عنه والذهاب اليه ، وليس ذلك كل ما في الأمر بل تعالى بعض العلماء الاوربيين ، فأخذ يحاول إثبات عكس هذا المذهب

فهل يحق لنا أمام كلام كهذا مهما تعالينا في قيمته علميا فهو لم يخرج عن

أنه فرض من الفروض العلميـة أن نؤول كلام العليم الخبير ونصرفه عن الظاهر إلى التأويل والتمثيل ؟

ويعجبني كلام تقدم في هذا المعنى في تفسير المنار في سورة البقرة عند قوله تبارك وتعالى « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة » جاء هناك ما نصه « كما أخطأ من قالوا إن الدليل العقلي هو الاصل فيرد اليه الدليل السمعي ويجب تأويله لاجل موافقته مطلقاً ، والحق كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : إن كلا من الدليلين إما قطعي وإما غير قطعي فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعي وجب ترجيح القطعي مطلقا ، وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول لان ما ندركه بغلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التي يكثر فيها الخطأ جداً ، فظواهر الآيات في خلق آدم مثلا مقدم في الاعتقاد على النظريات المخالفة لها من أقوال الباحثين في أسرار الخلق وتعليل أطواره ونظامه ما دامت ظنية لم تبلغ درجة القطع اهـ

على أنه أورد بعد ذلك وقبله كلاما طويلا في الايات . وذكر الرأي القائل بالتمثيل على أنه رأي الخلف ورأي الأخذ بالظاهر ونسبه للسلف وأكد في عدة مواضع أنه يقول بهذا الأخير . ونسبة القول بالتمثيل للخلف قول فيه نظر فمن المقصود هنا بالخلف ؟ ومن الذي قال منهم بهذا الرأي ؟ سؤالان يحتاجان إلى الجواب ؟ على أن الذي يعنينا أن نتفق على الاعتقاد بأن الايات على ظاهرها وأن القصة حقيقة واقعة كما قصها الله تبارك وتعالى علينا في كتابه « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حسن البنا

في محيط الدعوات

الكمال المزعوم ـ المذاهب العلمية السائدة ـ تقليد أعمى

— ٢ —

ولأمر ما وقف تقدم الاسلام . وانحصر النور الالهي الكريم بين أقوام لا يقدرونه . ونام المسلمون في النور واستيقظ غيرهم في الظلام . ولم يكن بد لغير المسلمين من التفكير في قواعد تصح عليها أمورهم بعد أن اتضح قصور الأديان الباطلة وعدم غنائها في هذه الشئون وبعد أن عجزت أيدي المسلمين عن التلويح بالضياء الهادي ليسترشد على شعاعه الضالون الشاردون وابتدأ التفكير الانساني يتخبط في تفهم الحقائق العليا ومدارج ارتقاء النفس فخلق لخيال خالقا للفلسفة العملية . وصحيح أنه إلى غير مواطن النبوات الأولى يرجع تاريخ الفلسفة وينبت جذع الشجرة التي تطل الآن علينا فروعها

وحقاً انه ـ إلى غير مواطن النبوت الأولى ـ يمتد جذر الشجرة الباسقة شجرة الفلسفة الحرة التي تظلل فروعها اليوم أكثر بقاع العالم وسواء أكانت هذه الأغصان لموسجة غابة مؤذية أم لدوحة مورقة فينانة فمن ما ينبغي أن نلتفت إليه هو قلة احتمال البشر قديماً بتطبيق شيء مما وصلت إليه الفلسفة البعيدة عن روح الأديان تطبيقاً عاما شاملا بينما نجد اليوم ـ كأثر حقيق لوقوف الاسلام في حدود أوطانه ـ أن بعض الآثار الفلسفية قد وجدت من الأشياع من يخلصون لها ويجاهدون لتحقيقها ويؤسسون لها الحكومات القوية وينادون بوجوب سيادتها في أنحاء العالمين ... تلك المبادىء ـ وأكثرها نبت في أودية أوربا القفرة إلا من أشواك الوثنية المسيحية ـ لها شأن عجيب ذلك انها ظهرت في بيئات أشد ما تكون حاجة إلى الحرية والانطلاق وأبعد ما تكون تأثراً بما عدا ذلك

فهى تسعى وراء ما تشعر بأن فيه طمأنينتها وسعادتها وقلما يعنيها بعدئذ أن يوصف ما تظفر به بأنه حق أو باطل منكر أو مألوف إيمان أو إلحاد وليس من شك فى أن النضال الدموى المروع الذى سود وجه أوربا عصوراً له أثر بعيد فى هذه الحالة

وفى هوجاء هذه الفتن الخبيثة وفى مهب أعاصيرها التى لا تكاد إلى اليوم تهدأ لها ثائرة أو تؤمن لها غائلة قامت الماسونية والشيوعية والاشتراكية والديموقراطية ... وغير ذلك، ومن ثم نادى أقوام ممن ذاقوا مرارة الخصام بين المذاهب المختلفة بوجوب الاخاء بين جميع المذاهب . أو لو كان إخاء بين الحق والباطل ؟ هذا شىء لا يفكر فيه الماسون وصاح أقوام ممن عضتهم البأساء والضراء بوجوب تقسيم كل شىء على الأمة أو لو كان فى ذلك الفوضى والاباحية ؟ هذا شىء يستسيغه الشيوعيون وكذلك أسس الفاشيون نظام النقابات أو دولة العمال ووضع الديمقراطيون قواعد الحريات العامة للناس - كما يقولون - ولكن هل هناك غاية يخدع بريقها المسلم فى ثنايا هذا الغموض والايهام كلا إنما هو تهريج عالمى تمخض عنه حجاج العقل الانسانى أثناء شروده وجموده ولا ريب أن توفير حاجات الجسد مما تنادى به الضرورة وتكثير أسباب النعم مما تتطلع إليه الرفاهية ثم اشباع مطامع بعض النفوس الجائعة بحسب الزعم ثم ذلك التعاون فى أى أشكاله بين شتى العناصر لنيل خير حياة دنيوية ممكنة — لا ريب أن كل هذا هو لباب المذاهب المتكبرة السائدة هناك والتى تحاول أن تغزو ميادين الشرق المريض بل إنها وجدت فعلا طريقها إلى بعض النفوس المنحلة فى هذه الديار ولا عجب أن تلقى بعض النجاح المؤقت إذا كانت قد دعمتها الدراسات المجردة للفلسفة النفسية والخلقية هذه الفلسفة التى إدعاها علماء تحرروا من قيود الأديان هزيلها وخطيرها واستقامت آراءهم على أسس من تفكيرهم الخاص و « عقولهم الباطنة » أو الباطلة

وسنناقش الآن فى إيجاز أهم المسائل التى قررت فى علم النفس كمنهج للسلوك البشرى الفاضل ثم نقفى على أثر ذلك بتحليل كامل للمقاييس الخلقية الموضوعة

- إذ ان دمار الحياة التى تسود اليوم كثيرا من الطبقات الدعية فى كل شىء إنما يرتد إلى هذه المناهج المصنوعة - وسوف تقر أعين المؤمنين إلى أن الاسلام وحده منهج الحق الواضح وأنه بحسب المسلم الاعتصام بدينه ليستوى على صراط تندق دونه أعناق الشياطين « صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور » ..

يرى علماء النفس أنه لكيما يستقيم سلوك الانسان على نهج واضح ينبغى أن تتكامل عواطفه ثم تدور كلها فى فلك محوره « احترام الذات » تخضع فيه استعداداته الموروثة والمكتسبة إلى كل ما يسمو بكرامته كانسان كامل . وعبارة الانسانية الكاملة وضعها أناس ينظرون للحياة خلال عدسة سفسطائية تسخر من الحقائق . وما دمنا قد وصلنا إلى اعتبار الرأى الشخصى وتقريره أساساً حراً لاكتساب الانسانية الكاملة فقد تنكبنا الحق وفقدنا معه الخير المنشود ذلك ان من الناس من يقوم ذاته على أساس اعتناقها مبدءاً ديكتاتوريا ومنهم من يقومها على أساس اعتناقها مبدءاً ديمقراطيا وكلا الرجلين قد حشد استعداداته الموروثة والمكتسبة لخدمة مذهبه وركزها عند غاية واحدة وارتضى أن يموت دونها فهل معنى هذا ان كليهما ظفر بالكمال الانسانى المزعوم مع ما فى نظرتيهما إلى الدنيا من تناقض يؤكده بينهما الخصام وينشب بينهما القتال ؟

على أننا نحن المسلمين ما نلاحظه على هذه الفلسفة النفسية التى تريد أن تخلق من أنانية الفرد مذهباً عاماً فان المسلم الذى يحق ذاته فى ذات الله ويزن نفسه بنصيبها من دينه يجب أن ينمى عواطفه كلها ثم يسيرها فى نظام يبتدىء وينتهى عند تمجيد الله أماما يقرره لنفسه هو من احترام وتزكية فهو فضل الله يضفيه على من شاء . والمسلم الذى يستشعر فى قرارة نفسه كل معانى العبودية لمولاه العلى لا يأذن أبداً لهذه النفس أن ينسب إليها مجداً أو يشار إليها بأى ضرب من ضروب الكمال المفتعل ونحن نحارب بهذا أناسا مميزين فيهم الكفر وفيهم المؤمن المدخول العقيدة . أولئك قوم زعموا أن السمو بالنفس الانسانية مستطاع فى غير جوار الله

مستطاع في ظلال هـذه المواقف الكئيبة فذهبوا يتلمسون الكمال المنشود في مبادىء يتوارث الناس احترامها وإكبار أصحابها حتى إذا اصطبغت نفوسهم بما وهموه من فضل ومجد راحوا يقررون لها حقوقا من التوقير والاعظام وكان لزاماً على الناس أن يتقدموا إليهم بها . ثم يستقر هذا الضلال المبين فاذا المفتونون أبعد ما يكونون عن الله . وإذا هم على ما بهم من ثقة واعتداد لا يقيم لهم الدين أي وزن ولا يخزلهم أبدا إلا في أمكنتهم من الرغام

هؤلاء وأضرابهم نوع من السلطان المادي والمعنوي في هذه البلاد وهم كأقرانهم من الصابئة الغربية يمثلوا الحملة على الأديان ورسالتها الكريمة في الحياة وإذا كان ضجيج القوم قد تعالى هنا وهناك وترددت أصواتهم في أنحاء كثيرة فانما هذه الصيحات في فيهما نقيق الضفادع وربما أطفأت أنفاسهم اللاهثة شموع الكنائس ـ ولكنهم ولو تعالوا اعواصف ـ لن يطفئوا الاسلام مشعلا (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ولا عجب فالأمور التي توضع الغاما في بنيان المسيحية المتداعي لا يمكن مطلقا أن تشمر بها دعائم الاسلام المكينة وإذا كان صابئة الغرب قد قالوا ما قالوا فردد المقلدون الحمق هنا ما قالوا من نظريات انفصال الدين عن السياسية وعن العلم وخرافة تآخي الأديان أو الدين لله والوطن للجميع فان مصير الفريقين سيختلف حتما وهزيمة المسيحية هنالك هي هزيمة الصابئة هنا تماما .. ولقد أدرك المسلمون حقيقة دينهم غير منقوصة وعلموا أن دينهم كما أنه هو دين النفس هو دين الدولة بل ان الاسلام لم يتجه للفرد من حيث انه « شخصية مستقلة منعزلة » وإنما اتجه إليه من حيث انه « وحدة من مجموعة مؤتلفة متناسقة » وإلى هذا يرجع السر في أن الخطاب الالهي يرد دائما بطريق الجمع لا الافراد « يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده » ثم كيف يكون بين الاسلام وبين العلم عداء والعلم نفسه لم يصل إلى الدرجة التي بلغها من التقدم إلا في جو إسلامي خالص ، إن العلم الطبيعي يعتمد على عنصرين خطيرين في جميع بحوثه

وكشوفه هما الملاحظة والاستنتاج وليس يوجد في الدنيا كتاب أوصى بالتدبر في ملكوت الله الرحيب واستطلاع بدائعه واستكناه روائعه كما أوصى القرآن « وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ومهما أظهر المفرضون من عطف ما كرعلى استقلال العلم فانهم لن ينالوا من الاسلام أي نيل . كذلك ضل من يزعم أن الوطن ليس لله أي غباوة هذه تحاول أن تنسب الشيء لغير صاحبه بل لغير خالقه ، « إنّ الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده » « ولله المشرق والمغرب » ولقد مهد هؤلاء لهذا الخطأ الفاضح بكلمة لم يفهموها . الدين لله حقاً ولكن ماذا بقي لله على زعمهم إذا كان للأوطان أول ماقي الفؤاد وآخر ماقي الفم !! ماذا بقي لخالق الفؤاد وما يجول فيه ولخالق اللسان وما ينطق به كلا . الدين لله والوطن لله . ومصر ومن عليها فدى للاسلام وحده و« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم » إن الشيء الذي يبوء بأشد معاني الاحتقار والذي تجعله محط عداوتنا الدائمة هو هذا الضلال الوقح الذي يحاول في غير ما حياء أن ينتظم الاسلام — وهو دين الله الكريم — والمسيحية واليهودية في سلك واحد فكيف يرتفع مبدأ من المبادىء ليضم إلى أحضانه هذه الأديان المختلفة المتنافية (كذا) ويجمعها في صعيد واحد ... حدث مرة أن كنت أتصفح إحدى المجلات الأسبوعية فعثرت على تصريح سكرتير الماسون الأعظم — وهو رجل مسلم كما يشير إلى ذلك اسمه — قال « إن قراراتهم التي تذاع لا يراد بها إلا خير المجتمع من الناحيتين الانسانية والاجتماعية دون تعرض للسياسة ولا للدين » ونحن نتساءل كيف يجوز لمسلم أن يلقي كلاماً أو يصدر أعمالا بعيداً عن دينه وعن رعاية قيوده وحدوده كلها إلا أن يكون مسلما يجهل الاسلام أو منافقاً يبرأ منه دين الله !! . ونحن نتساءل كذلك أي إخاء عجيب أوى إلى سلامة وونامه أعضاء المحفل الماسوني المكرمين وفيهم أحد موظفي الأزهر وأحد أعيان اليهود . انه إخاء فرض نفسه على حساب نكبة أحدهما في عقيدته أو على الأصح على حساب تنازل المسلم عن دينه كله

هناك ما لا يقل خطرا عن الماسونية العالميــة مسخاً للإيمان وتلويثاً للنفس المؤمنة وهبوطاً بمستواها الذي ينبغي أن تحتفظ به ومن أمثلة ذلك جميع المبادىء التي تحمل لقباً عالمياً . فالرياضــة العالمية والثقافة العالمية والديمقراطية العالمية والادب العالمي والفن العالمي والتمثيل العالمي .. الخ مما يسير في ظلال معنى الاخاء الانساني ووحدة البشرية والــكلمات التي أجاد الاوربيون صناعتها ودسها محترفو الاستعمار بيننا لينالوا بها مالا تناله منا شر الاسلحة وليتوسلوا بهــا إلى إفناء العصبيات الاسلامية وتحطيم فضائلها وتمزيق مقوماتها

﴿ يتبع ﴾ محمد الغزالي

براءة من القاديانية

كتبنا في الاعداد السابقة في فتاوى المنار عما وصل الى علمنا عن طالبين ألبانيين أحمــديين ينتسبان الى القسم العام بالازهر وقلنا ان من واجب المشيخة أن تتحرى أمرهما وأن تبادر بفصلهما حتى لا تسرى منهما عدوى الفكرة الخاطئة الى غيرهما من الطلاب ويسرنا الآن أن نقول ان زميلتنا الفتح الغراء قد نشرت براءة لهــذين الطالبين من المذهب القادياني صرحا فيهــا بتوبتهما توبة نصوحاً ورجوعهما الى عقيدة الاسلام الصحيحة وبراءتهما كل البراءة من المــذهب الاحمدى بقسميه اللاهوري والقادياني معا . ولقد كان لاخينا الداعية المسلم الموفق محمد افندي توفيق أحمد في اقناعهما أثر صالح فجزاه الله خيرا

وسننشر نص هذه البراءة في العدد القادم ان شاء الله

الشيخ محمد عبده *

— ٢ —

عهـــد الطفولة

فى عام ١٢٦٦ الهجرى الموافق ١٨٤٩ الميلادى ، نزل إلى الوجود مولود جديد ، ارتفعت صيحاته وصرخاته معلنة قدومه إلى عالم الدنيا ومبشرة باندراجه فى صفوف الناس ...!

ونفذت هذه الصيحات إلى مسامع الناس من أهـــل القرية ، فتناقلوا الخبر . وجاء الريفيون من هنا وهناك يهنئون الشيخ الوقور « عبده بن حسن خير الله » بهذا المولود الجديد الذى أنار هذه القرية الصغيرة من قرى مديرية الغربية كما يقولون . ويتمنون له من كل قلوبهم السعادة والهناءة . فهم يحبون هذا الوالد الكريم ، الذى لا يعرف كرمه البخـل ، ولا يشوبه الحرص والشح .. وكم كان تفاؤلهم عظيما

---

* اعتمدنا فى هذه الترجمة على مجموعات المنار ، والضياء لليازرجى ، ومشاهير الشرق ، ومصنفات الشيخ محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى ، وكتاب الاسلام والتجديد فى مصر . وغير ذلك مجلات وصحف كثيرة منها العروة الوثقى والهلال والأهرام .

عندما علموا أن اسمه « محمد » فهذا هو الاسم الحبيب لدى كل مسلم والعزيز عند كل مؤمن . فخير الاسماء ما عبد وحمد

وامتلأت نفس الشيخ غبطة وهناءة وسرور . وراح يدعو الله أن ينظر اليه ويوفق وليده إلى خير السبل وأقوم الطرق ، وأن يجعل هذا الرضيع سيفا من سيوفه المصلتة ، ووليا من أوليائه المقربين ، ناصراً للحق وأهله . خاذلا للباطل وأعوانه .

وذكر حينذاك كيف خرج هاربا من قريته فراراً من ظلم الحكام الاتراك واستبدادهم في مديرية البحيرة . أواخر حكم محمد على باشا الكبير فعلت وجهه كهومة واكفهرار ، وأنكر نفسه ، إذ أنه تركى الاصل نزلت أسرته بأرض البحيرة واستوطنتها حتى انطبعت بطابع الفلاحين المصريين . وأصبحت وكانها منهم الجزء الذى لا يتجزأ . والصنو الذى لا يختلف عن صنوه ، فكيف اذن يناله الظلم ممن تمت اليهم بصلة ، وترتبط بهم بوشيجة ؟ هذا لعمر الله غريب وعجيب . . !

ولكنه سرعان ما استبشر وانفرجت أسارير وجهه ، اذ تذكر حرصه الشديد على أن يكون له نسل قوى سليم ، وذرية صالحة تحمل اسمه مع الزمان ، وولد يخلد اسمه فى سجل الخالدين . ويكون له نعم الخلف ونعم الذكرى ، فتمنى لو اتصل حبله بفتاة لها من المزايا الجميلة ، والصفات الحميدة ما يكون خليقا أن ينحدر إلى ذلك المولود الجديد الذى ينحدر من أصلابه . .

عبد الحفيظ أبو السعود ﴿ يتبع ﴾

انتقاد المنار

حول ما نشر فى آيات الصفات وأحاديثها أيضا

جاءنا هذا الخطاب بتوقيع مبهم ونحن نتسامح بنشره إيثاراً لتجلية الموضوع تجلية تامة بحول الله وقوته مع ردنا عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد اطلعنا على ما نشر فى العدد الأخير من المنار تحت عنوان نقد المنار رداً على رسالة أحد القراء الكرام وشجعنا ذلك على الكتابة إليكم فى شيء من الصراحة :

لما اطلعت على عدد المنار الذى بدأتم بإصداره وبادرنا إلى تصفحه حاك فى نفسى ما جاء فى رسالة القارىء إليكم وفهمت من كلامكم فيما بين المجلتين (الهدى والإسلام) من الخلاف نفس ما فهمه الناقد ولعلى أخطأت الفهم أنا أيضاً ، إلا أنكم فى ذلك المقال لم تقولوا بخطأ المجلتين ولم تشيروا إلا إلى إخلاصهما وجهادهما وكان من العجب فرأينا ما ذكرتم فى العدد الأخير من خطأ المجلتين فيما ذهبنا إليه

وبالرجوع إلى أقوال المجلتين ومقالات كتابهما ظننا أن حكمك بخطأ المجلتين يكاد يكون حكما على طائفتين غيرهما فقد أجهدنا أنفسنا فى مطالعة المجلتين فلم نعثر على عقيدة تفسير الاستواء بالاستقرار كما لم يجزم الفريق الآخر بتأويل الاستواء إلى الاستيلاء وحده .

فلعلكم تأثرتم فى حكمكم هذا بما يقال ويشاع فقط . وهذا ما نرجو أن يكون المنار بعيدا عنه .

ولذلك نرى إحقاقا للحق ووضعا للأمور فى نصابها أن ترجعوا إلى كلام

المجلتين وتحكموا عليهما بما تقولان لا بما يقول بعضهم على بعض ولا بما يشاع عنهما بين العامة والدهماء .

وملاحظة أخرى في العدد الأخير يجب أن تبينوا لنا حقيقتها وهي ما نسبتموه لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه في باب التفسير ، ذلك الكلام العجيب الذي لا يشبه في أسلوبه ولا معانيه ما تواتر الينا من كلامه رضى الله تعالى عنه فني أي ديوان من دواوين السنة المعتبرة عند المسلمين وجدتم هذا الخبر : أفيدونا رحمكم الله ، وان لم يوجد في شيء منها ، فهل ترون أن أمثال هذه (الحواديت) التي ملئت بها بعض الكتب المجهولة الأصل مثل نهج البلاغة وغيره تصلح للاحتجاج ولتقرير عقيدة اسلامية .

وإني وان كانت بيني وبين فضيلتكم معرفة ، إلا أني أحب أن أكون إلى حين مستترا والسلام عليكم ورحمة الله

أحد قراء المنار

ملاحظة : فاتنا أن نذكر لفضيلتكم أن خصوم الهدى النبوي اليوم هم بدواتهم وأقلامهم خصوم المنار وصاحبه عليه رحمة الله

« الجواب »

هذا الخطاب يتناول أموراً أربعة

أولها — أننا في المقال الأول لم نقل بخطأ المجلتين الخ . ونحن نعتقد أن هذا المعنى إن لم يصدر في كلامنا تصريحاً ، فقد كان واضحا كل الوضوح ونحن نؤثر دائما أدب القول والكتابة وعفة اللسان والقلم في عصر أغفل الكاتبون فيه هذا المعنى ، وعلى كل حال فكلامنا في المقال الثاني قد أوضح ما أبهمه المقال الأول إن كان ثمة ابهام فلا نطيل القول في أمر قد وضح والحمد لله

وثانيها — أن ما نسبناه الى الجلتين يكاد يكون حكما على طائفتين غيرهما الخ ونحن نقول انما كتبناه هو ما فهمناه من مجموع ما كتب الكاتبون فيهما فاذا لم يكن كذلك فليتكرم حضرة الكاتب علينا وعلى القراء الكرام ببيان ما فهم هو من كلام كل منهما وبيان وجه الخلاف بينهما وليؤيد ذلك بنصوص الكاتبين مستوفاة وليحكم بينهما إن شاء ذلك ونحن على استعداد لنشر ما يكتب والرد عليه ان كان فيه ما يستحق الرد وموافقته إن كان مما نرى أنه الحق على أن يكون هذا آخر ما نكتب فى هذا الباب. نقول هذا ونستحسن لانفسنا ولحضرة الكاتب وللقراء كذلك أن نغلق هذا الباب من الآن وخصوصا بعد أن انصرف الجانبان الى ما هو أجدى وأنفع ، وفيما كتبناه فى بيان ما يجب أن يكون عليه المسلمون فى هذا الامر كفاية

وثالثها — استنكار مانسبناه لامير المؤمنين على كرم الله وجهه فى باب التفسير والتهكم عليه بهذا الأسلوب اللاذع - فغفر الله للكاتب سورة قلمه وعفا عنا وعنه ونحب له أن يروض قلمه دائما على غير هذا الاسلوب فهو أعف وأبر ولو أن حضرته التفت إلى أننا إنما سقنا هذا الكلام للبيان والاستئناس لا للاحتجاج والاستدلال وهذه واحدة، ونسبناه الى نهج البلاغة ولم ننسبه الى الامام كرم الله وجهه وهذه الثانية ، وعلقنا فى حاشية المقال بما يستفاد منه أن نسبة هذا الكتاب موضع خلاف بين الادباء وهذه الثالثة ، لو أن حضرته التفت الى هذه النواحى الثلاث لأعفى نفسه وأعفانا من هذا التعليق القاسى الذى لامبرر له

رابعها — يذكر الكاتب أن خصوم اليوم هم بذواتهم وأقلامهم خصوم المنار وصاحبه عليه رحمة الله - ياسبحان الله إن الزمن يا أخى يدور والمدارك تتطور بدورانه وإن تجارب الناس ودرجة معرفتهم بالأمور تزداد وتتسع يوما عن يوم ، وأن القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء ، وإن كثيرا ممن حمل السيف

أمام رسول الله ﷺ ودعوته كانوا بعد ذلك من أشد الناس حماسة في مناصرتها وتفانيا في محبته ﷺ ، وسبحان من أعز الإسلام بقاتل حمزة وجعله قاتل مسيلمة ، وأين أنت من خالد وعكرمة ولا تجعلني أقول لك أكثر من هذا ففي مكان القول متسع ولكن ما كل ما يعرف يقال ـ وجميع الناس متفقون على أن الحق لا يعرف بالرجال فهيهم لا زالوا في خصومتهم أفلا نتبع الحق إذا جاء على أيديهم ونكون أول من يناصرهم فيه

إني أعتقد أن ما يمر بنا من هذه الحوادث الجسام سيوحد الكلمة وسيجمع الرأي ويقرب شقة الخلاف ، ويسوي صفوف العاملين للإسلام إن شاء الله فصبر إن وعد الله حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته　　　حسن البنا

السيد الكامل آل رضا

رحمه الله

لبى نداء ربه السيد الكامل آل رضا رحمه الله وهو عم السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار ووالد صديقنا الفضال السيد عبد الرحمن عاصم رضا نفع الله به . عن عمر مبارك قضاه في طاعة الله والمبادرة الى الخيرات وكان السيد رشيد رحمه الله يقول عنه إنه حجة الله على أهل هذا العصر إذ كان — أفسح الله له في جنته — رغم كبر سنه وضعف بدنه حريصاً كل الحرص على المبادرة بالأعمال الصالحة بعيداً كل البعد عن كل ما يؤدي إلى الشبهة فضلا عن الحرام لا ترى في مجلسه إلا ذكر الله وما والاه والتذكير بالخير والنصح لعباد الله وقد ورث عنه هذه الخصال نجله الفضال السيد عبد الرحمن حفظه الله فما علمنا عليه إلا خيراً ولا نزكي على الله أحداً

وإنا لنتقدم بالتعزية إلى آل رضا ألهمهم الله الصبر وأجزل لهم الأجر وعوضهم الخير ونسأل الله للسيد الراحل المغفرة والرضوان

وقد حال احتجاب المنار عن أن يصدر هذا الجزء في حينه ولعل صديقنا السيد عبد الرحمن عاصم يوافي قراء المنار بترجمة مفصلة لحياة السيد الوالد عليه الرحمة لتكون لنا وللقراء عظة وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين

المنار

منذ عشرين سنة

ربيع الآخر سنة ١٣٣٩

دعوة عرب الجزيرة الى الوحدة والاتفاق

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم»

ثبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها علماء العرب وغيرهم من الأمم قديما وحديثا ومن الماديات (الآثار القديمة) التي اكتشفت في أقطار مختلفة أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى إنهم استعمروا أقدم البلاد مدنية كمصر

وسورية والعراق ، فلهم فى حضارة الفراعنة والفينيقيين والكلدانيين العرق الراسخ ، والمجد الشامخ ، فإن لم تكن تلك الامم فروعا منهم فلها وشائج أرحام مشتبكة بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام بهم فى الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فمن ذلك ما حكاه فى القرءان المجيد عن قوم عاد « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد » كقول نبيهم هود فى مبانيهم وقوتهم « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين » وقوله فى نسلهم وزرعهم وضرعهم : « أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون » وبيانه لهم أن هذه النعم يزيدها الرجوع إلى الله بالايمان وترك المعاصى نماء وقوة « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم » وما حكاه عن ثمود وقول رسولهم صالح لهم فى تذكيره بنعم الله عليهم « هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه » وقوله « أتتركون فيما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » وما قصه نا عن سبأ فى سورتها كجناتهم عن اليمين والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة فى أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى

وأباها امنين ، وناهيكم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك فى ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشورى دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبتـه الذين اكتشفوا آثار الكلدانيين فى العراق وشريعة ملكهم حمورابى من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربيـة وهذا الملك كان يسمى ملك البر والسلام ، وفى سفر التكرين من أسفار التوراة أن إبراهيم عليه الصلاة والسـلام أعطاه العشور إذ كان من رعيته وأنه بارك ابراهيم فدل هذا على أن ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الاثرى المصرى من متزاج اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفيـة) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمروا مصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها فى تاريخ مصر فكان للغتهم الاثر الخالد فى لغتها

هذا الماع تاريخى وجيز لمدنيـــــة العرب وقوتهم وعمرانهم فى التاريخ القديم منذ ألوف السنين وأن فى لغتهم الغنية الراقية الواسعـة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضعفت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبادت بعد تلك الحضارة وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الأمية ، وكادت

تعمها الجاهلية الوثنية (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ومر على هذا الضعف قرون وتعاقبت عليه أجيال ، حتى ظن الظانون أن هذه الامة هرمت وقاربت الزوال فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب .

ثم جاء الاسلام فجمع شملها بعد فرقة وشتات ، وألف بين قلوب قبائلها وأفرادها بعد عدواة تأرثت بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات وأخرجها من ظلمات الجاهلية والامية ، الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها المكانة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة والكلمة العليا في الحكم والسياسة ، فورثت ملك القياصرة والاكاسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من اليابسة في الغرب ، وأحيت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون ورقت الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة ، فسادت شريعتها جميع الشرائع ، وعلت لغتها جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب

ولكن حظ جزيرتها من هذا العمران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى اللغة فان لبدو الجزيرة وحضرها في هذا العصر لايقرب من تلك الملكة العليا

فى الفصاحة والبلاغة التى جعلت لكتاب الله المعجز تلك المكانة من عقولهم وقلوبهم ، حتى إن كان أحدهم ليسمع السورة أو الاية منه فيخر ساجداً ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته بهدايته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بعد أن ألف الاسلام بينهم فكانوا بنعمة الله اخواناً ، وبرزق قويهم بسلب ضعيفهم بعد كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيعاً تكفر كل شيعة منهم الاخرى أو تفسقها بعد تلك الوحدة العظيمة ، جاهلين أو غافلين عن قول ربهم لرسولهم ﷺ « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء » وما فى معناه من الايات والاحاديث .

إن هداية القرآن هى التى جمعت كلمة العرب على ما كان من تفرقهم وتعاديهم فى الجاهلية ، وهى التى جعلتهم أئمة الامم فى العلم والحكم والاداب والعدل فى أثر اخراجهم من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق والتمادى والجهل والفقر إلا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم اليها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين التفريق . قد زين بزخرف القول لكل فريق ، ان كل شيعة تجمعها رابطة مذهب فانما الواجب عليها أن تعمل بقول علمائه وحكامه ، ولا يجوز لها أن تهتدى بكتاب الله وسنة رسوله ، وان اختلفوا فى الرأى ، وتنازعوا فى الامر خلافا لقوله عز وجل

« فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول » وشبهتها على هذه الخرافة الى الاهتداء بكتاب الله المنزل فتح لباب الاجتهاد المقفل ، فاختلفوا فى أصل الاهتداء بالكتاب ، الذى أنزله الله تعالى لازالة الاختلاف

من غص داوى بشرب الماء غصته   فكيف يفعل من قد غص بالماء

ان الله تعالى أرسل رسله لهداية خلقه « وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » فكيف يؤخذ بقول العلماء والامراء الذين يبغى بعضهم على بعض فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الامر ، اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع ، ويحكموه فى الخلاف الواقع وهو يقول « فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ثم يعلل ذلك تعالى بقوله « ذلك خير وأحسن تأويلا » أى أحسن عاقبة ومآلا من كل ما عداه فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهوائهم فى تحكيم آرائهم والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك الاهتداء بهما ، لا يستلزمان الاجتهاد الاصولى المطلق الذى أقفلوا بابه ، فقد كان عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا فى استنباط جميع الاحكام ، كأئمتهم المشهورين وعلماء الاعلام

ثم إن الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين فى بقاع نجد فرجع الالوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك وكادت تنتشر

دعوته في جميع جزيرة العرب التي يتعذر اصلاحها وجمع كلمتها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد أمر الاسلام في جميع أقطار المسلمين . ولكن حال دون ذلك فتنتان (أولاهما) مقاومة السياسة لها والاخرى غلو الكثير من القائمين بها ، فالاولى اذاعة الساسة في العالم كله ان هذه دعوة ابتداع في الدين ، والغلاة أيدوا هذه الاذاعة بما اشتهر عنهم من الغلو ولا سيما تكفير من عداهم من المسلمين ولهذه التهمة أصل وقد بينا الحقيقة في هذه المسألة من قبل وغرضنا من الالمام بذكرها الان بيان استعداد العرب للصلاح والاصلاح بدعوة الايمان اذا قام بها من يدعو اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن كما أمر القرآن وتذكير الغلاة من المتدينة بأن لا يغلو في دينهم ولا يقولوا على الله الا الحق ولا يحرموا ما لم يحرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص وأن يعذروا كل مخالف لهداية الدين بالتأول أو الجهل ، ويعتمدوا في بث الدعوة على نشر العلم والعمل به على قاعدة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وأن لا يكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب وأن يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب الايمان به عن جهل وان عد بعضه الفقهاء كفرا وردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول الذي كان عليه مشركوا الجاهلية في زمن البعثة . فاذا علموا هذا وعملوا به لا تلبث الدعوة أن تعم الجزيرة وغيرها ويسقط كل من يعارضها حرصا على الزعامة وحب الرياسة .

هذا وأن لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء سببا أصيلا وراء الخلاف الدينى للبغي ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض وسببين عارضين وهما الجهل والفقر . وازالة السببين العارضين من الامور الكسبية القريبة المنال ، وانما الشقاء كل الشقاء فى الشقاق الناشيء عن حب الرياسة والعلو وخطره المنذر بالهلاك والزوال

ان فى بلاد العرب من ينابيع الثروة ما يكفى لجعل أهلها من أغنى شعوب الارض كمعادن الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت المعدنية وغير ذلك ، وفى كثير من ارضها قابلية لخصب الزراعة يعز نظيره فى غيرها وناهيك بقهوة اليمن ونخيل المدينة وفاكهة الطائف ، وأهلها أزكى الشعوب وأقواها استعدادا للتجارة حتى أن عوام الحضارمة قد زاحموا بها أرقي شعوب هذا العصر علما وتجربة فى بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقليل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب فى حياة جديدة من الثروة والعمران وتحفظ نفسها من الخطر المحدق بها الان ، ولكن ذلك يتوقف على ازالة العداء الذى طرأ على أئمتها فى هذا الزمان

إذا زال الشقاق وأبدل منه الاتفاق بين أئمة اليمن والحجاز ونجد زال فى أثره ما منيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ، وإذا حل بالجزيرة ماجعله الله تعالى بسنته في البشر قانونا لازما لاهل التنازع والفشل ، يذل الاسلام ويزول سلطانه عن

رؤوس سائر الامم وتكون تبعة ذلك على أمراء الجزيرة وأئمتها وما يظن بأحد منهم أنه يحسب أن بلاده بمأمن من سيطرة الاجانب بقوتها أو بحرها ووعورتها إذا لم يبق (فيما أظن) منهم من يجهل أن الاجانب قد استولوا على ما هو مثلها أو أشد منها قوة ، والذع حراً وأصعب وعورة على أنه ليس مثلها في كونه جزيرة أو شبه جزيرة فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق . ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سوريا والعراق التي يسهل حصرها أيضا اذا هي نجحت من تلك السيطرة وليتذكروا جميعاً ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم وحكمة ما أشار إليه من أن الاسلام سيأرز اليها كما تأرز الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الآن .

ان بقاء عز الاسلام يتوقف علي استقلال العرب وإصلاح شئونهم كما ثبت عندنا بالنظر الصحيح المؤيد لحديث جابر عند أبي يعلي بسند صحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام « وإذا ذلت العرب ذل الاسلام » ولا عز بغير استقلال ولا استقلال الا بالقوة والمال ولا قوة ولا ثروة مع الشقاق والفرقة . وإنما القوة كل القوة بالاعتصام والوحدة فاذا اتحد أمراء الجزيرة وأئمتها حفظوا استقلالهم وأمكنهم نشر العلم وتفجير ينابيع الثروة في بلادهم بمساعدة أهل البصيرة والقادرين على تنظيم الادارة والقوة وتدبير الثروة من أمتهم وتسابقت الشعوب الغنية

القوية الى موادهم أو مصانعهم للاستفادة من قوتهم وثروتهم بل هي على وشك الاحتياج اليهم منذ الآن . لما بين غربي أوربا وشرقيها من المقارعة والصدام . الذي يتوقف على نتيجته ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام ولا سيما شعوب الاسلام من العرب والترك والفرس والتتر والافغان .

❊

هذا ما نحكيه لهم عن رأي أهل البصيرة والدين من عقلاء العرب وعلماء المسلمين الذين يتنفسون الصعداء حزنا ويحرقون الارم غيظا وأسفا كلما صخ اسماعهم نبأ تقاتل أئمة الجزيرة وتنازع على بعض الجبال والاودية (١) مع خراب البلاد وفقر العباد للدين يلزمهما الاتفاق والاتحاد ويزيدها الافتراق والجلاد وانى بلسان صفوة المخلصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين أدعوهم الى عقد الاتفاق والحلف بينهم على الاصول الآتية :

(١) ابطال الحرب والغزو بين عرب الجزيرة بعضهم مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة مؤقتة الى أن يوضع للبلاد نظام حاق ثابت

(٢) حفظ الحالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل

(١) كجبل سعفان التي يتقاتل عليه صاحبا اليمن وعسير ووادي طربة التي يتنازع فيه صاحبا الحجاز ونجد

الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يعد اعتراف بعضهم باستقلال بعض متضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها .

(٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة فى البلاد فى التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد فى مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل يتبع فى ذلك قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذاهب المتبعة أحكام الدين والكفر والحلال والحرام ولكن ليس له أن يطبقها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط ولا سيما فى شأن الطوائف والجماعات التى تقيم الشعائر الاسلامية بل ليس لغير الحاكم الشرعى فى الدعوى الشرعية أن يحكم بكفر شخص معين يدعى الاسلام ويقتله بذلك كما ينقل عن بعض الغلاة فى بعض البوادى فرب قائل قول أو فاعل عده بعض العلماء كفرا لدلالته عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو متأول ولو ظهر له الحق فى المسألة لقبله مذعنا ورجع عما كان عليه تائبا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن فى البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تلغراف لاسلكى فى البلاد ولا سيما عواصمها .

(٥) ارسال كل حكومة معتمدا الى حكومة ماصلاخرى يكون

وكيلا لها عندها كما هو المعهود بين جميع الحكومات التي بينها عهود ولها مصالح في بلاد الاخرى

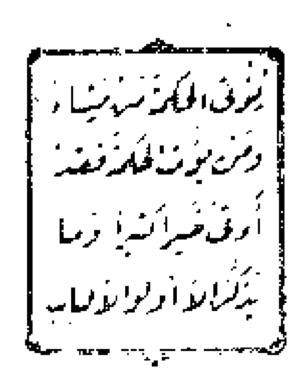
(٩) بعد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلفي يكون هو المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها وأننا متى رأينا من أئمة اليمن والحجاز ونجد شروعا في تنفيذ هذا العمل الذي دعوا اليه جميعا قبل أن تشتد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه - فان عقلاء الامة العربية في سائر البلاد وأهل الغيرة من مسلمي الاعاجم يمدونهم بآرائهم السديدة ومساعداتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفي ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون اليه في ذلك وفيما يترتب عليه من ايجاد وسائل الثروة في البلاد .

فيا أيها الأئمة المقيمون في بلادكم أنكم تعلمون أنكم مسئولون عند الله تعالى عن كل ما يتعلق بأمر البلاد وأهلها وأملاكم لا تعلمون حق العلم قدر اهتمام الشعوب الاسلامية الاخرى أمركم وما يقولون عنكم كلما بلغهم شيء من أنباء اختلافكم وتقاتلكم ألا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون علم اليقين أن اتفاقكم خير لكل منكم وأن بقاء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب عليكم وعلى شعبكم وأمتكم وملتكم « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » والسلام على من اتبع الهدى ورجح المصلحة العامة على الهوى   محمد رشيد رضا

(الجزء التاسع) المجلد الخامس والثلاثون

فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

جمادى الآخرة ١٣٥٩ — أغسطس سنة ١٩٤٠

فتاوى المنار

نفتح في هذا الباب الاجابة عن أسئلة المشتركين وتشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ونذيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

(٦) حكم الدخان والتنباك الخ

الأستاذ رئيس تحرير المنار الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعد » فقد اختلف العلماء في حكم « شرب الدخان » ما بين محرم ومجوز ، فما القول الحق في ذلك وما دليل كل من الفريقين فيما ذهب اليه ، أفتونا ولكم من الله المثوبة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هيروط المحطة قبلي		أنور الصنادبقي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

« وبعد » فالدخان شجرة لم تعرف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في القرون الاسلامية الأولى ولم يعرف استخدامها هذا الاستخدام تدخيناً أو مضغا الخ ، والقاعدة العامة في المحدثات من هذه الأمور أن يحكم عليها بآثارها ونتائجها فما كان منها نافعاً استحب وطلب الانتفاع به وما كان منها ضاراً كره وحرم بقدر ضرره ، وما جرى بجرب العادة ولم تعرف له فائدة ولا ضرر فهو على الاباحة الأصلية . وهذا وجه اختلاف العلماء في شرب الدخان

ومن الذين قالوا بحرمته من استدل بحديث أبي داود « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر » قالوا والدخان مفتر فان من شرب به على غير

اعتياده شمر بدوار وفتور فهو حرام بالنص ، ومن قال بالاباحة نازع فى هـذا الأمر ولم يسلم بما ذهبوا اليه من أنه يحدث الفتور

وقد أورد صاحب الروض النضير شرح المجموع الكبير بحثاً طيباً قد يتصل بهذا المعنى عند الكلام على أنواع المسكر فى الجزء الثالث كما أن للامام الشوكانى فتيا فى هـذه المسألة ، ولعل من تمام الفائدة أن نذكر هذين البحثين ثم نعلق عليهما بما نرى أنه يتفق مع الحق فى هذه المسألة :

قال صاحب الروض النضير « فائدة » قال فى البدر التمام : وهكذا يحرم ما أسكر وإن لم يكن مشروبا كالحشيشة وغيرها

وقد جزم النووى وغيره ، وصرح بذلك الامام المهدى فى الأزهار بأنها مسكرة . وجزم آخرون بأنها مخدرة وليست بمسكرة ، قال ابن حجر وهو مكابرة لأنها تحدث ما يحدث الخمر من الطرب والنشوة ، واذا سلم عدم الاسكار فهى مفترة . وقد أخرج أبو داود أنه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر ، قال الخطابى : المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر فى الاعضاء وحكى القرافى وابن تيمية الاجماع على تحريم الحشيشة قال . ومن استحلها فقد كفر قال وانما لم يتكلم فيها الأئمة الاربعة لانها لم تكن فى زمنهم وانما ظهرت فى آخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار . وذكر المازرى قولا أن النبات الذى فيه شدة مطربة يجب فيه الحد وكذا ذكر ابن تيمية فى كتاب السياسة أن الحد واجب فى الحشيشة كالخمر ، قال لكن لما كانت جمادا وليست شرابا تنازع الفقهاء فى نجاستها على ثلاثة أقوال . فى مذهب أحمد وغيره . وقال ابن البيطار واليه انتهت الرياسة فى معرفة خواص النبات والاشجار إن الحشيشة وتسمى القنب توجد فى مصر مسكرة جدا اذا تناول الانسان منها قدر درهم أو درهمين ومن أكثر منها أخرجته الى حد الرعونة وقد استعملها قوم

فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلت . قال بعض العلماء وفى أكلها مائة وعشرون مضرة دينيـة ودنيوية . وقبائح خصالها موجودة فى الافيون بل وفيـه زيادة مضار . وكذا قال ابن دقيق العيد فى الجوزة انها مسكرة . ونقله عنه المتأخرون من الحنفية والشافعية والمالكية واعتمدوه

وحكى القرافى عن بعض فقهاء عصره أنه فرق فى إسكار الحشيشة بين كونها ورقا أخضر فلا إسكار فيها بخلافها بعد التحميص فانها تسكر قال والصواب أنه لافرق لأنها ملحقة بجوزة الطيب والزعفران والعنبر والأفيون والبنج وهى من المسكرات المخدرات وذكر ذلك ابن القسطلانى فى تكريم المعيشة وقال الزركشى إن هذه المذكورات تؤثر فى متعاطيها المعنى الذى تدخله فى حد السكران فانهم قالوا السكران الذى اختل كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم . وقال بعضهم هو الذى لايعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض ثم نقل عن القرافى أنه خالف فى ذلك . والأولى أن يقال إن أريد بالاسكار تغطية العقل ، فهذه كلها صادق عليها معنى الاسكار وإن أريد بالاسكار تغطية العقل مع نشوة وطرب فهى خارجة عنه فان اسكار الخمر يتولد عنـه النشوة والنشاط والطرب والعربدة والحمية ، والسكران بالحشيشة وغيرها يكون فيه ضد ذلك فيتقرر من ذلك أنها تحرم لمضرتها العقل ودخولها فى الفتر المنهى عنـه ولا يجب الحد على متعاطيها لأن قياسها على الخمر قياس مع الفارق مع انتفاء بعض أوصافه ، وقوله كالحشيشة وغيرها يدخل فيه نوع من القات الموجود فى بلاد اليمن والحبشة يكون منه اختلاط العقل وتغييره ومن بعضه خروج آكله من حيز الاعتدال فى طبيعته . وقد روى فى ذلك حكايات فما بلغ منه هذا التأثير حرم تناوله ويؤدب من تعمده بعد علمه بالتحريم وكذلك القدر المخرج من الاعتدال أيضا من الزعفران والأفيون والمربط وكل نبات مساو لها فى الصفة والتأثير والله أعلم

وجاء فى رسالة إرشاد السائل إلى أجوبة المسائل للشوكانى

السؤال الحادى عشر . عن شجرة التنباك هل يجوز استعمالها على الصفة

التي يستعملها كثير من الناس الان أم لا ؟ » أقول الاصل الذي يشهد له القرآن الكريم والسنة المطهرة هو أن كل ما في الارض حلال ولا يحرم شيء من ذلك إلا بدليل خاص كالمسكر والسم القاتل ومافيه ضرر عاجل أوآجل كالتراب ونحوه وما لم يرد فيه دليل خاص فهو حلال استصحابا للبراءة الأصلية وتمسكا بالادلة العامة كقوله تعالى (خلق لكم ما في الارض جميعا) (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم) الاية ، وهكذا الراجح عندي أن الاصل في جميع الحيوانات الحل ولا يحرم شيء منها إلا بدليل يخصصه كذي الناب من السباع والمخلب من الطير والكلب أو الخنزير وسائر ما ورد فيه دليل يدل على تحريمه ، إذا تقرر هذا علمت أن هذه الشجرة التي سماها بعض الناس التنباك وبعضهم التوتون لم يأت فيها دليل يدل على تحريمها وليست من جنس المسكرات ولا من السموم ولا من جنس ما يضر آجلا أو عاجلا ، فمن زعم أنها حرام فعليه الدليل ولا يفيد مجرد القال والقيل ، وقد استدل بعض أهل العلم على حرمتها بقوله تعالى « يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » وأدرج هذه الشجرة تحت الخبائث بمسلك من مسالك العلة المدونة في الأصول ، وقد غلط في ذلك غلطاً بينا فان كون هذه الشجرة من الخبائث هو محل النزاع والاستدلال بالاية الكريمة على ذلك فيه شوب مصادرة على المطلوب ، و لاستخباث المذكور إن كان بالنسبة إلى من يستعملها ومن لا يستعملها فهو باطل ، فان من يستعملها هي عنده من فالطيبات لا من المستخبثات ، وان كان بالنسبة إلى بعض هذا النوع الانساني فقد وجد منهم من استخبث العسل وهو من أطيب الطيبات ، وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأكل الضب وقال أجدني أعافه . فأكله بعض الصحابة بمرأى ومسمع منه صلى الله عليه وسلم . ومن أنصف من نفسه وجد كثيرا من الامور التي أحلها الشارع من الحيوانات وغيرها أو كانت حلالا بالبراءة الاصلية وعموم الادلة ، في هذا النوع الانساني من يستخبث بعضها

وفيهم من يستطيب ما يستخبثه غيره ، فلو كان مجرد استخباث البعض مقتضيا لتحريم ذلك الشيء عليه وعلى غيره لكان العسل ولحوم الابل والبقر والدجاج من المحرمات لأن في الناس من يستخبث ذلك ويعافه واللازم باطل فالملزوم مثله فتقرر بهذا أن الاستدلال على تحريم التوتون لكون البعض يستخبثه غلط أو مغالطة . اه كلام الشوكاني في هذه المسألة

والمعروف أن الدخان يسبب أضراراً صحية كثيرة نتيجة السم (النيكوتيني) ومن هذه الاضرار كما قال الاطباء ازدياد ضربات القلب وعدم انتظامها وسوء الهضم وتهيج الغشاء المخاطي والعصب الرئوية فيورث السعال المزمن وسوء حركة التنفس ، فلا يمكن للشخص اجهاد نفسه من غير أن يعتريه الانهاك وضعف النظر عادة يكون من بعض هذه النتائج ، وربما أدى إلى عمى جزئي ، وكذلك تصاب الدورة الدموية بآفات أهمها سرعة حركة القلب وتصلب الشرايين ، وقد يورث ذلك القلب ضعفاً مستمراً يؤدي إلى السكتة القلبية بغير ألم أو سابقة إنذار — وكما تحدث هذه الاضرار الصحية بالتدخين تحدث كذلك بالمضغ بل هي في المضغ أشد وأوضح لشدة تأثير النيكوتين الذي يتخلف معظمه في الفم بالمضغ وقد حدثت الوفاة لبعض الناس الذين مضغوه وكذلك توفى رجل أراد تهريب الدخان من « الجمرك » بأن خبأه تحت ملابسه ملاصقا لجلده والتدخين يرفع ضغط الدم وينبه العصب الرئوي المعدي فيهبط القلب وهذا هو سبب الأرق بعد الاكثار من التدخين

وهو بعد هذه الاضرار الصحية اسراف في المال بغير سبب فهو إضاعة له وتبذير وقد نهينا عن التبذير وإضاعة المال وقد أثبتت الاحصائيات أن المدخن ينفق في الدخان أربعة أمثال ما يصرفه في الملبس وهو عبث فارغ لا فائدة ترجى من ورائه والعاقل بله المؤمن ينزه نفسه عن أن يضيع وقته في العبث فهو ضار ولاشك وقد نفى الاسلام الضرر والضرار وقد يقال إن هذه الأضرار جميعاً إنما

تحدث حين الافراط لاحين الاعتدال فيه والتقليل منه والجواب على ذلك أن يقال وأين ضمان الاعتدال وقد أثبتت الاحصائيات الدقيقة أن الاعتدال نادر بين المدخنين فسهولة تناول اللفافة وتحكم العادة وما يتخيله المدخن من لذة التدخين كل ذلك يجره إلى الافراط حتى أنه ليشعل اللفافة من الأخرى بشكل ميكانيكي من غير أن تكون في نفسه حاجة إلى التدخين وكثير من المدخنين من حالته كثرة أعقاب اللفائف التي استهلكها بعد أن ينتهي من عمله أو وحدته

وإذا تقرر هذا فالذي يظهر لي أن تعاطي الدخان تدخينا بأية كيفية أومضغا أو سعوطا بأية كيفية كذلك حلال بأصله إذ الأصل في الأشياء الاباحة حرام لغيره وهو ما تترتب عليه من الاضرار والقليل منه يلحق بالكثير سدا للذريعة ومنعا للقدوة الفاسدة وأما التداوي بتعاطيه فجائز بالقدر الذي يتم به الغرض ومثله في هذا التنباك والقات وما جرى مجراها

ولهذا ننصح للمدخنين من المسلمين أن يقلعوا عن هذه العادة ولو بالتدريج وللذين لم يعتادوا هذه العادة أن يحذروها ما استطاعوا

ذلك ما ظهر لي في هذه المسألة وأنا على استعداد للرجوع عنه إذا ما نبهت إلى غيره مما هو أولى بالاتباع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

فائدة لغوية

يطلق بعض الناس على (الدخان) الطباق والمعروف لغة أن الطباق نبات بري تتغذى به الظباء وأبقار الوحش ، وقد ورد ذكره في شعر أبي العلاء فهو يقول في وصف غانية وتشبيهها بالظباء :

ومن العجائب أن حليك مثقل وعليك من سرق الحرير أناق

وصويحباتك بالفلاة ثيابها أوبارها وحليها الأرواق

لم تنصفي غذيت أطيب مطعم وغذاؤهن الشث والطباق

المنـــــار

منذ عشرين سنة

رجب سنة ١٣٣٩

مختارات من الجرائد الغربية في حل المسـألة الشرقية

وتعليق بقـلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

جاء في جريدة الباتري (الوطن) في ١٧ مايو سنة ١٩١٩

نهاية الدولة التركية ـ عدم عقد شروط صلح معها — تقسيم الولايات العثمانية

تقسيم الدولة

قالت النيويورك هرالد في عددها الصادر هذا الصباح إن من الارجح عدم عقد شروط صلح مع تركيا وإن كان ذلك غير مطابق للقواعد المرعية ، لان المؤتمر يفكر بكل اهتمام في هذا الامر مرتكنا على أن تركيا لم يعد لها حكومة دولية حقيقية وأنه لم يبق للعالم المدني إلا الانتفاع بتركيا الدولة العثمانية

ستنال اليونان أكبر جزء من تركية أوربا، وأما الآستانة مع مضايق البحر فتتبع لعصبة الامم تحت وصاية أمريكا التي تعطى في هذا الآيان نفسه الوكالة على أرمينية إلى أن تصير هذه البلاد صالحة لأن تحكم نفسها بنفسها

ثم إن اليونان سيصيبها جزء ليس بقليل من آسيا الصغرى ، وأما باقي ولايات هذه الجهة فتكون تحت وكالة فرنسا وإيطاليا بالنيابة عن عصبة الامم

في الآستانة

كان لدى الدول فرصة وحيدة لوضع تركيا تحت سيطرة دولية ثم رؤى اتباع طريقة أخرى وهى تقسيم البلاد وتجنيسها بجنسية الحكومات التى لها عليها حق الوكالة أو الوصاية لاحق التملك الحقيقي

إننا بتضحية تركيا وبتشريح هذه المملكة أوجدنا أوجها للنزاع وللشقاق بين دول أوربا في المستقبل إذ أن الرجل المريض سينقل عدوى مرضه إلى أوروبا ولأجل تعميم العدوى دخلت أيضا أمريكا في المرسح ولنا أن نتساءل ما شأن أمريكا في تركيا ؟ ولماذا لم تكلف الدول صاحبة الشأن حماية مضايق البحر ؟ هل تدخلنا نحن في مراقبة ترعة بناما ؟

إن الحل الوحيد هو عدم تخصيص الآستانة لدولة معينة من الدول وإذا كان لابد من وضع مراقبة على تركيا فليس ثمت أحسن طريقة من جعل هذه المراقبة دولية مشتركة ، وكل طريقة أخرى تكون مخالفة للعدالة والروح العصرى والصوالح الأوربية في الشرق .

وجاء في جريدة الفيغارو في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

الارث العثماني

بعد انكسار ألمانيا العسكرى وانهزام دولتى تركيا والنمسا والمجر أصبحت هاتان الدولتان الأخيرتان مزعزعتى الأركان وتولد عن ذلك مسألة من أصعب المسائل وأعقدها ألا وهى تسوية الارث العثماني

إن سقوط الدولتين المذكورتين أنقذ الشعوب التى ليس لها رغبة ولم يعد لها صبر على احتمال نير الحكم الاستبدادى الذى رزحت تحته أجيالا طويلة

فالذين تؤول اليهم تركة تركيا هم أولا اليونان الذين بعد أن تخلصوا من ذلك الملك الخائن انضموا إلى قضية الحلفاء — ثم الأرمن الذين بسبب السياسة الخرقاء الموعز بها من عمال الألمان قاسوا أشد أنواع العذاب وأوشكوا أن ينقرضوا ويليهم السوريون الخ

وانجلترا تأخذ بلاد العراق وفرنسا تأخذ سوريا ، أما العرب فقد قرر الحلفاء منحهم الاستقلال .

وراثة الخـــــلافة

إن انحلال تركيا أوجد مسألة أيلولة الخلافة كما أنه وضع حداً لنهاية نفوذ فرنسا في الشرق ـ لقد كان عدة قرون أكبر نفوذ بسياستنا الودية مع تركيا ، وقد حلت ألمانيا محلنا عند ما أهملنا المحافظة على هذا النفوذ ، وكان في إمكاننا استرجاع مكانتنا الأولى على أثر صولة النصر إلا أننا لم نغتنم هذه الفرصة بل قبلنا تسوية مجحفة بمصالحنا ـ فما يكون نصيب فرنسا بالنسبة إلى البلاد المقسمة التي وضعت تحت وصاية انجلترا وأمريكا ، إن ما خصص لنا إنما هي سوريا بعد استثناء قليقيا وفلسطين منها وحرمانها من البوغازين المهمين أعني بهما ثغري اسكندرونة وحيفا

وجاء في جريدة لافنير (المستقبل) في ١٨ مايو سنه ١٩١٩

تعديل الخريطة — إعادة نظام النمسا وانحلال تركيا

عزم المؤتمر على فحص المسألة التركية وقد بدأ هذا الفحص بارسال مدرعات وجيوش دولية لاحتلال أزمير التي تقرر ضمها إلى اليونان وتم ذلك فعلا

تقرر أيضا ضم سوريا إلى فرنسا ولكن لم ينفذ هذا القرار وجعل العراق وفلسطين تابعتين لانجلترا وقد تم ذلك ثم ينتظر الحاق اضاليه وقونية بايطاليا والاستانة وأرمينية بأمريكا

أما التركي فانه بحسب تخويل الشعوب حق تقرير مصيرها قد صار إزالته من الخريطة والمأمول أن هذه المخالفة لمشروع عصبة الأمم لاتتم لأنه ليس من حسن السياسة تحريك عواطف الوحدة الاسلامية في أنحاء العالم وأضرارها

فاليونان القاطنون في تركية أوربا سينضمون إلى دولتهم التي ستتسع كثيراً على أثر هذا الانضمام كما أن ولاية أزمير - حيث يكون العنصر اليوناني - ستنضم أيضاً إلى دولة اليونان بناء على التوكيل المعطى لهذه الدولة وبحسب الشروط المبينة لذلك

وأما مشروع إنشاء أرمينية الكبرى مع ضم أطنة ومرسين اليها ليكون لها منفذ على البحر المتوسط ، فالمنظور أن أمريكا تكون الوصية على هذه البلاد كي تساعدها على ارتقائها ونموها كما أنها ستكون على الراجح هي الوصية على الاستانة وعلى المضايق التابعة لها أيضاً — فاذا قبل الرئيس ويلسون هذه الوكالة باسم الشعب الامريكي لا يكون قبوله نافذاً ونهائياً إلا بعد موافقة مجلس الشيوخ الامريكي عليه .

وفرنسا تكون الوصية على سوريا بالنظر لعلاقتها القديمة بها لكن لا بد أن تكون هذه الوصاية شاملة البلاد السورية بأكلها وليس على سوريا مقسمة

ولا ريب في أن المخابرات التي جرت في ذلك كان فيها بعض التراخي من قبل فرنسا لكن من الضروري أن تؤيد حقوقنا بكل حزم وعزم

بلاد الاناضول ستعطى لايطاليا مع ميناء أضاليا

ثم إن فلسطين والعراق يكونان تحت مراقبة انجلترا

هذا هو التقسيم الذي تم الاتفاق عليه بادىء بدء وبقي في آسيا الصغرى جزء مأهول بسكان أتراك يحتوي على بروسه وأنقره ، وقد طلب من فرنسا حماية هذا الجزء لأن بروسة حيث يقيم السلطان تكون عاصمة المملكة العثمانية الجديدة وتتمنى أن لا يتبع الحلفاء سياسة التجزئة في آسيا الصغرى والذي نراه هو أن تكون دولة تركيا المقبلة تحت اشراف مستشارين أوروباويين وبمعاونتهم

(المنار) هذا نموذج مما كان ينشر في جرائد الحلفاء منذ عامين بياناً للرأي العام في بلادهم عقب الحرب التي كانوا فيها هم المنتصرين ، وكان أكثر الناس من

جميع الأمم يظنون أن ما تقوله هذه الجرائد هو القول الفصل الذي لا مرد له لأنه صدى سياسة دولهم المنتصرة التي لها الدهر عبد والزمان غلام ، وقد وضعوا المعاهدات لجعل تلك الأماني حقوقا ثابتة ولكن الزمان جاء بما لم يكن في حسبان أحد من الخطوب والمشكلات التي عجز جميع دهاة السياسة عن حل عقدة واحدة من عقدها الكثيرة وقد جف ريقهم من كثرة ما نفثوا فيهـا ودميت أظافرهم من تكرار محاولاتهم لها ، فكان ذلك حجة بالغة على جهـل المغرورين بالقوة والعظمة الباطلة الذين يرتكسون في اليأس عند سماع كل صيحة هائلة (فاعتبروا يا أولي الأبصار)

(المنار ١٣٥٩) لم يقف الأمر عند حد هذه المشكلات بل قامت الثورات في كل جهات العالم الاسلامي ، فقد ثارت مصر وثارت العراق ، وثارت سورية وثارت فلسطين ثوراتها المقدسة . وثارت المغرب مرات متتابعة . ولازالت كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي تطلب الحرية والاستقلال بكل وسيلة وستنتصر في النهاية ولعل هذه الحرب الحالية هي المعول الذي يحطم من الشرق الاسلامي القيود والاغلال .

من مشكاة النبوة

عن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي إلي ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) فاني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه ، فقال اللهم هل بلغت . متفق عليه

السيد الامام

محمد رشيد رضا

ناظر دار الدعوة والارشاد بمصر

بقلم وكيله وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم آل رضا

أشهر رجال الاصلاح فى العصر الحديث ثلاثة ـ حكيم الشرق السيد جمال الدين . والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . والسيد الامام محمد رشيد رضا ـ وغرضهم الذى سموا له إصلاح أمتهم بما صلح به سلفهم . وقد كثر ـ والحمد لله ـ مؤيدوهم ينقلون مايؤثر عنهم ويشيدون بهم وبأعمالهم ويدعون إلى الاقتداء بهم فى جميع المعاهد العلمية وغيرها .

فأما السيد جمال الدين الأفغانى . فكانت خطته الاصلاحية سياسية تبعاً لميله واستعداده . وأما الشيخ محمد عبده فكان همه الاصلاح والتجديد من طريق التربية والتعليم . وقد استفاد السيد رشيد مماذهبا اليه ومضى على سننهما وجمع بين خطتيهما ، وبنى على أساسهما ، فله رأى صائب فى السياسة وأثر محمود فيها فنبه الأفكار الى معرفة حقوق الأمة وأيقظ الهمم لأخذها ، وسعى أيضا لتجديد أمر هذه الأمة من طريق التعليم والوعظ والارشاد والتربية الدينية التى هى قوام الفضائل ، وصار بذلك أشهر من نار على علم .

وإنى مبين هنا جهاده فى سبيل مدرسة دار الدعوة والارشاد فى مصر وفى الاستانة ، ثم فى مصر ثانية وغرته وتمه . وقد صبر صبراً جميلا على ما لاقى من أذى الحاسدين والمارقين .

وكانت مدرسة الدعوة والارشاد هذه داخلية تنفق على طلبتها الداخليين

وتكفيهم كل شيء حتي الكتب والادوات المدرسية ، وكانت تعني بتربيتهم على الفضيلة والنظام ، وبمراقبة أخلاقهم وآدابهم . وفيها قسم خارجي يتعلم فيه الطلبة .

والغرض منها تخريج طائفتين من العلماء تعد طائفة منهم للدعوة إلى الله والدفاع عن دين الله بحسب ما تقتضيه حال الزمان ، وتعد الطائفة الثانية بالتربية والتعليم لارشاد المسلمين وتعليمهم ما يرجى أن يقلل الفواحش والمنكرات والبدع والخرافات . وقد وعد صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفيه الذي الذى كان رئيسا لجماعة الدعوة والارشاد بأن يستعين بهؤلاء المرشدين على اصلاح الطرق والتوسل بذلك الى إرشاد اتباعها إلى حقيقة ما كان عليه سلف الامة الصالح فى عباداتهم وآدابهم .

وكان نظام التعليم فى المدرسة جامعا بين حقائق الدين وحكمته وموافقته لما يقتضيه التطور الاجتماعي وسنن العمران : وبين ما يحتاج اليه علماء الدين من العلوم العصرية والكونية .

وأول ما بدأ السيد رشيد رضي الله عنه نشر أفكاره الاصلاحية فى التربية والتعليم أن وجه الى الازهر الشريف في سني مجلة المنار الاولى رسائل تتضمن أصول الاصلاح الذى يراه واجبا ومنها ما نحن بصدده وهو الوعظ والارشاد العلم والدعوة الى الاسلام . وقد اقتنع الازهر فى السنين الاخيرة بها وأخذت كلياته فى تنفيذها على قدر كفاءة رجالها

وأما بدء السيد السعى لتأليف جماعة الدعوة والارشاد فكان في مصر في عهد الوزير الاكبر المرحوم رياض باشا، واقتنع الباشا بصلاح المشروع وأن يكون رئيسا للجمعية، ولكن حالت أحوال دون تنفيذه

ثم قصد السيد إلى الاستانة سنه ١٣٢٧ وكانت تلقب بدار الخلافة ودار السعادة — بعد الانقلاب الدستورى الذى فرح به الاحرار وبنوا عليه العلالى والقصور — ليؤسس فيها جمعية الوعظ والارشاد.

وقد استقبله رجال الانقلاب السياسى وشيخ الاسلام ووزراء الدولة أحسن استقبال وشاركوه فى تأسيس الجمعية وإنشاء دار الدعوة والارشاد. وقرر مقدار المال ووضعت القوانين والأنظمة وبقى السيد فى الاستانة سنة كاملة يعلل النفس بتحقيق الأمل وانجاز الوعد وتنفيذ الامر واجرائه. ولكن لما تكشفت له الحقائق بالمراوغة والمخادعة عاد الى مصر القاهرة. وانما قصد السيد تنفيذ المشروع بكفالة الدولة العثمانية ليسهل تعميمه فى العالم الاسلامى بدون ضغط أجنبى.

ثم فى سنة ١٣٢٩ أسس السيد جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها الكلية دار الدعوة والارشاد فى مصر وهو يراها أكبر همه ومن أعظم ما يتقرب به الى ربه. كيف لا والاصلان اللذان سميت المدرسة باسميهما وقامت بهما هما أهم مقاصد الاسلام الكافلان لنشر هدايته وتعميم دعوته واعادة مجده بالوعظ والارشاد العام للمسلمين فى مساجدهم ومجامعهم بالخطب ونشر الرسائل المحتوية على ما يحتاج اليه من حسن المعاملة

والمباشرة وحفظ الصحة . . وبالدعوة الى الاسلام . وأخذت المدرسة في تربية طائفة من التلاميذ واعدادهم لذلك الامر العظيم وهو أمر أوجبه الاسلام وقصر أهله عن نشر هدايته وعن الدعوة اليه والدفاع عنه . وقد أبدى بعض سفراء الحكومات تخوفا من هذا المشروع لسمو الخديو عباس حلمى وأجاب سمو الامير أنه لا يخشى منه شيء من الضرر وأنه يضمن بشخصه كل تبعة .

هذا ولا بد من التصريح بأن سمو الأمير عباس حلمى باشا خديو مصر طلب السيد رشيدا اليه بعد عودة السيد من الاستانة وطلب منه أن يشرع بتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد فى مصر لان سموه يرى أن وجود مدرسة الدعوة والارشاد وجمعيتها فى مصر سيقنع الدولة بانشاء مثلها فى الاستانة . ويمكن حينئذ توحيد المشروع فى العاصمتين وبذلك يصير تعميمه فى البلاد أضمن وأوفق . ومعنى رغبة سمو الخديو هذه أن الازهر الشريف لم يكن يغني المسلمين غناء مدرسة الدعوة والارشاد فى ذلك الحين .

والذى حمل سمو الخديو على ذلك حرصه على خدمة الاسلام وحسن ظنه بالسيد الامام . وقد نقل عنه رئيس ديوانه المؤرخ الشهير أحمد شفيق باشا أن سموه قال « إن السيد محمد رشيد هو لسان الاسلام في هذا العصر . ولذا صار كثير التحبيذ للمدرسة وزارها مشجعا وهى فى أول نشأتها . ثم أمر مدير الاوقاف أن يضع لها مبلغا من المال ابتداء

من سنتها الثانية وأوصى أن تقرر الاوقاف في ميزانية السنين التي تليها كل ما يقدره مجلس ادارة المدرسة لنفقاتها .

ثم سافر سمو الخديو إلى الاستانة ووقعت الحرب العامة وكان من أمرها ما كان مما لافائدة من ذكره الآن

واستمرت المدرسة عامرة بالتعليم بعد ذلك عامين آخرين نضب في أثنائهما معين الاعانات من الاوقاف وأصحاب المروءات . وتحمل السيد من تلك النفقات وصبر عليها حتى عجزت ثروته عنها . وانقضت حياة التدريس فيها بعد أن كانت عامرة بها أربعة أعوام . ولكن آثارها الطيبة في نفوس طلابها ومن يتصل بهم لاتنقطع بكر الاعوام لانها مؤسسة على تقوى من الله ورضوان .

هذه خلاصة تاريخ جهاد السيد في تأسيس المدرسة التي كانت موضع أمله في اصلاح المسلمين وارجاعهم إلى ما كانوا فيه من عز وكرامة ولم يهن ولم يصبه الملال بل جدد سعيه - لتجديد حياة المدرسة - لدى عظمة السلطان حسين كامل . وكان وعده وهو أمير بالمساعدة المعنوية والمادية وقال الامير . إني طالما فكرت في هذا المشروع وفي حاجة المسلمين إليه وأنه لولا الموانع لكنت أشتغل وأعمل فيه بنفسي وكان عظمة السلطان في مقدمة كبراء المسلمين الذين يجزمون بأن الاصلاح الاسلامي الديني والدنيوي يتوقف على العمل الذي يراد من دار الدعوة والارشاد ولكن شؤون السلطنة وغيرها ... حالت دون

مساعدة السلطان حسين رحمه الله وأحسن ثوابه .

هذا ولشدة حرص السيد رشيد على نجاح دار الدعوة والارشاد لاعتقاده بأنها حاجة ماسة للاصلاح الاسلامى المنشود وجه سعيه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد لعله يحقق غرضه . ومما كتب السيد فى مذكرة قدمها الى رئيس الديوان ليعرضها على جلالة الملك قوله رحمه الله تعالى (ولما كنت أعلم بالدليل المؤيد والاختبار وشهادة عقلاء المسلمين أن هذه المدرسة ضرورية لخدمة الاسلام فى هذا العصر وأن مصر أولى بها من غيرها من أمصار الاسلام لانها فى مقام القدوة لها . وهى مرتبة لايعقل أن ترضى مصر بالتخلى عنها . على أنها أحوج اليها من غيرها فانه لايوجد قطر اسلامى فيه من الفوضى الدينيه والأدبيه فى عامته مثل القطر المصرى فاكثر أفراد الطبقات العامة الدنيا ليسوا على شىء من الوازع الدينى ولا الادبى كما يعلم من كثرة الجنايات . ويستحلون كل منكر إذا غلب على ظنهم الامن من الحكومة وهم عرضة لقبول كل دعوة الى عصبية من عصبيات المدنية المادية . . . فمستقبل البلاد من هذه الجهة حالك الظلام . ولا عاصم من شرها كالدين اذا قام بهداية من عقله واهتدى به فعلا بتربية صالحة . ولا يرجى مثل هذا لمن يتعلم العلم على انه حرفة يعيش بها . وأما مدرسة دار الدعوة والارشاد فانها تربى تربية روحية اخلاقية حتى يكون الباعث على الارشاد من أعماق سائر طلابها ووجدان قلوبهم لايبتغون عليه أجراً إلا من

الله الذي فرضه عليهم . وهي على قلة زمن الدراسة فيها قد أخرجت أفرادا من المصريين ، والمغاربة ، والهنود ، والجاويين ، والقوقاسيين ، والشاميين ، ومن الجزيرة لاهم لهم من حياتهم الا إرشاد المسلمين الى حقيقة دينهم ومصالح معايشهم)

ومن أولئك الافراد فى تلاميذ دار الدعوة والارشاد فضيلة أبى السمح الشيخ عبد الظاهر محمد الامام والخطيب فى بيت الله الحرام ومنشىء مدرسة دار الحديث فى مكة المكرمة . ومن علامات اعتزازه بالانتساب الى دار الدعوة والارشاد أنه عتب على لما لم أذكر اسمه بين أسماء بعض تلاميذ السيد فى مقالة سابقة عنه رحمه الله . وقال انه يفخر بأن السيد كان يخاطبه برسائله اليه (بولدنا الروحى)

ومن صفات الاستاذ أبى السمح أنه صالح فى سيرته وأخلاقه ويجيد تلاوة القرآن الكريم بخشوع يؤثر فى سامعيه أحسن التأثير ويجيد الخط أيضا . ولذا اختاره السيد أن يكون مراقبا للطلبة فى أخلاقهم والقيام بعباداتهم فى الليل والنهار ومعلما ترتيل القرآن الحكيم وتحسين الخط

وفى مقدمة الذين ينسبون الى المدرسة ما عندهم من مزايا أخلاقية وفضائل نفسية حضرة الزعيم المجاهد مفتى الديار القدسية السيد أمين الحسيني . وكذلك المسلم العربى الكريم السيد يوسف ياسين . وأنى لا أنسى كلمة كتبها من بحرة وهو فى معية جلالة ملك المملكة

العربية السعودية منتظرين فتح جده فى أشد حرارة القيظ التي تكاد تغلى الادمغة من شدتها . قال حينما يكاد يستولى على الضعف ويصيبنى الوهن كنت أتذكر درس التفسير للسيد فى المدرسة وكأنى أسمع صوته ينفث فى قلوبنا روح الفضيلة يقوى إرادتنا ويربى أرواحنا فتشتد عزيمتى وأنفض غبار الوهن عنى . والمجال يضيق عن ذكر كثيرين من المريدين وقد سبق لى أن ذكرت طائفة منهم .

وبذل السيد سعيه لتجديد عهد المدرسة أيضا لدى ملجأ المسلمين حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود . ولما لم يتيسر ذلك اقترح السيد على جلالته إيفاد طائفة من أبناء الشيوخ ليتفقهوا فى الدين برعاية السيد واشرافه وكان من المتوقع أن يعمل بهذا الاقتراح .

ولما قام مصطفى كمال باشا قومته وكان موضع آمال المسلمين — أرسل إليه السيد كتابا مع رسول ، ومما رجى فيه أن يكون لمدرسة الدعوة والارشاد من عنايته أوفر نصيب لانها أساس لكل ما يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر من اصلاح وإنما ذكرت هذا لاستيفاء أدوار المدرسة .

والسيد رضى الله عنه كان لا يألو جهدا فى نشر أفكاره الاصلاحية بالتعليم كما ينشرها بالقلم وكان يجتمع عليه فى دار المنار كثيرون من خيرة المتعلمين المربين من الأزهر والقضاء الشرعى ودار العلوم ومدارس المعلمين ونبهاء الموظفين يسألونه العلم . وكانوا اذا وجدوا فى مباحثهم مسألة مشكلة معقدة لم يستطيعوا حلها بعد البحث والتنقيب والمراجعة فى الكتب فانهم يرجعون الى السيد الامام لحل الاشكال وبيان الحق والصواب فيها : وحينما يجتمعون لذلك بعد مغرب يوم الخميس فان السيد يسألهم عن موضوع الليلة ؟ فيجيبون المسئلة الفلانية ، ثم يأخذ السيد فى بحث ما ورد وقيل فيها ثم يخلص إلى الحكم بأن الصواب فى المسئلة كذا فينحل الاشكال وتزول الغشاوة التى كانت حاجبة الحقيقة . وكانما حملت عن

المستمعين أثقال . رحم الله السيد محمد رشيد رضا منشىء (المنار) ومفسر القرآن الحكيم وناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد فقدخدم أمتهداعيا إلى الله ومدافعاً عن دين الله ومرشدا إلىماينفع الناس على بصيرة .أفنى فيذلك أربعين عاما صابرا ثابتا شأن الراسخين في العلم والمؤمنين ، لا تأخذه في الحق لومة لائم غير هياب ولاوجل على كثرة ماكاده الحاسدون والدجالون والملحدون بضروب الأذى ولم ينالوا منه منالا لأن الله لايهدي كيد الخائنين .

طرابلس ــ لبنان عبد الرحمن عاصم

من مشكاة النبوة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم إلى قوله فاسقون ، ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطراً ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم

رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن

في الاسراء والمعراج

محاضرة فضيلة الاستاذ أبو الاشبال الشيخ محمد شاكر القاضي الشرعي
بقاعة المحاضرات في جمعية الشبان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾

أيها السادة

يجمع حفلنا هذا المبارك الليلة إشادة بذكرى آية من أعظم آيات النبوة اختص الله بها عبده محمداً صلى الله عليه وسلم من دون سائر الأنبياء عليهم السلام وأمره أن يصلي بهم في بيت المقدس ، موطن النبوات الأولى ، وأمرهم أن يقتدوا به ، تشريفاً لقدره وتعظيما ، ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وإشارة إلى عموم بعثته ، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٤ ـ ٢٨ » وتعليما لأممهم وأتباعهم وأن يؤمنوا به ويصدقوه ويقتدوا به كما اقتدى أئمتهم الأنبياء ، ودخلت أممهم في أمامته إلى يوم القيامة ، فهو إمام الأئمة وهو الامام الأعظم ، فمن آمن به من أتباع الأنبياء فقد آمن بهم ، ومن لم يؤمن به فلم يؤمن بواحد منهم . ومصداق ذلك قول الله تعالى « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٣ ـ ٨١ » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين جاءه عمر بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه — والذى نفسى بيده — لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى

أيها السادة

إن الاسراء والمعراج حادثان من أبرز الحوادث فى السيرة المحمدية الشريفة وقد دعيت لأن أتحدث اليكم فى شأنهما ، وما أرانى أهلا لهـذا المقام الخطير ولـكنى على ثقة من أغضائكم عن قصورى وتقصيرى عفواً منكم وفضلا .

والـكلام فى شأنهما يدور على أنحاء شتى من القول ، أوقن أنى عاجز عن الاحاطة بها واستيعابها ، وحسبي أن أقصر قولى على النحو الذى أرجو أن يكون لى به علم ، والذى أظن أنه لى به علم شيئا من الاختصاص ، وهو البحث فى اثباتهما من الوجهة التاريخية ، وأعنى بذلك الوجهة الحديثية ، إذ أن نسبة أى قول أو فعل إلى النبى صلى الله عليه وسلم مما يدخل على المحدث ، وهو الذى يرجع اليه فى إثباته أو نفيه ، بعد تحديد موضوعات العلوم وخصوص كل صنف من العلماء بما أحسنوه من العلم .

والقواعد التى سـار عليها علماء هذا الفن — فن الحديث — هى أصح القواعـد للاثبات التاريخى وأعلاها وأدقها ، وإن أعرض عنها كثير من الناس وتحاموها بغير علم ولا بينة ، بل إنا لنجد بعض الباحثين يعرضون لاثبات الأحاديث ونفيها بآرائهم وأهوائهم ، فمهما رأوا من شىء نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان موافقاً لرأى ينصرونه فهو الحديث الصحيح عندهم وإن مكذوبا موضوعا ، ومهمـا رأوا من حديث صحيح ثابت وكان مخالفاً لما تنصره أهواؤهم ، فهو الحديث الضعيف أو المـكذوب وإن كان إسناده من أقوى الأسانيد وأصحها وأثبتها عند العارفين بها ولعلهم لم يقرءوا طول حياتهم إسنادا صحيحا أو ضعيفا . ولم يعلموا قليلا ولا كثيرا مما بذله علماء الحديث من الجهد فى التحرى والتوثق والتتبع لأحوال الرواية وألفاظ الاحاديث ومعانيها ، وما ألفوا فى ذلك من الدواوين الكبار والمعاجم الموسوعة من منتصف القرن الثانى

للهجرة إلى أوائل القرن العاشر .

أيها السادة

قد عنى المسلمون بحفظ أسانيد شريعتهم من الكتاب والسنة بما لم تعن به أمة قبلهم فحفظوا القرآن ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواتراً آية آية كلمة كلمة وحرفاً حرفاً حفظاً فى الصدور وإثباتاً بالكتابة فى المصاحف حتى رووا أوجه نطقه بلهجات القبائل ورووا طرق رسمه فى المصحف وألفوا فى ذلك كتباً لو حدثتكم عن شىء منها لأخذكم العجب ، ولعل بعضكم يكون أعلم بها منى . وحفظ المسلمون أيضاً عن نبيهم كل أقواله وأعماله وأحواله وهو المبلغ عن ربه والمبين لشرعه والمأمور بإقامة دينه ، وكل أقواله وأفعاله بيان للقرآن

وهو الرسول المعصوم والأسوة الحسنة ، اسمعوا قوله تعالى فى صفته (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ٥٣ - ٣و٤) وقوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ١٦ - ٤٤) وقوله أيضاً (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ٣٣ - ٢١ » وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب كل شىء يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهته قريش فذكر ذلك للرسول فقال - اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى الاحق ففهم المسلمون من كل هذا أنه يجب عليهم أن يحفظوا عن رسولهم كل شىء وقد فعلوا وأدوا الامانة على وجهها ورووا الاحاديث عنه وبعضها متواتر ، إما لفظاً ومعنى وإما معنى فقط وبعضها مشهور . وبعضها بالاسانيد الصحيحة الثابتة - مما يسمى فى قواعد المصطلح الحديث الصحيح والحديث الحسن ولم يحتجوا فى دينهم بغير هذه الأنواع التى لا يعارض فيها إلا جاحد أو مكابر .

وقد بين الامام الحافظ أبو محمد بن حزم هذه الانواع فى كتاب الملل والنحل وقال عن النوع الاخير - المسمى عند علماء المصطلح بالآحاد - إنه هو ما رواه الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبر كل واحد منهم

باسم الذي أخبره ونسبه ، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان على أن أكثر ما جاء هذا الجزء فانه منقول نقل الكوف . اما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وأما إلى الصاحب وإما الى التابع ، وإما إلى امام أخذ عن التابع يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن ، والحمد لرب العالمين وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها . وأبقاه عندهم غضا جديدا حديثا على قديم الدهور منذ أربعمائة وخمسين عاما ، في المشرق والمغرب والجنوب والشمال يرحل في طلبه من لا يحصى عددهم إلا خالقهم إلى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده . قد تولى الله تعالى حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم ، ولا يمكن فاسقا أن يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر

أيها السادة .

هذه صورة مصغرة ، بل لمحة خاطفة ، على المجهود الهائل الذي بذل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم للمحافظة على آثار نبيهم ﷺ طاعة لما أمر به أصحابه في حجة الوداع « ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب أوعى من سامع » أفيجوز بعد ذلك لكل من ركب رأسه . وأعجبه عقله ، ورضى عن نفسه - أن يقول هذا حديث صحيح وهذا حديث غير صحيح . أولا يعلم أنه حين يرد حديثا صحيحا ، أما بنفي ثبوته وأما بتأويله عن غير وجهته - يرمى رجالا من الثقاة الاثبات والعلماء الحافظين ، بأنهم كاذبون أو جاهلون وهو لا يعرف شيئا من أخبارهم ولا أحوالهم ، وإنه إنما يرميهم في دينهم وأمانتهم وصدقهم وأنه حين يرضى عن حديث مفترى فيزعم أنه صحيح ثابت . يشارك مع افتراه في فريته ويدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين »

أيهـا السادة

أرجو أن تعذرونى إذا أطلت القول فى ذلك ، فانه بسبيل مما نعرض من إثبات حديث الاسراء والمعراج . ولأن الجراء من النـاس استرسلوا فى العبث بالسنة الشريفة عدوا وبغيا .

فلم يكتفوا بتكذيب الرواة الثقـاة والأئمة الاثبات ، بل زادوا عدوانا وطغيانا . اجترءوا على تكذيب بعض أصحاب رسول الله عليـه الصلاة والسلام وهم رسله إلى من بعدهم ، والأمناء على دينه وشريعته . وهم الذين أثنى الله عليهم فى القرآن بما لم يثن على غيرهم من أصحاب الأنبياء ، وهم السابقون المقربون رضى الله عنهم ورضوا عنه

أيها السادة

إن حديث الاسراء والمعراج من الأحاديث الثابتة الصحيحة ، وقـد جاء بروايات كثيرة متواترة ، منها المطول ومنها المختصر ، ألفاظ مختلفة ، وكلها تدل فى مجموعها على صحة هذه الحادثة وعلى ثبوتها التاريخى ، مما يسميه العلماء (التواتر المعنوى) وقد ورد من حديث أنس بن مالك ، ومن حديث غيره من الصحابة ، ونقل الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٥ .. ٢٤٣) عن الحافظ أبن الخطاب عمر بن وحيه أنه ذكر ذكره من حديث أنس ثم قال ، وقـد تواترت الروايات فى حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعـلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشـداد ابن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبى حبة وابن ليلى الأنصاريين وعبد الله ابن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ماوقع فى المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم شرط الصحة ، فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة

والملحدون « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » فهؤلاء ستة وعشرون صحابيا رووا حديث الاسراء . وقد جمع الحافظ بن كثير أكثر رواياتهم بأسانيدها في تفسيره (ج ٥ ص ١٩٧ — ٢٤٣) على معرفة مواطنها من كتب الحديث الصحاح الستة وغيرها وسأحدثكم ببعض الروايات الصحيحة فيها

روينا بالاسناد الصحيح المتصل عن إمام المحدثين أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل في مسنده قال حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل . يضع حافره عند منتهى طرفه . فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين . ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر وإناء من لبن . فاخترت اللبن وقال جبريل أصبت الفطرة . ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل ومن أنت . قال . جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . فقيل . وقد أرسل إليه ؟ قال أرسل إليه ، ففتح لنا فاذا أنا بآدم . فرحب ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل ومن أنت ؟ قال جبريل . فقيل ومن معك ؟ قال محمد . فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه . قال ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال وقد أرسل إليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن . فرحب ودعا لي بخير . ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه ، قال وقد أرسل إليه ففتح الباب فاذا أنا بادريس فرحب ودعا لي بخير . ثم يقول الله عز وجل « ورفعناه

مكاناً علياً » ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل قد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب ودعا لى بخير ، ثم عرج الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل قد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل قد بعث اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم صلى الله عليه وسلم وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها . قال فأوحى الله عز وجل إلى ما أوحى وفرض على في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال . ما فرض ربك على أمتك قال قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة . قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك وإنى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربى عز وجل فقلت أى رب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمساً فرجعت الى موسى فقال ما فعلت قلت حط عنى خمساً ، قال إن أمتك لا تطيق ذلك . فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال . ولم أزل أرجع بين ربى وبين موسى . ويحط عنى خمساً حتى قال يا محمد هى خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل عشر . فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة فان عملها كتبت عشراً . ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك . فان أمتك لا تطيق ذلك . فقال رسول الله ﷺ لقد رجعت إلى ربى حتى لقد استحييت

هذه الرواية إحدى روايات الحديث ، وهي أجودها وأتقاها وقد رجحها كثير من الحفاظ على غيرها . وإن كان فيها شيء من الاختصار في بعض المواضع وقد رواها مسلم بن الحجاج في صحيحه (١ — ٩٩) حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك . واسنادها من الاسانيد التي نص أئمة الحديث على أنها أصح الاسانيد ، وروى الامام أحمد أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما ليركبه فاستصعب عليه ، وقال جبريل ما يحملك على هذا والله ما ركبك أحد قط أكرم على الله عز وجل منه قال . فارفض عرقا وروى أيضا بنفس هذا الاسناد عن أنس . أن النبي ﷺ قال . رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة ، نبقها مثل قلال هجر ، وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان فقلت ياجبريل ما هذان ؟ قال أما الباطنان في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وهذان أيضا حديثان صحيحان روتهما أئمة ثقات أثبات .

أيها السادة

ومما ورد من الأحاديث الصحيحة ما رواه الامام أحمد ومسلم في صحيحه من طريق معمر بن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « حين أسرى بي لقيت موسى عليه السلام فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة قال فلقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس — يعني حماما — قال ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه وأنا أشبه ولده به قال فأتيت باناءين في أحدهما لبن ، وفي الآخر خمر فقيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقال هديت الفطرة أو أصبت الفطرة — أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

وروى الامام احمد من طريق عوف الاعرابي عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري وعرفت أن الناس مكذبي ، فقعد معتزلا حزينا ، قال فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه وقال له كالمستهزيء هل كان من شيء فقال رسول الله ﷺ نعم . قال ما هو . قال انه أسري بي الليلة . قال إلى أين . قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا . قال نعم قال فلم يرد أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه ، قال أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني فقال رسول الله ﷺ . نعم فقال هيا معشر بني كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس ، وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله ﷺ « اني أسري بي الليلة قالوا إلى أين . قلت إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم قالوا وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد . وفي القوم من قد سافر الى ذلك البلد ورأى المسجد فقال رسول الله ﷺ . فذهبت أنعت . فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت ، قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه ، حتى وضع دون دار عقال أو عقيل ، فنعته وأنا أنظر اليه قال فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب .

وهذا — أيها السادة — حديث صحيح أسنده رجال ثقات أثبات ، ورواه أيضا ابن أبي شيبة والنسائي والبزار والضياء في المختارة وغيرهم وجاء هذا المعنى عن جابر بن عبد الله مختصراً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي والطبري في تفسيره

وقال الحافظ الثقة محمد بن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ـ ق ١ ـ ١٤٤) وأخبرنا حجين بن المثنى نا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن

الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله إلى أنظر اليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فاذا موسى قائم يصلي، فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل. يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت اليه فبدأني بالسلام.

وهذا أيضا حديث صحيح ثابت، رواه في صحيحه عن زهير بن حرب عن حجين بن المثنى شيخ ابن سعد فيه.

هذا قليل من كثير مما ورد من الأخبار الصحيحة في الاسراء والمعراج وكلها تدل دلالة صريحة واضحة عن أن الاسراء والمعراج كانا بشخصه الكريم صلى الله عليه وسلم، أي بجسده وروحه، ولا يفهم منها سامعها غير ذلك، وقد بدا لبعض الأولين من المتقدمين والمتأخرين أن يتأولوا كل النصوص ويفهموا منها أن الاسراء والمعراج كانا بروحه فقط، وزعم بعضهم أن ذلك كان رؤيا في المنام ولا نجد لواحد من هذين الفريقين دليلا يعتمد عليه في نقل دلالة الاخبار عن ظاهرها وصريحها، وهو مدلولها الحقيقي في وضع اللغة، فإنما التأول نوع من المجاز الذي لا يصار إليه في الكلام إلا بدليل أو قرينة واضحة. نعم. قد نجد حديثين عن عائشة ومعاوية، يوهمان أن الاسراء لم يكن بجسده الشريف وهما حديثان ليسا مما يحتج بمثلهما أهل العلم بالحديث، وقد رواهما ابن اسحق في السيرة قال حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول. ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه وقال حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن

الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال كانت رؤيا من الله صادقة . قال ابن إسحاق عقيب ذلك . فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن . هذه الآية نزلت في ذلك قول الله عز وجل (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ولقول الله عز وجل في الخبر عن إبراهيم عليه السلام ، إذ قال لابنه (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما ، وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول . تنام عيني وقلبي يقظان . فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أي حاليه كان نائما أو يقظان كل ذلك حق صدق . هذا كلام ابن إسحاق الذي نقله عنه ابن هشام في تهذيب سيرته وهو ظاهر في أن ابن إسحاق لما رأى كلمتي عائشة ومعاوية تردد في أنه كان في اليقظة أو في النوم ، ولم يستطع أن يجزم بشيء ، ولكنه لم يستطع أيضا أن ينفي ما دلت عليه الأخبار أن ذلك كان يقظة عيانا بروحه وجسده ﷺ

أيها السادة

إن كلمة ابن إسحاق واستدلاله بخبري عائشة ومعاوية — في غالب رأينا — هي أول ما نقل عن العلماء المتقدمين من الخلاف في هذه المسألة ثم جاء بعد من جزم بما تردد فيه ، واستدلال ابن إسحاق بهذين الخبرين غير جيد ، فإنهما خبران ضعيفان ليس لهما إسناد صحيح ، وقد أطلت البحث عنهما فلم أجد لهما إسنادا غير ما ذكر ابن إسحق ، أما خبر معاوية فإنه منقطع ، لأن راويه يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس لم يدرك معاوية ولم يدرك أحداً من الصحابة أصلا ، وإنما روى عن التابعين فقط . ومات سنة ١٢٨ ومعاوية مات سنة ٦٠ . وأما حديث عائشة فإنه كما ترون لا إسناد له ، لأن قول ابن إسحاق حدثني بعض آل أبي بكر إبهام للراوي . فلا نعرف منه من الذي حدثه . وهل هو ثقة أو ليس بثقة

وهل أدرك عائشة أو لم يدركها فكلا الحديثين منقطع الاسناد ، مجهول الراوى
لا يحتج عنه عند أهل العلم .
وقد نقل الامام أبو جعفر ابن جرير الطبرى فى تفسيره قول ابن اسحاق
ثم رده أبلغ رد فقال : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله
أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى
كما أخبر الله عباده . وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن الله حمله على البراق حتى أتاه وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه
من الآيات ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده . لأن ذلك لو
كان كذلك لم يكن فيه ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته . ولا حجة له على
رسالته ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن
صدقه فيه . إذ لم يكن منكرا ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى
آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام على مسيرة سنة . فكيف ما هو على مسيرة
شهر أو أقل . وبعد فإن الله أخبرنا فى كتابه أنه أسرى بعبده . ولم يخبرنا أنه
أسرى بروح عبده وليس جائزاً لأحد أن يتعدى ما قال الله الى غيره . . ولا
دلالة تدل على أن مراد الله من قوله (أسرى بعبده) أسرى بروح عبده بل
الأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله
أسرى به على دابة يقال لها البراق . ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة
على البراق . إذ كانت الدواب لا تحمل الا الاجسام إلا أن يقول قائل إن معنى
قولنا أسرى بروحه . رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ
بمعنى الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل حمله على
البراق لأن ذلك اذ كان مناما على قول قائل هذا القول . ولم تكن الروح عنده
مما تركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى صلى الله عليه وسلم . لم يكن
النبى صلى الله عليه وسلم على قوله حمل على البراق . لا جسمه ولا شىء منه
وصار الامر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت

به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين .

أيها السادة

هذا ما قاله الطبرى فى الرد على ابن اسحق ، وقد رأيتم وهن حجته فيما روى عن عائشة ومعاوية ، وقد جاء عن عائشة ما يخالف رواية ابن اسحق ، فروى الحاكم فى المستدرك من طريق ابراهيم بن الهيثم البلدى عن محمد بن كثير الصنعانى عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت « لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الاقصى ، أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبى بكر ، فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قال ذلك قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك فقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم أنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق » وقد رواه البيهقى عن الحاكم فيما نقله الحافظ ابن كثير ، ورواه أيضاً ابن الاثير فى أسد الغابة ، باسناده من طريق المفضل بن غسان عن محمد بن كثير الصنعانى ، وهذا اسناد صحيح صححه الحاكم ووافقه الحافظ الذهبى وهو ينقض رواية ابن اسحاق المجهول اسنادها لان عائشة رضى الله عنها تروى أن خبر الاسراء كان من أثره أن كذب من كذب ، وارتد من ارتد ، وأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه صدق الخبر وأبان عن حجته فى التصديق ، فلو كانت ترى أن ذلك كان بالروح أو أنه كان مناما ، لما كان هناك معنى عندها للتصديق والتكذيب ولا فتنة يفتن بها من ضعف يقينه فيرتد عن دينه ، إذ كان لا غرابة فيما يراه النائم ، وإذ كان العرب يصدقون الكهان فيما يخبرونهم به مما غاب عن أبصارهم فلم يكن لهم ان يكذبوا رجلا يحدثهم عن رحلة روحية تكون أقرب إلى خيالات الاوهام إذا فهموا من كلامه انه إنما أسرى بروحه ثم عرج بها إلى السماء . وإنما المفهوم الواضح انهم يكذبون من يحدثهم بشىء يرونه غير داخل تحت قدرة البشر ، وشىء يعجز الانسان بجسمه وعقله وبروحه أن يقوم به وحده

أيها السادة

قد اجترأ بعض الباحثين من المتقدمين والمتأخرين فجزموا بما تردد فيه ابن اسحق وزعموا أن الاسراء كان بالروح أو كان مناما ، ولم ينتبهوا إلى أنه لو كان ما زعموا صحيحاً لما جعله الله سبحانه من آيات النبوة لنبيه ، ولما أثنى على نفسه بهذه المعجزة الباهرة إذ قال « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » ومن الغرائب أنهم احتجوا بما نقله من غير اسناد عن عائشة ثم أخطئوا فى نقلهم خطأ ينقض حجتهم ، فان رواية ابن اسحاق عنها ما فقد جسد رسول الله ، بالبناء للمجهول فنقلوها . ما فقدت جسد رسول الله فحملوا حجتهم بحمل معمول هذه بها . لأن الثابت الصحيح أن الاسراء كان ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة ، ولم تكن عائشة إذ ذلك تزيد سنها عن السابعة . ولم تكن فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يدخل بها إلا فى المدينة بعد الهجرة ، فليس من المنطق السليم أن يحكى عن لسانها أنها تقول . ما فقدت جسد رسول الله

أيها السادة

نقل بعض المؤلفين عن الحسن بن أبى الحسن البصرى القول بأن الاسراء كان مناماً . وهذا أيضا نقل خاطىء . فانه لم يرو عنه هذا القول بأى إسناد والذى يبدو لى أن الذين نقلوا عنه هذا القول قرءوا كلام ابن اسحاق وفهموه على غير وجهه لانه نقل روايتى عائشة ومعاوية ثم احتج لتأييدهما بأنه لم ينكرهما أحد لان الحسن قال إن قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) نزل فى ذلك أى الاسراء والمعراج فهو يريد الاحتجاج بكلمة « الرؤيا » لغلبة استعمالها فيما كان مناما . وبأنه إذا كانت الآية نزلت فى هذه الحادثة كان ذلك لا ينفى قول من زعم أن الاسراء والمعراج لم يكونا فى اليقظة ففهم بعض من قرأ قوله أنه ينقل عن الحسن ما يوافق كلمتى عائشة ومعاوية . وهذا فهم خطأ يظهر خطؤه واضحا لمن تأمل سياق الكلام ومعناه

وقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) نزل في شأن الاسراء والمعراج على القول الراجح عند العلماء . ولكن احتجاج ابن اسحاق بذلك لتأييد كلمتي عائشة ومعاوية غير جيد . لان الرؤيا تستعمل أيضا في الرؤية بالعين . ففي لسان العرب . قال ابن بري وقد جاءت الرؤيا في اليقظة

قال الراعي

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسا كان قبل يلومها

وعليه فسر قوله تعالى . وماجعلنا الرؤيا التي أريناك الافتنة للناس وعليه قول أبي الطيب ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

وقد روى الامام أحمد والبخاري وغيرها عن ابن عباس في تفسير هذه الآية هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى بيت القدس وليست برؤيا منام (وفي لفظ) شيء أريه النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة رآه بعينه حين ذهب به الى بيت المقدس وليس أصرح من هذا نص ولا أقوى منه حجة لان ابن عباس وهو ترجمان القرآن يفسر به الاية ويروى أن الاسراء كان في اليقظة وينقل وهو العربي القرشي الهاشمي الفصيح . ان كلمة الرؤيا تكون وهي لغة القرآن بمعنى الرؤية

أيها السادة

لما طغت على أوربا موجة الالحاد وارتكس أهلها في عبادة المادة بعد أن كانوا في ظلمات من الجهالة في دينهم ودنياهم ، حتى سموا الحقبة الماضية من تاريخها حقبة القرون الوسطى — بالعصور المظلمة ، ثم ملكوا زمام الصناعات بما فتح لهم من زهرة الدنيا وزينتها ، وكانت الأمة الاسلامية قد تخاذلت شعوبها ودب فيها الضعف والانحلال . بما تركت من دينها،وما نسيت من مجدها ، وكانت أوروبا لم تنس هزيمتها أمام المسلمين في الحروب الصليبية ، انتهزت هذه الفرصة وزحفت على بلاد الاسلام تفتتحها بالسيف والمادة . وتفتح عقول أبنائها بعلوم الدنيا ، وتنزع منها علوم الدين ، وتتغلغل في معتقداتهم لتسلها من قلوبهم بما ملك رجالها من السلطان على تربية أبناء المسلمين وبما وضعوا عليه أيديهم من شئون

الحكومات وبما احتكروا من طرق التكسب الحر واستغلوا الضعف الانسانى بالحاجة الى طلب العيش فأخرجوا لنا من صنع أيديهم رجالا مسلمين تأبى نفوسهم أن تسلم بكثير من عقائد الاسلام وما ورد في الكتاب والسنة ، ويستنكرون بعض التشريعات الاسلاميه خصوصها فى الحدود والربا وحجاب النساء والزواج والطلاق والمواريث والأوقاف وهم يوقنون بأنهم مسلمون ولا ترضى قلوبهم وضمائرهم أن ترتطم فى لجة الردة من الاسلام فترى فيهم حالة نفسية شاذة وحيرة روحية غريبة لاخلاص لهم منها ولا نجاة ويمنعهم الكبر العلمى أن يخضعوا تفكيرهم لما يخالف ما نشأ عليه معلومهم خطوة خطوة فلا يجدون أمامهم ليقنعوا أنفسهم ويرضوا ضمائرهم ، الا أن يتأولوا مخالف آرائهم من نصوص القرآن وظواهره سواء احتملت التأويل أم لم تحتمل وكان شأنهم فى السنة عجبا فمنهم من يرفضها كلها ويريد أن يقنع الناس — قبل أن يقنع نفسه — بتكذيب كل الرواة وبوضع كل الاحاديث ومنهم من يتأول ما أمكنه تأوله ثم يرفض سائرها

أيها السادة

كان من آثار هذه التعاليم ومن نتائج هذه الحيرة فى كثير من المتعلمين ما ترون من التهالك على التجديد فى الدين - زعموا - ومن محاولة إنكار وجود الملائكة والجن وتأول النصوص الواردة فى ذلك ومن محاولة انكار الخوارق الكونية التى جعلها الله سبحانه معجزات أيد بها أنبياءه ورسله إلى الناس ، بتأويلها إلى ما يخرجها عن وجه الاعجاز ويدخلها تحت مقدور الانسان ومن انكار كل المعجزات الكونية التى أيد الله بها نبينا محمداً ﷺ والتى تثبت عند المسلمين بالتواتر طبقة عن طبقة مما لا يحتمل الشك أو التردد فضلا عن تكذيبه كله تحكيما للعقل فيما يظنون .

أيها السادة

ان العالم ليس محصوراً فيما يقع تحت الحس الانسانى فقط ومن زعم ذلك فقد حد من قدرة الله بل انه لم يؤمن به ولذلك وصف الله المتقين بأنهم (الذين يؤمنون بالغيب) أى يؤمنون بما أخبرهم به الانبياء مما خرج عن إدراك

البشر بقوانا المحدودة — وقد أخبرنا الله سبحانه فى كتابه بصريح القول أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأخبرنا الرسول ﷺ أنه عرج به الى السموات . وأشار الله سبحانه الى ذلك فى القرآن . اقرءوا قوله تعالى (والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى : علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الاعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فليس للمؤمن الذى يؤمن بالغيب مندوحة عن تصديق ما أخبر الله به رسوله . وان عجز عقله عن ادراك حقيقة ما آمن به وكل علمه إلى عالمه كالشأن فى المتشابه من القرآن يقول الله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ٣ ـ ٧) فمن حاول تأويل آيات الله التى أيد بها أنبيائه فما زاد عن أنه يكذب بها وهو يظن أنه يستر تكذيبه

أيها السادة

إن الذين زعموا أن الاسراء والمعراج كانا بالروح أو مناما من المتقدمين ، إنما زعموا ذلك استدلالا بأخبار رأوها فى ذلك . وقد بينت لكم أنها أخبار ضعيفة وأن الاستناد اليها خطأ . وأما الذين يزعمون ذلك من المعاصرين فانما يدعون أن نبينا محمداً ﷺ لم تكن له معجزة غير القرآن وينكرون كل الأخبار المتواترة فى المعجزات ويظنون أن الاسراء والمعراج ينافيان ما اصطلحا على تسميته فى هذا العصر « بالعلم » لان العلوم المادية لم تثبت قدرة الانسان على نقل الاجسام بمثل هذه الصورة التى حكيت فى حديث الاسراء والمعراج ، وما أنا بمتعرض الآن لما يثبته العلم وما ينفيه ولكنى أسألهم هل يؤمنون بما حكى

الله في القرآن من قصة سليمان مع ملكة سبأ . فقد أخبرنا الله سبحانه بما دار بين سليمان وبينها من المراسلة ، ثم قال تعالى (قال . يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك . فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر . ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم)

فهذه حادثة لا تحتمل تأويلا استطاع فيها رجل من أصحاب سليمان عليه السلام بما علمه الله من الكتاب ، أن ينقل عرش الملكة من اليمن إلى الشام في مثل لمح البصر ، ويؤمن بصحتها كل مسلم يصدق القرآن وهي من نوع الاسراء والمعراج في نقل الاجسام ، فماذا تسمون من يؤمن ببعض الآيات وينكر بعضها

أيها الساده

قد فشت بدعة منكرة في هذا العصر ، وهي بدعة تأويل نصوص القرآن لتطابق ما يسمونه « العلم الصحيح » أو « العلوم الكونية » تقربا إلى متعلمي هذه العلوم ، أو تملقا إلى أساتذتهم المستشرقين ، وهم طلائع المبشرين وسواء عليهم أكانت هذه النظريات العلمية ثابتة ثبوت اليقين ، أم كانت من الظنون التي يفترضها العلم افتراضا ويرجحها لانه لا يوجد فرض آخر أرجح منها . وإنما الذي يهم هؤلاء المتأولين أن يسميهم الناس مجددين . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أيها السادة

لقد أطلت الكلام فيما عمدت اليه . وأحس أني قد أمللتكم ومجال القول ذو سعة وحسبي أن قد تفضلتم بالاصغاء إلي . وأستغفر الله لي ولكم

أبو الاشبال

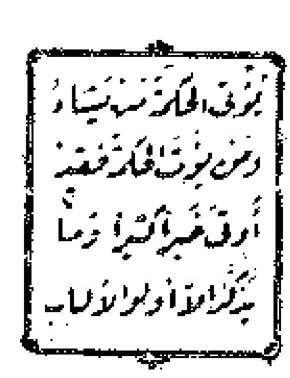
أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

(الجزء العاشر) المجلد الخامس والثلاثون

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوى و«منارا» كمنار الطريق

شعبان سنة ١٣٥٩ — سبتمبر سنة ١٩٤٠

فتاوى المنار

تقدم فى هذا الباب الاجابة عن أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة فى الورود ان شاء الله والله المستعان

(٧) حكم الصلاة فى النعلين

« هل يصح تأدية الصلاة فى الأحذية ومعاملتها معاملة الخفين، وإن صح ذلك فما هى شروطه ، وهل جميع المذاهب تجيزه » أفيدونا مشكورين وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شبين القناطر   اسماعيل محمد سالم

فى هذا السؤال أمران حكم الصلاة فى النعلين وحكم اعتبارهما خفين يجوز المسح عليهما

فأما عن الأمر الأول فالصلاة فى النعلين الطاهرين جائزة باجماع المذاهب لورود الأحاديث الصحيحة بذلك « فمن أبى مسلمة سعيد بن يزيد قال سألت أنساً أكان النبى ﷺ يصلى فى نعليه قال نعم » متفق عليه ، وقد ورد ذلك فى كثير من الأحاديث الصحيحة — وهل الصلاة فى النعلين من العزائم والمستحبات أم هى من الرخص والتيسيرات أم هى من المباحات فقط ، أقوال واردة لاختلاف الأدلة ، وممن ذهب إلى الاستحباب الهادوية، وروى عن عمر رضى الله عنه باسناد ضعيف أنه كان يكره خلع النعال ويشتد على الناس فى ذلك وكذا عن ابن مسعود — وقال ابن بطال الصلاة فى النعال والخفاف من الرخص كما قال ابن دقيق العيد لا من المستحبات لأن ذلك لا يدخل فى المعنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من ملابس الزينة إلا أن ملامسة الأرض التى تكثر

فيها النجاسات ، قد تقصر عن هـذه الرتبة ، وقال القاضي عياض الصلاة فى النعلين رخصة مباحة فعلها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ وذلك ما لم تعلم نجاسة النعل ، وممن كان لا يصلي فى النعلين عبد الله بن عمر وأبو موسى الأشعرى .

وكل هـذا إذا كانتا طاهرتين أو لم تعلم النجاسة عليهما ، أما إذا كانتا نجستين فالاجماع على خلعهما ما لم تطهرا لما أخرجه أبو داوود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف قال لم خلعتم نعالكم ؟ فقالوا يا رسول الله رأيناك خلعت فخلعنا ، قال إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثا ، فاذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما فان رأى بهما خبثا فليمسحه بالأرض ثم ليصل فيهما . وهل تطهر أن بالدلك بالأرض أم لابد من التطهير بالماء ؟ فى ذلك تفصيل قال القاضي عياض من المالكية إن عمت النجاسة وكانت متفقا عليها لم يطهرها إلا الماء وإن كانت مختلفا فيها كأرواث الدواب وأبوالها ففي تطهيرها بالدلك بالتراب قولان ، الاجزاء وعدمه ؛ وأطلق الأوزاعي والثوري إجزاء الدلك لحديث أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « إذا وطيء أحدكم الأذى بخفيه فطهورها التراب » ويرى أبو حنيفة إجزاء الدلك إلا فى البول ورطب الروث ويرى الشافعي ألا إجزاء إلا بالغسل بالماء وعند الحنابلة هـذه الأقوال جميعا . ومن متممات هذا البحث أن يلفت النظر إلى هذه الأمور

(١) إذا تعذر خلع النعلين لمانع قهري كما يكون ذلك للضباط والجنود ومن فى حكمهم فعلى المفتي أن ييسر الأمر عليهم ويجيز لهم الصلاة فى النعلين ويحملهم على أيسر الأمور وحسبهم الدلك بالأرض

(٢) يلاحظ فى صلاة النبي ﷺ وأصحابه بالنعال أن المسجد لم يكن

فيه فرش حينذاك ، وأن العرف قد جرى على البساطة التامة ، وأن النجاسات المغلظة لم تكن قد أحاطت بحياة الناس هذه الاحاطة ، وأن كثرة المشي في الرمال كفيلة بالتطهير وأن الأمر لا يعدو أن يكون رخصة جائزة فالتشبث بهذا المظهر بحجة أنه إظهار سنة مهملة فيه نظر ، والأولى إيثار الخلع وخصوصاً وقد تغيرت كل هذه الاعتبارات جميعا والله أعلم

وأما عن الامر الثاني وهو اعتبار النعل كالخف في جواز المسح عليها فلا مانع من ذلك بشروطه ، وهي أن يكون لبسهما على طهارة ووضوء تام ، وأن تكون النعل ساترة للرجل مع الكعبين خالية من خرق يمنع المسح . والله أعلم

أسرار البلاغة في علم البيان

أصدرت « دار المنار » في هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الامام « عبد القاهر الجرجاني » مطبوعا طبعاً متقنا على ورق جيد صقيل . والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف . وقد وضع في وقت تحكمت دولة الألفاظ ، واستبدت على المعاني ، وهو خير ما كتب في موضوعه عبارة وأسلوبا ، وإيضاحا للمسائل ، وبسطا للدلائل ، وقد امتاز بارجاع الاصطلاحات الفنية الى علم النفس ، وتأثير الكلام البليغ في العقل والقلب ، وقد عني بتصحيحه علامتا المعقول والمنقول المرحومان الشيخ « محمد عبده » والشيخ محمد محمود الشنقيطي ، وعلق حواشيه المرحوم « السيد محمد رشيد رضا »

وثمن النسخة ٢٥ قرشاً

موقف العالم الاسلامى السياسى اليوم

عرضنا لهذا الموضوع فى الجزء الخامس من هذا المجلد بعد نشوب هذه الحرب الطاحنة بشهور قلائل ، وقد جرت الحوادث مسرعة وتطورت الامور تطورا عظيما ، فقد فاجأت المانيا الدول المتحالفة باحتلال الدانيمرك ثم بغزو النروج وهولندا ولوكسمبرج وبلجيكا والاستيلاء عليها بعد مقاومات لم تستغرق طويلا من الوقت ، ثم وجهت بعد ذلك قوتها الى فرنسا فهزمتها فى أسابيع قليلة واحتلت باريس مع قسم عظيم من الاراضى الفرنسية ، واستقرت الحكومة الفرنسية فى فيشى بعد سقوط باريس ، وعقدت هدنة بين فرنسا والمانيا تخلت بها فرنسا عن حليفتها انجلترا تخليا تاما ، ومن عجائب القدر أن توقع شروط هذه الهدنة فى نفس غابة دكاليبان التى وقعت فيها شروط الهدنة السابقة بين الالمان المنهزمين والحلفاء المنتصرين ، وأن يكون ذلك فى عربة القطار ذاتها التى وقعت فيها شروط الهدنة السابقة . ولقد بين الماريشال بيتان رئيس الحكومة الفرنسية والقائد العام لجيوش فرنسا حينذاك عن أسباب انهيار فرنسا بكلمات قلائل . ولكنها عظيمة المرمى حقا ، فقال « لقد دمرت روح اللهو والملذات ما شيدته روح التضحية » ثم خاطب الفرنسيين فقال « أدعوكم الى أن تهتموا بأخلاقكم قبل كل شىء » وكذلك يريهم الله آياته فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، وكذلك يصدق قول الله تبارك وتعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون »

وبهذا التحول فى شئون السياسة العالمية سقطت ثلاث دول من دول الاستعمار الكبرى وهى فرنسا وبلجيكا وهولندا . إن فرنسا تبسط سلطانها على الهند الصينية وعلى سورية وعلى المغرب بأقسامه تونس والجزائر ومراكش وعلى

المستعمرات الافريقية الأخرى ومعظم سكانها من المسلمين وبانهزامها يكون لهذه الأمم الحق فى تقرير مصيرها ، ويكون من واجبها أن يعمل لذلك، ومن واجب العالم الاسلامى كله أن يساعدها على التحرير وعلى أن تنال حقوقها الى طال عليها الأمد ، وأن هولندا تحكم أكثر من سبعين مليونا من المسلمين ، فى أندونسيا وما يجاورها ، ومن حق هؤلاء وقد أصبحت هولندا نفسها محتلة أن يتحرروا وأن ينالوا حقوقهم ، ومن واجبهم أن يعملوا لذلك، ومن واجب العالم الاسلامى أن يعينهم على العمل ، ولقد أخذت اليابان تتطلع إلى هـذا الاجزاء من الممالك الاسلامية فى آسيا ، وأخذت المانيا وايطاليا تمهدان للاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من ذلك فى سورية ، وفى المغرب الأقصى ، وتطلعت أسبانيا من جانبها إلى اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من جسم المغرب الذى اغتصبته فرنسا لتحل محلها فيه . هذه أمانى باطلة وهذا ظلم لابد أن تكون له عاقبته ، فعلى هذه الدول أن تفكر فى أساس جديد حقا يصلح لاقامة سلام إنسانى ، ولن يكون هذا إلا بالعدل والانصاف ومنح الشعوب حريتها واستقلالها ومعاملتها بروح التعاون على خير الانسانية كلها ، ومن واجبنا نحن المسلمين أن نعمل لذلك ما استطعنا

ثم دخلت إيطاليا ميدان القتال وقد قاربت فرنسا الهزيمة وإيطاليا تجاور مصر قلب العالم الاسلامى فى افريقية، وبذلك وقع الالتحام بين القوات الايطالية والانجليزية على الحدود المصرية ، وتوغل الايطاليون فعلا فى أرض مصر حتى وصلوا إلى سيدى برانى وعسكرت قواتهم هنـاك ، وأخذوا يهددون البلدان والمدن المصرية بالغارات الجوية فى كثير من الأحيان .

وبدا لايطاليا أن تنذر اليونان باحتلال أرضها فقاومت اليونان ووقعت الحرب فدم رحى وطيسها ونحن نكتب هذه الكلمات والمعارك على أشدها بين القوات اليونانية والايطالية فى ميـدان كوريتزا بألبانيا وأبيدوس وغيرها ، ولا تزال القوات اليونانية صامدة للغزاة صمودا أضلا أخلف ظن إيطاليا التى

ما كانت تقدر أنها ستلقى هذه المقاومة على ما يظهر ، ولقد شدت انجلترا ظهر اليونان ، وأمدتها ببعض المساعدات من الطائرات والرجال ، وانتهزت الفرصة السانحة فأخذت تغير على الاسطول الايطالى والسواحل الايطالية وتلحق بها أضرارا فادحة .

ولقد بدا لألمانيا من قبل أن تحدث انقلابا فى رومانيا فتم لها ما أرادت وخلع الملك كارول وتنازل لابنه الملك ميشيل عن العرش وطبقت النظم النازية فى شئون الحكومة تحت رياسة الجنرال انتونسكو رئيس حزب الحرس الحديدى النازى المبادىء وتولت أمر الجيش الرومانى بعثة عسكرية ألمانية ، وبذلك انتقل مسرح الحوادث إلى البلقان .

وفى هذه الأثناء وقعت اليابان مع ألمانيا وإيطاليا تحالفا عسكريا كان الرد عليه من جانب انجلترا فتح طريق بورما الذى تستمد منه الصين حاجتها من الذخائر والأسلحة ، ووقعت الانتخابات الامريكية لرياسة جمهورية الولايات المتحدة ففاز بها الرئيس روزفلت للمرة الثالثة وكان لذلك مغزاه فى تقرير المساعدات الأمريكية لانجلترا .

هذه هى الصورة الموجزة المجملة للحوادث التى مرت بالناس خلال هذه الفترة وهى حوادث غيرت وستغير أوضاع الامم وأنواع الحكومات والدول وعجيب أو طبيعى أن يكون العالم الاسلامى كله إلى الجمود أقرب منه إلى الحركة والعمل .

فأما أن ذلك عجيب فلأن كل شىء فى الحياة الآن يتغير ويتجدد ويتبدل ويترقب ، وأما أنه طبيعى فلأن المسلمين حرموا التفكير أو بعبارة أدق حرية العمل لأنفسهم زمنا طويلا ، ولا زالت القيود الثقيلة التى وضعها الغرب فى أيديهم وأعناقهم شديدة الوطأة ضيقة الحلقات ، ولكن واجبهم الملح الآن

أن يعملوا على تحطيم هذه القيود ، وأن يجدوا فيما فيه خيرهم وسعادتهم

إن مصر والعراق واليمن والحجاز وإيران والأفغان وتركيا وفلسطين وسورية والهند والمغرب وغيرها كلها في موقف المترقب المنتظر ، ولا يغري كثير منها عن موقف الآخر شيئا ، ولقد قالوا إن هناك سعيا جديا لانشاء وحدة عربية بين العراق والحجاز واليمن ومصر وسورية وفلسطين تعمل على استنقاذ هذه البلاد جميعا وتوحيد خطتها أمام الخطر الداهم الذي يهدد الجميع ، ولكنا لم نر بعد بوادر سعي جدي لهذه الغاية . وقيل إن هناك تفكيراً في تكوين وحدة عربية تركية تشمل هذه الدول ، ومنها تركيا وإيران والأفغان ، وينضم إليها بقية البلدان الاسلامية ، فتعود بذلك الجامعة الاسلامية من جديد ، ولم نر كذلك بوادر سعي جدي كذلك .

لعل من خير العالم الاسلامي الآن أن يقف وقفته هذه حتى يتبين له وجه العمل المنتج المثمر الدائم ولا غضاضة في الانتظار مالم نستبن الطريق ، ولكن من واجبه مع هذا أن يستعد كل شعب من شعوبه بأسرع وأقوى ما يمكن لمواجهة الأحداث الطارئة ، وليست منه ببعيد ، ومن واجبه كذلك أن يتواصل ويتحد فقد انقضى عهد الدويلات الصغيرة ، ولم يبق صالحا للبقاء إلا الامبراطوريات العظيمة بعددها وعددها ومبادئها وحق قول الشاعر العربي القديم « وإنما العز للكاثر » ومن واجبه كذلك أن يقدر نعمة الله عليه بنظام الاسلام الحنيف ومناهجه في اصلاح المجتمع ، ومن واجب العالم الاسلامي الآن أن تقدر كل أمة من أممه هذه الحقائق فتهب لتأسيس نهضة جديدة يكون شعارها النظام الاسلامي الاجتماعي في الداخل والتحرر من كل سلطان أجنبي في الخارج ، والتعاون التام بين الأمم الاسلامية في جميع أنحاء الارض ، فإلى أمراء المسلمين وملوكهم وزعمائهم وإلى الشعوب الاسلامية نوجه القول ولله الامر من قبل ومن بعد ،

المنـــار

منذ عشرين سنة

آخر رمضان سنة ١٣٣٩

الحقائق الجلية في المســألة العربية

من مقال للعبرة والتاريخ للسيد محمد رشيد رضا رحمه الله

نصحنا للانكليز والفرنسيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحنا للانكليز قولا وكتابة فيما نعتقد أن فيه الخير لنا ولهم وللانسانية وكان آخر تلك النصائح مذكرة أرسلناها إلى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية منذ سنتين كاملتين بينا له فيها أن ما كنا نصحنا به لرجالهم بمصر قد ظهر صدقه وأن ما جروا عليه هم وحكومتهم في المسألة العربية مخالفاً له كان هو الخطأ — بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند . وأن انجلترا ستكون هي المغبونة بقسمة تراث العالم الاسلامي بين الحلفاء بعداوة الشرق وحسد الغرب لها وأن عداوة أكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقاراً لهم بضعفهم ليس من العقل والحكمة لأنهم لا يكونون أضعف من ميكروبات الامراض والاوبئة — وأنهم سيكونون به اتحاداً اسلاميا يساعدهم فيه الروس والالمان يكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لعداوة أكثر شعوب أوربا — وأن الخير لامتهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال

الشعوب العربية (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جميعاً . .

ونصحنا لرجال فرنسا في بيروت بمثل ذلك بعد أن ذكرنا لهم ملخصه ولم نطلب منهم إلا استقلال سوريا وربح صداقة الأمة العربية كلها بذلك واتقاء ما يقع عليهم من الغبن بعداوتها ومنه أن سوريا لا تسلم لهم في المستقبل وقد قال لنا موسيو روبيردوكيه سكرتير الجنرال غورو أن هذا الرأي جيد وهو من الممكنات دون الخيالات ولكنه يحتاج إلى تمحيص وتفصيل بين عقلاء الفريقين بكثرة البحث ولا سيا في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ونصحنا للشريف الأكبر — كما تقدم — ثم لنجله الأمير فيصل - فأما الأول فله خلق مطبوع معروف فسهل على مخاطبه أن يعلم ما قبله و يجرى عليه ومالا يمكن أن يقبله وأما الثاني فقلما يعرف له رأى مستقر أو يثق مختبره بأنه أقنعه بشيء وإن كان غير المختبر له يظن أنه أقنعه بكل شيء للين عريكته ولطف معاشرته وكثرة مواتاته وقلة معارضته وكراهته مواجهة أحد بما يكره إلا إذا غلبه الغضب وهو سريع الفيئة بعد الغضب وقد عاشرته زهاء نصف سنة كنت القاه في أكثر أيامها ولم أقف له على عقيدة راسخة في السياسة إلا استحالة إخراج فرنسا وانجلترا من البلاد العربية الآن ووجوب العمل مع إحداهما وخدمة البلاد بمساعدتها في ظل وصايتها ، والاستعانة بمرادتها على تخفيف وطأتها على أنه لا يصرح بهذا تصريحا جليا ـ وهذه نظرية كل من والوا الأجانب في هذا الطور

(١) إنما لقبناه هنا بالشريف لأنه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميراً مؤقتاً لقسم من سوريا من قبل الحلفاء ثم ملكا عليها بنصب المؤتمر السوري له وموافقة أعيان الشام ثم مهاجراً سائحا في أوربا ثم سرعسا من بريطانيا الشرقى لدولة العرق

الذي نحن فيه كحقي بك العظم وداود بك عمون فلا أرى فرقا بينهما وبين الأمير فيصل والأمير عبد الله وإن كان أتباع الأميرين يعدون هذين من الخائنين لامتهم ووطنهم والأميرين من المحررين لهما ولعلنا نكتب مقالا في ترجمة الشريف فيصل وسيرته في سوريا يجعل حقيقته ماثلة لكل قارىء

جاء الأمير فيصل سوريا من فرنسا (في ٢٣ ربيع الآخر سنة (١٣٣٨) ١٤ يناير (كانون) سنة ١٩٢٠) وهو يعتقد أنه باتفاقه مع كليمنصو على قبول الوصاية الفرنسية مع تخفيف شروطها قد خدم سوريا أجل خدمة ولكنه لم يستطع أن يقنع حزبه الخاص بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول أن يؤلف حزبا من المحافظين يستعين به على ذلك وكان ذلك حزب عبد الرحمن بك اليوسف الفرنسي النزعة الذي سمي بالحزب الوطني ولكنه لم يستطع مساعدته والاستعانة به بعد أن تعرف إليه وتنكر لحزبه ، وظل سلطان الحزب الأول عليه أقوى من سلطانه على الحزب على ما أوقع فيه من الشقاق فالحزب هو الذي منعه من العودة إلى أوربا وحمله على قبول اعلان استقلال سوريا وجعله ملكا عليها وأرضاه بجعل ملكها إرثا في ذريته وبجعل الراية الحجازية راية لسوريا مع زيادة نجم أبيض في الزاوية الحمراء التي هي رمز علم شرفاء مكة فيها وجعل القواعد التي بنى عليها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال قائمة على أساس الاعتراف بأنه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الحلفاء لأجل تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الذي كان يؤمنه إحرازها وأرادوا أن يكون هذا حجة على الحلفاء ولذلك عززوه بتصريحات وزراء الحلفاء التي كانوا يفوهون بها في أيام الحرب كما تقدم بيانه من قبل، وقد كان الواضعون لقرار المؤتمر من أعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الحقائق في هذه الشؤون إذ زالت تلك الظلل والغواشي التي كانت تحجبها عن أبصارهم ثم عرفوا كل أحد بعد رفض الحلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سوريا الجنوبية والشمالية . يدل على ذلك ما كان يلقى

في المؤتمر السوري العام بدمشق من الخطب في انكار تلك الأعمال والطعن فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزارتيه مما لم به بعد .

ولقد علم الذين قاموا بدعوة إعلان الاستقلال وتهيئة أسبابها ومقدماتها بعد ممارسة الحوادث أن فيصلا قائد للحلفاء موكول اليه حفظ الأمن في المنطقة الشرقية إلى أن يفرغوا من إبرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد — وأنه قوة رسمية ومالية فان الانكليز كانوا يدفعون له راتبا وكانوا يعطونه حصة المنطقة الشرقية من جمرك حيفا وصار الفرنسيس يعطونه مثل ذلك من جمرك بيروت بعد المراددة ، وقطعوه عند الحاجة ، وأنه يائس من الاستقلال التام الناجز وإن كان أولى من غيره بحبه ، وأنه لين سلس كان في أول العهد يسير في البلاد كما يشاء البريطانيون ثم جاءها أخيراً من فرنسا يدعو إلى الاتفاق مع الفرنسيس فأرادوا أن يستفيدوا بما أوتي من قوة وضعف بما أرادوا من اغتنام فرصة الحرية التي نالتها المنطقة الشرقية باسمه وتحت قيادته باعلان الاستقلال التام لسوريا المتحدة بجميع مناطقها ليجعلوا الحلفاء تجاه أمر واقع بصفة مسالمة لهم معترفة بفضلهم وملكية قائد من قواد حلفهم، فان ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد وإلا فان حال البلاد معهم بعد لا يخشى أن يكون شراً مما كان قبله وذلك أنهم حينئذ يعدون الاستعمار الذي سموه انتدابا بالقوة العسكرية فيكون وجودهم فيها مخالفاً للحقوق الطبيعية والأساسية ولمعاهدة الصلح العسكري وما فيها من عهد عصبة الأمم المصرح فيه بأن البلاد المشروط في استقلالها قبول الانتداب يجب أن يكون لأهلها الحق الأول في اختيار الدولة المنتدبة وشكل الحكومة التي ترضاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون للبلاد الحق الذي لا يرد في معارضتهم عند كل فرصة ممكنة . وأما إذا قبل الشعب الانتداب باختياره فانه يكون قد قتل نفسه بيده

مجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصفة إدارة المنار وبلغ أمر إعلانه للدول فجعله الحلفاء محلا للنظر وكان جواب انجلترا لفيصل أنها تعترف له بصفته حاكما على رأس حكومة مستقلة لكن يجب أن تقرر الصفة الرسمية فى مؤتمر رسمي ودعته إلى حضور مؤتمر (سان ريمو) فتردد أولا لان الرأى العام لم يرتح إلى سفره وفى مقدمته المؤتمر السورى الذى كان يلح عليه بوجوب الاستعداد للدفاع عن البلاد وتؤيده جميع الأحزاب، ثم اقتنع الأكثرون باستحسان السفر بعد إلحاح انجلترا به وقد طلب من الجنرال غورو فى ٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة تقله إلى أوربا فأجابه بأنه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه إلى مطالب طلبها منه من أهمها إباحة استعمال الخط الحديدى من رياق إلى حلب لنقل الجنود الفرنسية والذخائر الحربية وأنذره أنه إذا سافر قبل تنفيذ هذه المطالب من طريق آخر فان فرنسا تكون حرة فى أعمالها، ولم يقبل تفويض النظر فيها إلى لجنة مختلطة من العرب والفرنسيس والانجليز حسب الاتفاق مع الرئيس كلما نصبو

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو فى ١٤ يوليو انذاره المعروف الذى صرح فيه بمطالبه الخمس وهى الاعتراف بالوصاية الفرنسية على سوريا بلا شرط ولا قيد وتسليم الخط الحديدى المذكور آنفا للسلطة العسكرية الفرنسية - والغاء الخدمة العسكرية الاجبارية وجعل عدد الجيش المتطوع كما كان فى العام الماضى وتسريح سائر الجنود - ومعاقبة المجرمين المؤسسين للعصابات والمحرضين على فرنسا - وقبول ورق البنك السورى الذى أسسته فرنسا لجعله نقدا وطنيا رسميا، وجعل آخر موعد لاجابة هذه المطالب نصف الليل الذى ينتهى به اليوم ١٨ من الشهر لم يكن فى وسع الملك فيصل المبادرة إلى إجابة هذه المطالب لان المؤتمر

السوري العام والأحزاب السياسية كلها كانت غير راضية منه ولا عن حكومته لعدم قيامها معه بما يجب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفاع عنه ولهذا اضطروه إلى إسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي ، ثم رأوا أن وزارة هاشم بك الأتاسي التي خلفتها لم تكن أقوى منها فحاولوا إسقاطها ، ولما شعروا بهذا الابتدار الذي أعقبه الضعف والاهمال وسوء الادارة اشتد هياجهم وضغطهم وسرى الهياج إلى سائر طبقات الأهالي الذين اندفعوا إلى الاستعداد للدفاع عن البلد وصاروا يطعنون في الملك فيصل جهرا ويتحدثون بالايقاع به حتى أنه وضع من كان لديه من الجند الحجازي حول داره لحمايتها — وسعى إلى الجنرال غورو ملتمسا منه تعديل مطالبه فأبى —

وفي غرة ذي القعدة — ١٧ يوليو كتب إلى رئيس الوزارة بأن الملك يرغب أن ألقاه مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء ، فأجبنا الطلب وقابلناه مع وزرائه فشرح لنا الحرج الذي وصلت اليه حال البلاد وتهييج العوام بغير عقل وخذلان انجلترا له حتى لا يرجو منها أقل مساعدة كما أبرق اليه محمد بك رستم من لندن وأن الحكومة جنحت على الجنرال غورو لا تستطيع الأدلاء بها في أوربا وله عليها حجج بعضها حق وبعضها باطل يفسرها حيث شاء . ثم طلب من الأعضاء أن يكتب اليه كل منهم برأيه على حدته في كتاب مختوم وعاهدهم على أنه يعمل بها ولا يطلع أحدا عليها ، فانصرفوا وهو يحسب أن سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراحه خداعا يريد أن يحتج به على قبوله لمطالب الفرنسية ويجعل التبعة على المؤتمر . .

ثم إن المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ يوليو — تموز) اجتماعا سريا غير رسمي تبارى فيه الخطباء في الطعن في الحكومة لاعتقادهم أنها قررت التسليم بمطالب الجنرال غورو ، ثم عقدوا جلسة رسمية اكتظ مكان المستمعين بحاضريها من الوجهاء ورؤساء الأحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالاجماع أن قرار المؤتمر التاريخي

المتضمن لاستقلال سوريا ووحدتها ورفض الهجرة الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد إذا نقض بعضه نقض كله، وأن كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يعتد بمعاهدة لا يقبلها المؤتمر — وبعد طبع هذا القرار ونشر في العاصمة .

وفي اليوم التالي (٤ ذي القعدة ٢٠ يوليو) أصدر أمره بتأجيل عقد المؤتمر شهرين لأن المجالس النيابية تقفل في مثل هذه الحال الحربية ، وقد قرأ وزير الحربيـة الأمر على منبر المؤتمر وكان معه رئيس الوزارة وانصرفا واجمين مختقمين . وكان بعض الأعضاء يريد عدم امتثال هذا الأمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر وأني مسرت به ولو لاه لاقترحت على الأعضاء أن يقرروا ذلك من تلقاء أنفسهم، ذلك بأن دمشق كانت في أشد الهياج والسخط على ملكها ووزارته سواء في ذلك الأحزاب والجماعات والأفراد وكلهم يرجوف من المؤتمر ما لا قبل له به — وما ثم إلا إلزام الملك والوزارة برد انذار الجنرال غورو والدفاع عن البلد إن هوجمت بغيا وعدوانا، أو إسقاطهم وإقامة حاكم عسكري مفوض (دكتاتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة ، ولا يوجد في البلد من هو أهل لنوط ذلك به والثورة الداخلية غير مأمونة وكل ما يترتب على ذلك من الغوائل يكون حينئذ في عنق المؤتمر الذي لم آت أنا ولا ادخر في الخدمة وسعي، وقد أصبحت الأمة كلها راضية عنه بعد أن كادت الدسائس تغيرها عليه ، وأنني علمت أن التجنيد الاجباري الذي قررته الحكومة بضغط المؤتمر والحاحه قد كان عملا صوريا وأنها لم تقصد به إلا إيهام الأمة ما يرضيها وإيهام فرنسا ما يحملها على التساهل فيما تطلبه ويطلب منها !

انفض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجنرال غورو على قبوله مواد إنذاره متصلة ، فلما أصر على قبولها كلها أمر الملك قبل كل شيء بالتسريح

الجيش السورى من ثكناته ومواقعه الحربية وأهمها مضيق مجدل عنجر الحصين في طريق جيش الجنرال غورو الزاحف على الشام فسرح الجيش بغير نظام فترتب على ذلك نهب الأسلحة والذخائر وإحداث ثورة في شوارع دمشق وهاج الشعب هياجا شديدا وكثر التصريح في الشوارع بالهتاف للمؤتمر وبسب الملك فيصل وأبيه والتحدث بخيانته ووجوب قتله ، وقد اضطرت الحكومة إلى بقي عندها من الجند لحفظ الأمن أن تقاوم الثورة بالسلاح حتى أنها استعملت المدافع الرشاشة في ذلك وقتل كثيرون — قيل ٥٠ وقيل ٧٠ — وجرح كثيرون — قيل ١٥٠

قبلت الحكومة برياسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنهاقبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك ساقطة مع ملكها غير شرعية بقرار المؤتمر المذكور آنفا ، ثم أنها علمت في اليوم التالي بتصريحها الجهير (وهو ٢١ يوليو) أن جنود الجنرال غورو زاحفة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبينه أن حجته على الزحف أن جواب القبول تأخر عن موعده وهو الساعة الثانية عشرة من نصف الليل وكان قد أصدر أمره للجيش بالزحف ولا يمكنه ايقافه بعد وقد احتل المواقع الحصينة كمجدل عنجر ـ وهى تقول إنما كان الذي تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لأمر التسليم بعد أن وصل اليه البلاغ الرسمي بقبول الشروط في عاليه ، وأن سبب تأخر برقية التفصيل انقطاع السلك البرق باستعمال الجيش الفرنسى له .

عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأو أنهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط المخزية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد أن قالوا في عدم إمكان قبولها ما قالوا من المبالغات ورمي فيصل من يلقبوا بأقبح الالقاب — وعلموا أنهم خسروا كل شيء

وظهر لهم أن العقل والكياسة فى التسليم أن يكون آخر ما ينفذ من الشروط تسريح الجند — فصدر الامر لباقى الجيش بالتوقف عن الانسحاب فوقف قرب (خان ميسلون) ووقف الجيش الفرنسي الزاحف وراءه على بعد مرمى القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستئناف المفاوضة فى ايقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك الحصري (وزير المعارف) فسافر إلى الجنرال غورو فلم يلق نجاحا .

وفى يوم الخميس (٦ ذى القعدة - ٢٢ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع المتطوعة وحثهم على الجهاد وكلم جميع الزعماء ورؤساء الاحزاب وبلغهم أنه أعلن الحرب رسميا ونشر ذلك فى الجرائد وصلى الجمعة فى يومها فى الجامع الاموي وصعد المنبر بعد الصلاة وحث الناس على الجهاد معه لحماية الدين والوطن — فقال كثير من الناس أنه يريد بهذا استعادة مكانته — وكان الناس فى هياج عظيم وإقبال على التطوع ، وبذل لكل ما يلزم للمدافعين من طعام وذخيرة — ولكن الوقت لم يعد يتسع لعمل مفيد .

ثم ذهب فيصل مساء الجمعة إلى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا أنه أرسل أمتعته الخاصة وذخائره إلى (درعا) وأن الحكومة أرسلت أوراقها ودفاترها اليها أيضا . ثم أنه ذهب فى مساء السبت إلى محطة الكسوة عن معه من وزرائه وخواصه ومنهم بعض الشبان وأرسل اليه طعام العشاء من دار عبد الرحمن بك اليوسف وذلك بعد انتهاء معركة خان ميسلون التى قتل فيها وزير حربيته يوسف بك العظمة وفرقت الطيارات شمل من كان معه من العسكر النظامى ويقال أنهم كانوا زهاء خمسمائة جندي . وعاد فى المساء جميل بك الالشي حاجبه الاول وكان ذهب مع موسيو كوس (الذى كان ضابط الارتباط الفرنسي فى دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البعثة الفرنسية للانتداب مدة من الزمن) إلى الجنرال غورو للاتفاق معه باسم الملك على صفة دخول دمشق وقد عاد معه فى سيارته

مبتهجا مسرورا .

وفي صباح يوم الاحد (٩ ذي القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نوري باشا السعيد فأخبرني أن الجيش الفرنسي يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ ويعسكر في (المزة) من ضواحي البلد وأن الملك يدخلها الساعة ١٠ ونصف ولكنه لم يدخلها إلا في منتصف ليلة الاثنين وألف وزارة جديدة من الموالين أو المبالين إلى فرنسا ورئيسها علاء الدين بك الدوربي ، وقد كانت عودته إلى دمشق من الغرائب . ورأيت نوري باشا في صباح الاثنين أيضا فأخبرني بأن القائد الفرنسي قبل الوزارة الجديدة وأنهم لا يعترفون بالملك . فقلت له وكيف عدتم به إلى العاصمة ؟ . قال لم يكن هذا رأيي وإنما هو رأي جماعته الذين ورطوه وفي مقدمتهم الدكتور فلان — وفي يوم الثلاثاء بلغته السلطة المحتلة وجوب الخروج من الشام قبل نصف الليل . بلغني ذلك بعد العشاء فذهبت إلى داره لوداعه على ما كان وقع من الجفاء بيننا من قبيل الانذار الفرنسي ، الذي لا علاقة له بالمودة الشخصية فوجدت في الدار أفرادا من الشرطة بلغني أنهم حرس على أثاث الدار لئلا يؤخذ شيء منها ! ! ومكثت معه نصف ساعة أعجبني فيها صبره وأمله ، وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة ليلا وقد خرج بعد وداعي له بنصف ساعة وحمله قطار خاص بمن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لي من كتابة كلمة في هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذي كنت معجبا بما أوتي من الذكاء والنظام والهمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته معتمداً للحكومة العربية في بيروت إلى أن عين وزيراً للحربية باقتراحي وسعيي مع بعض الاخوان : اشتغل يوسف بالعمل في وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى عن رئيس الوزارة بل يعمي الامر الاعلى الملك فيما أظن

ولما اشتدت الأزمة سألته هل هو مستعد للدفاع ؟ قال نعم إذا وافق الملك وإذا خالفناه نخشى أن يلجأ إلى الأجانب — ولما عين يس باشا الهاشمي قائداً لموقع العاصمة عقب الانذار وأظهر للوزارة ما فيها من النقص أي على خلاف ما كان يقول ثم إنه وافق الوزارة على قرار التسليم بما طلب غورو — بعد هذا كله رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكلمته وعذلته كلاما شديدا وذكرته ببعض كلامه فقال ووجهه عتقم كوجه الميت انى مذنب و أتحمل تبعة عملي وكفت البارحة انتحر من الغم فلا تزد علي . ولما خرج الى الدفاع من بقي معه من بقايا جيشه تزين ولبس ملابسه الرسمية ووطن نفسه على الموت — فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل أن يعيش ذليلا بل أراد ان يكفر بدمه عن ذنب التقصير المبني على الثقة والغرور

كان فشل هذه المدافعة بخان ميسلون أمرا جليا لا يجهله منه ولا مثلي ممن لا يعلم من الحرب شيئا ، ولذلك رغب إلى الكثيرون أن أخطب في المتطوعين وفي بعض المساجد في الحث على الدفاع فامتنعت — كما أبيت مراراً أن أخطب في الاحتفالات السياسية — وقلت لبعض الخواص أني لا أغش أحدا ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لأنه يضر الآن ولا ينفع ، وقد نصحت للعاملين في كل شيء في وقته فلم يفد — على أن ما اندفعت اليه الامة من أمر الدفاع شريف ولا بد منه .

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة أن فيصلا كان يعتقد أن الوصاية على البلاد أمر متفق وأنه لا يمكن إيجاد قوة وطنية تحفظ الاستقلال ، فكان لذلك يجتهد في إرضاء كل ذي مكانة وتأثير إلى أن يضم الحلفاء القرار الاخير الذي كان يرى أنه قادر على السعي إلى جعل وطأة الوصاية فيه خفيفة ، ولذلك لم يهتم بأمر الاستعداد

هدام بتنظيم قوى العشائر ولا بالجيش النظامي ولم يكن يعتقد أنه يهاجم هذه المهاجمة فلما هوجم لم يجد بدا من الخضوع - فهو لم يستعد للقتال ولو دعاها وما اضطر اليه من إيجاد جيش دفاعي جيش منظم بادر إلى تسريحه عند الحاجة اليه وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفاوض في أمر التسليم وهو لا يزال يرى أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ بعدم الاستبداد لتنفيذ ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطئه وعمله مراراً في أوربا وبلغنا أنه يريد أن ينشر فيه كتاباً رسميا .

وأما زعماء الأمة الذين خالفوه فقد بينا أنهم علموا بعد طول الاختبار أن الدولتين شرعتا في تنفيذ ما اتفقتا عليه من استعمار بلادهم، فالأولى أن تقاومهم الامة بالحجة وبالدفاع عن نفسها إذا هاجموها بالقوة ليكون مركزهم فيها مركز المتغصب وقبول الانتداب يجعله شرعيا .

وأما الجنرال غورو فكانت سياسته إخراج الشريف فيصل من سوريا مهما تكن حاله لانه ناسبهم وأخرى العصابات والعشائر بهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين انجلترا التي يعدونه من صنائعها المخلصين لها - فهو قد حارب الامير فيصلا القائد الحجازي الذي يعده أجنبيا من سوريا لانقاذ سوريا من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية ، وعد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر في الاقوال والمكتوبات الرسمية .

الطور الاخير للمسألة العربية

إن ما تفاقم على الدولة البريطانية من معضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية وإعيائها عن حل عقدها وعقدة منها قد اضطرها

إلى ترك جزيرة العرب لأمرائها مع اصطناع ما أمكن اصطناعه منهم والتمهيد للتدخل الاقتصادي والفني بالتدريج ثم الاستعانة بأوليائها ملك الحجاز وأولاده في سوريا وفلسطين والعراق بعد الاعراض عنهم وعدم المبالاة بصراخ جريدة القبلة بمكة بالاستعطاف والاستعانة والتذكير « بالعهود والوعود والنجابة والحسيات البريطانية » وبعد حليفها الملك الخروج عن مرضاتها مساويا للردة والخروج عن رحمة الله تعالى وتمثله في ندائها بقول الشاعر

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلي

والغرض الاول من هذه السياسة والادارة المؤقتة تخفيف النفقات عن كاهل دافعي الضرائب في بريطانيا العظمى إلى أن تنحل عقد المشكلات وتؤسس وسائل القوة في داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة، والثاني دفع إغارة العرب من وراء الأردن على فلسطين ومستعمرتهم لأهلها أعلى اليهود الصهيونيين والثالث إخضاع العراق والاستعانة بحكومته الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من مسلمي الشرق وبولشفيك الروس إذا أصروا على تنفيذ فكرة الجامعة الاسلامية ومقاومة الاستعمار الانكليزي في البلاد العربية والعجمية . وبلغنا أنهم أعادوا الراتب الشهري لملك الحجاز بعد زيارة ولده فيصل الأخيرة إلى لندن فجعلوه ١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء مستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مصر في شهر مارس الماضي ونظر في مسألة مطائر الطيران فيها وقابل فيها الوفد العراقي الانكليزي الذي استحضر لاجل الاتفاق معه على أمور العراق المالية والعسكرية ، ثم سافر إلى فلسطين فآذن أهلها بدوام السلطة الانكليزية على البلاد وتنفيذها لوعد بلفور بجعلها وطنا قوميا لليهود ، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز

وجعله حاكما لشرق الأردن بالتبع لحكومة فلسطين واستمداد السلطة من معتمدها السامي وأعطاه من القوة العسكرية والطيارات ما يمكنه من إخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما يراد بها وتأمين ما تنشئه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل القوة وأولها محطة التلغراف اللاسلكي وحظيرة الطيارات ، ويلي ذلك مد السكة الحديدية العسكرية من فلسطين إلى العراق وقد قرروا إعطاءه حصة جمرك حيفا للداخلية وهي ١٢٠ ألف جنيه في السنة

نختم المقال بالتفاؤل بالمآل

وأختم هذا المقال بقولي انني مؤمن يرى اليأس من روح الله والقنوط من رحمته كفرا ، وانني لا يعنيني التشاؤم وسوء الظن في العاملين من عمل ولا سعي فأنا لا أزال أرجو إقناع الدولتين المقتسمتين لبلادنا المتصدين لحقوقنا بأن الخير لهما وللمدنية والانسانية أن يتركونا أحرارا في بلادنا حاكمين في شعوبنا وأن يساعدونا على ما نريد من عمران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منا بالمنافع الاقتصادية والأدبية . ومن سوء الحظ أن كان سعيي السابق مع غلاة المستعمرين منهم ، وأرجو أن أوفق للسعي مع أحرار المنصفين منهم وهم وقد الحمد كثيرون

وأودلو يعلم هؤلاء الأحرار حقيقة أمور الشرق من أحرار أهله ولا يكتفوا ببلاغات الساسة الاستعمارية وما يخترعه أهلها من أقوال مديري المخابرات لهم

أود لو يعلم أحرار فرنسا الكرام أن ملك الحجاز وأولاده لا يمثلون الأمة العربية بل السواد الأعظم من العرب ومن مسلمي الأعاجم غير راضين عنهم وأنه ليس من مصلحة فرنسا معاداة هذه الأمة في هذا البيت منها ولا بجعلها خصما للترك ، وأنه لا يمكن أن تنال دولتهم عطف العالم الاسلامي مع مقاومتها العرب

وأود لو يعلم أحرار انجلترا ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يغتروا باستخدام

مستعمريهم لأهل هذا البيت ويظنوا أنهم هم الذين يخضعون لهم هذه الأمة ورضونها باستعمار بريطانيا لبلادهم . على أن الأيام ستعلمهم ما لم يكونوا يعلمون

وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذي فهموا معناه لم يصر أمراً مقضياً ، وأن عصبة الأمم لن تكون الهوية بيد المستعمرين ، وأن الرجاء في استقلالهم واستقلال أمثالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين على المستضعفين رجاء قوي يزيده العلم به والسعي اليه قوة ولا بقاء للعمران بدونه « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال »

وأود لو يعلم قادة الأمة العربية وكبراؤها أنهم لو جمعوا كلمتهم في هذه الفرصة لأسسوا لأنفسهم وحدة حلفية يحفظ بها استقلال كل منهم ويعود به مجد الأمة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التي فاقت حضارة جميع الأمم بجمعها بين الرفاهة المقصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم أجابوا داعي شيطان التفريق وتعزيزه لهم بالمال والمآل « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » ولم يجيبوا داعي الوحدة وهو داعي الله تعالى الذي يدعوهم باسم الله تعالى لما يحييهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، أمام الدواهي الخارجية لا وقت فض مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم العصبية الدينية والمذهبية ، وليعتبروا بإخوانهم الترك ، الذين قضت عليهم معاهدات الحرب بالزوال والمحق كيف تحولت حالهم بجمع الكلمة والدفاع عن البيضة ، إلى أن صار الحلفاء القاهرون لهم ولأحلافهم الذين كانوا أقوى وأعز منهم يعدونهم خطرا عليهم ، ويتسابقون إلى الاتفاق معهم أو التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذي جدد لهم الفخار ، ولم يوجد في العرب إلا الزعيم الذي سجل عليهم الخزي والعار « فاعتبروا يا أولي الأبصار »

(٢) المرأة المسلمة

أشرت فى الكلمة السابقة الى أصول ثلاثة قررها الاسلام فى شأن المرأة

(١) فهو يرفع منزلتها ويجعلها من الرجل وشريكة له فى الحقوق والواجبات الانسانية العامة

(٢) وهو إذا فرق بينهما فى شىء من هذا فانما ذلك نزولا على حكم الخصائص التى يمتاز بها كل منهما عن الآخر فى تكوينه وفى مهمته

(٣) وأنه يسير الغريزة الجنسية بين الرجل والمرأة تسييرا حكيما فيصرفها إلى النافع ويضع لها الحواجز حتى لا تتعدى إلى الضار

هذه هى الأصول التى راعاها الاسلام وقررها فى نظرته إلى المرأة وعلى أساسها جاء تشريعه الحكيم كافلا التعاون التام بين الجنسين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعينه فى شئون الحياة

والكلام عن المرأة فى المجتمع فى نظر الاسلام يتلخص فى هذه النقط

أولا — يرى الاسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا . وفى الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

وفى الحديث الصحيح « كلكم راع ومسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » أخرجه الشيخان من حديث عبد الله

ابن عمر رضى الله عنه . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة) رواه الترمذى واللفظ له وأبوداود إلا أنه قال فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة

ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين وتاريخ السلف الصالح رجالا ونساء وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادىء التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها . وفى حديث البخارى رضى الله عنه « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه فى دين الله تبارك وتعالى

أما المقالات فى غير ذلك من العلوم التى لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته فليست المرأة فى حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها فى النافع المفيد

ليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى اللغات المختلفة

وليست فى حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولا وأخيرا .

وليست المرأة فى حاجة إلى التبحر ودراسة الحقوق والقوانين وحسبها أن تعلم من ذلك ما تحتاج إليه عامة الناس .

كان أبو العلاء المعرى يوصى بالنساء فيقول

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ص تجزىء عن يونس وبراءة

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد ولا نريد ما يريد أولئك الغالون المتورطون في تحميل المرأة مالا حاجة لها به من أنواع الدراسات ولكنا نقول علموا المرأة ماهي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها تدبير المنزل ورعاية الطفل

ثانيا ـ التفريق بين المرأة وبين الرجل

يرى الاسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطرا محققا فهو يباعد بينهما إلا بالزواج ولهذا فان المجتمع الاسلامي مجتمع انفرادي لا مجتمع مشترك

سيقول دعاة الاختلاط إن في ذلك حرمانا للجنسين من لذة الاجتماع وحلاوة الأنس التي يجدها كل منهما في سكونه الى الآخر والتي توجد شعوراً يستتبع كثيراً من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطباع الخ . وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقا أبدا إلى الآخر ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير في هذا الشأن ويجعله أمرا عاديا في النفوس (وحب شيء إلى الانسان ما منعا) وما سكنت اليه زهدته النفس .

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان ولا سيما وهي فكر توافق أهواء النفوس وتساير شهواتها ونحن نقول لهؤلاء مع اننا نسلم بما ذكرتم في الأمر الأول نقول لكم إن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأنس من ضياع الأعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس وتهدم البيوت وشقاء الأمر وبلاء الجريمة وما يستلزمه هذا الاختلاط من طراوة في الأخلاق ولين في الرجولة لا يقف عند حد الرقة بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة وكل ذلك ملموس لا يماري فيه إلا مكابر

كل هذه الآثار السيئة التي تترتب على الاختلاط تربي ألف مرة على ماينتظر منه من فوائد وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة فدرأ المفسدة أولى ولا سيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئا بجانب هذا الفساد .

وأما الأمر الثانى فغير صحيح وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل وقديما قيل إن الطعام يقوى شهوة النهم والرجل يعيش مع امرأته دهرا ويجد الميل اليها يتجدد فى نفسه فإياك لا تكون صلته بها مذهبة لميله إليها والمرأة التى تخالط الرجال تفتن فى إبداء ضروب زينتها ولا يرضيها إلا أن تثير فى نفوسهم الاعجاب بها وهذا أيضاً أثر اقتصادى من أسوأ الآثار التى يعقبها الاختلاط وهو الاسراف فى الزينة والتبرج المؤدى إلى الافلاس والخراب والفقر . لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الاسلامى مجتمع فردى لا زوجى وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن . ولقد أباح الاسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطا شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف . ومن عدم الخلوة بأجنبي مهما كانت الظروف وهكذا إن من أكبر الكبائر فى الاسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له ولقد أخذ الاسلام السبيل على الجنسين فى هذا الاختلاط أخذا قويا محكما .

فالستر إلى الملابس أدب من آدابه

وتحريم الخلوة بالأجنبي حكم من أحكامه

وغض الطرف واجب من واجباته

والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره

والبعد عن الاغراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن الى نفسه وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهى أقرب الفتن إلى قلبها والآيات الكريمة والاحاديث المطهرة تنطق بذلك

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النور « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »

وفى سورة الأحزاب « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »

الى آيات أخرى كثيرة

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يعنى عن ربه عز وجل (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه) رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم أو ليكسفن الله وجوهكم » رواه الطبرانى .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال) رواه ابن ماجه والحاكم

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار أفرأيت الحمو قال الحمو الموت » رواه البخارى ومسلم والترمذى . والمراد بدخول الأحماء على المرأة الخلوة بها كما قال رسول الله ﷺ « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان »

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يخلون أحدكم

بامرأة الا مع ذي محرم » رواه البخاري ومسلم

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح كذا قال الحافظ المنذري

وروي عن أبي أمامة رضي الله عن رسول الله ﷺ قال « إياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما . ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له » رواه الطبراني

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح » ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ولفظهم قال النبي ﷺ « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية » أي كل عين نظرت اليها نظرة اعجاب واستحسان

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني وعنده « أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قوساً فقال لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقالت له امرأة في ذلك

فقال ومالى لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله قال الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى .

وعن عائشة رضى الله عنها (أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فتمعط شعرها فأرادوا أن يصلوها فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال « لعن الله الواصلة والمستوصلة) وفى رواية (أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له وقالت إن زوجها أمرنى أن أصل شعرها فقال لا « إنه قد لعن الموصولات » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وفى رواية للبخارى ومسلم « لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها »

وعن أبى هريرة رضى الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » رواه مسلم وغيره

وعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه) رواه أبو داود وقال هذا مرسل وخالد بن دريك لم يدرك عائشة .

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني أحب الصلاة معك قال قد علمت أنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

وليس بعد هذا البيان بيان ومنه يعلم أن ما نحن عليه ليس من الاسلام في شيء فهذا الاختلاط الناشي بيننا في المدارس والمعاهد والجامعة والمحافل العامة وهذا الخروج إلى الملاهي والمطاعم والحدائق وهذا التبذل والتبرج الذي وصل إلى حد التهتك والخلاعة كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الاسلام بأدنى صلة ولقد كان لها في حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار .

يقول كثير من الناس إن الاسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الأعمال العامة وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا فأتوني بنص يحرم ذلك . ومثل هؤلاء مثل من يقول إن ضرب الوالدين جائز لأن المنهي عنه في الآية أن يقال لهما أف ولا نص على الضرب .

إن الاسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها ويحبب إليها الصلاة في بيتها ويعتبر النظرة سهما من سهام ابليس وينكر عليها أن تحمل قوسا متشبهة في ذلك بالرجل أفيقال بعد هذا إن الاسلام لا ينص على حرمة مزاولة المرأة للأعمال العامة ؟

إن الاسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هي المنزل والطفل فهي كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها الأسري وهي كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها وهي كأم يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء وأن تتفرغ لهذا البيت

فهي ربته ومدبرته وملكته ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه فاذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجيء المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها فان من واجبها حينئذ أن تراعي هذه الشرائط التي وضعها الاسلام لابعاد فتنة المرأة من الرجل وفتنة الرجل من المرأة ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها لا أن يكون هذا نظاما عاما من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه. والكلام في هذه الناحية أكثر من أن يحاط به ولا سيما في هذا العصر الميكانيكي الذي أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية في كل شعب وفي كل دولة.

وللاسلام بعد ذلك آداب كريمة في حق الزوج على زوجه والزوجة على زوجها والوالدين على أبنائهما والأبناء على والديهم وما يجب أن يسود الأسرة من حب وتعاضد على الخير وما يجب أن تقدمه للامة من خدمات جلى مما لو أخذ الناس بها لسعدوا في الحياتين ولفازوا بالسعادتين.

الى الاخ الاستاذ السيد عبد الرحمن عاصم

من محرر المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فلا يسع محرر المنار إلا شكركم أجزل الشكر على موالاتكم إياه بارشاداتكم القيمة كرجل خبر مهنة تحرير المنار زهرة عمره.

ويطلب اليكم مع هذا الشكر أمورا أنتم خير من يعمل على اجابتها

أولا — مواصلة هذه الارشادات والكتابات النافعة المفيدة

ثانيا — مراجعة هذه الأعداد التي صدرت وابداء ملاحظاتكم عنها جملة لتنشر ان شاء الله في أول عدد من السنة السادسة والثلاثين وما يليه.

ثالثا — موافاتنا بترجمة السيد الوالد الكامل رحمه الله

ونعتذر اليكم لضياع ما بعثتم به من ذلك لظرف قاهر والسلام عليكم ورحمة الله

بيان الحكومة المصرية

عن سياستها الداخلية والخارجية بدار النيابة

ووفاة رئيس مجلس الوزراء المصرى

« حسن صبرى باشا »

كان يوم الخميس الرابع عشر من شهر شوال موعدا لافتتاح دار النيابة فاجتمع النواب والشيوخ وأخذ رئيس الحكومة يلقى بيانه عن سياستها الداخلية والخارجية أمامهم وبين يدى « الملك » وفجأة أغمى عليه وأسلم الروح بعد قليل ، وتوفى مأسوفا عليه من جميع عارفيه

ولقد كان « حسن صبرى باشا » معروفا بالتمسك بآداب الدين الحنيف حريصا على أداء فرائضه لم يتهاون بأمر الصلاة ولم يتذوق طعم الخمر ولم يصرف أوقاته فيما يصرفها فيه كثير من المترفين فى هذا العصر وكان معروفا بالصراحة وصفاء النفس لا يضمر لأحد كيدا ولا يحقد على أحد ، فنسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة ، وفيما يلى بيان الحكومة المصرية المعروف بخطبة العرش وقد أتم إلقاءه رئيس مجلس الشيوخ .

خطاب العرش

حضرات الشيوخ حضرات النواب .

أحييكم أجل تحية وفسأل الله لكم فى مهمتكم توفيقا تزداد به الأمة قوة وتمتز به أنجاهاً يكفل خير الوطن واستقلاله وأمنه وسلامته .

حضرات الشيوخ حضرات النواب

لقد وقفت مصر من الحرب التي تستعر نارها ، ويمتد لهبها الآن غربا وشرقا موقفاً إرادته الأناة ، واقتضته الحكمة ، وأدى إليه الحرص الأكيد على سلامة البلاد والوفاء بالعهد ، فنفذت معاهدة الصداقة والتحالف مع بريطانيا العظمى بنصها وروحها تنفيذ إخلاص وصدق ، وعملت على أن تكون علاقاتها مع سائر الدول في غير ما أثرت فيه الحرب علاقات مودة وصفاء ، وأخذت تنظر إلى تطورات الحوادث بعين اليقظة واثقة بنفسها مطمئنة إلى حليفتها حريصة على سيادتها واستقلالها محتاطة لدرء كل ما يمسها عاملة على أن تظل رغم تقلب الأحوال الدولية آمنة محتفظة بكيانها .

ولا تزال هذه السياسة التي أقررتموها خلال الدورة البرلمانية السابقة والتي اتجهت إليها إرادة الأمة سياسة حكومتي وهي عظيمة الرجاء في أن تؤدي هذه السياسة خير ثمراتها وأن يتم لمصر بفضلها كل ما ترجوه وتصبو إليه

وقد رأت حكومتي أن معالجة ما نشأ عن الحرب من اضطراب في شؤون البلاد الاقتصادية خير كفيل بنجاح هذه السياسة فواجهت الحالة بكل ما استطاعت من وسائل والفت في حليفة مصر العظمى العون الصادق على ما أرادت واتفقت معها على شراء محصول القطن الجديد ونظمت معها السوق المالية ، وبذلك استقرت المعاملات فلم يكن للتقلبات التي حدثت في الخارج كبير الأثر في مصر

واتجهت حكومتي إلى صيانة الاقتصاد الأهلي وتشجيع الانتاج الداخلي في شتى نواحيه ، فكان من أثر ذلك كله أن عادت دورة التعامل في أنحاء البلاد على نحو اطمأن الجميع إليه . وزاد في طمأنينتهم ما أبدته حكومتي من حرص على تموين البلاد بكل ما هو ضروري لها في الظروف الاستثنائية الحاضرة .

ولم تصرف ظروف الحرب حكومتي عن العمل لاستكمال استقلال البلاد ولا عن اضطلاعها بأعباء الاصلاح فيها فلقد أقر البرلمان في الدورة الماضية الاتفاق القاضي بالغاء صندوق الدين مما عاون الحكومة بتأييده لها فيما نهضت به من أعباء

الاصلاح فى حدود طاقة الخزينة التى تأثرت تأثرا خصوصاً بالاحوال المالية الحاضرة .

وتجرى الحكومة فى المستقبل على الخطة العملية التى جرت عليها حتى الآن وهى واثقة من معاونتكم وتأييدكم كى يتصل الاصلاح بمرافق الدولة كلها وتظل البلاد آمنة مطمئنة فى هذا الدور الدقيق من تاريخ العالم

حضرات الشيوخ . حضرات النواب

لقد كانت الحكمة رائد الأمة المصرية فى جميع أحوالها وكان حرصها على استقلال الوطن واستمساكها به واتحادها فى سبيله أمنع سياج له وأعز ذائد عنه وأنتم ممثلوا الأمة ، أولئكم ثقتها وحملتكم أمانتها فانهضوا بالامانة وحققوا الثقة واملئن بحكمة الأمة وحرصها حتى يستقيم ميزان العدل والأمن والطمأنينة فى البلاد .

لقد وفت مصر بعهودها وحافظت على طيب العلاقات مع سائر الدول فى الخارج فتخطت البلاد خلال الشهور التى انقضت منذ كانت الحرب الحاضرة أدق الظروف وأصعب الاوقات

ولى عظيم الرجاء فى أن تظل الحكمة رائدنا ، وأن يصبح العزم الصادق هدتنا

حفظ الله وطننا العزيز بعنايته وشمله برعايته ووفقنا جميعاً فى خدمته ليعز جانبه وتعلو كلمته ، إنه سميع مجيب

وقد أسندت مقاليد الحكومة المصرية إلى صاحب الدولة حسين صبرى باشا فشكل الوزارة وقد ألقت فى دار النيابة بيانا لم يخرج عن سابقه ، وفيما يلى نصه : —

بيان الوزارة فى البرلمان

ألقى صاحب الدولة حسين سرى باشا رئيس الوزراء فى مجلس الشيوخ والنواب مساء الاثنين ٢٥ نوفمبر البيان الخاص بسياسة الوزارة وهذا نصه :

حضرات النواب المحترمين :

استطاعت الوزارة السابقة أن تتغلب على دقة الأحوال التى تحيط بنا ، وعلى الظروف العصيبة التى يجتازها العالم وتجتازها بلادنا ، لأنها اعتمدت فى رسم السياسة التى أدت إلى هذه الغاية ، والتى حازت اقراركم وتأييدكم على ما اختص به شعب مصر المجيد من اناة ووفاء وصدق عزم وعلى ما أخذتم به حضراتكم فى هـذا المجلس من حكمة وبعد نظر وحسن تقدير .

ثم كانت الوطنيه المصريه التى أثبتت على الايام سموها وقوتها خير كفيل بتعاون أبناء الامه وأحزابها جميعا ، خارج البرلمان وداخله ، تعاونا صادقا فى توجيه البلاد إلى ما يحقق مصلحتها ويحمى سلامتها واستقلالها . وإنى لارجو أن توافق الوزارة التي أتشرف برياستها فى تنفيذ سياسة الوزارة السابقة : كما رسمت فى خطاب العرش الذى تلى

على حضراتكم . فهذا الخطاب برنامجنا وهو البيان الذى نقدمه اليكم املين معاونتكم لنا على تنفيذه فلا تزال دقة الاحوال الدوليه تقتضنا اليقظة والحزم ، ولا تزال سلامة الوطن بحاجة إلى وحدة الامه واجتماع كلمتها :

سدد الله خطانا ، وألهمنا جميعاً الحكمة والرشاد

ونحن نسأل الله أن يلهم حكومات الشعوب الاسلامية فى هذه الظروف الدقيقة رشدها وأن يوفقها لخير البلاد والعباد

من كلام الامام على
فى نهج البلاغة

اعلموا عباد الله ، أن عليكم رصداً من أنفسكم ، وعيوناً من جوارحكم ، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم ، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج ، وإن غداً من اليوم قريب .

يذهب اليوم بما فيه ، ويجيء الغد لاحقاً به ، فكأن كل امرىء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته ومخط حفرته ، فياله من بيت وحدة ، ومنزل وحشة ، ومفرد غربة ! وكأن الصيحة قد أتتكم ، والساعة قد غشيتكم ، وبرزتم لفصل القضاء ، قد زاحت عنكم الأباطيل ، واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق ، وصدرت بكم الأمور مصادرها ، فاتعظوا بالعبر ، واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر .